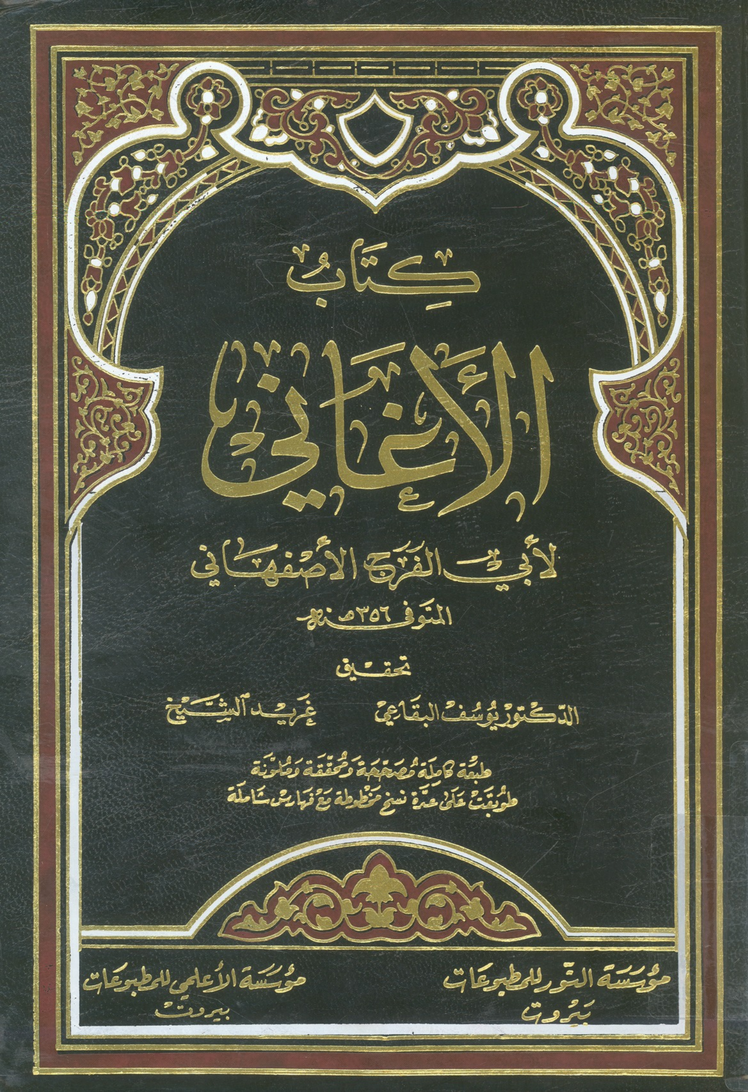
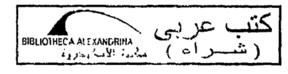
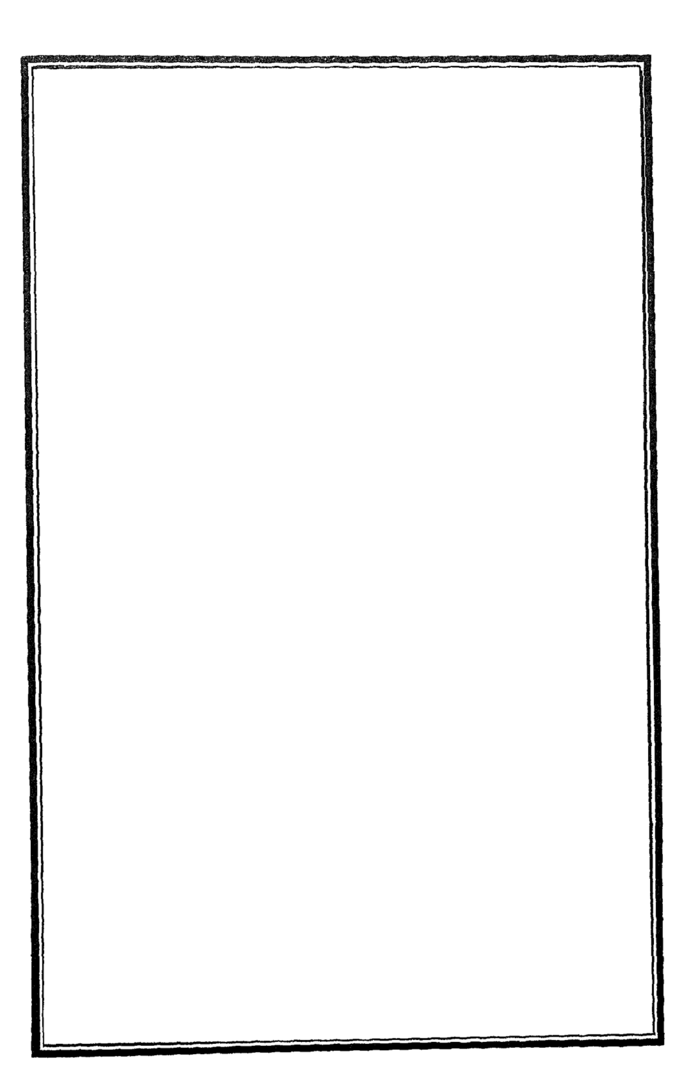

كتاب
الأغاني
لأبي الفرج الأصفهاني
المتوفى ٣٥٦ هـ
تحقيق
الدكتور يوسف البقاعي
غريد الشيخ
طبعة كاملة مصححة ومحققة وملونة
طوبقت على عدة نسخ مخطوطة مع فهارس شاملة
مؤسسة النور للمطبوعات
بيروت
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت


كتب عربي
(شـــراء)
BIBLIOTHECA ALEXANDRINA



كتاب
الأغاني



كتاب الأغاني

لأبي الفرج الأصفهاني

المتوفى ٣٥٦ هـ

تحقيق

الدكتور يوسف البقاعي   غريد الشيخ

طبعة كاملة مصححة ومحققة وملونة
طوبقت على عدة نسخ مخطوطة مع فهارس شاملة

الجزء الثاني عشر

منشورات
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت - لبنان
ص.ب ٧١٢٠

الطبعة الأولى
١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م

PUBLISHED BY
Al Alami Library
BEIRUT - LEBANON
P.O. BOX 7120

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات:
بيروت - شارع المطار - قرب كلية الهندسة.
ملك الأعلمي - ص.ب: ٧١٢٠
الهاتف: ٨٣٣٤٥٣ - ٨٣٣٤٤٧

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أخبار الأعشى وبني عبد المدان[1]، وأخبارهم مع غيره

[توفي ٧ هـ/ ٦٢٩ م]

أَخبرني محمد بن خَلَف بن المرزُبان قال: حدّثنا أحمد بن الهيثم بن فِرَاس قال: حدّثنا العُمَريّ عن الهيثم بن عَدِيّ عن حمّاد الراوية عن سِمَاك بن حَرْب عن يونس بن مَتَّى راويةِ الأعشى قال: كان لَبِيدٌ مُجَبِّراً[2] حيث يقول: [الرمل]

مَـنْ هَـدَاهُ سُـبُـلَ الـخَـيْـرِ اهْـتَـدى نـاعِـمَ الـبـالِ ومَـنْ شـاءَ أَضَـلّ

وكان الأعشى قَدرياً[3] حيث يقول: [الخفيف]

إِسـتَـأْثَـرَ الـلّـهُ بِـالـوَفـاءِ وبِـالْـ ـعَـدْلِ وولَّـى الـمَـلاَمَـةَ الـرَّجُـلاَ

فقلت له: من أين أخذ هذا؟ فقال: أخذه من أسَاقِفة نَجْرانَ. وكان يعود في كلِّ سنةٍ إلى بني عبد المَدَانِ، فيمدَحُهم ويُقيم عندهم يشربُ الخمرَ معهم وينادمهم، ويسمَع من أساقِفة نَجْرانَ قولَهم؛ فكلُّ شيءٍ في شعره من هذا فمنهم أخذه.

[وفود أساقفة نجران على النبيّ والمباهلة]

فأمّا خبر مباهلتهم[4] النبيَّ ﷺ، فأخبرني به عليّ بن العبّاس بن الوَلِيدِ البَجَليُّ

---

(١) بنو عبد المدان: قبيلة

(٢) المجبِّر: الذي يقول بالجبر، ويقول المجبرة إن أفعال العباد يوجدها ويؤثر فيها الله سبحانه وإن العبد غير قادر على التأثير والكسب، بل هو بمنزلة الجماد انظر الملل والنحل صفحة: ٦٩ ولسان العرب مادة جبر.

(٣) القَدريَّة: هو مذهب في علم الكلام الإسلامي، يرى أصحابه أن الإنسان حرّ في أفعاله وإلا لبطل الثواب والعقاب.

(٤) المباهلة: الملاعنة.

المَعْرُوف بالمَقَانِعِيّ الكوفيّ قال: أَنْبَأَنَا بَكّار بن أَحْمَدَ بِنْ اليَسَع الهَمْداني قال: حدّثنا عبد اللّه بن موسى عن أبي حمزة عن شَهْر بن حَوْشَب، قال بكّار: وحدّثنا إسماعيل بن أبانٍ العَامِريّ عن عيسى بن عبد اللّه بن محمد بن عمر بن عليّ عن أبيه عن جدّه عن عليّ عليه السلام، وحديثه أتم الأحاديث. وحدّثني به جماعة آخرون بأسانيدَ مختلفةٍ وألفاظٍ تزيد وتنقص: فممن حدّثني به عليّ بن أحمد بن حامد التميميّ قال: حدّثنا الحسن بن عبد الواحد قال: حدّثنا حسن بن حسين عن حيّان بن عليّ عن الكلبيّ عن أبي صالح عن ابن عبّاس[١]، وعن الحسن بن الحسين عن محمد بن بكر عن محمد بن عبد اللّه بن عليّ بن أبي رَافِعٍ عن أبيه عن جَدّه عن أبي رافع. وأخبرني عليّ بن موسى الحِمْيَرِيُّ في كتابه قال: حدّثنا جَنْدَلُ بن وَالِقٍ قال: حدّثنا محمد بن عمر عن عَبَّاد الكُلَيْبِيّ عن كاملٍ أبي العلاء عن أبي صالح عن ابن عبّاس. وأخبرني أحمد بن الحسين بن سعد بن عثمان إجازةً قال: حدّثنا أبي قال: حدّثنا حُصَيْن بن مُخَارِقٍ عن عبد الصمد بن عليّ عن أبيه عن ابن عبّاسٍ، قال الحصين: وحدّثني أبو الجارود وأبو حمزة الثّمَاليّ عن أبي جعفر، قال: وحدّثني حَمْد بن سالم وخليفةُ بن حسان عن زيد بن عليّ عليه السلام. قال حصين: وحدّثني سعيد بن طَرِيفٍ عن عِكْرِمَة[٢] عن ابن عباس. وممن حدّثني أيضاً بهذا الحديث عليّ بن العباس عن بكّار عن إسماعيل بن أبَان عن أبي أُوَيْس المدنيّ عن جعفر بن محمد وعبد اللّه والحسن ابني الحسن. وممن حدّثني به أيضاً محمد بن الحسين الأُشْنَانِيُّ قال: حدّثنا إسماعيل بن إسحاق الراشِديّ قال: حدّثني يحيى بن سالم عن جابرٍ عن أبي جعفر عليه السلام. وممن أخبرني به أيضاً الحسين بن حمدان بن أيوب الكوفِيّ عن محمد بن عمرو الخشّاب عن حسين الأشقر عن شَرِيك عن جابر عن أبي جعفر، وعن شريك عن المغيرة عن الشعبيّ، واللفظ للحديث الأوّل. قالوا: قَدِمَ وَفْدُ نصارَى نَجْران وفيهم الأُسْقُفُّ، والعاقِب وأبو حَبشٍ، والسَّيِّدُ، وقيس، وعبد المسيح، وابن عبد المسيح الحارث وهو غلام ـ وقال شهر بن حَوْشَب في حديثه: وهم أربعون حبْراً ـ[٣] حتى وقفوا على اليهود في بيت المِدْراس[٤]، فصاحوا بهم:

---

(١) ابن عباس: هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب أبو العباس: حبر هذه الأمة. توفي سنة ٦٨ هـ.
(٢) عكرمة بن عبد الله: مولى ابن عباس، تابعي روى عن ابن عباس وغيره وروى عنه كثيرون توفي سنة ١٠٥ هـ.
(٣) الحبر: العالم.
(٤) بيت المدراس: معبد اليهود.

صُورِيًّا يا كَعْب بن الأشرف، انْزِلُوا يا إخوةَ القُرود والخنازير. فنزلوا إليهم؛ فقالوا لهم: هذا الرجل عندكم منذ كذا وكذا سنةً قد غَلَبكم! أَحْضِرُوا المُمْتَحِنةَ لِنَمْتَحِنَه غداً. فلمّا صلّى النبيُّ ﷺ الصُّبحَ، قاموا فبركوا بين يديه، ثم تقدّمهم الأُسْقُفُ فقال: يا أبا القاسم، موسى مَنْ أبوه؟ قال: «عِمْرانُ». قال: فيوسفُ مَنْ أبوه؟ قال: «يَعْقُوبُ». قال: فأنتَ مَنْ أبوك؟ قال: «**أبي عبدُ الله بنُ عبد المطّلب**». قال: فعيسى مَنْ أبوه؟ فسكت رسولُ الله صلى الله عليه وسلم؛ فانقضَّ عليه جبريلُ عليه السلام فقال: ﴿**إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ**﴾[1] فتلاها رسولُ الله ﷺ؛ فنزا[2] الأُسقُفّ ثم دِيرَ به مَغْشِيًّا عليه، ثم رفع رأسه إلى النبيّ ﷺ فقال له: أتَزْعُمُ أنّ الله جلّ وعلا أوحى إليك أنّ عيسى خُلِق من تراب! ما نَجِدُ هذا فيما أُوحي إليك، ولا نجِده فيما أُوحي إلينا؛ ولا تجِده هؤلاء اليهود فيما أُوحي إليهم. فأوحى الله تبارك وتعالى إليه: ﴿**فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ ما جَاءَكَ مِنَ العِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ ونِسَاءَنَا ونِسَاءَكُم وأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ على الكَاذِبِينَ**﴾[3]. فقال: أنْصَفْتَنا يا أبا القاسِم[4]، فمتى نُباهِلُك؟ فقال: «**بِالغَدَاةِ إنْ شاءَ الله تعالى**». وانصرف النصارى، وانصرفتِ اليهودُ وهي تقول: واللَّهِ ما نُبَالي أَيَّهما أهلك الله الحَنِيفِيَّة أوِ النَّصْرانيّة. فلمّا صارتِ النصارى إلى بُيوتها قالوا: والله إنّكم لتعلمون أنّه نَبِيٌّ، ولئن باهلناه إنّا لنخشى أن نَهْلِكَ، ولكن استَقِيلُوه لعلّه يُقِيلُنا. وغَدَا النبيُّ ﷺ من الصُّبْح وغَدَا معه بعليٍّ وفاطمةَ والحَسَنِ والحُسَين صلواتُ الله عليهم. فلمّا صلّى الصبح، انصرف فاستقبل الناسَ بوجهه، ثم برك بارِكاً، وجاء بعليٍّ فأقامه بين يديه، وجاء بفاطمةٍ فأقامها بين كَتِفَيْه، وجاء بحَسَنٍ فأقامه عن يمينه، وجاء بحُسَيْنٍ فأقامه عن يساره. فأقبلوا يستترون بالخُشُب والمَسْجِدِ فَرَقاً[5] أنْ يبدأَهم بالمُباهلة إذا رآهم، حتى بركوا بين يديه، ثم صاحوا: يا أبا القاسم، أَقِلنا أقالَكَ الله عَثْرَتَك. فقال النبيّ ﷺ: «نَعَمْ» ـ قال: ولم يُسْأَلِ النبيُّ ﷺ شيئاً قَطُّ إلاّ أعطاه ـ فقال: قد أَقَلْتُكم فَولَّوْا. فلمّـا وَلَّوْا قال النبيُّ ﷺ: «أَمَا

(١) سورة آل عمران، الآية: ٥٩.
(٢) نزا: وثب.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ٦١.
(٤) أبو القاسم: رسول الله ﷺ
(٥) الفَرَق: الخوف الشديد، والفزع.

وَالّذي بَعَثَني بالحَقِّ لو باهَلْتُهُمْ ما بَقِي على وَجْهِ الأَرْضِ نَصْرَانِيٌّ ولا نَصْرَانِيَّةٌ إلاّ أهلكهم الله تعالى». وفي حديث شَهْر بن حَوْشَب أنّ العاقب وثب فقال: أُذَكِّركُم اللَّهَ أن نُلاَعِنَ هذا الرجل! فوالله لئن كان كاذباً ما لَكُمْ في مُلاَعنته خيرٌ، ولئن كان صادقاً لا يَحُولُ الحَوْلُ ومنكم نافخُ ضَرَمةٍ[1]. فصَالَحوه ورجعوا.

[خبر قبة نجران]

وأمّا خبرُ القُبّةِ الأدَم التي ذكرها الأعشى فأخبرني بخبرها عمِّي وحبيبُ بن نصر المُهَلَّبيّ قالا: حدّثنا عبد اللّه بن أبي سعْد قال: حدّثني عليّ بن عمرو الأنصاريّ عن هشام بن محمد عن أبيه قال: كان عبد المسيح بن دَارِسِ بنِ عَرَبِيِّ بن مُعَيْقِرٍ من أهل نَجْرانَ، وكانت له قُبّة من ثلاثمائة جِلْدِ أدِيم، وكان على نهر بنُجْرَان يقال [له][2] النُّحَيْردانُ. قال: ولم يأتِ القبة خائفٌ إلاَّ أَمِنَ، ولا جائعٌ إلا شَبع؛ وكان يَسْتَغِلّ من ذلك النهر عشرةَ آلاف دينارٍ، وكانت القُبّة تستغرق ذلك كله. وكان أوّلُ من نزل نجران من بني الحارث بن كعب يزيدَ بن عبد المَدَان بن الدَّيّان. وذلك أنّ عبد المسيح بن دَارِسٍ زوَّج يزيدَ بنَ عبد المدان ابنتَه رُهَيْمةَ، فولدتْ له عبدَ اللّه بن يزيد، فهم بالكوفة. ومات عبدُ المسيح، فانتقل مالُه إلى يزيد؛ فكان أوّلَ حارِثيٍّ حلَّ في نَجْرانَ. وفي ذلك يقول أعشى قيس بن ثَعلبة:

[المتقارب]

فَكَعْبَةُ نَجْرَانَ حَتْمٌ عَلَيْـ ... ـكِ حَتَّى تُنَاخِي بأَبْوابِها
نَزُورُ يَزِيدَ وعَبْدَ المَسِيحِ ... وَقَيْساً هُمُ خَيْرُ أرْبابِها

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيْد قال: حدّثني عمِّي عن العباس بن هشام عن أبيه قال: حدّثني بعضُ بني الحارث بن كعب، وأخبرني عمِّي قال: حدّثني عبد اللّه بن أبي سعد قال: حدّثني عبد اللّه بن الصَّبّاح عن ابن الكلبيّ عن أبيه قال: اِجتمع يزيدُ بن عبد المَدَان وعامرُ بن الطُّفَيْل بمَوْسِم عُكَاظ، وقَدِم أمية[3] بن الأسكر الكِنانيُّ ومعه ابنةٌ له من أجمل أهل زمانِها، فخَطَبها يزيدُ وعامرٌ. فقالت أم كِلاَبٍ امرأةُ أُمَيّةَ بنِ الأسكر: مَنْ هذان الرجلان؟ فقال: هذا يزيدُ بن عبد

---

(١) الضَرَمة: الجمرة، ويقال: ما في الدار نافخُ ضرمةٍ، أي ما فيها أحد.
(٢) الكلمة ليست في الأصل ويستدعيها سياق الكلام.
(٣) هو أمية بن حرثان بن الأسكر الجندعي. توفي سنة ١٠ هـ.

المدان بن الديّان، وهذا عامِرُ بن الطُّفَيْل. فقالت: أَعْرف بني الديّان ولا أعرف عامراً. فقال: هل سَمِعْتِ بمُلاَعِب الأسِنَّة[١]؟ فقالت: نعم. قال: فهذا ابنُ أخيه. وأقبل يزيد فقال: يا أُمية، أنا ابن الديّان صاحبُ الكَثِيب[٢]، ورَئيس مَذْحِج، ومُكَلِّم العُقَاب، ومَنْ كان يُصَوِّب أصابعَه فتَنْطِفُ[٣] دماً، ويَدْلُك راحتيه فتُخْرِجان ذَهَباً. فقال أُمَيَّة: بَخٍ بَخٍ. فقال عامر: جَدِّي الأَخْرَمُ، وعمِّي مُلاعِبُ الأسِنَّة، وأبي فارسُ قُرْزُل. فقال أُميةُ: بَخْ بَخْ! مَرْعًى ولا كالسَّعْدان[٤]. فأرسلها مثلاً. فقال يزيد: يا عامِر، هل تَعلَم شاعراً من قومي رَحَلَ بمِدحةٍ إلى رجلٍ من قومك؟ قال: اللّهمّ لا. قال: فهل تعلم أن شعراء قومك يرحَلون بمدائحهم إلى قومي؟ قال: اللّهمَّ نعم. قال: فهل لكم نجمٌ يمانٍ أو بُرْدٌ يمانٍ أو سيفٌ يمانٍ أو رُكْنُ يمانٍ؟ قال: لا. قال: فهل مَلَكْنَاكم ولم تَمْلِكونا؟ قال: نعم. فنَهض يزيد وأنشأ يقول:

[الرجز]

أُمَيَّ يابنَ الأسْكَرِ بْنِ مُدْلِجِ ... لا تَجْعَلَنْ هَوَازِناً كمَذْحِجِ
إنَّكَ إنْ تَلْهَجْ بأمْرٍ تَلْجَجِ ... ما النَّبْعُ في مَغْرِسِهِ كالعَوْسَجِ[٥]
ولا الصَّرِيحُ المَحْضُ كالمُمَزَّجِ[٦]

قال: قال مُرّة بن دُودَان النُّفَيْليّ وكان عدوّاً لعامر: [الرجز]

يا لَيْتَ شِعْرِي عَنْكَ يا يَزِيدُ ... ماذا الَّذِي مِن عامِرٍ تُرِيدُ
لِكُلِّ قَوْمٍ فَخْرُكُمْ عَتِيدُ ... أمُطْلَقُونَ نَحْنُ أم عَبِيدُ
لا بَلْ عَبِيدٌ زَادُنا الهَبِيدُ[٧]

(١) هو أبو البراء عامر بن مالك، سمي «ملاعب الأسنة» بقول أوسن بن حجر:
ولاعب أطراف الأسنة عامر ... فراح له حظ الكتيبة أجمع
(٢) الكثيب: بساحل بحر اليمن، وقريتان بالبحرين (القاموس المحيط، مادة كثب).
(٣) تنطِفُ: تقطر.
(٤) السَّعْدان: نبت ينبت في السهول، وهو أخثر العشب لبناً، وقيل: إن المثل هو لامرأة من طيّىء. (مجمع الأمثال).
(٥) النَّبْعُ: نوع من الشجر ينبت في قلل الجبال، تتّخذ منه القسيّ ومن أغصانه السهام. والعَوْسَج: نوع من الشوك.
(٦) الصَّرِيحُ: الخالصُ مما يشوبه، الواضح.
(٧) الَهبِيدُ: حب الحنظل. واحدته: هَبِيدةٌ.

قال: فزوَّج أُميَّة يَزِيدَ بن عَبْدِ المَدَان ابنته. فقال يزيد في ذلك: [الكامل]

يـا لـلـرِّجَـالِ لِـطَـارِقِ الأحـزانِ ... ولِـعَـامِـرِ بـنِ طُـفَـيْـلِ الـوَسْـنَـانِ
كـانـتَ إِتَـاوَةَ قَـوْمِـهِ لِـمُـحَـرِّقٍ ... زَمـنـاً وصَـارتْ بَـعْـدُ لِـلـنُّـعْـمَـانِ[1]
عَـدَّ الـفَـوَارِسَ مـن هَـوَازِنَ كُـلِّـهـا ... فَـخْـراً عَـلَـيَّ وَجِـئْـتُ بِـالـدَّيَّـانِ
فـإذا لـيَ الـشَّـرَفُ الـمُـبِـيـنُ بِـوَالـدٍ ... ضَـخْـمِ الـدَّسِـيـعَـةِ زَانَـنِـي ونَـمَـانـي[2]
يَـا عَـامُ إنَّـكَ فَـارِسٌ ذُو مَـيْـعَـةٍ ... غَـضُّ الـشَّـبـابِ أَخُـو نَـدًى وقِـيَـانِ
وَاعْـلَـمْ بِـأَنَّـكَ بِـابْـنِ فَـارِسَ قُـرْزُلٍ ... دونَ الَّـذِي تَـسْـعَـى لَـهُ وتُـدَانِـي
لـيـسـت فَـوَارسُ عَـامِـرٍ بِـمُـقِـرَّةٍ ... لـكَ بِـالـفـضـيـلـةِ فـي بَـنِـي عَـيْـلانِ
فـإذا لَـقِـيـتَ بَـنِـي الـحِـمَـاسِ ومـالـكٍ ... وبـنـي الـضِّـبـاب وَحَـيَّ آلِ قَـنَـانِ[3]
فَـاسْـأَلْ عـن الـرَّجُـلِ الـمُـنَـوَّهِ بـاسـمِـه ... والـدَّافِـعِ الأَعْـدَاءَ عَـنْ نَـجْـرانِ
يُـعْـطَـى الـمَـقَـادَةَ فـي فَـوَارِسِ قَـوْمِـهِ ... كَـرَمـاً لَـعَـمْـرُكَ والـكـريـمُ يَـمَـانِـي

فقال عامرُ بن الطُّفَيْل: [الكامل]

عَـجَـبـاً لِـوَاصِـفِ طـارِقِ الأَحْـزَانِ ... ولِـمَـا يَـجِـيءُ بِـهِ بَـنُـو الـدَّيَّـانِ
فَـخَـرُوا عَـلَـيَّ بِـحَـبْـوةٍ لِـمُـحَـرِّقٍ ... وإِتَـاوَةٍ سِـيـقَـتْ إلـى الـنُّـعْـمـانِ[4]
مـا أَنْـتَ وابـنُ مُـحَـرِّقٍ وقَـبِـيـلَـهُ ... وإِتَـاوَةُ الـلَّـخْـمِـيِّ فـي عَـيْـلانِ
فَـاقْـصِـدْ بفَخْرِكَ قَصْدَ قَوْمِك قُصْرةً ... ودَعِ الـقَـبَـائِـلَ مـن بـنـي قَـحْـطَـانِ
إنْ كـانَ سَـالِـفَـةُ الإِتَـاوةِ فـيـكـمُ ... أَوْ لَا فَـفَـخْـرُكَ فَـخْـرُ كُـلِّ يَـمَـانـي
وافْـخَـرْ بـرَهْـطِ بني الـحِـمَـاسِ ومالكٍ ... وبـنـي الـضِّـبـابِ وزَعْـبَـلٍ وقَـنَـانِ
فَـأَنـا الـمُـعَـظَّـمُ وابـنُ فـارِسِ قُـرْزُلٍ ... وأَبُـو بَـرَاءٍ زانَـنِـي ونـمـانِـي
وأَبُـو جُـزَيْءٍ ذو الـفَـعَـالِ ومَـالِـكٌ ... مَـنَـعـا الـذِّمـارَ صـبـاحَ كـلِّ طِـعَـانِ
وإذا تَـعَـاظَـمَـتِ الأُمُـورَ هَـوازِنٌ ... كـنـتُ الـمُـنَـوَّهَ بـاسْـمِـهِ والـبَـانِـي

---

(١) مُحرِّق: لقب به من ملوك لخم بالحيرة امرؤ القيس بن عمرو بن عديّ، ويقال له المحرق الأكبر، وعمرو بن هند ويقال له المحرّق الثاني، والحارث بن عمرو من ملوك غسان بالشام.

(٢) الدَّسيعة: العطيّة. ويقال: فلان ضخم الدسيعة، أي مجتمع الكتفين.

(٣) بنو الحِماس، والضِّباب، وآل قَنانٍ: قبائل من مذحج.

(٤) الحَبْوة: العَطِيّة.

[مرّة بن دودان يرفض هجاء بني الديان]

فلمّا رجع القوم إلى بني عامر، وثَبُوا على مُرَّةَ بن دُودانَ وقالوا له: أنت من بني عامر، وأنت شاعرٌ، ولم تَهْجُ بني الدَّيَّان! فقال مُرَّةُ: [الوافر]

تُكَلِّفُنِي هَوَازِنُ فَخْرَ قَوْمٍ يَقُولُونَ: الأنامُ لَنَا عَبِيدُ
أَبُونَا مَذْحِجٌ وبَنُو أبِيهِ إذا ما عُدَّتِ الآباءُ هُودُ[١]
وهل لِي إنْ فَخَرْتُ بِغَيْرِ حقٍّ مَقالٌ والأنامُ لَهُمْ شُهُودُ
فَأَنَّى تَضْرِبُ الأَعْلامُ صَفْحاً عن العَلْياءِ أمْ مَنْ ذا يَكِيدُ
فَقُولُوا يَا بَنِي عَيْلانَ كُنَّا لَهُمْ قِنّاً، فَمَا عَنْهَا مَحِيدُ[٢]

وقال ابنُ الكلبيّ في هذه الرواية: قَدِم يزيدُ بن عبد المَدَان وعمرُو بن مَعْدِيكرب ومَكْشوحُ المُرَاديّ على ابن جَفْنَةَ زُوَّاراً، وعنده وجوهُ قَيْس: مُلاَعِبُ الأَسِنَّة عامرُ بن مالك، ويزيدُ بن عَمْرو بن الصَّعِق، ودُرَيْد بن الصِّمَّة. فقال ابن جفنة ليزيد بن عبد المَدَان: ماذا كان يقول الدَّيَّان إذا أصبح فإنه كان دَيَّاناً[٣]. فقال: كان يقول: آمنتُ بالذي رَفَع هذه (يعني السماء)، ووضَعَ هذه (يعني الأرض)، وشَقَّ هذه (يعني أصابعَه)، ثم يَخِرُّ ساجداً ويقول: سَجَد وَجْهي لِلَّذي خَلَقه وهو عاشمٌ[٤]، وما جَشَّمَني من شيءٍ فإنِّي جاشم. فإذا رفع رأسه قال:

إنْ تَغْفِرِ اللَّهمَّ تَغْفِرْ جَمَّا وأيُّ عَبْدٍ لَكَ ما أَلَمَّا[٥]

فقال ابن جَفْنَةَ: إنَّ هذا لذو دِينٍ. ثم مال على القيسيِّين وقال: ألا تحدِّثوني عن هذه الرياح: الجَنُوب والشَّمَال والدَّبُور والصَّبَا والنَّكْباء، لِم سُمِّيَتْ بهذه الأسماء؛ فإنه قد أعياني عِلْمُها؟ فقال القوم: هذه أسماءٌ وجدنا العربَ عليها لا نعلَم غير هذا فيها. فضحِكَ يزيدُ بن عبد المَدَان ثم قال: يا خير الفِتْيان، ما كنتُ أَحْسَبُ أنّ هذا يسقُط علمه على هؤلاء وهم أهل الوَبَر[٦]. إنَّ العرب تضرب أبياتَها

(١) هُودُ: جمع هائد. وهو التائب الراجع إلى الحق.
(٢) القِنّ: العبد هو وأبوه، أو الخالص العبودة.
(٣) الدَّيَّان: يقصد هنا الحاكم والقاضي.
(٤) العَاشِمُ: الطامع.
(٥) ألمَّ: أذنب ذنباً صغيراً، واللمم: الذنب الصغير.
(٦) أهْل الوبر: البدو.

في القِبْلة مَطْلَع الشمس، لِتُدْفِئهم في الشِّتاء وتزولَ عنهم في الصيف. فما هَبَّ من الرِّياح عن يمين البيت فهي الجنوب، وما هَبَّ عن شِماله فهي الشَّمَال، وما هَبَّ من أمامه فهي الصَّبَا، وما هَبَّ من خَلْفه فهي الدَّبُور، وما استدار من الرياح بين هذه الجهات فهي النَّكْباء. فقال ابن جفنة: إنّ هذا لَلْعِلْمُ يابنَ عبد المَدَان. وأقبل على القيسيِّين يسألُهم عن النُّعمان بن المُنْذِر. فعابوه وصغّروه. فنظر ابن جفنة إلى يزيد فقال له: ما تقول يابنَ عبد المدان؟ فقال يزيد: يا خيرَ الفِتْيان. ليس صغيراً مَنْ مَنَعَك العراقَ، وشَرِكَك في الشام، وقيل له: أَبَيْتَ اللَّعْنَ، وقيل لك: يا خير الفِتْيان، وألفَى أباه مَلِكاً كما ألفيتَ أباك ملكاً؛ فلا يَسُرُّكَ مَنْ يَغُرُّك؛ فإن هؤلاء لو سألهم عنك النُّعمانُ لقالوا فيكَ مثل ما قالوا فيه. وايْمُ اللَّهِ ما فيهم رجلٌ إلاّ ونِعْمةُ النُّعْمان عنده عظيمة! فغَضِب عامرُ بن مالك وقال له: يابن الديّان! أما والله لَتَحْتَلِبَنَّ بها دماً! فقال له: ولِمَ؟ أَزِيدَ في هَوَازِنَ من لا أعرِفه؟ فقال: لا! بل هم الذين تَعْرِف. فضحِك يزيدُ ثم قال: ما لَهُمْ جُرْأَةُ بني الحارثِ، ولا فَتْكُ مُرَاد، ولاَ بَأسُ زُبَيْد، ولا كَيْدُ جُعْفِيّ، ولا مُغَارُ طيّىء. وما هم ونحن يا خيرَ الفتيان بسواء، ما قتلنا أسيراً قَطُّ، ولا اشتهينا حُرَّةً قط، ولا بكينا قتيلاً حتى نُسيء به. وإنّ هؤلاء لَيَعْجِزُون عن ثأرِهم، حتى يُقْتَلَ السَّمِيُّ بالسميّ، والكَنيُّ بالكَنيِّ، والجارُ بالجارِ. وقال يزيد بن عبد المَدَان فيما كان بينه وبين القيسيِّين شعراً غدا به على ابن جَفْنَة:

[الطويل]

تَـمَـالاَ عـلـى الـنُّـعْـمَـانِ قَـوْمٌ إِلَـيْـهِـمُ ... مَـوَارِدُهُ فـي مُـلْـكِـهِ ومَـصَـادِرُهْ
عـلـى غَـيْـرِ ذَنْـبٍ كـانَ مِـنْـهُ إِلَـيْـهِـمُ ... سِـوَى أَنَّـه جـادتْ عَـلَـيْـهِـم مَـوَاطِـرُهْ
فَـبَـاعَـدَهُـمْ مِـنْ كُـلِّ شَـرٍّ يَـخَـافُـه ... وقَـرَّبَـهُـمْ مـن كُـلِّ خَـيْـرٍ يُـبَـادِرُهْ
فَـظَـنُّـوا - وأَعْـرَاضُ الـظُّـنُـون كَـثِـيرةٌ - ... بِـأَنَّ الَّـذي قَـالُـوا مـن الأَمْـرِ ضَـائِـرُهْ
فـلـم يَـنْـقُـصُـوهُ بِـالَّـذي قِـيـلَ شَـعْـرةً ... ولا فُـلِّـلَـتْ أَنْـيَـابُـهُ وَأَظَـافِـرُهْ
وَلَـلْـحَـارِثُ الـجَـفْـنِـيُّ أَعْـلَـمُ بِـالَّـذِي ... يَـنُـوءُ بـه الـنُّـعْـمـانُ إن خَـفَّ طـائِـرُهْ
فَـيَـا حـارِ كَـمْ فِـيـهِـمْ لِـنُـعْـمَـانَ نِـعْـمَـةٍ ... مِـنَ الـفَـضْـلِ والـمَـنِّ الـذي أَنـا ذَاكِـرُهْ
ذُنُـوبـاً عـفَـا عـنـهـا ومـالاً أفـادَه ... وعَـظْـمـاً كَـسِـيـراً قَـوَّمَـتْـهُ جَـوَابِـرُهْ
ولـو سَـالَ عَـنْـكَ الـعَـائِـبِـيـنَ ابـنُ مُـنْـذِرٍ ... لَـقَـالُـوا لـه الـقَـوْلَ الَّـذي لا يُـحَـاوِرهْ

قال: فلمّا سمِع ابن جَفْنَةَ هذا القولَ عظُم يزيدُ في عينه، وأجلسه معه على سريره، وسقاه بيده، وأعطاه عطيّة لم يُعْطِها أحداً ممن وَفَد عليه قطُّ.

فلمّا قرَّب يزيدُ ركائبَه ليرتحلَ سمِع صوتاً إلىٰ جانبه، وإذا هو رجلٌ يقول:

[المتقارب]

أَمَا مِنْ شَفِيعٍ مِنَ الزَّائِرِينَ يُحِبُّ الثَّنَا زَنْدُهُ ثَاقِبُ[1]
يُرِيدُ ابنُ جَفْنَةَ إِكْرَامَهُ وَقَدْ يمسَحُ الضَّرَّةَ الحَالِبُ[2]
فَيُنْقِذَنِي مِنْ أَظَافِيرِهِ وإلا فَإِنِّي غَداً ذَاهِبُ
فَقَدْ قُلْتُ يَوْماً عَلَى كُرْبَةٍ وفي الشَّرْبِ في يَثْرِبٍ غَالِبُ[3]
أَلاَ لَيتَ غَسَّانَ في مُلْكِهَا كَلَخْمٍ، وقد يُخطِئُ الشَّارِبُ
وما في ابْنِ جَفْنَةَ مِنْ سُبَّةٍ وقد خَفَّ حِلْمِي بِهَا العَازِبُ
كَأَنِّي غَرِيبٌ مِنَ الأَبْعَدِينَ وفي الحَلْقِ مِنِّي شَجاً نَاشِبُ

فقال يزيدُ: عليَّ بالرجل، فأُتِي به. فقال: ما خَطْبُك؟ أنت تقول هذا الشعر؟ قال: لا، بل قاله رجلٌ من جُذَامَ جفاه ابن جَفْنةَ، وكانت له عند النُّعمان منزلةٌ، فشَرِب فقال على شرابه شيئاً أنكره عليه ابنُ جفنة فحبسه، وهو مُخْرِجهُ غداً فقاتِلُه. فقال له يزيد: أنا أُغنيك. فقال له: ومن أنت حتى أعرِفَك؟ فقال: أنا يزيد بن عبد المَدَانِ. فقال: أنتَ لها وأبيك؟ قال: أَجَلْ! قد كفيتُك أمْرَ صاحبِك، فلا يَسْمَعَنَّك أحدٌ تُنْشِد هذا الشعر. وغدَا يزيد على ابن جَفْنةَ لِيُوَدِّعه؛ فقال له: حيَّاك الله يابن الدَّيَّان! حاجتَك. قال: تُلْحِقُ قُضاعةَ الشأم بغَسّانَ، وتُؤْثِر مَنْ أتاك من وفود مَذْحِج، وتَهَبُ لي الجُذَاميّ الذي لا شفيعَ له إلاَّ كرمُك. قال: قد فعلتُ. أمَا إنِّي حبستُه لأَهَبَه لسيِّد أهل ناحيتك، فكنتَ ذلك السيِّدَ، ووَهبَه له. فاحتمله يزيدُ معه، ولم يزل مُجاوراً له بِنَجْرَانَ في بني الحارث بن كعب. وقال ابن جَفْنَةَ لأصحابه: ما كانت يميني لِتَفِيَ إلا بقَتْله أو هِبَتِه لرجلٍ من بني الدَّيَّان؛ فإنّ يميني كانت على هذين الأمرين. فَعَظُمَ بذلك يزيدُ في عين أهل الشأم ونَبُه ذكره وشرُف.

[يزيد يتدخل لدى قيس بن عاصم لفك أسير]

وقال ابن الكلبي في هذه الرواية عن أبيه: جاورَ رجلان من هَوازِنَ، يقال لهما عمرٌو وعامر، في بني مُرَّةَ بن عَوْف بن ذُبْيان، وكانا قد أصابا دماً في

(١) ثقوب الزند: كناية عن الكرم والخصال الحميدة.
(٢) الضَّرَّة: أصل الضرع الذي لا يخلو من اللبن أو يكاد يخلو منه.
(٣) الشَّرب: الجماعة الذين يتعاطون شرب الخمر.

قومهما. ثم إنّ قيس بن عاصم المِنْقَريّ أغار على بني مُرّة بن عوف بن ذبيان، فأصاب عامراً أسيراً في عِدّة أُسارَى كانوا عند بني مُرّة، فَفَدَى كلُّ قومٍ أسيرَهم من قيس بن عاصم وتركوا الهَوازنيّ، فاستغاث أخُوه بوجوه بني مُرَّة: سِنانِ بن أبي حارِثة[١]، والحارثِ بن عوف[٢]، والحارثِ[٣] بن ظالم، وهاشم بن حَرْملةَ[٤] والحُصَيْن بن الحُمَام[٥]، فلم يُغِيثوه، فركِب إلى موسم عُكَّاظ، فأتى مَنازلَ مَذْحِجَ ليلاً فنادى: [الطويل]

دَعَوْتُ سِناناً وابنَ عَوْفٍ وَحارِثاً ... وعالَيتُ دَعْوَى بالحُصَيْنِ وهاشِمِ
أُعَيِّرُهُمْ في كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ... بِتَرْكِ أسِيرٍ عندَ قَيْسِ بنِ عاصِمِ
حَلِيفِهِمُ الأَدْنَى وجَارِ بُيُوتِهِمْ ... ومَنْ كانَ عَمَّا سَرَّهُمْ غيرَ نائِمِ
فَصَمُّوا وأَحْداثُ الزَّمانِ كَثِيرَةٌ ... وكَمْ في بَنِي العَلاَّتِ من مُتَصامِمِ[٦]
فيا لَيْتَ شِعْرِي مَنْ لإطلاقِ غُلِّهِ ... وَمَنْ ذا الَّذِي يَحْظَى بهِ في المَوَاسِمِ

قال: فسمِع صوتاً من الوادي ينادي بهذه الأبيات: [المتقارب]

ألاَ أيُّهَذَا الَّذِي لم يُجَبْ ... عَلَيْكَ بِحَيٍّ يُجَلِّي الكُرَبْ
عَلَيْكَ بذَا الحَيِّ من مَذْحِجٍ ... فَإِنَّهُمُ لِلرِّضَا وَالغَضَبْ
فَنَادِ يَزِيدَ بنَ عَبْدِ المَدَانِ ... وقَيْساً وَعَمْرَو بنَ مَعْدِيكَرِبْ
يَفُكُّوا أخاكَ بأَمْوَالِهِمْ ... وأَقْلِلْ بِمِثْلِهِمُ في العَرَبْ
أولاكَ الرُّؤوس فلا تَعْدُهُمْ ... ومَنْ يَجْعَلُ الرأسَ مثلَ الذَّنَبْ!

قال: فاتَّبع الصوتَ فلم يَر أحداً، فغدَا على المكشوح، واسمُه قَيْس بن عبد يَغُوثَ المُرَادِيّ، فقال له: إنِّي وأخي رجلانِ من بني جُشَمَ بنِ مُعاوية أصبْنا دماً في قومنا، وإنّ قيس بن عاصم أغار على بني مُرّة وأخي فيهم مُجاوِرٌ فأَخذهُ أسيراً، فاستغثتُ بسِنَانِ بن أبي حارِثة، والحارث بن عوف، والحارث بن ظالم، وهاشم بن حرملة فلم يُغيثوني. فأتيت المَوْسِم لأُصيبَ به من يَفُكّ أخي، فانتهيت

(١) سنان بن أبي حارثة المري: أحد أجواد العرب وقضاتهم المحكَّمين في الجاهلية.
(٢) الحارث بن عوف: أبو حارثة المريّ، من فرسان الجاهلية، أدرك الإسلام وأسلم.
(٣) الحارث بن ظالم: أبو ليلى، أشهر فُتّاك العرب في الجاهلية.
(٤) هاشم بن حرملة بن الأشعر المرّي: من فرسان الجاهلية.
(٥) الحصين بن الحمام بن ربيعة المرّي الذبياني أبو زيد: شاعر فارس جاهلي ويلقب «مانع الضيم».
(٦) بنو العَلاَّتِ: أي بنو أمهات شتّى من رجل واحد.

إلى مَنازل مَذْحِجَ، فناديتُ بكذا وكذا، فسَمِعت من الوادِي صوتاً أجابني بكذا وكذا، وقد بدأتُ بك لِتَفُكَّ أخي. فقال له المكشوح: والله إنَّ قيسَ بن عاصم لرجل ما قارضته معروفاً قطُّ ولا هو لي بجارٍ، ولكن اشْتَرِ أخاك منه وعليَّ الثمن، ولا يَمْنَعْك غلاؤه. ثم أتى عمرَو بن مَعْدِيكرب فقال له مثلَ ذلك؛ فقال: هل بدأتَ بأحدٍ قبلي؟ قال: نعم! بقيس المكشوح. قال: عليكَ بمن بدأتَ به. فتركه، وأتى يزيد بنَ عبد المَدَان فقال له: يا أبا النَّضر، إنّ من قِصَّتي كذا وكذا. فقال له: مرحباً بك وأهلاً أَبْعَثُ إلى قيس بن عاصم؛ فإنْ هو وهَب لي أخاك شكرتُه، وإلا أغرتُ عليه حتى يَتَّقِيني بأخيك؛ فإنْ نِلتُها وإلا دفعتُ إليك كلَّ أسير من بني تميم بنجْرانَ فاشتريتَ بهم أخاك. قال: هذا الرضا. فأرسَلَ يزيد إلى قيس بن عاصمٍ بهذه الأبيات:

يا قَيْسُ أَرْسِلْ أَسِيراً مِنْ بَنِي جُشَمٍ ... إِنّـي بِـكُـلِّ الَّـذِي تَـأْتـي بـه جَـازي
لا تـأْمَـنِ الـدَّهْـرَ أن تَـشْـجَـى بغُـصَّـتِهِ ... فَـاخْـتَـرْ لِـنَـفْـسِـكَ إحْـمـادِي وإِعْـزَازي
فـافْـكُـكْ أخَـا مِـنْـقَـرٍ عَـنْـهُ وَقُـلْ حَـسَـنـاً ... فِـيـمـا سُـئِـلْـتَ وعَـقِّـبْـهُ بـإِنْـجـازِ

قال: وبعث بالأبيات رسولاً إلى قيس بن عاصم؛ فأنشده إياها، ثم قال له: يا أبا عليّ، إنّ يزيد بن عبد المَدَان يقرأ عليك السلام ويقول لك: إنَّ المعروف قُروض، ومع اليوم غدٌ. فأطلِق لي هذا الجُشَمِيَّ؛ فإنّ أخاه قد استغاث بأشراف بني مُرّة، وبعمرو بن مَعْدِيكرب، وبمكشوح مُرَادٍ فلم يُصِبْ عندهم حاجتَه فاستجار بي. ولو أرسلتَ إليّ في جميع أُسارَى مُضَرَ بنَجْرانَ لقضيتُ حقَّك. فقال قيس بن عاصم لِمَنْ حضره من بَنِي تَمِيم: هذا رسولُ يزيدَ بنِ عبد المَدَان سيِّد مَذْحِج وابنِ سيِّدها ومن لا يزال له فيكم يدٌ، وهذه فُرْصةٌ لكم، فما تَرَوْنَ؟ قالوا: نرى أن نُغْلِيَه عليه ونَحْكُمَ فيه شَطَطاً[1]؛ فإنه لن يخذُلَه أبداً ولو أتى ثمنُه على ماله. فقال قيس: بئس ما رأيتم! أمَا تخافون سِجالَ الحروب ودُوَلَ الأيّام ومجازاةَ القُروض! فلمّا أَبَوْا عليه قال: بِيعُونِيه، فأغْلَوْه عليه، فتركه في أيديهم، وكان أسيراً في يد رجل من بني سَعْد، وبعث إلى يزيدَ فأعلمه بما جرى، وأعلمه أنّ الأسير لو كان في يده أو في بني مِنقَر لأخذه وبعث به، ولكنه في يد رجل من بني سَعْد. فأرسل يزيد إلى السعديّ أن سِرْ إليّ بأسِيرك ولك فيه حُكْمُك. فأتى به السعديُّ يزيدَ بن عبد

(١) الشَّطَط: الإفراط وتجاوز القَدْر المحدود.

المَدَان؛ فقال له: احْتَكِم. فقال: مائةُ ناقةٍ ورِعاؤها. فقال له يزيد: إنَّك لَقصير الهِمّة قريبُ الغِنَى جاهلٌ بأخطار بني الحارث. أمَا والله لقد غَبَنْتُك يا أخا بني سَعْدَ، ولقد كنتُ أخاف أن يأتي ثمنُه على جُلِّ أموالنا، ولكنكم يا بَنِي تَمِيم قومٌ قِصارُ الهِمَم. وأعطاه ما احتكم. فجاوره الأسير وأخوه حتى ماتا عنده بنَجْرَان.

وقال ابن الكلبيّ: أغار عبدُ المَدَان على هوازِنَ يوم السَّلف[١] في جماعةٍ من بني الحارث بن كعب، وكانت حُمَتُه[٢] على بني عامر خاصّة. فلمّا التقى القومُ حَمَل على وَبْر بن مُعاوية النُّمَيْريّ فصرَعه، وثَنَّى بطُفَيْل بن مالك فأجرّه[٣] الرمحَ، وطار به فرسُه قُرْزُلٌ فنجا، واستحرّ القتلُ في بني عامر، وتَبِعتْ خيلُ بني الحارث مَنِ انهزم من بني عامر، وفي هذه الخيل عُمَيْرٌ، ومَعْقلٌ وكانا من فُرسان بني الحارث بن كعب، فلم يزالوا بقيّة يومِهم لا يُبْقُون على شيء أصابوه. فقال في ذلك عبدُ المَدَان: [الطويل]

عَفَا مِنْ سُلَيْمَى بَطْنُ غَوْلٍ فَيَذْبُلُ ... فَغَمْرَةُ فَيْفِ الرِّيحِ فَالمُتَنَخَّلُ[٤]
دِيارُ الَّتي صادَ الفُؤادَ دَلالُها ... وأَغْرَتْ بها يَوْمَ النَّوَى حِينَ تَرْحَلُ
فإنْ تَكُ صَدَّتْ عن هَوَايَ وَراعَها ... نَوازِلُ أحْداثٍ وَشَيْبٌ مُجَلِّلُ
فيا رُبَّ خَيْلٍ قد هَدَيْتُ بِشَطْبَةٍ ... يُعَارِضُها عَبْلُ الجُزارةِ هَيْكَلُ[٥]
سَبُوحٌ إذا جالَ الحِزَامُ كأنَّهُ ... إذا انْجابَ عنه النَّقْعُ في الخَيْلِ أَجْدَلُ[٦]
يُوَاغِلُ جُرْداً كالقَنَا حارِثيَّةً ... عليها قَنَانٌ والحِمَاسُ وزَعْبَلُ[٧]

---

(١) السَّلف: مخلاف باليمن. (معجم البلدان ٣/ ٢٣٨).

(٢) حُمَتُه: أي حملته وشدته.

(٣) أجرّه الرمحَ: طعنه به وتركه فيه يجرّه.

(٤) غول: اسم لعدّة مواضع (معجم البلدان ٤/ ٢٢٠). وَيَذْبُلُ: جبل مشهور بنجد (معجم البلدان ٥/ ٤٣٣). وغَمْرَةَ: أسم لعدّة أماكن (معجم البلدان ٤/ ٢١٢). وفَيْف الرِّيح: معروف بأعالي نجد. (معجم البلدان ٤/ ٢٨٥).

(٥) (الشَّطبَة من الخيل: (الشين بالكسر والفتح) وهي: الفرسُ السّبطةُ اللَّحم. وعَبْلُ الجُزارةِ: الضّخم من كل شيء. والهَيْكَلُ: العالي، المرتفع.

(٦) السَبُوحُ من الخيل: السريع غير المضطرب في جريه. والأَجْدَلُ: الصقر.

(٧) يُواغِلُ جُرْداً: يُداخلها. وفرسٌ أجْرَدُ: قصير الشعر رقيقه، وهو مدحٌ في الخيلِ. وقنان والحِمَاس وزعبلُ: أسماء قبائل.

مَعَاقِلُهُمْ في كُلِّ يَوْمِ كَرِيهَةٍ ... صُدُورُ العَوَالِي والصَّفِيحُ المُصَقَّلُ(١)
وزَغْفٌ من المَاذِيِّ بِيضٌ كأنَّها ... نِهَاءٌ مَرَتْها بالعَشِيّاتِ شَمْأَلُ(٢)
فما ذَرَّ قَرْنُ الشَّمْسِ حَتَّى تلاحَقَتْ ... فَوارِسُ يَهْدِيها عُمَيْرٌ ومَعْقِلُ
فَجالَتْ على الحَيِّ الكِلاَبِيِّ جَوْلَةً ... فَبَاكَرَهُمْ وِرْدٌ من المَوْتِ مُعْجَلُ
فَغَادَرْنَ وَبْراً تَحْجِلُ الطَّيْرُ حَوْلَهُ ... وَنَجَّى طُفَيْلاً في العَجَاجةِ قُرْزُلُ(٣)
فَلَمْ يَنْجُ إلاَّ فَارِسٌ من رِجالِهِمْ ... يُخَفِّفُ رَكْضاً خَشْيَةَ المَوْتِ أعْزَلُ

وليزيد بنِ عبد المَدَان أخبارٌ مع دُرَيْد بن الصِّمَّة قد ذكِرتْ مع أخبار دُرَيْد في صَنْعة المُعْتضِد مع أغاني الخلفاءِ، فاستُغْنِي عن إعادتها في هذا الموضع.

[زينب بنت مالك ترثي يزيد بن عبد المدان]

أخبرني عليّ بن سليمان قال: أخبرني أبو سعيد السُّكّري قال: حدّثني محمد بن حبيب(٤)، عن ابن الأعرابيّ، وأبي عُبَيْدة، وابن الكلبيّ، قالوا:

أغار يزيد بن عبد المَدَان ومعه بنو الحارث بن كَعْبٍ على بني عامرٍ، فأَسر عامرَ بن مالك مُلاعِبَ الأسِنَّةِ أبا بَرَاء، وأخاه عَبِيدَةَ بن مالك، ثم أنعم عليهما. فلمّا مات يزيد بن عبد المَدَانِ ـ واسمُ عبدِ المَدَانِ عمرو، وكنيته أبو يَزِيدٍ، وهو ابن الدَّيَّان بن قَطَنِ بن زِياد بن الحارثِ بن مالك بن رَبِيعَةَ بن كعب بن الحارث بن كعب بن عمرو ـ قالت زينب بنت مالك بن جعفر بن كِلاَب أُخت مُلاعِب الأَسِنَّةِ ترثِي يَزِيدَ بن عبد المَدَانِ: [المتقارب]

بَكَيْتُ يَزِيدَ بْنَ عَبْدِ المَدَا ... نِ حَلَّتْ بِهِ الأَرْضُ أثقالَها
شَرِيكُ المُلوكِ وَمَنْ فَضْلُهُ ... يَفْضُلُ في المَجْدِ أَفْضالَها
فَكَكْتَ أسارَى بَنِي جَعْفَرٍ ... وَكِنْدةَ إذْ نِلْتَ أقْوالَها(٥)
ورَهْطُ المُجالِدِ قَدْ جَلَّلتْ ... فَوَاصِلُ نُعْمَاكَ أَجْبالَها

---

(١) مَعاقِلُهم: حصونهم. والعوالي: الرماح. والصَّفيحُ المصقَّل: السيف العريض.
(٢) الزعفُ: الدرع الواسعة الطويلة. الماذيّ: يقصد هنا كل سلاح من الحديد. ونِهَاءٌ: غدران، واحدها: نِهًى بالكسر. ومرتها: يريد هنا أنها مرت عليها حتى جعدت متونها، والمري: مسح ضرع الحلوب لتدُرّ. والشمأل: الريح الشمالية.
(٣) القُرْزُلُ: اسم فرس طفيل بن مالك.
(٤) محمد بن حبيب بن أمية الهاشمي، علاّمة بالأنساب والأخبار واللّغة والشعر، توفي سنة ٢٤٥ هـ.
(٥) الأقوال: جمع قيل، وهو الملك عند أهل اليمن.

وقالت أيضاً ترثيه: [المتقارب]

سَأَبْكِي يَزِيدَ بْنَ عَبْدِ المَدَانِ عَلَى أَنَّهُ الأَحْلَمُ الأَكْرَمُ
رِمَاحٌ مِنَ العزْمِ مَرْكُوزَةٌ مُلُوكٌ إذا بَرَزَتْ تَحْكُمُ

قال: فلامها قومُها في ذلك وعيَّروها بأن بكتْ يزيدَ؛ فقالت زينب: [الطويل]

ألاَ أيُّها الزَّاري عَلَيَّ بِأَنَّني نِزَارِيَّةٌ أَبْكِي كَرِيماً يَمَانِيَا
وَمَا لِيَ لا أَبْكِي يَزِيدَ وَرَدَّنِي أَجُرُّ جَدِيداً مِدْرَعِي وَرِدَائِيَا

صوت

[الوافر]

أَطِلْ حَمْلَ الشَّنَاءةِ لِي وبُغْضِي وَعِشْ ما شِئْتَ فانْظُرْ مَنْ تَضِيرُ[1]
إذا أَبْصَرْتَنِي أعْرَضْتَ عَنِّي كأنَّ الشَّمْسَ مِنْ قِبَلِي تَدُورُ

الشعر لعبد الله بن الحَشْرَج الجَعْديّ[2]. والغناء لابن سريج ثقيلٌ أوّلُ بالبِنْصَر عن الهِشاميّ.

(١) الشناءة: البغض.
(٢) عبد الله بن الحشرج الجعدي: والٍ من سادات قيس وشعرائها، توفي سنة ٩٠ هـ.

أخبار عبد الله بن الحشرج

[توفي ٩٠ هـ/ ٧٨٠ م]

[نسبه وبعض أخباره]

هو عبدُ اللّهِ بن الحَشْرَج بن الأشْهَب بن وَرْد بن عَمْرو بن رَبِيعةَ بن جَعْدَة بن كعب بن رَبيعة بن عامر بن صَعْصَعةَ بن مُعَاويةَ بن بكر بن هَوازِنَ. وكان عبدُ الله بن الحشرج سَيِّداً من ساداتِ قيْس وأميراً من أمرائها، وَلِي أكثرَ أعمالِ خُرَاسانَ، ومن أعمال فارس، وكَرْمان. وكان جواداً مُمَدَّحاً. وفيه يقول زِيادٌ الأعجم[١]: [الكامل]

إنَّ السَّماحَةَ وَالشَّجاعَةَ وَالنَّدَى ... في قُبَّةٍ ضُرِبَتْ على ابنِ الحَشْرَجِ

وله يقول أيضاً: [الطويل]

إذا كُنْتَ مُرْتادَ السَّماحَةِ وَالنَّدَى ... فَسَائِلْ تُخَبَّرْ عَنْ دِيَارِ الأَشَاهِبِ

نسبه إلى الأَشْهَب جَدِّه. وفي بني الأشهب يقول نابغة بني جَعْدَة: [المتقارب]

أَبَعْدَ فَوارِسِ يَوْمِ الشُّرَيْـ ... ـفِ آسَى وَبَعْدَ بَنِي الأَشْهَبِ[٢]

وكان أبوه الحشرج بن الأشهب سَيِّداً شاعِراً وأميراً كبيراً. وكان غَلَب على قُهِسْتان[٣] في زمن عبد اللّه بن خازم، فَبَعث إليه عبدُ اللّه بن خازمٍ المُسَيَّب بن

(١) زياد الأعجم أبو إمامة العبدي مولى بني عبد القيس. أكثر شعره في مدح أمراء عصره وهجاء بخلائهم. غلبت العجمة على لسانه، فقيل له الأعجم.

(٢) الشريف: ماء لبني نمير انظر (معجم البلدان ٣/ ٣٤١).

(٣) قهستان: اسم لعدة مواضع ببلاد العجم (انظر معجم البلدان ٤/ ٤١٦).

أَوْفَى القُشَيْرِيَّ، فقتل الحَشْرَجَ وأَخَذ قُهِسْتان. وكان عمُّهُ زِيادُ بن الأشهب أيضاً شريفاً سَيِّداً، وكان قد سار إلى أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالبعليه السلام يُصْلِح بينه وبين مُعَاوية على أن يُوَلِّيه الشأمَ فلم يُجِبْه. وفي ذلك يقول نَابِغةُ بني جعدةَ يعتدّ على مُعاوية: [الطويل]

وقامَ زيادٌ عندَ بابِ ابنِ هاشِمٍ ... يُريدُ صلاحاً بَيْنَكُمْ ويُقَرِّبُ

أخبرني محمد بن خَلَفِ بن المرزُبان قال: حدّثني أحمد بن الهيثم بن فِرَاسٍ قال: حدّثنا العُمَريّ عن عَطَاء بن مُصْعَبٍ عن عاصم بن الحَدَثان قال: جاء إلى عبد الله بن الحَشْرَج وهو بِقُهِسْتَان رجلٌ من قشَيْرٍ يقال له قُدَامةُ بن الأحرز، فدخل عليه وأنشأ يقول: [الطويل]

أَخٌ وابْنُ عَمٍّ جاءَكُمْ مُتَحَرِّماً ... بِكُمْ فَارْأَبُوا خَلاَّتِهِ يابْنَ حَشْرَجِ[١]
فأنتَ ابنُ وَرْدٍ سُدْتَ غيرَ مُدَافَعٍ ... مَعَدّاً على رَغْمِ المَنُوطِ المُعَلْهَجِ[٢]
فَبَرَّزْتَ عَفْواً إذْ جَرَيْتَ ابنَ حَشْرَجٍ ... وجاءَ سُكَيْتاً كُلُّ أَعْقَدَ أَفْحَجِ[٣]
سَبَقْتَ ابنَ وَرْدٍ كُلَّ حافٍ وناعِلٍ ... بِجَدٍّ إذا حار الأضامِيمُ مِمْعَجِ[٤]
بِوَرْدِ بنِ عَمْرو فُتَّهُمْ إنَّ مِثْلَهُ ... قَلِيلٌ ومَنْ يَشْرِ المَحَامِدَ يَفْلُجِ[٥]
هُوَ الواهِبُ الأموالِ والمُشْتَرِي اللُّهَا ... وضَرَّابُ رأسِ المُسْتَمِيتِ المُدَجَّجِ[٦]

قال: فأعطاه أربعة آلاف درهم، وقال: اعذِرْني يابن عمِّي؛ فإنِّي في حالةٍ الله بها عليمٌ من كثرة الطُّلاَّب، وأنت أحقُّ مَنْ عَذَرني. قال: والله لو لم تُعْطِني شيئاً مع ما أعلَمه من جميل رأيك في عَشِيرتك ومَنِ انْقَطَع إليك لعذرتُك، فكيف وقد أجزلتَ العطاء، وأرغمت الأعداء!

وكان لابن الحَشْرَج ابنُ عَمٍّ يقول لِلقُشَيْريّ: ويحك! ليس عنده خير، وهو

(١) الرأب: الإصلاح والخَلَّة: جمع خِلال وخَلَل: وهي الحاجة والفقر.
(٢) المَنُوطِ: الدّخيل على القوم. والمُعَلْهج: الأحمقُ اللَّئيمُ.
(٣) السُكَيت: بتشديد الكاف أيضاً: هو آخر خيل الحلبةِ. والأعقد: الذنب الملتوي. والأفحج: الذي تدانت صدور قدميه وتباعد عقباهُ، والمقصود هنا أنه غير تامّ الخلقة.
(٤) الأضاميم: جماعات الخيل، والمِمْعَج: السريع السير والسهله.
(٥) يَفْلُج: يَفوز، يظفر.
(٦) اللُّها: جمع لهاة، وهي اللحمة المشرفة على الحلق في أقصى سقف الفم.

يَكْذِبُك وَيَمْلُذُكَ[١]. فبلغ ذلك عبدَ اللّه بن الحشرج فقال: [الوافر]

أَطِلْ حَمْلَ الشَّناءةِ لي وبُغْضِي ... وَعِشْ ما شِئْتَ فانْظُرْ مَنْ تَضِيرُ
فما بِيَدَيْكَ خَيْرٌ أرْتَجِيهِ ... وَغَيْرُ صُدُودِكَ الخَطْبُ الكَبِيرُ
إذا أَبْصَرْتَنِي أَعْرَضْتَ عَنِّي ... كأنَّ الشَّمْسَ مِنْ قِبَلِي تَدُورُ
وَكَيْفَ تَعِيبُ مَنْ تُمْسِي فَقِيراً ... إليهِ حينَ تَحْزُبُكَ الأُمُورُ[٢]
وَمَنْ إنْ بِعْتَ مَنْزِلَةً بِأُخْرَى ... حَلَلْتَ بأَمْرِهِ وَبِهِ تَسِيرُ
أَتَزْعُمُ أَنَّنِي مَلِذٌ كَذُوبٌ ... وَأَنَّ المَكْرُماتِ لَدَيَّ بُورُ[٣]
وَكَيْفَ أكونُ كَذّاباً مَلُوذاً ... وَعِنْدِي يَطْلُبُ الفَرَجَ الضَّرِيرُ
أُواسِي في النَّوائِبِ مَنْ أَتانِي ... وَيُجْبَرُ بِي أَخُو الضُّرِّ الفَقِيرُ

[كرمه وتبذيره المال]

أخبرني محمد بن خَلَفٍ قال: حدّثنا أحمد بن الهيثم عن العمريّ عن عطاء بن مُصْعَبٍ عن عاصم بن الحَدَثان قال: أعطى عبدُ اللّه بن الحَشْرَج بخُرَاسَان حتّى أعطى مِنْشَفةً كانت عليه وأعطى فِراشَه ولِحافَه. فقالت له امرأته: لَشَدّ ما تَلاَعبَ بك الشيطان، وصِرْتَ من إخوانه مُبَذِّراً؛ كما قال الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾[٤]. فقال عبد اللّه بن الحشرج لِرفاعَة بن زُوَيٍّ النَّهْديّ وكان أخاً له وصديقاً: يا رِفاعة، ألاَ تسمَع إلى ما قالتْ هذه الوَرْهاء[٥] وما تتكلّم به؟! فقال: صدقتْ واللّهِ وبَرَّتْ! إنَّك لمبذِّر، وإنّ المبذِّرين لإخوانُ الشَّياطين. فقال ابن الحَشْرَج في ذلك: [الطويل]

مَتَى يَأْتِنا الغَيْثُ المُغِيثُ تَجِدْ لنا ... مَكارِمَ ما تَعْيَا بأَمْوالِنا التُّلْدِ[٦]
مَكارِمَ ما جُدْنا به إذْ تَمَنَّعَتْ ... رِجالٌ وَضَنَّتْ في الرَّخاءِ وفي الجَهْدِ
أرَدْنا بما جُدْنا به من تِلاَدنا ... خِلافَ الَّذي يأتي خِيارُ بَنِي نَهْدِ[٧]

---

(١) مَلَذَة: أسمعه كلاماً لطيفاً.
(٢) حزبه الأمر: اشتد عليه.
(٣) الملذ والملاّذ: الكذوب، والذي يرضيك بالكلام ويخلف فعله أقواله.
(٤) سورة الإسراء، الآية ٢٧.
(٥) الوَرْهاء: الحمقاء.
(٦) التّلد: المال القديم.
(٧) بنو نهد: قبيلة في اليمن.

تَلُومُ على اتْلافِيَ المالَ طَلَّتِي ويُسْعِدُها نَهْدُ بن زَيْدٍ على الزُّهْدِ[(١)]
أَنَهْدُ بن زَيْدٍ لَسْتُ مِنْكُم فَتُشْفِقُوا عَلَيَّ ولا مِنْكُمْ غَوَاتِي ولا رُشْدِي

ـ أراد «غوايتي» فحذف الياء ضرورة ـ

أبَيْتُ صَغِيراً ناشِئاً ما أرَدْتُم وَكَهْلاً وحتَّى تُبْصِرُونِيَ في اللَّحْدِ
سأَبْذُلُ مَالِي إنَّ مَالِي ذَخِيرَةٌ لِعَقْبِي وما أَجْنِي به ثَمَرَ الخُلْدِ
وَلَسْتُ بِمِبْكاءٍ على الزَّادِ بَاسِلٍ يَهِرُّ على الأزْوادِ كالأَسَدِ الوَرْدِ[(٢)]
وَلَكِنَّنِي سَمْحٌ بما حُزْتُ باذِلٌ لِمَا كُلِّفتْ كَفَّايَ في الزَّمَنِ الجَحْدِ
بِذلك أوْصَانِي الرُّقَادُ وَقَبْلَهُ أبُوهُ بأنْ أُعْطِيَ وأُوفِيَ بالعَهْدِ

الرُّقَاد: ابن عمرو بن رَبِيعة بن جَعْدَةَ بن كَعْب وهو من عمومته، وكان شجاعاً سَيِّداً جَوَاداً.

قال عطاء بن مُصْعَبٍ: وقال عبد اللّه بن الحَشْرَج أيضاً في ذلك هذه القصيدة ـ وقد ذكر ابن الكلبيّ، وأبو اليقْظان شيئاً من هذه القصيدة في كتابَيْهما المُصنَّفَيْنِ ونَسَباها إليه ـ: [الطويل]

سَأَجْعَلُ مَالِي دُونَ عِرْضِي وِقَايَةً مِنَ الذَّمِّ؛ إنَّ المَالَ يَفْنَى ويَنْفَدُ
ويُبْقِي لِيَ الجُودُ اصْطِناعَ عَشِيرَتِي وغَيْرِهِمُ وَالجُودُ عِزٌّ مُؤَبَّدُ
وَمُتَّخِذٍ ذَنْباً عَلَيَّ سَمَاحَتِي بِمَالِي، وَنارُ البُخْلِ بالذَّمِّ تُوقَدُ
يَبِيدُ الفَتَى وَالحَمْدُ لَيْسَ ببائِدٍ ولَكِنَّهُ لِلْمَرْءِ فَضْلٌ مُؤَكَّدُ
وَلاَ شَيْءَ يَبْقَى لِلْفَتَى غَيْرُ جُودِه بِمَا مَلَكَتْ كَفَّاهُ وَالقَوْمُ شُهَّدُ
وَلائِمَةٍ في الجُودِ نَهْنَهْتُ غَرْبَها وَقُلْتُ لها بَنْيُ المَكارِمِ أحْمَدُ[(٣)]
فَلَمَّا أَلَحَّتْ في المَلامَةِ وَاعْتَرَتْ بِذَلِكَ غَيْظِي واعْتَراها التَّبَلُّدُ
عَرَضْتُ عَلَيْها خَصْلَتَيْنِ سَماحَتِي وَتَطْلِيقَها وَالكَفُّ عَنِّيَ أرْشَدُ
فَلَجَّتْ وَقالَتْ: أَنْتَ غاوٍ مُبَذِّرٌ قَرِينُكَ شَيْطانٌ مَرِيدٌ مُفَنَّدُ[(٤)]
فَقُلْتُ لها: بِينِي فَما فِيكِ رَغْبَةٌ وَلِي عَنْكِ في النِّسْوان ظِلٌّ ومَقْعَدُ

---

(١) طَلّة الرجل: زوجه. ونَهْدُ بن زيد بن ليث جد جاهلي يماني.
(٢) الباسل: يقصد هنا الغاضب.
(٣) نَهْنَهت غَرْبَها: كفكفت حدّتها.
(٤) المرِيدُ: الخبيث، الشرير. والمفنَّدُ: الضعيف الرأي.

وَعَـيْشٌ أَنِيـقٌ وَالـنِّـسـاءُ مَعَـادِنٌ فَـمِـنْـهُـنَّ غُـلٌّ شَـرُّهـا يَـتَـمَـرَّدُ[١]
لَـهـا كُـلَّ يَـوْمٍ فَـوْقَ رأسِـيَ عـارِضٌ مِـنَ الـشَّـرِّ بَـرَّاقٌ يَـدَ الـدَّهْـرِ يُـرْعِـدُ
وأُخْرَى يَلَذُّ العَيْشُ منها، ضَجِيعُها كَـرِيـمٌ يُـغَـادِيـهِ مِـنَ الـطَّـيْـرِ أَسْـعُـدُ
فَيَا رَجُلاً حُرّاً خُذِ القَصْدَ وَاتْرُكِ الْـ بَـلاَيَـا فـإِنَّ الـمَـوْتَ لـلـنَّـاسِ مَـوْعِـدُ
فَـعِـشْ نـاعِـمـاً وَاتْـرُكْ مَـقـالَـةَ عَـاذِلٍ يَـلُـومُـكَ فـي بَـذْلِ الـنَّـدَى ويُـفَـنِّـدُ
وَجُـدْ بـالـلُّـهَـا إِنَّ الـسَّـمَـاحَـةَ والـنَّـدَى هِيَ الغايةُ القُصْوَى وَفيها التَّمَجُّدُ[٢]
وَحَـسْـبُ الـفَـتَـى مَـجْـداً سَـمـاحَـةُ كَـفِّـهِ وذُو الـمَـجْـدِ مَـحْـمُـودُ الفِعَالِ مُـحَـسَّـدُ

قال فقالت له امرأته: والله ما وَفَّقك الله لِحَظِّك! أَنْهَيْتَ مالَك وبذَّرته وأعطيته هَيَّان بن بَيَّان[٣]، ومَنْ لا تدري من أيِّ هَافيةٍ[٤] هو! قال: فغضِب فطَلَّقها، وكان لها محبّاً وبها مُعْجَباً. فعَنَّفه[٥] فيها ابنُ عمٍّ لها يقال له حَنْظلةُ بن الأَشْهَب بن رُمَيْلَةَ، وقال له: نَصَحتْكَ فكافأتَها بالطَّلاق! فوالله ما وُفِّقتَ لرُشْدِك، ولا نِلْتَ حَظَّك، ولقد خاب سَعْيُك بعدها عند ذوي الألباب. فهلاّ مَضَيْتَ لِطيَّتك[٦]، وجَرَيْتَ على مَيْدَانِك، ولم تلتفت إلى امرأةٍ من أهل الجَهالة والطَّيْش لم تُخْلَقْ للمَشُورة ولا مثلُ رأيها يُقْتَدَى به! فقال ابن الحَشْرَج لحنظلة: [الطويل]

أَحَـنْـظَـلَ دَعْ عَـنْـكَ الَّـذي نـالَ مـالَـهُ لِـيَـحْـمَـدَهُ الأَقْـوَامُ فـي كُـلِّ مَـحْـفِـلِ
فَـكَـمْ مـن فَـقِـيـرٍ بَـائِـسٍ قَـدْ جَـبَـرْتُـهُ وَمِـنْ عـائِـلٍ أَغْـنَـيْـتُ بَـعْـدَ الـتَّـعَـيُّـلِ[٧]
وَمِـنْ مُـتْـرَفٍ عَـنْ مَـنْـهَـجِ الـحَـقِّ جـائـرٍ عَلَوْتُ بِعَضْبٍ ذي غِرَارَيْنِ مِقْصَلِ[٨]
وَزارٍ عَـلَـيَّ الـجُـودَ وَالـجُـودُ شِـيـمَـتِـي فَقُلْتُ لَهُ دَعْنِي وَكُنْ غَيْرَ مُفْضِلِ[٩]
فَـمِـثْـلُـكَ قـد عـاصَـيْـتُ دَهْـراً ولـم أَكُـنْ لأَسْـمَـعَ أقـوال الـلَّـئِـيـمِ الـمُـبَـخِّـلِ

---

(١) يتمرد: يتخطى حَدّه.
(٢) اللُّها: مفردها اللُّهية: العطيّة.
(٣) هيَّان بن بيَّان: ورد في مجمع الأمثال بلفظ هيدان وريدان. (مجمع الأمثال: ٢/ ٤٧٥).
(٤) هافية: طارئة.
(٥) عنّفة: لامه بشده وعنف.
(٦) مضى لطيته: ذهب إلى حيث ينوي ويقصد.
(٧) العائل: الفقير المحتاج للإعالة.
(٨) منهج الحق: طريقه. والجائر: الظالم، المبتعد عن الصواب. والعضب: السيف، والمقصل: القاطع.
(٩) زرى عليه فعله: عابه عليه.

أَبى لِيَ جَدّي البُخْلَ مُذْ كُنْتُ يَافِعاً صَغِيراً وَمَنْ يَبْخَلْ يُلَمْ ويُضَلَّلِ
وَيَسْتَغْنِ عَنْهُ النَّاسُ، فارْكَبْ مَحجَّةَ الْـ كِرام ودَعْ ما أنتَ عَنْهُ بِمَعْزِلِ(١)
فَإِنِّي امْرُؤٌ لا أصْحَبُ الدَّهْرَ باخِلاً لَئِيماً وَخَيْرُ النَّاسِ كُلُّ مُعَذَّلِ
ومُسْتَخْمَقٍ غاوٍ أَتَتْهُ نَذِيرَتِي فَلَجَّ وَلَمْ يَعْرِفْ مَعَرَّةَ مِقْوَلي(٢)
نَفَحْتُ بِبَيْتٍ يَمْلأُ الفَمَ شَارِدٍ لَهُ حَبَرٌ كأنَّهُ جِبْرُ مِغْوَلِ(٣)
فَكَفَّ - وَلَوْ لَمْ أرْمِهِ شاعَ قَوْلُهُ - وصارَ كدِرْيَاقِ الذُّعَافِ المُثَمَّلِ(٤)
وَلَيْلٍ دَجُوجِيٍّ سَرَيْتُ ظَلامَهُ بِنَاجِيَةٍ كَالبُرْجِ وَجْنَاءَ عَيْهَلِ(٥)
إلى مَلِكٍ مِنْ آلِ مَرْوَانَ ماجِدٍ كَرِيمِ المُحَيَّا سَيِّدٍ مُتَفَضِّلِ
يَجُودُ إذا ضَنَّتْ قُرَيْشٌ بِرِفْدِها وَيَسْبِقُها في كُلِّ يَوْمِ تَفَضُّلِ(٦)
أبوهُ أبو العاصِي إذا الحَرْبُ شَمَّرَتْ مَرَاها بِمَسْنُونِ الغِرَارَيْنِ مِنْجَلِ(٧)
وَقُورٌ إذا هاجَتْ به الحَرْبُ مِرْجَمٌ صَبُورٌ عَلَيْهَا غَيْرُ نِكْسٍ مُهَلْهَلِ(٨)
أقامَ لأهْلِ الأرْضِ دِينَ مُحَمَّدٍ وَقَدْ أدْبَرُوا وَارْتَابَ كُلُّ مُضَلَّلِ(٩)
فَمَا زَالَ حَتَّى قَوَّمَ الدِّينَ سَيْفُهُ وَعَزَّ بِحَزْمٍ كُلَّ قَرْمٍ مُحَجَّلِ(١٠)
وَغَادَرَ أهْلَ الشَّكِّ شَتَّى، فَمِنْهُمُ قَتِيلٌ وَنَاجٍ فَوْقَ أجْرَدَ هَيْكَلِ
نَجا مِنْ رماحِ القَوْمِ قُدْماً وَقَدْ بَدَا تَباشِيرُهُ في العَارِضِ المُتَهَلِّلِ(١١)

---

(١) المحجة: الطريق الواضحة.

(٢) نذيرتي: الطليعة التي أرسلتها لتنذرني في بأمر عدوّي، وأراد هنا الإنذار والكلام العنيف. ومعرّة مقولي: أذى لساني.

(٣) الحَبَر: الأثر الباقي في الجسم من جرّاء ضربة عنيفة. والمغول سيف قصير يشتمل به تحت الثياب.

(٤) الدرياق والترياق: دواء تداوى به السموم. والذعاف: السّمّ القاتل لساعته، والمثمّل: السمّ المنقع.

(٥) ليلة دجوجيّة: شديدة الظلمة. والناجية: الناقة السريعة. والبرج: الحصن، والوجناء: الشديدة. والعيهل: السريعة.

(٦) ضنت: بخلت. والرفد: العطاء.

(٧) شمرت الحرب: اشتدت وشمرت عن ساقها. ومرى الناقة: مسح ضرعها لتدر اللبن. ومسنون الغرارين: الرمح. والمنجل: الواسع الجرح من الأسنة.

(٨) المرجم: الشديد، كأنه يُرْجَم به عدوّه، والنكس الضعيف الدنيء الذي لا خير فيه. والمهلهل: الجبان.

(٩) أدبروا: ولّوا الأدبار وهربوا.

(١٠) عزّ: غلب. والقرم: السيد من الرجال.

(١١) مضى قدماً: تقدم لم يعرج على شيء ولم يثنه شيء.

قال عاصم: يعني بهذا المَدْح محمدَ بن مَرْوَان[1] لمَّا قَتَل مُصْعَب بن الزُّبَير بدَيْر الجَاثَلِيقِ[2]. وكان محمد بن مَرْوَانَ يقوم بأَمْره، ويُوَلِّيه الأعمالَ، ويَشْفَع له إلى أخيه عبد الملك.

أخبرني محمد بن خَلَفٍ قال: حدّثنا أحمد بن الهَيْثَم قال: حَدَّثنا العُمَريّ عن عطاء بن مُصْعَب عن عاصم بن الحَدَثان قال: قال عبد اللّه بن الحَشْرَج لابن عمٍّ له لامه في إنهاب مالِه وتَبْذِيرِهِ إيَّاه، وقال له فيما يقول: امرأتُك كانت أعلَم بك، نَصَحَتْك فكافأْتها بالطلاق. فقال له: يابنَ عمّ، إنّ المرأة لم تُخْلَقْ للمَشُورة، وإنما خُلِقتْ وِثاراً[3] للباءةِ[4]. ووالله إنَّ الرُّشْد واليُمْنَ لفي خِلاف المرأة. يابنَ عمّ، إيَّاك واستماعَ كلام النساء والأخذ به؛ فإنك إن أخذتَ به نَدِمتَ. فقال له ابن عمِّه: والله ليوشكنّ أن تحتاج يوماً إلى بعض ما أتلفتَ فلا تَقْدِر عليه ولا يُخْلِفه عليك هَنٌ وهَنٌ[5]. فقال ابن الحَشْرَج: [الطويل]

وَعَاذِلَةٍ هَبَّتْ بِلَيْلٍ تَلُومُنِي ... وَتَعْذُلُنِي فِيما أُفِيدُ وأُتْلِفُ
تَلَوَّمتُها حَتَّى إذا هِيَ أكْثَرَتْ ... أَتَيْتُ الَّذِي كانَتْ لَدَيَّ تَوَكَّفُ[6]
وَقُلْتُ عَلَيْكِ الفَجَّ أَكْثِرْتِ في النَّدَى ... وَمِثْلِي تَحَامَاهُ الألَدُّ المُغَطْرِفُ[7]
أَبَى لِيَ ما قَدْ سُمْتِنِي غَيْرُ واحِدٍ ... أبٌ وجُدودٌ مَجْدُها لَيْسَ يُوصَفُ
كُهُولٌ وشُبَّانٌ مَضَوْا لِسَبِيلِهِمْ ... إذا ذُكِرُوا فالعَيْنُ مِنِّيَ تَذْرِفُ
هُمُ الغَيْثُ إنْ ضَنَّتْ سَماءٌ بِقَطْرِهَا ... وَعِنْدَهُمُ يَرْجُو الحَيَا مُتَلَهِّفُ[8]
وَحَرْبٍ يَخافُ النَّاسُ شِدَّةَ عَرِّها ... تَظَلُّ بأَنْوَاعِ المَنِيَّةِ تَصْرِفُ[9]

(١) محمد بن مروان: هو محمد بن مروان بن الحكم الأموي، وهو أبو مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية. توفي سنة ١٠١ هـ.
(٢) دير الجاثليق: دير قديم قرب بغداد (معجم البلدان ٢/ ٥٠٣).
(٣) الوثار: الفراش الوثير.
(٤) الباءة: الباه، الجماع. صحاح الجوهريّ (بوه).
(٥) هن وهن: أي فلان وفلان.
(٦) تلومتها: سكتّ على لومها، وأمهلتها. وتتوكف: تتوقع. حذفت تاء المضارعة.
(٧) الفج: الطريق الواسعة بين جبلين. وتحاماه: تحاشاه وتوقاه. والألدّ: المجادل والمخاصم الشديد الخصومة. والمغطرف: المتغطرس، المتكبر.
(٨) الحيا: المطر.
(٩) عرّ الحرب: شدّتها وإيذاؤها. وتصرف: تشد على أسنانها غيظاً فيخرج صوت من حك الأسنان ببعضها.

حَمَوْها وَقَامُوا بِالسُّيوفِ لِحَمْيِها إذا فَنِيَتْ أَضْحَتْ لهم وهْيَ تَعْصِفُ
فَلَمَّا أبَتْ إلا طِماحاً تَنَمَّرُوا بأسْيافِهِمْ وَالقَوْمُ فِيهِمْ تَعَجْرُفُ[١]
فَذَلَّتْ وأعْطَتْ بِالقِيَادِ وأذْعَنَتْ إذا ما اشْتَهَى قَوْمِي وَذُو الذُّلِّ يُنْصِفُ
وكانتْ طَمُوحَ الرَّأسِ يَصْرِفُ نابُها مِنَ الشَّرِّ تاراتٍ وَطَوْراً تَقَفْقَفُ[٢]
فَلَمَّا امْتَرَيْنَا بِالسُّيوفِ خُلُوفَها تَأبَّتْ عَلَيْنا وَالأسِنَّةُ تُرْعَفُ[٣]
فَدَرَّتْ طِبَاقاً وَارْعَوَتْ بَعْدَ جَهْلِهَا وَكُنَّا رِمَاماً لِلَّذِي يَتَصَلَّفُ[٤]

قال: وقال عبد اللّه بن الحَشْرَجِ لِرفاعةَ بن زُوَيٍّ النهديّ فيما كان يلومُه فيه من التبذير والجود:

أَلاَمُ عَلى جُودِي وما خِلْتُ أنَّنِي بِبَذْلِي وجُودِي جُرْتُ عن مَنْهَج القَصْدِ
فَيَا لاَئِمي في الجُود أَقْصِرْ فَإنَّنِي سَأَبْذُل مالي في الرَّخاءِ وفي الجَهْدِ
وَجَدْتُ الفَتَى يَفْنَى وَتَبْقَى فِعَالُهُ ولا شَيْءَ خَيْرٌ في الحَدِيثِ من الحَمْدِ
وإنِّي وبِاللَّهِ احْتِيالِي وَحِرْفَتي أُصَيِّرُ جَارِي بين أحشايَ والكِبْدِ
أرَى حَقَّه في النَّاسِ ما عِشْتُ واجباً عَلَيَّ وآتِي ما أَتَيْتُ عَلَى عَمْدِ
وصَاحبِ صِدْقٍ كانَ لي فَفَقَدْتُهُ وَصَيَّرَنِي دَهْرِي إلى مَائِقٍ وَغْدِ[٥]
يَلُومُ فَعَالِي كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ وَيَعْدُو على الجِيرانِ كالأسَدِ الوَرْدِ
يُخَالِفُنِي في كُلِّ حَقٍّ وباطِلٍ وَيأنَفُ أنْ يَمْشِي على مَنْهَجِ الرُّشْدِ
فَلَمَّا تَمَادَى قُلْتُ غَيْرَ مُسَامِحٍ لَهُ: النَّهْجَ فَارْكَبْ يا عَسِيفَ بني نَهْد[٦]

أخبرني هاشم بن محمد الخُزَاعيّ قال: حدّثنا عيسى بن إسماعيلَ العَتَكِيّ قال حدّثنا ابنُ عائشة قال: وَفَد زِيادُ الأعْجَمُ على عبد اللّه بن الحَشْرَج الجَعْديّ

(١) العجرفة والتعجرف: عدم التروّي عند ركوب الأمور الصعبة.
(٢) تقفقف: ترتعد. وأصلها تتقفقف: حذف حرف المضارعة.
(٣) امترينا: حلبنا. والخلوف: الضروع. وترعف: تنزف.
(٤) طباقاً: أي مرات متوالية. والرمام. جمع رمة، وهي قطعة يشدّ بها الأسير، ويقلد بها البعير. ويتصلف: يتكبر. والصلف: الكبر.
(٥) المائق: الأحمق.
(٦) العسيف: الأجير، والعبد المستهان به.

وهو بسَابُورَ[١] أميرٌ عليها، فأمر بإنزالِه وأَلْطَفَه وبَعَثَ إليه ما يحتاج إليه. ثم غَدَا عليه زيادٌ فأنشده: [الكامل]

إنَّ السَّماحَةَ والمَرُوءةَ والنَّدَى ... فِي قُبَّةٍ ضُرِبَتْ على ابْنِ الحَشْرَجِ
مَلِكٌ أغرُّ مُتَوَّجٌ ذو نائِلٍ ... للمُعْتَفِينَ يَمِينُهُ لَمْ تَشْنَجِ[٢]
يا خَيْرَ مَنْ صَعِدَ المَنابرَ بِالتُّقَى ... بَعْدَ النَّبِيِّ المُصْطَفَى المُتَحَرِّجِ
لَمَّا أَتَيْتُكَ رَاجِياً لِنَوَالِكُمْ ... أَلْفَيْتُ بَابَ نَوالِكُمْ لَمْ يُرْتَجِ[٣]

قال: فأمر له بعشرة آلاف درهم.

وقد قيل: إنَّ الأبياتَ التي ذكرتُها وفيها الغِناءُ ونسبتُها إلى عبد اللّه بن الحَشْرَج لغيره. والقول الأصحّ هو الأوّل. أخبرني بذلك محمد بن العبّاس اليزيديّ قال: حدّثنا الخليل بن أَسَدٍ قال: حدّثنا العُمَريّ عن هشام بن الكلبيّ: أنه سمِع أبا بَاسِلٍ يُنْشِد هذا الشعر، فقلت: لمن هو؟ فقال: لِعمِّي عَنْترةَ بن الأَخْرَس. قال: وكانَ جَدّي أَخْرَسَ، فوُلِد له سبعةٌ أو ثمانيةٌ كلُّهم شاعر أو خطيب. ولعلّ هذا من أكاذيب ابن الكلبيّ، أو حكاه عن رجل ادّعى فيه ما لا يعلَم.

صوت

أصاحِ ألاَ هَلْ مِنْ سَبِيلٍ إلى نَجْدِ ... وَرِيحِ الخُزَامَى غَضَّةً مِنْ ثَرَى جَعْدِ
وَهَلْ لِلَيالِينا بِذِي الرِّمْثِ مَرْجِعٌ ... فَنَشْفِيَ جَوَى الأَحْزَانِ مِنْ لاَعِجِ الوَجْدِ[٤]؟

عروضه من الطويل. الشعر لِلطِّرِمَّاح بن حَكِيم. والغناء ليحيى المكيّ، ثقيلٌ أوّلُ بالبِنْصَر من كتابه.

---

(١) سابور: كورة بأرض فارس (معجم البلدان ٣/ ١٦٧).
(٢) شنجت يده: تقبضت، كناية عن البخل.
(٣) يُرْتج الباب: يُغْلَق.
(٤) الرمث: وادٍ لبني أسد. (معجم البلدان ٣/ ٦٨).

أخبار الطِّرِمّاح ونسبه

[توفي نحو ١٢٥ هـ/ ٧٤٣ م]

[اسمه ونسبه وكنيته]

هو الطِّرِمّاح بن حَكِيم بن الحَكَم بن نَفْرِ بن قَيْس بن جَحْدَر بن ثَعْلَبَة بن عَبْدِ رِضَا بن مالك بن أَمَان بن عَمْرِو بن رَبِيعةَ بن جَرْوَلِ بن ثُعَلَ بن عَمْرو بن الغَوْث بن طيىء. ويُكْنَى أبا نَفْر، وأبا ضَبِينةَ. والطِّرِمَّاح: الطويلُ القامة. وقيل: إنّه كان يُلَقَّب الطَّرَّاحَ. أخبرني بذلك أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال: حدَّثني عليّ بن محمد النَّوْفَليّ عن أبيه قال: كان الطِّرِمّاح بن حكيم يُلَقَّب الطَّرَّاح لقوله:

صوت

أَلاَ أَيُّـهـا الـلَّـيْـلُ الـطَّـويـلُ أَلاَ ارْتَـحِ ... بِصُبْحٍ وما الإِصْبَاحُ مِنْكَ بـأَرْوَحِ
بَلَى إِنَّ لِلْعَيْنَيْنِ في الصُّبْحِ راحَةً ... بِطَرْحِهِما طَرْفَيْهِما كُلَّ مَطْرَحِ

في هذين البيتين لأحمد بن المكيّ ثقيلٌ أَوَّلُ بالوسطى من كتابه.

والطِّرِمَّاح من فُحول الشعراء الإسلاميين وفُصَحائهم. ومنشؤه بالشام، وانتقل إلى الكوفة بعد ذلك مع من وَرَدَها من جُيوش أهل الشأمِ، واعتقد مذهب الشُّراة[١] الأزارقة[٢].

أخبرني إسماعيل بن يونس قال: حدّثنا عمر بن شَبَّةَ عن المدائني عن أبي

(١) الشراة: الخوارج.
(٢) الأزارقة: أتباع نافع بن الأزرق، وهو رئيس فرقة من الخوارج.

بكر الهذليّ قال: قَدِم الطِّرِمّاح بن حَكِيم الكوفةَ، فنزل في تَيْم اللاّتِ بن ثَعلبة، وكان فيهم شيخٌ من الشُّراة له سَمْتٌ وهيئة، وكان الطِّرِمّاح يُجالسه ويسمع منه، فرسَخ كلامُه في قلبه، ودعاه الشيخ إلى مذهبه، فقبِله واعتقده أشدَّ اعتقادٍ وأصحَّه، حتى مات عليه.

أخبرني ابن دُرَيْد قال: حدّثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعيّ عن عمّه قال قال رؤبة: كان الطِّرِمَّاح والكُميت يصيرانِ إليّ فيَسْألانِي عن الغريب فأُخْبِرُهما به، فأراه بَعْدُ في أشعارهما.

أخبرني محمدُ بن العبَاس اليَزيديّ قال: سمعت محمد بن حَبِيبَ يقول: سألتُ ابنَ الأعرابيّ عن ثماني عَشْرةَ مسألةً كلُّها من غريب شعر الطِّرِماح، فلم يَعْرِفْ منها واحدةً، يقول في جميعها: لا أدْرِي، لا أدْرِي.

أخبرني أحمدُ بن عبد العزيز الجوهريّ قال: حدّثنا عمر بن شَبَّةَ، وأخبرنا إبراهيم بن أيُّوب قال: حدّثنا ابن قُتَيْبةَ، قالا: كان الكُمَيْتُ بن زيد صديقاً للطِّرِمَّاح، لا يَكادان يفترقانِ في حالٍ من أحوالهما، فقيل للكميت: لا شيءَ أعجبُ من صفاء ما بينك وبين الطِّرِمّاح على تَباعُدِ ما يَجْمَعُكما من النَّسَب والمَذْهب والبلد: هو شآمِيّ قَحْطاني شارِيٌّ، وأنت كوفِيٌّ نِزارِيٌّ شِيعِيٌّ، فكيف اتَّفقتما مع تَبَايُن المذهب وشِدَّة العصبيَّة، فقال: اتَّفقنا على بُغْض العامّة.

قال: وأُنشِد الكميتُ قولَ الطرمّاح: [الطويل]

إذا قُبِضتْ نَفْسُ الطِّرِمَّاحِ أَخْلَقَتْ عُرَى المَجْدِ وَاسْتَرْخى عِنانُ القصائدِ

فقال: إي واللهِ! وعِنانُ الخَطَابةِ والروايةِ والفصاحةِ والشجاعة. وقال عمر بن شَبّة: «والسماحة» مكان «الشجاعة».

نسختُ من كتاب جَدّي لأمّي يحيى بن محمد بن ثَوابةَ ـ رحمه الله تعالى ـ بخطه قال: حدّثني الحسن بن سعيد عن محمد بن حَبِيبَ عن ابن الأعرابيّ قال: وَفَد الطِّرِمَّاح بن حكِيم والكُمَيْتُ بن زيد على مَخْلَد بن يزيد المُهَلَّبِيّ، فجلس لهما ودعاهما. فتقدّم الطِّرِمَّاح لِيُنْشِدَ؛ فقال له: أنْشِدْنا قائماً. فقال: كلاَّ واللّه! ما قَدْرُ الشعرِ أن أقومَ له فيَحُطَّ مِنِّي وأَحُطَّ منه بضَراعتي، وهو عمود الفخر وبيت الذِّكْرِ لمآثر العربِ. قيل له: فَتَنَحَّ. ودُعِي بالكميت فأنشد قائماً، فأمر له بخمسين ألفَ درهم. فلمّا خرج الكُمَيْت شاطَرها الطِّرِمَّاحَ، وقال له: أنت أبا ضَبِينةَ أبعدُ هِمَّةً وأنا ألطَفُ حِيلةً. وكان الطرماح يُكْنَى أبا نَفْرٍ وأبا ضَبِينَةَ.

ونسخت من كتابه رضي الله عنه: أخبرني الحسن بن سعيد قال: أخبرني ابن عَلاَّق قال: أخبرني شيخٌ لنا أنَّ خالد بن كُلْثوم أخبره قال:

بينا أنا في مسجد الكوفة أُريد الطِّرِمّاح والكميت وهما جالسانِ بقُرْبِ باب الفيل[١]، إذ رأيتُ أعرابياً قد جاء يَسْحب أهداماً له[٢]، حتى إذا توسَّط المسجدَ خَرَّ ساجداً، ثم رمى ببصره فرأى الكميتَ والطِّرِمَّاح فقصدهما. فقلتُ: مَنْ هذا الحائن[٣] الذي وقع بين هذين الأسَدين! وعَجِبتُ من سَجْدته في غير موضِع سُجود وغيرِ وقت صلاة. فقصدتُه، ثم سلَّمت عليهم ثم جلست أمامهم. فالتفتَ إلى الكُمَيتِ فقال: أسْمِعْني شيئاً يا أبا المُسْتَهِلّ؛ فأنشده قولَه:

أبـــتْ هٰـــذِهِ الـــنَّـــفْـــسُ إلاَّ ادِّكَـــارَا

حتى أتى على آخرها. فقال له: أحسنتَ والله يا أبا المستهلِّ في ترقيص هذه القوافي ونَظْمِ عِقْدِها! ثم التفتَ إلى الطِّرِمَّاح فقال: أسْمِعني شيئاً يا أبا ضَبِينَة؛ فأنشده كلمته التي يقول فيها: [الطويل]

أَسَاءَكَ تَقْوِيضُ الخَلِيطِ المُبَايِنِ ... نَعَمْ وَالنَّوَى قَطَّاعَةٌ لِلْقَرَائِنِ[٤]

فقال: لِلَّهِ دَرُّ هذا الكلام! ما أحسَنَ إجابته لِرَوِيَّتِكَ! إنْ كِدْتُ لأُطِيلُ لك حسداً. ثم قال الأعرابيّ: والله لقد قلتُ بعدكما ثلاثةَ أشعار: أمَّا أحدها فكِدْتُ أطير به في السماء فرحاً، وأمَّا الثاني فكدتُ أدَّعِي به الخلافةَ، وأمَّا الثالث فرأيت رَقصاناً استفَزَّني به الجَذَلُ حتَّى أتيتُ عليه. قالوا: فهاتِ؛ فأنشدهم قوله: [البسيط]

أأنْ تَوَهَّمْتَ مِنْ خَرْقاءَ مَنْزِلَةً ... ماءُ الصَّبابةِ مِنْ عَيْنَيْكَ مَسْجُومُ[٥]

حتَّى إذا بَلغ قولَه:

تَنْجُو إذا جَعَلَتْ تَدْمَى أخِشَّتُها ... وَابْتَلَّ بِالزَّبَدِ الجَعْدِ الخَرَاطِيمُ[٦]

---

(١) باب الفيل: موضع بالكوفة (انظر تاريخ الطبري ق ٢/ ٢٧).
(٢) الأهدام: جمع هدم، وهو الثوب البالي.
(٣) الحائن: الهالك، والبعيد عن سبيل الرشاد.
(٤) الخليط: القوم المتخالطون، والمباين: المباعد. والنوى: البعد.
(٥) الصَّبابَةُ: رقة الشَّوق والهَوَى. والمَسْجُوم: المصبوب.
(٦) تَنْجُو: تسرع وتسبق. والأخِشَّة: جمع الخِشاش بالكسر، وهو الحلقة التي توضع في عظم أنف البعير من الخشب وغيره ليجذب بها. والجعد من الزبد: الثخين الغليظ، فإذا كان رقيقاً فهو هَيَّان.

قال: أعلمتم أنّي في طلب هذا البيت منذ سنةٍ، فما ظَفِرتُ به إلاَّ آنِفاً، وأحْسِبكم قد رأيتم السجدةَ له، ثم أسمعهم قولَه:

مـا بـالُ عَـيْـنِـكَ مِـنْـهَـا الـمَـاءُ يَـنْـسَـكِـبُ

ثم أنشدهم كلمته الأُخرى التي يقول فيها: [الطويل]

إذا الـلَّـيْـلُ عَـنْ نَـشْـرٍ تَـجَـلَّـى رَمَـيْـنَـهُ ... بِـأَمْـثَـالِ أبْـصـارِ الـنِّـسـاءِ الـفَـوَارِكِ

قال: فضرب الكمَيْتُ بيده على صدر الطِّرِمَّاح، ثم قال: هذه والله الدِّيباجُ لا نَسْجي ونسجك الكرابِيس[1]. فقال الطرماح: لن أقول ذلك وإن أقررتُ بجَوْدته. فقطَّبَ[2] ذو الرُّمَّة[3] وقال: يا طِرِمّاح! أأنت تُحسنُ أن تقول: [الطويل]

وكـائـنْ تَـخَـطَّـتْ نـاقَـتِـي مِـنْ مَـفَـازةٍ ... إلَـيْـكَ ومِـنْ أَحْـواضِ مَـاءٍ مُـسَـدَّمِ[4]

بـأعْـقـارِهِ الـقِـرْدانُ هَـزْلَـى كَـأَنَّـهـا ... نَـوَادِرُ صِـيـصـاءِ الـهَـبِـيـدِ الـمُـحَـطَّـمِ[5]

فأصغى الطِّرِمَّاح إلى الكميت وقال له: فَانظُرْ ما أخذ من ثَواب هذا الشعر! ـ قال: وهذه قصيدةٌ مَدَحَ بها ذو الرُّمَّة عبدَ الملك، فلم يَمْدَحْه فيها ولا ذَكَره إلاَّ بهذين البيتين، وسائرُها في ناقته. فلمَّا قدِم على عبد الملك بها أنشده إيّاها. فقال له: ما مدحتَ بهذه القصيدة إلا ناقتَك، فخُذْ منها الثَّوابَ. وكان ذو الرُّمّة غيرَ محظوظ من المديح ـ قال: فلم يَفْهَمْ ذو الرمَّة قولَ الطرماح للكميت. فقال له الكميت: إنه ذو الرمّة وله فضلُه، فأعْتِبْه[6]. فقال له الطرماح: معذرةً إليك! إنّ عِنانَ الشِّعْرِ لفي كَفِّك، فارْجعْ مُعْتَباً، وأقول فيك كما قال أبو المستهلّ.

أخبرني الحسن بن عليّ ومحمد بن يحيى الصُّوليّ[7] قالا: حدّثنا الحسن بن

(١) الكَرابيس: جمع كِرباس (بكسر الكاف): وهو ثوب غليظ من القطن.
(٢) قَطَّب: غضب وعبس.
(٣) ذو الرُّمَّة: هو غيلان بن عقبة بن فهيس بن مسعود العدوي، أبو حارث شاعر من فحول الطبقة الثانية في عصره توفي سنة (١١٧ هـ).
(٤) المفازة: الصحراء الواسعة. والماء المسدَّم: المتغيِّر لطول العهد.
(٥) العُقْر: مؤخر الحوض حيث تقف الإبل إذا وردت وجمعه عقار. والهَبِيد: حبّ الحنظل، والصيصاء: الهزيل الضاوي منه.
(٦) أعْتَبَهُ: أزال عتبهُ وصالحه.
(٧) الصُّوليّ: أبو عبد الله محمد بن يحيى الصُّوليّ نديم من أكابر علماء الأدب ويعرف بالشطرنجي. (توفي سنة ٣٣٥ هـ).

عُلَيْل العَنَزيّ قال: حدّثني محمد بن إبراهيم بن عَبّاد قال: حدّثني أبو تَمَّام الطائيُّ قال: مَرَّ الطرماح بن حكيم في مسجد البَصْرة وهو يخطِر في مِشْيته. فقالَ رجل: مَنْ هذا الخَطَّار؟ فسمِعه فقال: أنا الذي أقول:

صوت [الطويل]

لَـقَـدْ زَادَنِـي حُـبّـاً لِـنَـفْـسِـيَ أَنَّـنِـي بَغِيضٌ إلى كُلِّ امْرِىءٍ غَيْرِ طَائِلِ[1]
وَأَنِّـي شَـقِـيٌّ بِـالـلِّـئـام ولا تَـرَى شَـقِـيّـاً بِـهِـمْ إلاَّ كَـرِيـمَ الـشَّـمَـائِـلِ
إذا مـا رَآنِـي قَـطَّـعَ الـلَّـحْـظَ بَـيْـنَـهُ وَبَـيْـنِـي فِـعْـلَ الـعـارِفِ الـمُـتَـجـاهِـلِ
مَـلأَتُ عَـلَـيْـهِ الأَرْضَ حَـتَّـى كـأَنَّـهـا مِنَ الـضِّـيـقِ في عَيْنَيْهِ كِفَّـةُ حـابِلِ[2]

في هذه الأبيات لأبي العُبَيْس بن حمدون خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالبِنصر.

[أخبار الطرماح مع خالد القسري وحميد اليشكريّ]

أخبرني محمد بن خَلَفٍ وَكِيع قال: أخبرنا إسماعيل بن مُجَمِّع قال: حدّثنا هشام بن محمد قال: أخبرنا ابن أبي العَمَرَّطةَ الكِنْديّ قال: مدَح الطِّرِمَّاحُ خالدَ بن عبد اللّه القَسْرِيّ، فأقبلَ على العُرْيان بن الهَيْثَم[3] فقال: إنِّي قد مدَحْتُ الأمير فأُحِبّ أن تُدْخِلَنِي عليه. قال: فدخلَ إليه فقال له: إنّ الطِّرِمّاح قد مدحك وقال فيك قولاً حسناً. فقال: ما لي في الشعر من حاجة. فقال العُرْيانُ للطرمّاح: تَراءَ له. فخرج معه، فلمّا جاوز دارَ زيادٍ وصعِد المُسَنَّاة[4] إذا شيءٌ قد ارتفع له، فقال: يا عُرْيان انْظُرْ، ما هذا؟ فنظر ثم رجع فقال: أصْلَح الله الأميرَ! هذا شيءٌ بعث به إليك عبدُ اللّه بن أبي موسى من سِجِسْتان[5]؛ فإذا حُمُرٌ وبِغالٌ ورجالٌ وصبيانٌ ونساءٌ. فقال: يا عُرْيان، أين طِرِمّاحُك هذا؟ قال: ها هنا. قال: أَعْطِه كلَّ ما قُدِم به. فرجع إلى الكوفة بما شاء ولم يُنْشِده. قال هشام: والطِّرِمَّاح: الطويل.

أخبرني محمد بن الحسن بن بُرَيد قال: حدّثنا أبو حاتم قال: حدّثني

---

(١) امرؤ غير طائل: أي أنه دونٌ خسيسٌ لا يسوى شيئاً.
(٢) كِفَّةُ الحابلِ: المصيدة.
(٣) العريان بن الهيثم: أحد أشراف العراق المقدمين حين كان خالد القسري أميراً على العراق.
(٤) المسنَّاة: الأحباس تبنى في وجه السيل.
(٥) سجستان: موضع جنوبي هراة. (معجم البلدان ٣/ ١٩١).

الحجاجيُّ قال: بلغني أنّ الطِّرِمّاح جلس في حَلْقةٍ فيها رجلٌ من بني عَبْس، فأنشد العَبْسِيُّ قولَ كُثَيِّرٍ في عبد الملك: [الطويل]

فكنتَ المُعَلَّى إذا أُجيلتْ قِدَاحُهُم ... وَجَالَ المَنِيحُ وَسْطَها يَتَقَلْقَلُ[1]

فقال الطِّرِمّاح: أمَا إنّه ما أراد به أنه أعلاهم كعباً، ولكنه موّه عليه في الظاهر وعنَى في الباطن أنه السابع في الخُلَفاء الذين كان كُثيِّر لا يقول بإمامتهم؛ لأنه أخرج عليّاً عليه السلام منهم، فإذا أخرجه كان عبد الملك السابع، وكذلك المُعَلَّى السابعُ من القِدَاح؛ فلذلك قال ما قاله. وقد ذكر ذلك في موضع آخر فقال: [المتقارب]

وكانَ الخَلائِفُ بَعْدَ الرَّسُو ... لِ لِلَّهِ كُلُّهُمُ تَابِعَا
شَهِيدانِ مِنْ بَعْدِ صِدِّيقِهِمْ ... وكانَ ابنُ حَرْبٍ لهم رَابِعا[2]
وكانَ ابنُهُ بَعْدَهُ خامِساً ... مُطِيعاً لِمَنْ قَبْلَهُ سَامِعا
وَمَرْوَانُ سَادِسُ مَنْ قَدْ مَضَى ... وكَانَ ابنُهُ بَعْدَهُ سابِعا

قال: فَعجِبْنا من تنبُّه الطرمّاح لمعنَى قولِ كُثَيِّر، وقد ذهب على عبد الملك فظنّه مدحاً.

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعيّ قال: حدّثنا أبو غَسّان دَمَاذ قال: كان أبو عُبَيْدة والأصمعيّ يفضّلان الطِّرِمّاح في هذين البيتين، ويزعُمان أنّه فيهما أشعرُ الخَلْق: [الكامل]

مُجْتابُ حُلَّةِ بُرْجُدٍ لِسَرَاتِهِ ... قِدَداً وأَخْلَفَ ما سَواه البُرْجُدُ[3]
يَبْدُو وتُضْمِرُهُ البِلادُ كأَنَّهُ ... سَيْفٌ على شَرَفٍ يُسَلُّ ويُغْمَدُ

أخبرني هاشم بن محمد الخُزَاعيّ قال: حدّثنا دَمَاذ قال: قال أبو نُوَاس: أشعرُ بيتٍ قيل بيتُ الطِّرِمّاح: [الطويل]

إذا قُبِضَتْ نَفْسُ الطِّرِمّاحِ أَخْلَقَتْ ... عُرَى المَجْدِ واسْتَرْخَى عِنانُ القَصائِدِ

---

(١) المعلّى من الأقداح: الذي يحوز على أكبر نصيب من أقداح الميسر. وهي عشرة. والمنِيحُ: سهمٌ من سهام الميسر لا نصيب له.

(٢) ابن حرب: هو معاوية بن أبي سفيان واسم أبي سفيان صخر بن حرب.

(٣) مجتاب حُلّة: لابسها. والبرجد: كساء من صوف أحمر اللون، وقيل كساء مخطط ضخم. والسراة: الظهر. وهنا يريد أن يصف متن الثور الوحشي بالحمرة. والقِدد: جمع قِدّة بالكسر، وهي القطعة من أيّ شيء.

أخبرني الحسينُ بن يحيى عن حَمّاد عن أبيه عن أبي عُبَيْدَةَ قال: فَضَّل الطِّرِمّاحُ بني شَمْخ في شعره على بني يَشْكُرَ[١]؛ فقال حُمَيْد اليَشْكُريّ:

أَتَجْعَلُنا إلى شَمْخ بْنِ جَرْمٍ ... وَنَبْهانٍ فَأُفٍّ لِذا زَمانا[٢]
وَيَوْمَ الطّالَقانِ حَمَاكَ قَوْمي ... وَلَمْ تَخْضِبْ بها طَيٌّ سِنَانَا[٣]

فقال الطرمّاحُ يُجِيبُه: [الوافر]

لَقَدْ عَلِمَ المُعَذَّلُ يَوْمَ يَدْعُو ... بِرِمْثَةَ يَوْمَ رِمْثَةَ إذ دَعانا[٤]
فَوَارِسُ طَيِّىءٍ مَنَعُوهُ لَمّا ... بَكَى جَزَعاً وَلَوْلاهُمْ لَحَانا[٥]

فقال رجلٌ من بني يَشْكُر: [البسيط]

لأَقْضِيَنَّ قَضَاءً غَيْرَ ذي جَنَفٍ ... بِالحَقِّ بَيْنَ حُمَيْدٍ وَالطِّرِمّاحِ
جَرَى الطِّرِمّاحُ حَتَّى دَقَّ مِسْحَلَهُ ... وَغُودِرَ العَبْدُ مَقْرُوناً بِوَضّاحِ[٦]

يَعْني رجلاً من بني تميم كان يُهاجي اليشكريّ.

أخبرني إسماعيل بن يونس قال: حدّثنا الرِّياشيّ قال: قال الأصمعيّ: قال خَلَفٌ: كان الطِّرِمّاحُ يَرى رأيَ الشُّراة[٧]، ثم أَنْشَد له: [المنسرح]

لِلَّهِ دَرُّ الشُّرَاةِ إنَّهُمُ ... إذا الكَرَى مَال بالطُّلَى أَرِقُوا[٨]
يُرَجِّعُونَ الحَنِينَ آوِنَةً ... وَإنْ عَلاَ ساعَةً بِهِم شَهِقُوا
خَوْفاً تَبِيتُ القُلُوبُ وَاجِفَةً ... تَكادُ عَنْها الصُّدورُ تَنْفَلِقُ
كَيْفَ أُرَجِّي الحَياةَ بَعْدَهُمُ ... وَقَدْ مَضَى مُؤْنِسِيَّ فانْطَلَقوا
قَوْمٌ شِحاحٌ على اعْتِقادِهُمُ ... بالفَوْزِ مِمّا يُخافُ قد وَثِقوا

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيْد قال: أخبرنا أبو عثمان عن التَّوَّزِيّ عن

---

(١) بنو شَمْخ وبنو يَشْكُر: قبيلتان.
(٢) شمخ بن جرم ونبهان بطنان من قبيلة طيّىء.
(٣) الطالقان: بلدتان إحداهما بخراسان والثانية بين قزوين وأبهر. انظر (معجم البلدان ٤/٦).
(٤) رمثة: ماء ونخل لبني ربيعة (معجم البلدان ٣/٦٨).
(٥) حَانَ: هَلَكَ.
(٦) المِسْحَل: اللجام، وقيل: فأس اللجام.
(٧) الشراة: الخوارج.
(٨) الطُّلَى: الأعناق. واحدها طُلْيَة.

أبي عُبَيدة عن يونس قال: دخل الطِّرِمّاح على خالد بن عبد الله القَسْرِيّ فأنشده قوله: [الطويل]

وَشَيَّبَنِي ما لاَ أزالُ مُنَاهِضاً ... بِغَيْرِ غِنًى أسْمُو بِهِ وأَبُوعُ[١]
وَأَنَّ رجالَ المالِ أضْحَوْا وَمالُهُمْ ... لَهُمْ عِنْدَ أبوابِ المُلوكِ شَفِيعُ
أمُخْتَرِمِي رَيْبُ المَنُونِ وَلَمْ أَنَلْ ... مِنَ المالِ ما أعْصِي بِهِ وأُطِيعُ

فأمر له بعشرين ألفَ دِرْهم وقال: امْضِ الآن فاعْصِ بها وأَطِعْ.

أخبرني الحسنُ بن عليّ قال: حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويه قال: حدّثنا حُذَيفة بن محمد الكوفيّ قال: قال المُفَضَّل: إذا رَكِب الطرِمّاحُ الهجاءَ فكأنَّما يُوحَى إليه، ثم أنشد له قولَه: [البسيط]

لَوْ حانَ وِرْدُ تَمِيمٍ ثُمَّ قِيلَ لها ... حَوْضُ الرَّسُولِ عَلَيْهِ الأزْدُ لَمْ تَرِدِ
أوْ أَنْزَلَ الله وَحْياً أنْ يُعَذِّبَها ... إنْ لَمْ تَعُدْ لِقتالِ الأزْدِ لم تَعُدِ
لا عَزَّ نَصْرُ امْرِىءٍ أَضْحَى له فَرَسٌ ... عَلَى تَمِيمٍ يُريدُ النَّصْرَ مِنْ أحَدِ
لَوْ كانَ يَخْفَى على الرَّحْمٰنِ خافِيةٌ ... مِنْ خَلْقِهِ خَفِيَتْ عَنْهُ بَنُو أسَدِ

[غياب الطرماح]

أخبرني إسماعيل بن يونُس قال: أخبرنا عُمَر بن شَبّة قال: حدّثني المدائنيّ قال: حدّثني ابنُ دأبٍ[٢] عن ابن شُبْرُمَةَ، وأخبرني محمد بن القاسم الأنباريّ قال: أخبرني أبي قال: حدثني الحسنُ بن عبد الرحمن الرَّبَعِيّ قال: حدّثني محمدُ بن عِمْران قال: حدّثني إبراهيمُ بن سَوَّار الضَّبِّي قال: حدّثني محمد بن زِيادٍ القُرَشيّ عن ابن شُبْرُمَةَ قال: كان الطِّرِمَّاحُ لنا جليساً فَفَقَدْناه أيّاماً كثيرة، فقُمْنا بأجْمَعِنا لننظرَ ما فَعَل وما دهاه. فلما كُنّا قريباً من منزله إذا نحن بنَعْشٍ عليه مُطْرَفٌ[٣]

(١) يَبُوع: يبسط يده بالبذل والعطاء.
(٢) ابن دأب: هو عيسى بن يزيد بن بكر بن دأب الليثي أبو الوليد خطيب وعالم بالأنساب توفي سنة (١٧١ هـ).
(٣) المُطرف: رداءٌ من خَزٍّ مربَّعٌ، ذو أعلام، جمعه مطارف.

أَخْضَرُ، فقلنا: لِمَنْ هذا النَّعْشُ؟ فقيل: هذا نعشُ الطرماح. فقلنا: واللَّهِ ما استجاب الله له حيث يقول: [الطويل]

وإنِّي لَمُقْتَادٌ جَوادِي وقاذِفٌ بِهِ وبنَفْسي العامَ إحْدَى المَقَاذِفِ
لأَكْسِبَ مالاً أو أؤولَ إلى غِنًى مِنَ اللَّهِ يَكْفِيني عِدَاتِ الخَلائِفِ[1]
فيَا رَبِّ إنْ حانَتْ وَفاتي فلا تَكُنْ على شَرْجَعٍ يُعْلَى بخُضْرِ المَطارِفِ[2]
وَلٰكِنَّ قَبْرِي بَطْنُ نَسْرٍ مَقِيلُهُ بِجَوِّ السَّماءِ في نُسورٍ عَوَاكِفِ
وَأُمْسِي شَهِيداً ثاوِياً في عِصَابَةٍ يُصابُون في فَجٍّ من الأَرْضِ خائِفِ
فَوَارِسُ مِنْ شَيْبانَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ تُقَى الله نَزّالُونَ عند التَّزَاحُفِ
إذا فارَقُوا دُنياهُمُ فارَقُوا الأذَى وَصارُوا إلى مِيعادِ ما في المَصَاحِفِ

صوت

[البسيط]

هَلْ بالدِّيارِ الَّتي بالقاعِ مِنْ أحَدِ باقٍ فَيَسْمَعَ صَوْتَ المُدْلِجِ السَّاري[3]
تلكَ المَنازِلُ من صَفْراءَ لَيْسَ بِها حَيٌّ يُجِيبُ ولا أصواتُ سُمَّارِ

الشعر لبيهس الجَرْمِيّ. والغناء لابن مُحْرِزٍ ثاني ثقيل بالبِنْصر، عن عمرو قال: ذكر ذلك يحيى المكيّ، وأظنُّه من المَنْحول. وفيه لطَيَّاب بن إبراهيم الموصليّ خفيفُ ثقيل، وهو مأخوذ من لحن ابن صاحبِ الوَضُوء:

إرْفَعْ ضَعِيفَكَ لا يَحُرْ بِكَ ضَعْفُهُ

(١) العدات: جمع عدة: وهي ما يوعد به من صلة. والخلائف: جمع خليفة.
(٢) الشرجع: النعش.
(٣) المدلج: الساري ليلاً، وقيل: آخر الليل.

أخبار بَيهَسٍ ونسبه

[نسبه واتهامه بالقتل]

هو بَيْهَس بن صُهَيْب بن عامر بن عبد اللّه بن ناتل بن مالك بن عُبَيد بن عَلْقَمةَ بن سَعْد بن كَثِير بن غالِب بن عَدِيّ بن سُمَيْس بن طَرود بن قُدَامةَ بن جَرْم بن رَبَّان بن حُلْوان بن عِمْران بن إلحاف بن قُضَاعة، شاعرٌ فارسٌ من شعراء الدولة الأُمَويّة. وكان يبدو بنواحي الشأم مع قبائل جَرْمٍ وكَلْبٍ وعُذْرةَ، ويحضُر إذا حَضَروا فيكون بأجناد الشأم.

قال أبو عمرو الشيبانيّ[١]: لمّا هدأتِ الفِتْنةُ بعد وَقْعة مَرْج راهِطٍ[٢] وسكن الناسُ، مرّ غلامٌ من قَيْسٍ بطوائفَ من جَرْم وعُذْرةَ وكلْبٍ، وكانوا مُتَجاورين على ماءٍ هناك لهم. فيُقال: إنّ بعض أحداثهم نَخَس به ناقتَه فألقته، فاندقّتْ عُنقه فمات. واستعدى قومُه عبدَ الملك بن مَرْوان، فبعث إلى تلك البُطون مَنْ جاءه بوجوههم وذوي الأخطارِ منهم، فهَرَب بَيْهَسُ بن صُهَيْب الجَرْمِيّ ـ وكان قد اتُّهم بأنه هو الذي نخس به ـ فنزل بمحمد بن مَرْوان واستجارَ به، فأجارَه إلاّ مِنْ حَدٍّ تُوجبه عليه شهادةٌ، فَرَضِي بذلك.

صوت

[الطويل]

أَلاَ يا حَمَاماتِ اللِّوَى عُدْنَ عَوْدَةً ... فَإِنِّي إلى أصْواتِكُنَّ حَرِينُ
فَعُدْنَ فَلَمَّا عُدْنَ كِدْنَ يُمِتْنَنِي ... وَكِدْتُ بأَسْرارِي لَهُنَّ أُبِينُ
دَعَوْنَ بأَصْواتِ الهَدِيلِ كَأَنَّما ... شَرِبْنَ حُمَيَّا أوْ بِهِنَّ جُنُونُ
فَلَمْ تَرَ عَيْنِي مِثْلَهُنَّ حَمَائِماً ... بَكَيْنَ وَلَمْ تَدْمَعْ لَهُنَّ عُيُونُ

---

(١) مرج راهط: بنواحي دمشق، كانت به وقعة بين مروان بن الحكم والضحاك بن قيس الفهري. (معجم البلدان).

الشعر لأعرابيّ، هكذا أَنْشَدَناه جعفر بن قُدامةَ عن أحمد بن حَمْدون عن أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل. والغِناء لمحمد بن الحارث بن بُسْخُنَّر خفيفُ رملٍ بالوسطى عن الهشاميّ. وقد قيل: إنّ الشعر لابن الدُّمَيْنة[1].

(١) ابن الدمينة: هو عبد الله بن عبيد الله بن أحمد أبو السري والدمينة أمّه، شاعر بدوي. (توفي نحو سنة ١٣٠ هـ).

أخبار محمد بن الحارث بن بُسخُنَّر

[كنيته وبعض أخباره]

هو محمد بن الحارث بن بُسْخُنَّر، ويُكْنَى أبا جعفر، وهم، فيما يزعمُون، مَوَالِي المنصور. وأحسبه ولاءَ خِدْمةٍ لا ولاءَ عِتْق. وأصلُهم من الرَّيّ. وكان محمد يزعم أنّه من ولد بَهْرَام جُوبِين[١]. ووُلِد محمدٌ بالحِيرة. وكان يُغَنِّي مُرْتَجِلاً، إلا أنّ أصل ما غَنَّى عليه المِعْزفة[٢]، وكانت تُحْمَلُ معه إلى دار الخليفة. فمرّ غلامه بها يوماً، فقال قوم كانوا جلوساً على الطريق: مع هذا الغلام مِصْيَدةُ الفأر، وقال بعضهم: لا، بل هي مِعْزَفةُ محمد بن الحارث. فحلفَ يومئذٍ بالطَّلاَق والعِتاقِ ألاَّ يُغَنِّي بِمعْزَفة أبداً أنفةً من أن تشتبه آلةٌ يغنِّي بها بمِصْيَدةِ الفأر. وكان محمد أحسنَ خَلْقِ الله تعالى أداءً وأسرعَه أخذاً للغناء. وكان لأبيه الحارث بن بُسْخُنَّر جَوَارٍ مُحْسِنات. وكان إسحاق يرضاهنّ ويأمُرهنّ أن يَطْرَحْن على جَوَارِيه. وقال يوماً للمأمون وقد غنَّى مُخَارِق[٣] بين يديه صوتاً فألتاث[٤] غِناؤه فيه وجاء به مُضْطَرباً، فقال إسحاق للمأمون: يا أمير المؤمنين، إن مخارقاً قد أعجبه صوتُه وساء أداؤه في غنائه، فمُرْهُ بمُلاَزَمةِ جَوَاري الحارث بن بُسْخُنَّر حتى يعود إلى ما تُريد.

أخبرني جحظة قال: حدّثني أبو عبد اللّه الهِشَاميّ قال: سمِعتُ إسحاق بن إبراهيم بن مُصْعَب[٥] يقول للواثق: قال لي إسحاق بن إبراهيم الموصِليّ: ما قَدَر أَحدٌ قطُّ أن يأخذ منِّي صوتاً مستوياً إلاّ محمد بن الحارث بن بُسخُنَّر؛ فإنّه أخذ

---

(١) بهرام جوبين: من ملوك الفرس.

(٢) المِعْزَفة: آلة من آلات الطرب.

(٣) مُخارق: هو مخارق أبو المهنّأ بن يحيى الجزار، إمام عصره في فن الغناء (توفي سنة ٢٣١ هـ).

(٤) التاث: اختلط.

(٥) إسحاق بن إبراهيم الموصلي أشهر ندماء الخلفاء في عصره عالم بالموسيقى والغناء والتاريخ وعلوم الدين وعلم الكلام والشعر والأخبار، وكان شاعراً توفي سنة (٢٣٥ هـ).

منّي عدة أصوات كما أُغَنِّيها. ثم لم نلبَثْ أنْ دخل علينا محمد بن الحارث. فقال له الواثق: حَدَّثني إسحاق بن إبراهيم عن إسحاق الموصليّ فيك بكذا وكذا. فقال: قد قال إسحاق ذاك لي مَرَّاتٍ. فقال له الواثق: فأي شيءٍ أخذت من صنعته أحسنَ عندك؟ فقال: هو يزعُم أنه لم يأخذ منه أحدٌ قطُّ هذا الصوتَ كما أخذتُه منه:

صوت

[الطويل]

إذا المَرْءُ قاسَى الدَّهْرَ وابْيَضَّ رأسُهُ ... وَثُلِّمَ تَثْلِيمَ الإنَاءِ جَوَانِبُهْ
فَلَيْسَ لَهُ في العَيْشِ خَيْرٌ وإنْ بَكَى ... على العَيْشِ أوْ رَجَّى الَّذِي هو كَاذِبُهْ

ـ الشعر والغناء لإسحاق، ولحنه فيه رَمَلٌ بالوسطى ـ فأمره الواثق بأن يُغَنِّيه، فغنَّاه إياه وأحسنَ ما شاء وأجاد. واستحسنه الوَاثِق وأمَره بأنّ يُردِّده، فردَّده مراراً كثيرةً، حتى أخذه الوَاثِق وأخذه جَوَارِيه والمُغَنُّون. قال جحظة: قال الهشاميّ: فحدَّثْتُ بهذا الحديث عمرو بن بانةَ[١] فقال: ما خَلَق الله تعالى أحداً يُغَنِّي هذا الصوت كما يُغَنِّيه هِبَةُ اللّه بن إبراهيم بن المَهْدِيّ[٢]. فقلت له: قد سَمِعتَ ابنَ إبراهيم يُغَنِّيه، فاسمَعْه من محمد ثم احْكُمْ. فَلَقِيَني بعد ذلك فقال: الأمرُ كما قلتَ، قد سَمِعْتُه من محمد فسَمِعْتُ منه الإحسانَ كلَّه.

أخبرني جعفر بن قُدامةَ قال: حدّثني عليّ بن يحيى المنجِّم قال: كنتُ يوماً في منزلي، فجاءني محمد بن الحارث بن بُسْخُنَّر مُسَلِّماً وعائداً من عِلةٍ كنتُ وجدتُها؛ فسألته أنْ يُقِيم عندي ففعل، ودعوتُ بما حَضَر فأكلنا وشَرِبْنا، وغنَّى محمد بن الحارث هذا الصوت:

صوت

أَمِنْ ذِكْرِ خَوْدٍ عَيْنُكَ اليَوْمَ تَدْمَعُ ... وَقَلْبُكَ مَشْغُولٌ بِخَوْدِكَ مُولَعُ[٣]
وَقَائِلَةٍ لي يَوْمَ ولَّيْتُ مُعْرِضاً ... أَهْذا فِرَاقُ الحِبِّ أمْ كيف تَصْنَعُ

(١) عمرو بن بانة: هو عمرو بن محمد بن سليمان بن راشد مولى يوسف بن عمر الثقفي ويعرف بابن بانة. وبانة أمه نسب إليها. (توفي سنة ٢٧٨ هـ).

(٢) هبة الله بن إبراهيم بن المهديّ العباسي أبو القاسم، عالم بالغناء. (توفي سنة ٢٧٥ هـ).

(٣) الخَودُ: وهي الشابَّةُ الحسنة الخَلق، أو الناعمة.

فَقُلْتُ كَذَاكِ الدَّهْرُ يا خَوْدُ فاعْلَمِي يُفَرِّقُ بَيْنَ النّاسِ طُرًّا ويَجْمَعُ

ـ أصل هذا الصوت يمانٍ هَزَج بالوسطى. قال الهشاميّ: وفيه لفُلَيْح ثاني ثقيلٍ، ولإسحاق خفيفُ رملٍ ـ قال عليّ بن يحيى: فقلتُ له وقد ردّد هذا الصوت مِراراً وغَنَّاه أَشْجَى غِناءٍ: إنّ لك في هذا الصوتِ معنى، وقد كَرَّرْتَه من غير أن يقترحه عليك أحد. فقال: نعم! هذا صوتي على جارِيةٍ من القِيَان كنتُ أُحِبُّها وأخذته مِنها. فقلت له: فلِمَ لاَ تُوَاصلها؟ فقال:

لَوْ لَمْ أَنِكْهَا دامَ لي حُبُّها لٰكِنَّنِي نِكْتُ فلا نِكْتُ

فأجبتُه فقلت: [البسيط]

أكْثَرْتَ مِنْ نَيْكِها والنَّيْكُ مَقْطَعَةٌ فَارْفُقْ بِنَيْكِكَ إنَّ الرِّفْقَ مَحْمُودُ

وأخبرني جعفر بن قُدامة عن عليّ بن يحيى أنَّ إسحاق غنَّى بحضرة الواثق لحنَه. [الطويل]

ذَكَرْتُكِ إذ مَرَّتْ بِنا أُمُّ شَادِنٍ أمامَ المَطَايا تَشْرئِبُّ وتَسْنَحُ[1]

مِنَ المُؤْلِفاتِ الرَّمْلَ أدْماءُ حُرَّةٌ شُعَاعُ الضُّحَى في مَتْنِها يَتَوَضَّحُ[2]

ـ والشعر لذي الرُّمّة. ولحن إسحاق فيه ثقيلٌ أوّلُ ـ فأمره أن يُعِيدَه على الجواري، وأحلفَه بحياته أن ينصَح فيه. فقال: لا يستطِيع الجواري أن يأخُذْنَهُ مني، ولكن يحضُر محمد بن الحارث فيأخذُه منِّي وتأخذه الجواري منه؛ فأُحْضِرَ وألقاه عليه، فأخذه منه، وأخذتْه الجَوارِي منه.

أخبرني أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل المعروف بوَسْوَاسةَ المَوْصِليّ قال: حدّثني حمّاد بن إسحاق قال: قال لي محمد بن الحارث بن بُسْخُنَّر: أخذتْ جاريةٌ لِلواثق منِّي صوتاً أخذتُه من أبيك، وهو:

صوت

[الخفيف]

أصْبَحَ الشَّيْبُ في المَفَارِق شَاعَا وَاكْتَسى الرَّأسُ مِنْ مَشِيبٍ قِنَاعَا

وَتَوَلَّى الشَّبابُ إلاّ قَلِيلاً ثم يأبَى القَلِيلُ إلاّ وَدَاعا

(١) أمُّ شادن: ظبية. وتشرئبُّ: تمدّ عنقها لتنظر. وتَسْنَحُ: تَعرض.

(٢) الأدم من الظباء: البيض تعلوهن جدد فيها غبرة.

ـ الشعر والغناء لإسحاق ثقيلٌ أوّلُ ـ قال: فسَمِعه الواثقُ منها، فاستحسنه وقال لِعَلُّوَيْه ومُخَارق: أتَعْرِفانه؟ فقال مخارق: أظُنُّه لمحمد بن الحارثِ. فقال عَلُّويه: هيهاتَ! ليس هذا مما يدخُل في صُنْعة محمدٍ، هو يُشْبِه صَنْعةَ ذلك الشيطانِ إسحاق. فقال له الواثق: ما أبعدتَ. ثم بعث إليّ فأخبرني بالقِصّة؛ فقلت: صَدَق عَلُّويه يا أمير المؤمنين، هذا لإسحاق ومنه أخذتُه.

حدّثني جعفر بن قُدَامةَ قال: حدّثني عبد اللّه بن المعتز قال: قال لي أحمد بن الحسين بن هِشام: جاءني محمد بن الحارث بن بُسْخُنَّر يوماً فقال لي: قُمْ حتَّى أُطَفِّلَ بك على صديقٍ لي حُرٍّ، وله جاريةٌ أحسنُ خلق الله تعالى وجهاً وغِنَاءً. فقلتُ له: أنت طُفَيْليّ وتُطَفِّل بي! هذه والله أخَسُّ[١] حال. فقال لي: دعِ المُجونَ وقمْ بنا؛ فهو مكانٌ لا يَسْتَحْيِي حرٌّ أن يتطفل عليه، فقمتُ معه، فقصَد بي دار رجلٍ من فتيان أهلِ «سُرَّ مَنْ رَأَى» كان لي صديقاً يُكْنَى أبا صالح، وقد غُيِّرتْ كنيته على سبيل اللَّقَب فكُنِي أبا الصالحات، وكان ظريفاً حسنَ المُروءة، يضرب بالعُود على مذهب الفُرْس ضرباً حسناً، وله رِزْقٌ سَنِيّ في المَوَالي، وكان من أولادهم، ولم يكن منزلُه يخلو من طعامٍ كثيرٍ نظيفٍ لكثرة قَصْد إخوانه منزلَه. فلمّا طَرَق بابَه قلتُ له: فرَّجْتَ عنّي، هذا صَديقي وأنا طُفَيْلي بنفسي لا أحتاج أن أكون في شَفاعةِ طفيليّ. فدخلنا، وقُدِّم إلينا طعامٌ عَتِيدٌ طَيِّب نظيف فأكلنا، وأُحْضِرْنا النبيذَ، وخرجتْ جاريته إلينا من غير سِتَارةٍ، فغَنَّتْ غِناءً حسناً شَكِلاً ظريفاً، ثم غَنَّتْ من صنعة محمد بن الحارث هذا الصوت وكانت قد أخذتْه عنه ـ وفيه أيضاً لحنٌ لإبراهيم، والشعر لابن أبي عُيَيْنة ـ:

صوت

[الكامل]

ضَيَّعْتِ عَهْدَ فَتًى لِعَهْدِك حافِظٍ	فِي حِفْظِهِ وفي تَضْيِيعِكِ
إن تَقْتُلِيهِ وَتَذْهَبِي بفُؤادِهِ	فَبِحُسْنِ وَجْهِكِ لا بِحُسْنِ صَنِيعِكِ

فَطرِب محمد بن الحارث ونَقَّطها بدنانيرَ مُسَيَّفةٍ[٢] كانت معه في خَرِيطته[٣]،

(١) أخسُّ: أحقر.

(٢) الدنانير المُسيَّفة: ذات الجوانب النقيّة من النقش.

(٣) الخريطة: وعاءٌ من أدم وغيره يشد على ما فيه.

ووجَّه غلامه فجاءه بِبَرْنِيَّةٍ غاليةٍ كبيرةٍ، فغَلَّفها[١] منها ووَهَب لها الباقي. وكان لمحمد بن الحارث أخٌ طَيِّب ظريف يُكْنَى أبا هارون، فطَرب ونَعَر[٢] ونَخر[٣]، وقال لأخيه: أريد أن أقول لك شيئاً في السِّرّ. قال: قُلْهُ عَلاَنِيَةً. قال: لا يصلُح. قال: والله ما بيني وبينك شيءٌ أُبالي أن تقولَه جهراً، فقُلْه. فقال: أشتهي عَلِم الله أن تسأل أبا الصَّالحاتِ أن يَنِيكَني، فعسى صوتي أن ينفتح ويَطيبَ غِنَائي. فضحِك أبو الصالحات وخَجِلت الجارية وغَطَّتْ وجهَها وقالت: سَخِنَتْ عينُك! فإنّ حديثَك يُشْبِهُ وجهَك.

صوت

[الطويل]

وأيُّ أخٍ تَبْلُو فَتَحْمَدَ أَمْرَهُ ... إذا لَجَّ خَصْمٌ أو نَبَا بِكَ مَنْزِلُ

إذا أنْتَ لم تُنْصِفْ أخاكَ وَجَدْتَهُ ... على طَرَفِ الهِجْرَانِ إنْ كانَ يَعْقِلُ

سَتَقْطَعُ في الدُّنيا إذا ما قَطَعْتَنِي ... يَمِينَكَ فَانْظُر أيَّ كَفٍّ تَبَدَّلُ

إذا انْصَرَفَتْ نَفْسِي عَنِ الشَّيْءِ لَمْ تَكَدْ ... إلَيْهِ بِوَجْهٍ آخِرَ الدَّهْرِ تُقْبِلُ

الشعر لِمَعْن بن أَوْس المُزَنِيّ. والغناءُ لعَريبَ خفيفُ رمل بالوسطى.

---

(١) غلفها: طيّبها، ضمّخها، عطرها.

(٢) نَعَر: صوت بخيشومه.

(٣) نخر: مدّ الصوت في خيشومه.

أخبار مَعْن بن أَوْس ونسبه

[توفي ٦٤ هـ/ ٦٨٣ م]

[اسمه ونسبه]

هو مَعْن بن أَوْس بن نَصْر بن زِيَاد بن أسحَم بن زِيَاد بن أَسْعد بن أَسْحَم بنِ رَبيعة بن عَديّ بن ثَعْلَبَةَ بن ذُؤَيْب بن عَدَّاء بن عثمان بن مُزَيْنَةَ بن أُدّ بن طَابِخة بن إلياس بن مُضر بن نزَارٍ. ونُسِبوا إلى مُزيْنة وهي امرأة: مُزَيْنة بنتُ كَلْب بن وَبْرَةَ، وأبوهم عمْرو بن أدّ بن طَابِخة.

أخبرني عُبَيد الله بن محمد الرازيّ وهاشم بن محمد الخُزَاعيّ وعَمِّي قالوا: حدّثنا أحمد بن الحارث الخَرَّاز عن المدائنيّ قال: مُزَيْنةُ بنتُ كَلْب بن وَبْرةَ، تزوَّجها عمرو بن أدّ بن طَابِخةَ، فولدتْ له عثمانَ وأَوْساً، فغلَبتْ أُمُّهما على نَسَبهما. فعلى هذا القول عَدَّاء هو ابن عثمان بن عمرو بن أُدّ بن طابخة.

[شعره وبعض أخباره]

ومَعْنٌ شاعِرٌ مُجِيدٌ فحْل، من مُخَضْرَمي[1] الجاهليّة والإسلام وله مدائح في جماعةٍ من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم ورَحمهم، منهم عبدُ اللّه بن جَحْش، وعُمَر بن أبي سَلَمةَ المَخْزوميّ. ووفَد إلى عُمَر بن الخطّاب رضي الله تعالى عنه مُسْتَعِيناً به على بعضِ أَمْرِه، وخاطَبه بقصيدته التي أوّلها: [الطويل]

تَـأَوَّبَـهُ طَـيْـفٌ بِـذاتِ الـجَـرَاثِـمِ فَـنَـامَ رَفـيـقَـاهُ وَلَـيْـسَ بـنـائِـمِ

(١) مخضرم: عاش في عصرين ومعن شاعر في الجاهلية والإسلام. لذلك فهو مخضرم بين العصر الجاهلي والإسلامي.

وعُمِّر بعد ذلك إلى أيّام الفِتْنة بين عبد اللّه بن الزُّبَيْر ومَرْوان بن الحَكَم.

أخبرني محمد بن خَلَفٍ وكيع قال: حدّثنا عبد اللّه بن أبي سَعْد قال: حدّثني إبراهيم بن المُنْذِر الحِزَاميّ قال: حدّثنا عبد الملك بن عبد العزيز عن يحيى بن عبد اللّه بن ثَوْبَان عن عَلقمةَ بن مِحْجَنٍ الخزاعي عن أبيه قال: كان مُعاوية يُفَضِّل مُزَيْنةَ في الشِّعر، ويقول: كان أشعرُ أهلِ الجاهليّة منهم وهو زُهَيْر، وكان أشعرُ أهل الإسلام منهم وهو ابنُه كَعْبٌ(١)، ومَعْنُ بن أَوْس.

أخبرني هاشم بن محمد الخُزَاعيّ قال: حدّثنا عيسى بن إسماعيل تينة قال: حدّثني العُتْبِيُّ قال: كان مَعْن بن أَوْس مِئناثاً(٢)، وكان يُحْسِن صُحْبةَ بناتِه وتربيتهنّ؛ فوُلِد لبعض عَشِيرته بنتٌ فكَرِهَها وأظهر جَزَعاً من ذلك؛ فقال مَعْنٌ:

[الطويل]

رأيتُ رِجالاً يَكْرَهون بَناتِهِمْ ... وَفِيهِنَّ - لا تُكْذَبْ - نِساءٌ صَوالِحُ
وَفِيهِنَّ - والأيّامُ تَعْثُرُ بالفَتَى - ... نَوَادِبُ لا يَمْلَلْنَهُ وَنَوائِحُ

أخبرني محمد بن عِمْران الصَّيْرَفيّ قال: حدّثنا العَنَزيّ (يعني الحسَن بن عُلَيْل) قال: حدّثني أحمد بن عبد اللّه بن عليّ بن سُوَيْد بن مَنْجُوفٍ عن أبيه قال: مرّ عُبَيْد اللّه بن العبّاس بن عبد المُطَّلِب بمَعْن بن أَوْس المُزَنِيّ وقد كُفَّ بصرُه فقال له: يا معن، كيف حالُك؟ فقال له: ضَعُفَ بَصَري وكَثُر عِيالي وغلَبني الدَّيْن. قال: وكم دَيْنك؟ قال: عشرةُ آلافِ درهم. فبَعث بها إليه. ثم مرَّ به من الغَدِ فقال له: كيف أصبحتَ يا مَعْن؟ فقال:

[الطويل]

أَخَذْتُ بعَيْنِ المالِ حَتَّى نَهَكْتُهُ ... وَبِالدَّيْنِ حَتَّى ما أكادُ أُدَانُ
وَحَتَّى سألْتُ القَرْضَ عِنْدَ ذَوي الغِنَى ... وَرَدَّ فلانٌ حاجَتِي وفُلانُ

فقال له عُبَيْد اللّه: اللهُ المُسْتعان، إنّا بعثنا إليك بالأمس لُقْمَةً فما لُكْتَها حتّى انْتُزِعتْ من يدك، فأيُّ شيء للأهل والقَرابة والجِيران! وبَعَث إليه بعشرة آلاف درهم

(١) كعب بن زهير بن أبي سلمى: شاعر عالي الطبقة أسلم بعد نفار وبعد أن أهدر رسول الله صلى الله عليه وسلم دمه، ومدح الرسول بقصيدته: بانت سعاد، فعفا عنه النبي وخلع عليه بردته، توفي سنة ٢٦ هـ.

(٢) المئناث: الذي كل أولاده إناث.

أُخْرَى. فقال معنٌ يمدَحه: [الطويل]

إنَّـكَ فَـرْعٌ مِـنْ قُـرَيْـشٍ وَإنَّـمـا تَمُجُّ النَّدَى مِنْها البُحُورُ الفَوَارِعُ
ثَـوَوْا قـادَةً لـلـنَّـاسِ بَطْحَاءُ مَكَّـةٍ لَهُمْ وَسِقَايَاتُ الحَجِيجِ الدَّوَافِعُ
فَلَمَّا دَعُوا لِلْمَوْتِ لم تَبْكِ مِنْهُمُ على حادِثِ الدَّهْرِ العُيونُ الدَّوامِعُ

أخبرني محمد بن عِمْران قال: حدّثني العَنَزيّ قال: حدّثني الفَضْل بن العبّاس القُرَشيّ عن سَعِيد بن عمرو الزُّبَيْري قال: كان لِمَعْن بن أَوْس امرأةٌ يقال لها ثَوْر وكان لها مُحِبّاً، وكانت حَضَرِيَّةً نشأتْ بالشأم، وكانت في معن أعرابِيَّةٌ ولُوثةٌ[1]، فكانت تضحَك من عجْرفِيَّتِه[2]. فسافر إلى الشأم في بعض أعوامه، فضَلَّت الرُّفقةُ عن الطَّريق وعدَلوا عن الماء، فطوَوْا منزلَهم وساروا يومَهم وليلتهم، فسقَط فرسُ مَعْنٍ في وِجارِ ضَبٍّ[3] دخلتْ يدُه فيه، فلم يستطع الفرسُ أن يقوم من شِدّة العَطَش حتى حمله أهلُ الرُّفقة حَمْلاً فأنهضوه، وجعل معنٌ يقوده ويقول:

[الرجز]

لَـوْ شَـهِـدَتْـنِـي وَجَـوَادِي ثَـوْرُ وَالـرَّأسُ فِـيـهِ مَـيْـلٌ ومَـوْرُ[4]
لَـضَـحِـكَـتْ حَـتَّـى يَـمِـيـلَ الـكَـوْرُ[5]

أخبرني عمّي قال: حدّثنا محمد بن سَعْد الكُرانيّ قال: حدّثنا العُمَريّ عن العُتْبيّ قال: قَدم معنُ بن أَوْسٍ مكةَ على ابن الزُّبَير فأنزله دارَ الضِّيفان[6]، وكان يَنْزِلها الغُرباءُ وأبناءُ السبيل والضِّيفان، فأقام يومَه لم يُطْعَمْ شيئاً؛ حتى إذا كان الليلُ جاءهم ابن الزُّبير بتَيْسٍ هَرِمٍ هَزِيلٍ فقال: كُلُوا من هذا، وهم نَيِّفٌ وسبعون رجلاً؛ فغَضِب معنٌ وخرج من عندِه، فأتى عُبَيْدَ اللّه بن العبّاس، فَقَراه وحَمله[7] وكساه، ثم أتى عبدَ اللّه بنَ جعفر[8] وحدّثه حديثَه، فأعطاه حتى أرضاه، وأقام عنده ثلاثاً

(١) اللوثة: الحمق.
(٢) العجرفية، والعجرفة: الجفوة في الكلام، والخرق في العمل.
(٣) وجار الضبّ: المكان الذي يعيش فيه
(٤) المَوْر: الاضطراب.
(٥) كور العمامة: دور فيها، وأراد دوراً ممّا تلف بها رأسها.
(٦) الضيفان: الضيوف.
(٧) قراه: أطعمه، والقرى: إطعام الضيف.
(٨) حمله: أعطاه دابّة يركبها.
(٩) عبد الله بن جعفر بن أبي طالب: صحابي، كريم سمّي بحر الجود. توفي سنة ٨٠ هـ.

ثم رَحَل. فقال يهجو ابنَ الزُّبَير ويمدَح ابن جعفر وابنَ عبَّاس رضي الله تعالى عنهم أجمعين: [الطويل]

ظَلِلْنَا بِمُسْتَنِّ الرِّياحِ غُدَيَّةً ... إلى أنْ تعالَى اليَوْمُ في شَرِّ مَحْضَرِ[1]

لَدَى ابْنِ الزُّبَيْرِ حابِسِينَ بِمَنْزِلٍ ... مِنَ الخَيْرِ وَالمَعْرُوفِ والرِّفْدِ مُقْفِرِ[2]

رَمَانا أبو بكرٍ وَقَدْ طالَ يَوْمُنا ... بِتَيْسٍ مِنَ الشَّاءِ الحِجَازِيِّ أعْفَرِ[3]

وَقَالَ اطْعَمُوا مِنْهُ وَنَحْنُ ثلاثَةٌ ... وَسَبْعُونَ إنساناً فيا لُؤْمَ مَخْبَرِ[4]

فَقُلْتُ لَهُ لا تَقْرِنا فأمامنا ... جِفَانُ ابن عَبَّاسٍ العُلاَ وابنِ جَعْفَرِ

وَكُنْ آمِناً وَانْعَقْ بِتَيْسِكَ إنَّهُ ... لَهُ أَعْنُزٌ يَنْزُو عليها وأَبْشِرِ[5]

أخبرني محمد بن عمْران الصَّيْرَفيّ قال: حدّثنا الحسن بن عُلَيْل العَنَزيّ قال: حدّثنا أبو عبد اللّه محمد بن معاوية الأسَدي قال: قدم معنٌ بن أَوْس المُزَنيّ البَصْرةَ، فقَعَد يُنْشِد في المِرْبَد، فوقف عليه الفرزدق فقال: يا مَعْنُ مَنِ الَّذي يقول:

[الوافر]

لَعَمْرُكَ مَا مُزَيْنَةُ رَهْطُ مَعْنٍ ... بأَخْفافٍ يَطَأْنَ ولا سَنَامِ

فقال معنٌ: أتَعْرف يا فرزدقُ الذي يقول: [الوافر]

لَعَمْرُكَ ما تَمِيمٌ أهْلُ فَلْجٍ ... بِأَرْدافِ المُلوكِ ولا كِرَامِ[6]

فقال الفرزدق: حَسْبُك! إنَّما جَرَّبْتُك. قال: قد جَرَّبتَ وأنت أعلم. فانصرف وتركه.

أخبرني هاشم بن محمد الخُزَاعيّ أبو دُلَفَ قال: حدّثنا الرِّياشيّ قال: حدّثنا الأصمَعيّ قال: دخلتُ خَضْرَاءَ رَوْح، فإذا أنا برجلٍ من وَلَده على فاحشةٍ يوماً، فقلتُ: قَبَحك الله! هذا موضِعٌ كانَ أبوك يَضْرِب فيه الأعناقَ ويُعْطِي اللُّهَى وأنت

(١) مستنّ الرياح: مهبها ومجراها ومضطربها.

(٢) حابسين: هنا: محبوسين. والرفد: العطاء.

(٣) أبو بكر: هو عبد الله بن الزبير. والأعفر: الذي لونه لون التراب.

(٤) اطعموا: كلوا.

(٥) نزا التيس على العنز: وثب عليها.

(٦) أرداف الملوك: هنا جلساء الملوك.

تفعل فيه ما أرى! فالتفتَ إليّ من غير أن يزولَ عنها وقال: [الوافر]

وَرِثْنـا المَجْدَ عن آباءِ صِدْقٍ ... أَسَأْنا في دِيارِهِمُ الصَّنِيعَا
إذا الحَسَبُ الرَّفيعُ تَوَاكَلَتْهُ ... بُنَاةُ السَّوْءِ أَوْشَكَ أن يَضِيعَا

قالَ: والشِّعر لمعن بن أَوْس المُزَنيّ.

أخبرني محمد بن جعفر النحويّ صهر المُبَرِّد قال: حدّثنا أحمد بن عُبَيْدٍ أبو عَصِيدةَ عن الجِرْمازِيّ قال: سافر معنُ بن أَوْس إلى الشأمِ وخَلَّف ابنتَه ليلَى في جِوَار عُمَر بن أبي سَلَمَة، - وأُمُّه أُمُّ سَلَمة أُمُّ المؤمنين رَضِيَ الله تعالى عنها - وفي جِوَار عاصم بن عُمَر بن الخَطَّاب رَضِي الله تعالى عنه. فقال له بعض عَشِيرته: على مَنْ خَلفْتَ ابنتَك ليلى بالحجاز وهي صبيّة ليس لها مَنْ يَكْفَلُها؟ فقال معن رحمه الله تعالى: [الطويل]

لَعَمْرُكَ ما لَيْلَى بِدَارِ مَضِيعَةٍ ... وما شَيْخُها أنْ غَابَ عَنْهَا بِخَائِفِ
وَإِنَّ لَهَا جَارَيْنِ لَنْ يَغْدرَا بِهَا ... رَبِيبَ النَّبِيِّ وابْنَ خَيْرِ الخَلائِفِ

أخبرني محمد بن عِمْران الصيرفيّ قال: حدّثنا الحسن بن عُلَيْلٍ العَنَزيّ قال: حدّثني مسعود بن بِشْر عن عبد الملك بن هِشام[1] قال: قال عبدُ المَلك بن مَرْوَانَ يوماً وعنده عِدَّةٌ من أهل بيته ووَلَدِه: لِيَقُلْ كلُّ واحد منكم أحسنَ شِعْرٍ سَمِع به؛ فذكروا لامرىء القيس والأعْشَى وطَرَفةَ فأكثروا حتَّى أتَوْا على مَحَاسنِ ما قالوا. فقال عبد الملك: أشعرُهم والله الذي يقول: [الطويل]

وذِي رَحِمٍ قَلَّمْتُ أَظْفَارَ ضِغْنِهِ ... بِحِلْمِيَ عَنْهُ وَهْوَ لَيْسَ لَهُ حِلْمُ
إِذَا سُمْتُهُ وَصْلَ القَرَابَةِ سامَنِي ... قَطِيعَتَها، تلكَ السَّفاهةُ والظُّلْمُ
فَأَسْعَى لِكَيْ أَبْنِي ويَهْدِمُ صَالِحِي ... وَلَيْسَ الَّذِي يَبْنِي كَمَنْ شأنُهُ الهَدْمُ
يُحاوِلُ رَغْمِي لا يُحاولُ غَيْرَهُ ... وَكالمَوْتِ عِنْدِي أنْ ينالَ لَهُ رَغْمُ
فَما زِلْتُ في لِينٍ لَهُ وتَعَطُّفٍ ... عَلَيْهِ كما تَحْنُو على الوَلَدِ الأمُّ
لأَسْتَلَّ مِنْهُ الضِّغْنَ حتَّى سَلَلْتُهُ ... وَإِنْ كانَ ذَا ضِغْنٍ يَضِيقُ به الحِلْمُ[2]

قالوا: وَمَنْ قائلها يا أمير المؤمنين؟ قال: مَعْنُ بن أَوْسٍ المُزَنيّ.

---

(١) عبد الملك بن هشام بن أيوب المعافري الحميري، مؤرخ، عالم بالأنساب واللغة وأخبار العرب صاحب كتاب السيرة المعروف بسيرة ابن هشام. توفي سنة ٢١٣ هـ.

(٢) الضغن: الحقد.

أخبرني عيسى بن حسين الورّاق قال: حدّثنا الزُّبَير بن بكّار قال: حدّثني سليمان بن عَيّاش السَّعْديّ عن أبيه قال: خرج معنُ بن أَوْس المُزَنيّ إلى البَصْرة ليمتارَ[١] منها ويَبِيع إبلاً له؛ فلمّا قَدِمَها نزل بقومٍ من عَشِيرتِه، فتولَّتْ ضِيافتَه امرأةٌ منهم يقال لها ليلى، وكانت ذاتَ جمالٍ ويَسَارٍ، فخَطَبها فأجابته فتزوّجها، وأقام عندها حولاً[٢] في أنْعم عيشٍ. فقال لها بعد حَوْلٍ: يابنةَ عمّ، إنِّي قد تركتُ ضَيْعةً لي ضائِعةً، فلو أذِنْتِ لي فاطَّلَعْتُ[٣] طِلْعَ أهلي ورَمَمْتُ[٤] من مالي! فقالت: كم تُقيم؟ قال: سنة، فأذنَتْ له. فأتى أهلَه فأقام فيهم وَأَزْمَنَ عنها (أي طال مُقَامه). فلمّا أبطأ عليها رحلتْ إلى المدينة فسألتْ عنه، فقيل لها: إنَّه بعَمْق (وهو ماءٌ لِمُزَيْنَةَ). فخرجتْ، حتّى إذا كانت قريبةً من عَمْقٍ نزلتْ منزلاً كَرِيماً. وأقبل مَعنٌ في طلب ذَوْدٍ له قد أضلَّها وعليه مِدْرَعةٌ[٥] من صُوفٍ وبَتٌّ من صوفٍ أخضرَ ـ قال: والبَتُّ: الطَّيْلَسان ـ وعِمامةٌ غليظةٌ. فلمّا رُفِع له القومُ مال إليهم لِيَسْتَسْقِي، ومع ليلى ابنُ أخٍ لها ومولًى من مَواليها جالسٌ أمام خِبَاءٍ له. فقال له معنٌ: هل من ماءٍ؟ قال: نَعَمْ، وإن شِئْتَ سوِيقاً، وإن شِئْت لبناً؛ فأناخ. وصاح مولَى ليلَى: يا مُنْهِلة ـ وكانت مُنْهِلةُ الوصيفةُ التي تقوم على مَعْنٍ عندهم بالبَصْرة ـ فلمّا أتته بالقَدَح وعَرَفها وحَسَر عن وَجْهه لِيشرَب عرفتْه وأَثْبَتَتْه[٦]، فتركت القَدَح في يده وأقبلتْ مسرعةً إلى مَوْلاتها فقالت: يا مولاتي، هذا والله معنٌ إلا أنّه في جُبَّةِ صُوفٍ وبَتِّ صوفٍ. فقالت: هو والله عَيْشُهم، اِلْحَقِي مولاي فقولي له: هذا معنٌ، فاحْبِسْه. فخرجتِ الوصيفةُ مُسْرِعةً فأخبرتْ. فوَضَع معنٌ القَدَحَ وقال له: دَعْني حتَّى ألقاها في غير هذا الزِّيّ. فقال: لستَ بارحاً حتَّى تدخل عليها. فلمّا رأته قالت: أهذا العيش الذي نزعتَ إليه يا معن! قال: إي والله يابنة عمٍّ، أمَا إنّك لو أقمتِ إلى أيّام الرَّبِيع حتَّى يُنْبِتَ البَلَدُ الخُزَامَى[٧] والرُّخَامَى والسَّخْبَر والكَمْأَةَ[٨]، لأَصَبْت عيشاً طيباً. فغسلتْ رأسَه وجَسَدَه، وألبسته ثياباً ليِّنة، وطيبته، وأقام معها ليلتَه أجمعَ يَهْرِجُهَا،

(١) يمتار: يذهب لجلب الطعام لأهله أو للبيع.

(٢) حولاً: سنة.

(٣) أطلع طلعه: عرف أمره.

(٤) رممت من مالي: أصلحت.

(٥) المِدْرَعةُ: جَبَّة مشقوقة المقدّم. وقيل ضرب من الثياب لا تكون إلا من الصوف الخاص.

(٦) أثبتته: عرفته حقّ المعرفة.

(٧) الخزامى والرُّخامى والسَّخْبَر والكَمْأة: نباتات.

ثم غدَا متقدِّماً إلى عَمْقٍ حتَّى أعدّ لها طعاماً ونَحَر ناقةً وغَنَماً. وقَدِمتْ على الحيّ، فلم تَبْقَ فيهم امرأةٌ إلاّ أتتها وسَلَّمتْ عليها، فلم تَدَعْ منهنّ امرأةً حتَّى وصلتْها. وكانت لمعنٍ امرأةٌ بعَمْقٍ يقال لها أمّ حِقَّةَ. فقالت لمعن: هٰذه والله خيرٌ لك منِّي، فطَلِّقْنِي، وكانت قد حملتْ فدَخَله من ذلك وقام. ثم إنّ ليلَى رحلتْ إلى مكة حَاجَّةً ومعنٌ معها. فلمّا فَرَغا من حَجِّهما انصرفا، فلمّا حَاذَيا مُنْعَرَجَ الطريق إلى عَمْقٍ قال معن: يا ليلى، كأن فؤادي يَنْعَرِجُ إلى ما ها هنا. فلو أقمتِ سَنَتنا هٰذه حتَّى نَحُجَّ من قَابلٍ ثم نَرْحَل إلى البَصْرة! فقالت: ما أنا ببارحةٍ مكانِي حتَّى تَرْحَل معي إلى البَصْرة أو تُطَلِّقَني. فقال: أمّا إذ ذكرتِ الطلاق فأنت طالق. فمضت إلى البصرة، ومضى إلى عَمْقٍ[1]. فلمَّا فارقته نَدِم وتَبِعَتْها نفسه؛ فقَال في ذلك: [الطويل]

تَـوَهَّـمْـتُ رَبْـعـاً بِـالـمُـعَـبِّـرِ واضِـحـاً ... أبَـتْ قَـرْتَـاهُ الـيـومَ إلاَّ تَـرَاوُحَـا[2]

أرَبَّـتْ عَـلَـيْـهِ رادَةٌ حَـضْـرَمِـيَّـةٌ ... وَمُـرْتَـجِـزٌ كـأنَّ فـيـهِ الـمَـصَـابِـحَـا[3]

إذا هِـيَ حَـلَّـتْ كَـرْبَـلاَءَ فَـلَـعْـلَـعـاً ... فَـجَـوْزَ الـعُـذَيْـبِ دُونَـهـا فَـالـنَّـوابِـحـا

وَبـانَـتْ نَـوَاهـا مِـنْ نَـوَاكَ وطـاوَعَـتْ ... مَعَ الشَّانِئِينَ الشامِتاتِ الكَوَاشِحَا[4]

فَـقُـولاَ لِـلَـيْـلَـى هَـلْ تُـعَـوِّضُ نَـادِمـاً ... لَـهُ رجْـعَـةٌ قَـالَ الـطَّـلاقَ مُـمَـازِحـا

فَـإِنْ هـي قـالـتْ لا فـقُـولا لـهـا بَـلَـى ... ألاَ تَـتَّـقِـيـنَ الـجـارِيـاتِ الـذَّوَابِـحـا

وهي قصيدةٌ طويلة. فلمّا انصرف وليستْ ليلى معه قالت له امرأته أُمّ حِقَّةَ: ما فعلتْ ليلى؟ قال: طَلَّقْتُها. قالت: واللّهِ لو كان فيك خيرٌ ما فعلتَ ذلك، فطَلِّقْني أنا أيضاً. فقال لها معنٌ: [الوافر]

أعـاذِلُ أَقْـصِـرِي وَدَعِـي بَـيَـاتِـي ... فَـإِنَّـكِ ذاتُ لَـوْمـاتٍ حُـمَـاتِ[5]

فَـإِنَّ الـصُّـبْـحَ مُـنْـتَـظَـرٌ قَـرِيـبٌ ... وَإِنَّـكِ بـالـمَـلاَمَـة لـن تُـفَـاتـي

(١) عَمْقٌ: اسم لعدة مواضع (معجم البلدان ٤/ ١٥٦).

(٢) معبّر: جبل من جبال الدهناء، وقيل إنه موضع تلقاء الوتدات من البقيع (معجم البلدان ٥/ ١٥٤). وقرتاه: الغداة والعشيّ.

(٣) أربّتْ: أقامت. وحَضرميَّة: نسبة إلى حضرموت، أي تُقبل من الجنوب. والمرتجز: السحاب المليء بالماء يتخلّله برق ورعد.

(٤) النّوى: الوجه الذي يذهب فيه.

(٥) بياتي: لومي - والحمات: جمع حمة وهي السم.

نَـأَتْ لَـيْـلَـى فَـلَـيْـلَـى لا تُـوَاتِـي وَضَـنَّـتْ بـالـمَـوَدَّة والـبَـتَـاتِ[١]
وَحَـلَّـتْ دارَهـا سَـفَـوانَ بَـعْـدِي فـذا قَـارٍ فَـمُـنْـخَـرَقَ الـفُـرَاتِ[٢]
تُـراعِـي الـرِّيـفَ دائِـبَـةً عَـلَـيْـهـا ظِـلالَ أَلَـفَّ مُـخْـتَـلِـطِ الـنَّـبَـاتِ[٣]
فَـدَعْـهـا أو تَـنَـاوَلْـهـا لِـعَـنْـسٍ مِـنَ الـعِـيـدِيِّ فـي قُـلُـصٍ شِـخَـاتِ[٤]

وهي قصيدة طويلة. قال: وقال لأمّ حِقَّة في مُطَالبتها إيّاه بالطلاق: [الطويل]

كـأنْ لَـمْ يَـكُـنْ يـا أُمَّ حِـقَّـةَ قَـبْـلَ ذا بِـمَـيْـطـانَ مُـصْـطـافٌ لَـنـا وَمَـرَابِـعُ[٥]
وَإذْ نَحْنُ في غُصْنِ الشَّبابِ وَقَدْ عسَا بِـنـا الآن إلاَّ أنْ يُـعَـوَّضَ جـازِعُ[٦]
فَـقَـدْ أَنْـكَـرَتْـهُ أُمُّ حِـقَّـةَ حـادِثـاً وَأَنْـكَـرَهـا مـا شِـئْـتَ وَالـوُدُّ خـادِعُ
ولـو آذَنَـتْـنـا أُمُّ حِـقَّـةَ إذ بِـنـا شَـبـابٌ وإذْ لَـمَّـا تَـرُعْـنـا الـرَّوَائِـعُ
لَـقُـلْـنـا لَـهـا بِـيـنِـي بِـلَـيْـلٍ حَـمِـيـدَةً كَـذاكِ بـلا ذمٍّ تُـؤَدَّى الـوَدائِـعُ

صوت [الطويل]

أعـابِـدُ حُـيِّـيـتُـمْ عـلى الـنَّـأْيِ عَـابِـدَا سـقَـاكِ الإِلٰـهُ الـمُـنْـشَـآتِ الـرَّواعِـدا
أعـابِـدَ مـا شَـمْـسُ الـنَّـهـارِ إذا بَـدَتْ بـأَحْـسَـنَ مِـمَّـا بـيـنَ عَـيْـنَـيْـكِ عَـابِـدا

ويُرْوَى:

أعـابِـدُ مـا شَـمْـسُ الـنَّـهـارِ بَـدَتْ لـنـا

ويروى:

أعـابِـدُ مـا الـشَّـمْـسُ الَّـتِـي بَـرَزَتْ لـنـا بـأَحْـسَـنَ مِـمَّـا بـيـنَ ثَـوْبَـيْـكِ عـابِـدا

الشعر للحسين بن عبد اللّه بن عُبَيْد اللّه بن العبّاس بن عبد المُطَّلب. والغناء لِعَطَرَّد ثاني ثَقِيلٍ بالبِنْصَر. وفيه ليونس لحنٌ من كتابه غير مُجَنَّس.

---

(١) البتات: الزاد.
(٢) سفوان: اسم لموضعين (معجم البلدان ٣/ ٢٢٥). وذو قار: ماء لبكر بن وائل قريب من الكوفة بينها وبين واسط. (معجم البلدان ٤/ ٢٩٣).
(٣) الألفّ من الشجر: الشجر الكثير الملتفّ على بعضه.
(٤) العنس: القوية. والعيدِيّ: نسبة إلى عيد: فحل معروف تنسب إليه النجائب العيدية. والقلص: جمع قلوص: وهي الشابة من الإبل. والشَّخَات: جمع شختة وهو الدقيقُ الضامرُ.
(٥) ميطان: اسم لعدة مواضع. (معجم البلدان ٥/ ٢٤٣).
(٦) عسا النبات: يبس.

أخبار الحسين بن عبد الله

[نسبه وأخباره]

قد تقدّم نسبُه، وهو أشهر من أن يُعاد. ويُكْنَى أبا عبد اللّه. وكان من فِتْيان بني هاشم وظُرَفائهم وشُعَرائهم. وقد روَى الحديثَ وحُمِلَ عنه، وله شِعْرٌ صالح. وهذه الأبيات يقولها في زوجته عابدة بنت شُعَيْب بن محمد بن عبد اللّه بن عمرو بن العاص، وهي أخت عمرو بن شُعَيْب[1] الذي يُرْوَى عنه الحديث. وفيها يقول قبلَ أن يتزوّجها: [الطويل]

أَعـاذِلُ إِنَّ الـحُـبَّ لا شَـكَّ قـاتِـلِـي ... لَئِنْ لم تُقَارِضْنِي هَوَى النَّفْسِ عابِدَهْ
أَعابِدُ خَافِي اللَّهَ في قَتْلِ مُسْلِمٍ ... وَجُـودِي عَـلَـيْـهِ مَـرَّةً قَـطُّ واحِـدَهْ
فـإنْ لـم تُـرِيـدِي فِـيَّ أَجْـراً ولا هَـوًى ... لَـكُـمْ غَـيْـرَ قَـتْـلِي يـا عُـبَـيْـدَ فَـرَاشِـدَهْ
فَكَـمْ لـيـلـةٍ قد بِتُّ أَرْعَـى نُـجُومَـهـا ... وَعَـبْـدَةُ لا تَـدْرِي بـذلـكَ راقِـدَهْ

الغناء لحَكَم الواديّ، رملٌ بإطلاق الوتر في مجرى البِنْصر، عن إسحاق.

فمِمَّا حُمِلَ عنه من الحديث ما حدّثني به أحمد بن سَعِيد قال: حدّثني محمد بن عُبَيْد اللّه بن المُنَادِي قال: حدّثني يونس بن محمد قال: حدّثنا أبو أُويْس عن حُسَيْن بن عبد اللّه بن عُبَيْد اللّه بن عبّاس عن عكرمةَ عن ابن عبّاس قال: مرّ النبيّ ﷺ على حَسَّان بن ثابت وهو في ظلّ فارعٍ[2] وحولَه أصحابُه وجاريتُه سِيرِينُ تُغَنِّيه بِمِزْهَرِها[3]: [المقتضب]

هَـلْ عَـلَـيَّ وَيْـحَـكُـمَـا ... إِنْ لَـهَـوْتُ مِـنْ حَـرَجِ

---

(١) عمرو بن شُعَيْب: هو عمرو بن شعيب بن محمد السهمي القرشي أبو إبراهيم، من رجال الحديث (ت ١١٨ هـ/٧٣٦ م) ترجمته في (تهذيب التهذيب ٨: ٤٨، وميزان الاعتدال ٢: ٢٨٩).

(٢) فارع: حصن في المدينة كان لحسان بن ثابت. (معجم البلدان ٤/٢٢٨).

(٣) المِزْهَرُ: العود (آلة من آلات الطرب).

فضحِك النبيّ ﷺ ثم قال: «لا حَرَجَ إنْ شاء الله».

وكانت أُمّ عابدةَ هذه عمَّةَ حسين بن عبد الله بن عُبَيْد الله، أُمّها عَمْرةُ بنت عُبَيْد الله بن العبّاس، تزوّجها شُعيْب فولدتْ له محمداً وشُعَيْباً ابْنَي شُعَيْب وعابِدةَ، وكان يقال لها عَابِدةُ الحُسْن، وعابِدةُ الحسناء.

أخبرني الحَرَمِيّ بن أبي العَلاَء والطُّوسيّ قالا: حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال: حدّثني محمد بن يحيى قال: خَطَبَ عابدةَ بنتَ شُعَيْبٍ بَكّارُ بن عبد الملك وحُسَيْن بن عبد الله، فامتنعتْ على بَكّار وتزوّجتِ الحُسَيْن. فقال له بَكّار: كيف تَزوّجتْك العابِدةُ واختارتْكَ مع فَقْرِك؟ فقال له الحسين: أَتُعَيِّرُنا بالفَقْرِ وقد نَحَلَنا الله تعالى الكَوْثَرَا!

أخبرني الحَرَمِيّ والطُّوسِيّ قالا: حدّثنا الزُّبير بن بكّار عن عَمِّه قال: كان حُسَيْن بن عبد الله أُمُّه أُمُّ وَلَدٍ، وكان يقول شيئاً من الشِّعر، وتزوّج عابدةَ بنت شُعَيْبٍ وولدتْ منه، وبسَبَبها رُدَّتْ على وَلَدِ عَمْرو بن العاص أموالُهم في دولة بني العبّاس. وكان عبدُ الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر صديقاً له، ثم تنكر ما بينهما؛ فقال فيه ابن مُعاوية: [مجزوء الكامل]

إنَّ ابْـنَ عَـمِّـكَ وابْـنَ أُمِّـكَ ... مُـعْـلَـمٌ شـاكِـي الـسِّـلاَحِ
يَـقِـصُ الـعَـدُوَّ وَلَـيْـسَ يَـرْ ... ضَـى حـيـن يَـبْـطِـشُ بـالـجِـرَاحِ[1]
لا تَـحْـسَـبَـنَّ أَذَى ابـنِ عَـمِّـكَ شُـ ... ـرْبَ أَلْـبَـانِ الـلِّـقَـاحِ[2]
بَـلْ كَـالـشَّـجَـاةِ وَرا الـلَّـهَـا ... ةِ إذَا تُـسَـوَّغُ بِـالـقَـرَاحِ[3]
فـاخْـتَـرْ لِـنَـفْـسِـكَ مَـنْ يُـجِـيـ ... ـبُـكَ تَـحْـتَ أَطْـرَافِ الـرِّمَـاحِ
مَـنْ لا يَـزالُ يَـسُـوؤُهُ ... بِـالـغَـيْـبِ أَنْ يَـلْـحَـاكَ لاَحِ[4]

فقال حسين له: [مجزوء الكامل]

أَبْـرِقْ لِـمَـنْ يَـخْـشَـى وَأَوْ ... عِـدْ غَـيْـرَ قَـوْمِـكَ بـالـسِّـلاحِ

(١) وقصه: كسره.

(٢) اللِّقاح: جمع لقحة وهي الناقة الحلوب.

(٣) الشَّجا: ما يعترض في الحلق من عظم ونحوه. واللهاة: اللَّحمة المشرفة على الحلق. والقراح: الماء لا يخالِطهُ ثفلٌ من سويق وغيره.

(٤) لحاه: شتمه.

لَسْنا نُقِرُّ لِقائِلٍ إلاَّ المُقَرَّطَ بالصَّلاَحِ(١)

قال: ولحسين يقول ابنُ مُعاوية: [الخفيف]

قُلْ لِذِي الوُدِّ وَالصَّفاءِ حُسَيْنٍ اقْدُرِ الوُدَّ بَيْنَنا قَدَرَهْ
لَيْسَ لِلدَّابِغِ المُحَلِّمِ بُدٌّ من عتابِ الأدِيمِ ذي البَشَرَهْ(٢)
لَسْتُ إنْ رَاغَ ذو إخاءٍ وَوُدٍّ عَنْ طَرِيقٍ بِتَابِعٍ أَثَرَهْ(٣)
بَلْ أُقِيمُ القَناةَ والوُدَّ حَتَّى يَتْبَعَ الحَقَّ بَعْدُ أو يَذَرَهْ

أخبرني محمد بن مَزْيَد قال: حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن محمد بن سلاَّم قال: كان مالك بن أبي السَّمْح الطائي المُغَنِّي صديقاً للحسين بن عبد الله بن عُبَيد الله بن العبّاس ونديماً له، وكان يتغنّى في أشعاره. وله يقول الحسين رحمه الله تعالى:

لا عَيْشَ إلاَّ بمالِكِ بْنِ أبي السَّمْـ ـحِ فلا تَلْحَنِي ولا تَلُمِ
أَبْيَضُ كالسَّيْفِ أو كَما يَلْمَعُ الْـ ـبارِقُ في حِنْدِسٍ مِنَ الظُّلَمِ
يُصِيبُ مِنْ لَذَّةِ الكَرِيمِ ولا يَهْتِكُ حَقَّ الإِسْلامِ والحُرَمِ
يا رُبَّ لَيْلٍ لنا كحاشِيَةِ الْـ ـبُرْدِ وَيَوْم كذاكَ لَمْ يَدُمِ
قد كُنْتُ فيه ومالِكُ بن أبي السَّمْـ ـحِ الكَرِيمُ الأخْلاقِ وَالشِّيَمِ
مَنْ لَيْسَ يَعْصِيكَ إنْ رَشَدْتَ ولا يَجْهَلُ آيَ التَّرْخِيص في اللَّمَمِ(٤)

قال: فقال له مالك: ولا إنْ غَوَيْتَ والله بأبي أنت وأمي أَعْصِيك. قال: وغنّى مالكٌ بهذه الأبيات بحَضْرة الوليد بن يزيد(٥)، فقال له: أخطأ حسين في صِفَتك، إنما كان ينبغي أن يقول:

أحْوَل كالقِرْدِ أو كما يَخْرُجُ الـ ـسَّارِقُ في حالِكٍ مِنَ الظُّلَمِ

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال: كان الحسين بن عبد

(١) المقرَّط: الموسوم.
(٢) الدابغ: الذي يدبغ الجلود. والمحلِّم: الذي ينزع الحلم عن الجلد. والأديم: الجلد.
(٣) راغ الرجل عن الطريق: حاد.
(٤) اللَّمَمُ: الذنب الصغير يلمّ به الإنسان.
(٥) الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان، أبو العباس. له شعر رقيق وعلم بالموسيقى. (ت ١٢٦ هـ ٧٤٤ م) ترجمته في (ابن الأثير ٥/ ١٠٣، والطبري ٨/ ٦٥).

اللّه بن عبيد اللّه بن العباس إذا صلَّى العصرَ دخل منزلَه سمع الغناءَ عشيته. فأتاه قومٌ ذاتَ عشيّةٍ في حاجةٍ لهم فقضاها، ثم جلسوا يحدِّثونه. فلما أطالوا قال لهم: أتأذَنون؟ فقالوا: نعم. فقام في أصحاب له وهو يقول: **[الطويل]**

قُومُوا بنا نُدْرِكْ مِنَ العَيْش لَذَّةً ولا إثْمَ فيها لِلتَّقيِّ ولا عارَا

صوت

[الخفيف]

إنَّ حَرْباً وإنَّ صَخْراً أبا سُفْـ ـيانَ حازَا مَجْداً وَعِزّاً تَلِيدَا
فَهُما وَارِثا العُلاَ عَنْ جُدُودٍ وَرِثُوها آباءَهُمْ والجُدودَا

الشعر لفَضَالةَ بن شَرِيكٍ الأسَديّ من قصيدةٍ يمدَح بها يزيدَ بن مُعاوية. وبعد هذين البيتين يقول:

وَحَوَى إرْثَها مُعاوِيَةُ القَرْ مُ وَأَعْطَى صَفْوَ التُّراثِ يَزِيدَا[١]

والغناء لإبراهيم بن خالد المُعَيْطِيّ ثقيلٌ أوّلُ بالبِنْصَر عن الهشاميّ. والله أعلم.

---

(١) القَرْمُ: السيد.

أخبار فَضَالةَ بن شَرِيكٍ ونسبه

[توفي بعد ٦٤ هـ/ بعد ٦٨٤ م]

[نسبه وأخباره]

هو فَضَالةُ بن شَرِيكِ بن سَلْمان بن خُوَيْلِد بن سَلَمَةَ بن عامرِ مُوقِدِ النّار بن الحَرِيشِ بن نُمَيْر بن والِبَةَ بن الحارث بن ثَعْلَبَةَ بن دُودَان بن أَسَد بن خُزَيْمةَ بن مُدْرِكةَ بن إلياس بن مُضَر بن نِزارٍ. وكان شاعراً فاتكاً صُعْلوكاً مُخَضرَماً أدرك الجاهليّة والإسلام. وكان له ابنانِ شاعران، أحدُهما عبدُ الله بن فَضَالةَ الوافِدُ على عبد الله بن الزُّبَير والقائل له: إنّ ناقتي قد نَقِبتْ ودَبِرتْ[١]؛ فقال له: ارْقَعْها بجِلْدٍ واخْصِفْها[٢] بهُلْبٍ[٣] وسِرْ بها البَرْدَيْن[٤]. فقال له: إنّي قد جئتك مُسْتَحمِلاً لا مستشيراً، فلعَنَ الله ناقةً حملتني إليك. فقال له ابن الزُّبير: إنّ[٥] وراكِبَها. فانصرف من عنده وهو يقول: [الوافر]

أقُولُ لِغِلْمَتِي شُدُّوا رِكَابِي ... أُجَاوِزْ بَطْنَ مَكَّةَ في سَوَاد[٦]
فَمَا لي حِينَ أَقْطَعُ ذاتَ عِرْقٍ ... إلى ابْنِ الكاهِلِيَّةِ مِنْ مَعَادِ[٧]
سَيُبْعِدُ بَيْنَنا نَصُّ المَطَايَا ... وتَعْلِيقُ الأَدَاوَى والمَزَادِ[٨]

---

(١) نقِب البعير: رقت أخفافُهُ.
(٢) الخصف: الخرز، أي أن يطبق على بعضه ويخرز.
(٣) الهُلب: الشعر، واحدته هلبة.
(٤) البردان: الغداة والعشي.
(٥) إنّ: نعم.
(٦) بطن مكة: هو بطن مرٍّ من نواحي مكة. (معجم البلدان ١/٤٤٩). وفي سواد: ظلام الليل.
(٧) ذات عرق: موضع يحد بين نجد وتهامة. (معجم البلدان ٤/١٠٧). وابن الكاهلية: أراد ابن الزبير.
(٨) نصُّ المَطايا: حثها واستخراج ما عندها من السير. والأداوَى: جمع إداوة: وهي وعاء يوضع فيه الماء، والمزاد: ظرف من الجلد يستعمل لشرب الماء.

وَكُـلُّ مُـعَـبَّـدٍ قَـدْ أعْـلَـمَـتْـهُ ... مَـنَـاسِـمُـهُـنَّ طَـلاّعِ الـنِّـجَـادِ[١]
أرَى الـحـاجـاتِ عِـنْـدَ أبـي خُـبَـيْـبٍ ... نَـكِـدْنَ ولا أُمَـيَّـةَ بـالـبِـلادِ[٢]
مِـنَ الأغْـيـاصِ أو مِـنْ آل حَـرْبٍ ... أَغَـرُّ كـغُـرَّةِ الـفَـرَسِ الـجَـوَادِ[٣]

حدّثنا بذلك محمد بن العبّاس اليزيديّ قال: حدّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز المدائني. فأمّا فاتكُ بن فَضَالَةَ فكان سَيِّداً جَواداً. وله يقول الأُقَيْشِر يمدَحه:

يـا فـاتِـكُ بْـنَ فَـضَـالَـةَ بـن شَـرِيـكٍ ... وَفَـدَ الـوُفُـودُ فَـكُـنْـتَ أفْـضَـلَ وَافِـدِ

أخبرني بما أذكُر من أخباره ها هنا مجموعاً عليّ بن سليمان الأخفش قال: حدّثنا أبو سعيدٍ السُّكّريّ عن محمد بن حَبِيب، وما ذكرته متفرّقاً فأنا ذاكرٌ إسنادَه عمن أخذتُه.

[هجاؤه عاصم بن عمر وهربه]

قال ابنُ حبيب: مرّ فَضالةُ بن شَرِيكٍ بعاصم بن عُمَر بن الخطّاب ـ رضي الله عنهما ـ وهو مُتَبَدٍّ[٤] بناحية المدينة، فنزل به فلم يَقْرِه شيئاً ولم يَبْعَثْ إليه ولا إلى أصحابه بشيءٍ، وقد عَرَّفوه مكانَهم. فارتحلوا عنه. والتفت فَضالةُ إلى مولًى لعاصم فقال له: قُلْ له: أمَا واللّهِ لأُطَوِّقَنَّك طَوْقاً لا يبلَى. وقال يهجوه: [الطويل]

ألاَ أيُّها الباغِي القِرَى لَسْتَ واجداً ... قِـرَاكَ إذا مـا بِـتَّ فـي دارِ عـاصِـمِ
إذَا جِـئْـتَـهُ تَـبْـغِـي الـقِـرَى بَـاتَ نَـائِـمـاً ... بَـطِـيـنـاً وَأمْـسَـى ضَـيْـفُـهُ غَـيْـرَ نـائِـمِ
فَـدَعْ عـاصِـمـاً أُفٌّ لأفْـعـالِ عـاصِـمِ ... إذا حُـصِّـلَ الأقْـوامُ أهْـلُ الـمَـكَـارِمِ
فَـتًـى مِـنْ قُـرَيْـشٍ لا يَـجُـودُ بِـنَـائِـلٍ ... ويَـحْـسَـبُ أنّ الـبُـخْـلَ ضَـرْبَـةُ لازِمِ[٥]
وَلَـوْلا يَـدُ الـفَـارُوقِ قَـلَّـدْتُ عـاصِـمـاً ... مُـطَـوَّقَـةً يُـحْـدَى بـهـا فـي الـمَـوَاسِـمِ
فَـلَـيْـتَـكَ مِـنْ جَـرْمِ بـن زَبَّـانَ أو بَـنِـي ... فُـقَـيْـمٍ أو الـنَّـوْكَـى أبَـانَ بـن دَارِمِ

---

(١) المعبد: الطريق الواضح الممهد، وأعلمته مناسمهن: أثّرت فيه أخفافها، والنِّجاد: جمع نجد: وهو الأرض المرتفعة.
(٢) أبو خُبيبٍ: كنية عبد الله بن الزبير، ونَكِد الحاجة: لم يقضها.
(٣) الأغرّ: الكريم الفعال.
(٤) المتبدّي: ساكن البادية.
(٥) النائل: العطاء.

أُنَاسٌ إذا ما الضَّيْفُ حَلَّ بُيُوتَهم ... غَدَا جائعاً عَيْمانَ لَيْسَ بِغَانِم[(١)]

قال: فلمّا بلغتْ أبياتُه عاصماً استعدَى عليه عمرَو بن سَعِيدِ بن العاص وهو يومئذٍ بالمدينة أميرٌ، فهرَب فَضَالةُ بن شَرِيكٍ فلَحِق بالشأم، وعاذ بيزيدَ بن مُعاوية وعَرَّفه ذَنْبَه وما تَخَوَّف من عاصم؛ فأعاذه، وكتب إلى عاصم يُخبره أنّ فضالةَ أتاه مستجيراً به، وأنّه يُحِبّ أن يَهَبَه له. ولا يذكر لمعاوية شيئاً منّ أمره، ويَضْمن له ألاَّ يعود لهجائه؛ فقَبِل ذلك عاصمٌ وشَفَّع يزيدَ بن معاوية. فقال فَضَالة يمدَح يزيدَ بن معاوية:

إذَا ما قُرَيْشٌ فَاخَرَتْ بِقَدِيمها ... فَخَرْتَ بمَجْدٍ يا يَزِيدُ تَلِيدِ

بِمَجْدِ أمِيرِ المؤمنينَ ولم يَزَلْ ... أبوكَ أمِينُ الله غَيْرَ بَلِيدِ

بِهِ عَصَمَ اللَّهُ الأنامَ مِنَ الرَّدَى ... وأدركَ تَبْلاً من مَعَاشِرَ صِيدِ[(٢)]

وَمَجْدِ أبي سُفْيان ذِي الباعِ والنَّدَى ... وَحَرْبٍ وما حَرْبُ العُلاَ بزَهِيدِ

فمَنْ ذا الذي إنْ عَدَّدَ النّاسُ مَجْدَهُمْ ... يَجِيء بمَجْدٍ مثْلِ مَجْدِ يَزِيدِ

وقال فيه القصيدةَ المذكور فيها الغناءُ في هذه القصّة بعينها.

أخبرني عليّ بن سليمان الأخْفَش قال: حدّثني السُّكَّريّ عن ابن حَبِيب قال: كان عبد اللّه بن الزُّبَيْر قد وَلَّى عبد اللّه بن مُطِيع بن الأسْوَد بن نَضْلةَ بن عُبَيْد بن عَوِيج بن عَدِيّ بن كَعْب، الكوفةَ، فَطَرده عنها المختار بن أبي عُبَيْد حين ظَهَر؛ فقال فَضَالةُ بن شَرِيكٍ يهجو ابن مُطِيع: [الطويل]

دعا ابنُ مُطِيعٍ لِلْبَاعِ فَجِئْتُهُ ... إلى بَيْعةٍ قَلْبي بِهَا غَيْرُ عارِفِ

فَقَرَّبَ لي خَشْنَاءَ لَمَّا لَمَسْتُها ... بِكَفِّيَ لَمْ تُشْبِهْ أكُفَّ الخَلاَئِفِ

مُعَوَّدةً حَمْلَ الهَرَاوَى لِقَوْمِهَا ... فَرُوراً إذا ما كانَ يَوْمُ التَّسَايُفِ[(٣)]

مِنَ الشَّثِناتِ الكُرْمِ أنْكَرْتُ لَمْسَها ... وَلَيْسَتْ من البِيضِ السِّبَاطِ اللَّطائفِ[(٤)]

وَلَمْ يُسْمِ إذْ بايَعْتُهُ مِنْ خَلِيفَتِي ... وَلَمْ يَشْتَرِطْ إلاَّ اشْتِرَاطَ المُجَازِفِ

---

(١) عيمان: عطشان.

(٢) التبل: الثأر. والصيد: جمع أصيد. وهو الذي لا يلتفت من زهوه يميناً وشمالاً.

(٣) الفرور: المتعود على الفرار، السريع إليه. والتسايف: التضارب، بالسيوف.

(٤) يد شثنة خشناء: غليظة خشنة.

مَتَى تَلْقَ أَهْلَ الشَّأْمِ في الخَيْلِ تَلْقَنِي ... عَلَى مُقْرَبٍ لا يُزْدَهَى بالمَجَاذِفِ[1]

مُمَرٍّ كبُنْيانِ العِبَادِيِّ مُخْطَفٍ ... مِنَ الضَّارِيَاتِ بالدِّماءِ الخَوَاطِفِ[2]

وقال ابن حبيب في هذا الإسناد: تزوّج عامرُ بن مسعود بن أُمَيَّةَ بن خَلَفٍ الجُمَحيّ امرأةً من بني نَصْر بن مُعاوية، وسأل في صَدَاقِها بالكوفة، فكان يأخذ من كلّ رجلٍ سأله دِرْهَمَيْنِ درهمين. فقال له فَضَالةُ بن شَرِيكٍ يهجوه بقوله: [البسيط]

أَنْكَحْتُمُ يا بَنِي نَصْرٍ فَتَاتَكُمُ ... وَجْهاً يَشِينُ وُجُوهَ الرَّبْرَبِ العِينِ[3]

أَنْكَحْتُمُ لا فَتَى دُنْيَا يُعاشُ بِهِ ... ولا شُجَاعاً إذا انْشَقَّتْ عَصَا الدِّينِ

قَدْ كُنْتُ أَرْجُو أبا حَفْصٍ وسُنَّتَهُ ... حَتَّى نَكَحْتَ بِأَرْزَاقِ المَسَاكِينِ

وقال ابن حبيب في هذا الإسناد: أَوْدَعَ فضالةُ بن شَرِيكٍ رجلاً من بني سُلَيْم يقال له قيس ناقةً، فخرَج في سفَرٍ، فلمَّا عاد طَلَبها منه، فذكر أنّها سُرِقتْ. فقال فيه: [المتقارب]

وَلَوْ أَنَّنِي يَوْمَ بَطْنِ العَقِيقِ ... ذَكَرْتُ وَذو اللُّبِّ يَنْسَى كَثِيرَا

مُصَابَ سُلَيْمٍ لِقَاحَ النَّبِيِّ لَمْ ... أُودِعِ الدَّهْرَ فِيهِمْ بَعِيرَا

وقد فاتَ قَيْسٌ بِعَيْرَانَةٍ ... إذا الظِّلُّ كانَ مَدَاهُ قَصِيرَا[4]

مِنَ اللاعِباتِ بِفَضْلِ الزِّمَامِ ... إذا أَقْلَقَ السَّيْرُ فيهِ الضُّفُورَا[5]

وَمَنْ يَبْكِ مِنْكُمْ بَنِي مُوقِدٍ ... وَلَمْ يَرَهُمْ يَبْكِ شَجْواً كَبِيرَا

هُمُ العَاسِفُونَ صِلابُ القَنَا ... إذا الخَيْلُ كانَتْ مِنَ الطَّعْنِ زُورَا[6]

وأَيْسَارُ لُقْمَانَ إذْ أُمْحِلُوا ... وَعِزٌّ لِمَنْ جاءَهُمْ مُسْتَجِيرَا[7]

فإنْ أنا لَمْ يُقْضَ لِي أَلْقَهُمْ ... قَرَأْتُ السَّلامَ عَلَيْهِمْ كَثِيرا

---

(١) المقرب من الخيل: الكريم على صاحبه، لذلك يقرب إليه مربطه ومعلفه. ولا يزدهى: لا يستخفّ. والمجاذف: ما يرمى به.

(٢) المُمَرّ: الموثق الخلق. والعبادي: نصراني من نصارى الحيرة. والمخطف: الضامر. وضري بالشيء: لهج به، أغرم به.

(٣) الربرب: القطيع من البقر الوحشي، والعين: جمع عيناء، وهي الواسعة العينين.

(٤) العيرانة: الناقة القوية النشيطة.

(٥) الضفور: جمع ضفر، وهو الشعر المضفور يشدّ به البعير.

(٦) أزورّ: مال.

(٧) الأيسار: أصحاب القداح المجتمعون على الميسر.

وذكر ابنُ حبيب في هذه الرواية أنّ القصيدةَ التي ذَكَرْتُها عن المدائنيّ في خبر عبد الله بن فَضَالةَ بن شَرِيكٍ مع ابن الزُّبَير كانتْ مع فَضالةَ وابنِ الزُّبير لا مع ابنه، وذَكَر الأبيات وزادَ فيها: [الوافر]

شَكَوْتُ إلَيْهِ أنْ نَقِبتْ قَلُوصِي ... فَرَدَّ جَوَابَ مَشْدُودِ الصِّفادِ[١]

يَضَنُّ بِناقَةٍ وَيَرُومُ مُلْكاً ... مُحالٌ ذٰلِكُمْ غَيْرُ السَّدَادِ[٢]

وَلِيتَ إمارةً فَبَخِلْتَ لَمَّا ... وَلِيتَهُمُ بِمُلْكٍ مُسْتَفادِ

فإنْ ولِيَتْ أُمَيَّةُ أَبْدَلُوكُمْ ... بِكُلِّ سَمَيْدَعٍ وارِي الزِّنادِ[٣]

مِنَ الأَعْياص أوْ مِنْ آلِ حَرْبٍ ... أَغَرَّ كَغُرَّةِ الفَرَسِ الجَوَادِ

إذا لَمْ أَلْقَهُمْ بِمِنًى فإنِّي ... بِبَيْتٍ لا يَهَشُّ لَهُ فُؤادي

سَيُدْنِيني لَهُمْ نَصُّ المَطايَا ... وَتَعْلِيقُ الأَدَاوَى والمَزَادِ

وَظَهْرُ مُعَبَّدٍ قَدْ أَعْلَمَتْهُ ... مَناسِمُهُنَّ طَلاَّعَ النِّجادِ

رَعَيْنَ الحَمْضَ حَمْضَ خُناصِراتٍ ... وما بالعِرْقِ من سَبَلِ الغَوادِي[٤]

فَهُنَّ خَواضِعُ الأَبْدانِ قُودٌ ... كأَنَّ رُؤُوسَهُنَّ قُبورُ عادِ

كأَنَّ مَواقِعَ الغِرْبانِ مِنْها ... مَنَاراتٌ بُنِينَ على عِمَادِ[٥]

قال: فلمّا وَلِي عبدُ الملك بعث إلى فضالةَ يطلبُه، فوجده قد مات، فأمر لورثته بمائة ناقةٍ تحمل وِقْرَها بُرًّا وتَمْراً. قال: والكاهليّة التي ذكرها زُهْرةُ بنتُ خُنْثَرٍ امرأةٌ من بني كاهلِ بن أَسَدٍ، وهي أُمُّ خُوَيْلد بن أَسَد بن عبد العُزَّى.

صوت

[الطويل]

لقدْ طالَ عَهْدِي بالإمام مُحَمَّدٍ ... وما كُنْتُ أَخْشَى أن يطولَ به عَهْدِي

فأَصْبَحْتُ ذَا بُعْدٍ ودارِي قَرِيبَةٌ ... فَوَاعَجَبًا من قُرْبِ دارِي وَمِنْ بُعْدِي

فيا ليتَ أنّ العِيدَ لِي عادَ يَوْمُهُ ... فإنِّي رأيتُ العِيدَ وَجْهَك لي يُبْدِي

رَأَيتُكَ في بُرْدِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ... كبَدْرِ الدُّجَى بَيْنَ العِمَامَةِ والبُرْدِ

---

(١) نقبت قلوصي: حفيت أخفاف ناقتي ورقّت. والصفاد: الوثاق والقيد.

(٢) يضنّ: يبخل.

(٣) السميدع: السيد الكريم، ووراي الزناد: كناية عن أنه ينجح فيما يرومه ويعمل لأجله.

(٤) خناصرة: بلدة من أعمال حلب نحو البادية (معجم البلدان ٢/ ٣٩٠). وسبل الغوادي: مطرها.

(٥) الغربان: جمع غراب، وهو طرف الورك الأسفل الذي يلي الفخذ.

الشعر لأبي السِّمْط مروان الأصغر بن أبي الجَنُوبِ بن مَرْوان الأكبر بن أبي حَفْصةَ. والغناء لبنَانٍ خفيفُ رملٍ مطلق ابتداؤه ونشيد. وذكر الصُّوليّ أنّ هذا الشعر ليحيى بن مروان. وهذا غلط قبيح.

أخبار مروان الأصغر

[شعره وبعض أخباره]

قد مرّ نسبه ونسب أبيه وأهله وأخبارهم مُتَقَدِّماً. وكان مروان هذا آخرَ مَنْ بَقِي منهم يُعَدّ في الشعراء، وبقي بعده منهم مُتَوَّجٌ. وكان ساقطاً بارد الشِّعر. فذُكِر لي عن أبي هِفَّان أنه قال: شِعْرُ آل أبي حَفْصةَ بمنزلة الماء الحارّ، ابتداؤه في نهاية الحرارةِ ثم تَلِين حرارته، ثم يفتُر ثم يَبْرُد، وكذا كانت أشعارهم، إلا أنّ ذلك الماء لمّا انتهى إلى مُتَوَّج جَمَد.

وهذا الشعر يقوله مَرْوان في المُنْتَصر[١]، وكان قد أقصاه[٢] وجفاه، وأظهر خِلافاً لأبيه في سائر مَذَاهبه حتى في التشيُّع، فَطَرد مروانَ لِنَصْبه، وأخرجه عن جُلسائه. فقال هذه الأبياتَ وسأل بُنَانَ بن عمرو فغنَّى فيها المنتصرَ ليستعطفه. وخبرُه في ذلك يُذْكَر في هذا الموضع من الكتاب.

أخبرني عمِّي وحبيبُ بن نَصْر المُهَلَّبِيّ قالا: حدّثنا عبدُ اللّه بن أبي سَعْد قال: حدّثني حمَّاد بن أحمد بن سليمان الكَلْبيّ قال: حدّثني أبو السِّمْط مَرْوان الأصغر قال: لمّا دخلتُ إلى المتوكِّل مدحتُه ومدحتُ وُلاةَ العُهود الثلاثة، وأنشدتُه: [الطويل]

سَقَى الله نَجْداً وَالسَّلامُ على نَجْدِ ... ويا حَبَّذَا نَجْدٌ على النَّأْيِ والبُعْدِ
نَظَرْتُ إلى نَجْدٍ وَبَغْدادُ دُونَها ... لَعَلِّي أرَى نَجْدا وَهَيْهَاتَ مَنْ نَجْدِ
وَنَجْدٌ بِها قَوْمٌ هَواهُمْ زِيَارتِي ... ولا شَيْءَ أَحْلَى من زِيارَتِهِم عِنْدِي

(١) المنتصر بن المتوكل العباسي. من خلفاء العباسيين توفي سنة ٢٤٨ هـ.
(٢) أقصاه: أبعده.

قال: فلمّا فرغتُ منها أمر لي بمائة وعشرين ألفَ درهم وخمسين ثوباً وثلاثةٍ من الظَّهْر فَرَسٍ وبَغْلةٍ وحِمَارٍ، ولم أبرَحْ حتَّى قلتُ قصيدتي التي أشكره فيها وأقول: [الطويل]

تَخَيَّرَ رَبُّ النَّاسِ لِلنَّاسِ جَعْفَرَا وَمَلَّكَهُ أَمْرَ العِبَادِ تَخَيُّرَا[1]

فلما صرتُ إلى هذا البيت:

فأمْسِكْ نَدَى كَفَّيْكَ عَنِّي ولا تَزِدْ فَقَدْ كِدْتُ أنْ أَطْغَى وأنْ أَتَجَبَّرَا

قال لي: لا والله لا أُمسِكُ حتَّى أُغَرِّقَك بجُودِي.

وحدّثني عمِّي بهذا الخبر قال: حدّثني أحمد بن أبي طاهر قال: حدّثني حماد بن أحمد بن يحيى قال: حدّثني مَرْوان بن أبي الجَنُوبِ، فذكر مثلَ هذا الخبر سواءً، وقال بعد قوله: «لا والله لا أُمسك حتَّى أُغَرِّقك»: سَلْنِي حاجتَك. فقلت: يا أمير المؤمنين، الضَّيْعة التي أمرتَ أن أُقْطَعَها باليمامة ـ ذكر ابن المُدَبِّر أنّها وَقْفُ المعتصم على وَلَده ـ فقال: قد قَبَّلْتُك إيَّاها[2] مائةَ سنةٍ بمائة درهم. فقلتُ: لا يحسُن أن تُضْمَنَ ضيعةٌ بدرهم في السنة. فقال ابن المدبِّر: فبألفِ درهم في كلِّ سنة. فقلتُ نعم. فأمر ابنَ المدبِّر أن يُنْفذَ ذلك لي، وقال: ليستْ هذه حاجةً، هذه قَبَالةٌ، فسَلْنِي حاجتَك. فقلتُ: ضيعة يقال لها السُّيُوح[3] أمر الواثق بإقطاعي إيَّاها، فَمَنعنيها ابنُ الزيَّات[4]؛ فأمر بإمضاء الإقطاع لي.

[بينه وبين عليّ بن الجهم]

حدّثني جعفر بن قُدَامةَ قال: حدّثني عليّ بن يحيى المنجِّم قال: كان عليّ بن الجَهْم يَطْعَن على مَرْوان بن أبي الجَنُوب وَيَثْلُبُه حسداً له على موضعه من المتوكِّل. فقال له المتوكِّل يوماً: يا عليّ، أيّما أشعرُ أنتَ أو مَرْوان؟ فقال: أنا يا أمير المؤمنين. فأقبل على مَرْوان فقال له: قد سمعتَ، فما عندك؟ قال: كلُّ أحدٍ أشعرُ منِّي يا أمير المؤمنين، وما أصِفُ نَفْسِي ولا أُزَكِّيها. وإذا رضِيني أميرُ

(١) جعفر: المتوكل على الله العباسي.

(٢) قَبَّلْتُك إياها: ضمنتك إياها. والاسم القبالة وهي الضمان.

(٣) السيوح: من قرى اليمامة (معجم البلدان ٣/ ٣٠١).

(٤) ابن الزيات: وزير المتوكل.

المؤمنين فما أُبالي مَنْ زَيَّفني. فقال له: قد صَدَّقْتُك، عليٌّ يزعمُ سِرّاً وجهراً أنه أشعرُ منك. فالتفت إليه مروانُ فقال له: يا عليّ! أأنتَ أشعرُ منِّي؟ فقال: أَوَتَشُكُّ في ذاك؟ قال: نعم! أَشُكُّ وأَشُكُّ، وهذا أميرُ المؤمنين بيننا. فقال له عليٌّ: إنّ أمير المؤمنين يُحابِيك. فقال المتوكل: هذا عِيٌّ منك يا عليّ؛ ثم قال لابن حَمْدُون[1]: احْكُمْ بينهما. فقال: طَرَحْتَني والله يا أمير المؤمنين بين أنيابِ ومَخالِب أَسَدَيْنِ. قال: واللَّهِ لَتَحْكُمنّ بينهما. فقال له: أمَّا إذْ حلفتَ يا أمير المؤمنين فأشعرُهما عندي أعْرَفُهما في الشِّعْر. فقال له المتوكل: قد سمعتَ يا عليّ. قال: قد عَرَف مَيْلَك إليه فمال معه. فقال: دَعْنا منك، هذا كلُّه عِيٌّ، فإن كنتَ صادقاً فاهْجُ مروانَ. قال: قد سَكرتُ ولا فضلَ فيّ. فقال المتوكل لمروان: اهْجُه أنت، وبحياتي لا تُبْقِ غايةً. فقال مروان: [الكامل]

إنّ ابْنَ جَهْمٍ في المَغِيبِ يَعِيبُنِي ... ويقولُ لي حَسَناً إذا لاَقَانِي
صَغُرَتْ مَهَابتُهُ وعُظِّمَ بَطْنُهُ ... فكأنَّما فِي بَطْنِهِ وَلَدانِ
وَيْحَ ابنِ جَهْمٍ لَيْسَ يَرْحَمُ أُمَّهُ ... لو كانَ يَرْحَمُها لَمَا عادانِي
فإذا الْتَقَيْنا نَاكَ شِعْرِي شِعْرَهُ ... ونَزَا على شَيطانِهِ شَيْطانِي

قال: فضحِك المتوكل والجلساءُ منه، وانخزل[2] ابن الجهم، فلم يكن عنده أكثرَ من أن قال: جَمَع حِيلَة الرِّجالِ وحيلةَ النساء. فقال له المتوكل: هذا أيضاً من عِيِّك وبَرْدِك، إن كان عندك شيءٌ فَهاته؛ فلم يأتِ بشيء. فقال لمروان: بحياتي إنْ حَضَرك شيء فهاته، ولا تُقَصِّرْ في شَتْمك. فقال مروان: [الطويل]

لَعَمْرُكَ ما الجَهْمُ بْنُ بَدْرٍ بشاعِرٍ ... وَهٰذَا عَلِيٌّ بَعْدَهُ يَدَّعِي الشِّعْرَا
ولٰكن أبِي قد كانَ جاراً لأُمِّهِ ... فلمّا ادَّعى الأشْعارَ أوْهَمَنِي أمْرَا

قال: فضحِك المتوكل وقال: زِدْه بحياتي. فقال فيه: [مجزوء الرمل]

يابْنَ بَدْرٍ يا عَلِيَّهْ ... قُلْتِ إنِّي قُرَشِيَّهْ
قُلْتِ ما لَيْسَ بِحَقٍّ ... فَاسْكُتِي يا نَبَطِيَّهْ
أُسْكُتِي يا بِنْتَ جَهْمٍ ... أُسْكُتِي يا حَلَقِيَّهْ[3]

---

(١) ابن حمدون: أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل: عالم بالأدب والأخبار. توفي سنة ٢٥٥ هـ.
(٢) انخزل في كلامه: انقطع ولم يحر جواباً.
(٣) الأتان الحلقية: التي تداولها الحمر فأصيبت بداء في رحمها فلا تشبع من السفاد.

فأخذ عَبّادةُ هذه الأبياتَ فغنّاها على الطَّبْل وجاوبه مَنْ كان يغنّي، والمتوكلُ يضحَك ويضرب بيديه ورجليه، وعليٌّ مُطْرِقٌ كأنّه ميِّت، ثم قال: عليَّ بالدواة فأُتِيَ بها، فكتَب: [الوافر]

بَـلاءٌ لَـيْـسَ يُـشْـبِـهُـهُ بَـلاَءٌ ... عَـدَاوةُ غَـيْـرِ ذي حَـسَـبٍ ودِيـنِ
يُـبِـيـحُـكَ مـنـهُ عِـرضـاً لـم يَـصُـنْـهُ ... وَيَـرْتَـعُ مِـنْـكَ فـي عِـرْضٍ مَـصُـونِ

أخبرني عليّ بن العبّاس بن أبي طَلْحَة قال: حدّثني جعفر بن هارون بن زِيَاد قال: حدَّثني محمد بن السَّرِيّ قال: لمّا مدَح عليُّ بن الجَهْم وهو محبوسٌ المتوكلَ بقوله: [الوافر]

تَـوَكَّـلْـنـا عَـلـى رَبِّ الـسَّـمـاءِ ... وَسَـلَّـمْـنَـا لأسْـبَـابِ الـقَـضَـاءِ

وذكَر فيها جميع النُّدَماء وسَبَعَهم[1] وهجاهم، انتدب له مَرْوانُ بن أبي الجَنُوب فعارضَه فيها، وقد كان المتوكلُ رقَّ له، فلما أنشده مَرْوانُ هذه القصيدةَ اعْتَوَرَتْه ألْسِنَةُ الجلساء فَثَلَبُوه واغتابوه وضربوا عليه، فتركه في مَحْبِسِه. والقصيدةُ: [الوافر]

أَلَـمْ تَـعْـلَـمْ بـأنَّـكَ يـابْـنَ جَـهْـمٍ ... دَعِـيٌّ فـي أُنـاسٍ أدْعِـيـاءِ
أعـبـدَ الله تَـهْـجُـو وابْـنَ عَـمْـرٍو ... وبَـخْـتِـيَـشُـوعَ أصْـحـاب الـوفـاءِ
هَـجَـوْتَ الأكْـرمِـيـنَ وأنْـتَ كَـلْـبٌ ... حَـقِـيـقٌ بـالـشَّـتِـيـمَـةِ والـهِـجَـاءِ
أَتَـرْمِـي بِـالـزِّنـاءِ بَـنِـي حَـلاَلٍ ... وأنْـتَ زَنِـيـمُ أولادِ الـزِّنـاءِ[2]
أُسَـامـةُ مـن جُـدُودِكَ يـابـنَ جَـهْـمٍ! ... كـذبـتَ ومـا بِـذَلِـكَ مِـنْ خَـفَـاءِ

أخبرني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال: حدّثنا الحسين بن يحيى قال: حدّثني إبراهيم بن الحسن قال: لمّا كان من أمر العَبّاس بن المأمون وعُجَيْف ما كان، أنشد مَرْوانُ بن أبي الجَنُوب المعتصمَ قصيدةً أوّلُها: [الوافر]

أَلاَ يـا دَوْلَـةَ الـمَـعْـصُـومِ دُومِـي ... فَـإنَّـك قُـلْـتِ لـلـدُّنْـيـا اسْـتَـقِـيـمِـي

فلمّا بلغ إلى قوله:

هَـوَى الـعَـبّـاسُ حـيـنَ أرادَ غَـدْراً ... فَـوَافَـى إذْ هَـوَى قَـعْـرَ الـجَـحِـيـمِ

---

(١) سَبَعَه: هجاه.
(٢) الزنيم: المستلحق في قوم ليس منهم، وهو الدعيّ الملزق.

كـذاكَ هَـوَى كـمَـهْـوَاهُ عُـجَـيْـفٌ ... فـأصْبَحَ في سَوَاءِ لَظَى الجَحِيمِ

قال المعتصم: أبعده الله!.

حدّثني جعفر بن قُدَامةَ قال: حدّثنا أبو العَيْناء قال: دخل مَرْوانُ الأصغرُ بن أبي الجَنُوبِ على أشناس وقد مدحه بقصيدة فأنشده إيّاها، فجعل أشْناس يُحَرِّك رأسَه ويومىء بيديه ويُظهر طرباً وسروراً، وأمر له بصِلَةٍ. فلمّا خرج قال له كاتبه: رأيتُ الأميرَ قد طَرِب وحرّك رأسَه ويديه لِمَا كان يسمَعه، فقد فَهِمه؟ قال نعم. قال: فأيَّ شيء كان يقول؟ قال: ما زال يقول على رُقْية الخُبْزِ حتَّى حَصَّل ما أراد وانصرف.

حدّثني جعفر بن قُدَامة قال: حدّثني عليّ بن يحيى المنجِّم قال: كان المُتَوَكِّلُ يُعَابِثُني كثيراً، فقال في يومٍ من الأيَّام لمَرْوَانَ بن أبي الجَنُوب: أُهْجُ عليّ بن يحيى؛ فقال مَرْوان: [الطويل]

أَلاَ إِنَّ يَـحْـيَـى لا يُـقَـاسُ إِلـى أَبِـي ... وَعِرْضُ ابْنِ يَحْيَى لا يُقَاسُ إلى عِرْضِي

وهي أبيات تركتُ ذكرَها صِيانةً لعليّ بن يحيى. قال: فأجبتُه عنها فقلتُ:

[الطويل]

صَـدَقْـتَ لَـعَـمْـرِي مـا يُـقاسُ إلى أبي ... أبوكَ، ومَنْ قاسَ الشَّوَاهِقَ بالخَفْضِ

وَهَـلْ لَـكَ عِـرْضٌ طـاهِـرٌ فـتَـقِـيسَـهُ ... إذا قِيسَتِ الأعْراضُ يوماً إلى عِرْضِي

أَلَـسْـتُـمْ مَـوَالِـي لِـلَّـعِـيـنِ وَرَهْـطِـهِ ... أعادِي بَنِي العَبَّاسِ ذِي الحَسَبِ المَحْضِ

تُـوَالُـونَ مَـنْ عـادَى الـنَّـبِـيَّ ورَهْـطَـهُ ... فَترْمُونَ مَنْ وَالَى أُولِي الفَضْلِ بالرَّفْضِ

ولـيـسَ عَـجِـيـباً أنْ أُرَى لـكَ مُـبْـغِـضـاً ... لأنَّـكَ أهْـلٌ لِـلْـعَـداوَةِ والـبُـغْـضِ

حدّثني جَحْظةُ قال: حدّثني عليّ بن يحيى قال: أنشد مَرْوانُ بن أبي الجَنُوب المتوكِّلَ ذاتَ يومٍ: [الكامل]

إِنِّـي نَـزَلْـتُ بِـسـاحَـةِ الـمُـتَـوَكِّـلِ ... وَنَـزَلْـتَ فِي أقْـصَـى دِيَـارِ الـمَـوْصِـلِ

فقال له بعضُ مَنْ حَضَر: فكيف الاتِّصالُ بين هؤلاء والمُرَاسلة؟ فقال أبو العَنْبَس الصَّيْمَرِيّ: كان له حَمَامُ هُدًى[1] يبعث بها إليه من الموصل حتَّى يُكاتبه على أجنحتها. فضحِك المتوكِّلُ حتى استلقَى، وخَجِل مَرْوانُ وحَلَف بالطلاق لا

(١) الحمام الهدّاء. ضرب من الحمام يدرّب على السفر ويذهب إلى حيث يوجه. وجمعه هُدًى.

يكلِّم أبا العَنْبَسِ أبداً، فماتا متهاجِرَيْنِ. كذا أكبرُ حفظي أنّ جحظة حدّثني به عن عليّ بن يحيى؛ فإنّي كتبتُه عن حِفْظِي.

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا محمد بن القاسم بن مهْرُويه قال: حدّثني إبراهيم بن المُدَبِّر قال: قرأتُ في كتاب قديم: قال عَوْفُ بن مُحَلِّم لعبد اللّه بن طاهر في عِلَّةٍ اعتلَّها: [الطويل]

فإنْ تَكُ حُمَّى الرِّبْعِ شَفَّكَ وِرْدُها ... فعُقْبَاكَ مِنْها أنْ يَطُولَ لكَ العُمْرُ

وَقَيْنَاكَ لو نُعْطَى المُنَى فيكَ والهَوَى ... لكانَ بِنا الشَّكْوَى وكانَ لَكَ الأَجْرُ

قال: ثم حُمَّ المتوكِّلُ حُمَّى الرِّبْع، فدخل عليه مَرْوان بن أبي الجَنُوب بن مروان بن أبي حَفْصةَ، فأنشده قصيدةً له على هذا الرَّوِيِّ، وأدخل البيتين فيها، فسُرَّ بها المتوكل. فقال له عليّ بن الجَهْم: يا أمير المؤمنين، هذا شعرٌ مَقُولٌ، والتفتَ إليّ وقال: هذا يعلم. فالتفتَ إليّ المتوكِّل وقال: أتعْرِفه؟ فقلتُ: ما سمعتُه قبل اليوم. فشَتَم عليَّ بن الجَهْم وقال له: هذا من حَسَدك وَشَرِّك وكَذِبك. فلما خرجنا قال عليُّ بن الجَهْم: وَيْحَكَ! ما لَكَ قد جُنِنْتَ! أما تَعْرِف هذا الشعرَ؟ قلتُ: بلى! وأنشدتُه إيّاه. فلمّا عدتُ إلى المتوكِّل من غدٍ قال له: يا أمير المؤمنين، قدِ اعترف لي بالشِّعر وأنشدَنيه. فقال لي: أكذاك هوْ؟ فقلتُ: كَذَب يا أمير المؤمنين! ما سمعتُ به قطُّ، فازداد عليه غيظاً وله شتماً. فلمّا خرجنا قال لي: ما في الأرض شَرٌّ منك. فقلتُ له: أنت أحمقُ، تُريد منّي أن أَجِيءَ إلى شِعْرٍ قد قاله فيه شاعرٌ يُحِبُّه ويُعْجِبه شعرُه فأقول له: إنّي أعرفه فأُوقِع نفسي وعِرْضي في لسان الشاعر لترتفع أنت عنده، ويَسْقُطَ ذاك ويُبْغِضَني أنا!

صوت

مـا لإبـراهِـيـمَ فـي الـعِـلْـ ... ـمِ بِـهَـذا الـشَّـأنِ ثـانِ

إنَّـمـا عُـمْـرُ أبـي إسْـ ... ـحاقَ زَيْـنٌ لِـلـزَّمـانِ

فـإذَا غَـنَّـى أَبُـو اسْـحا ... قَ أجـابَـتْـهُ الـمَـثَـانِـي

مِـنْـهُ يُـجْـنَـى ثَـمَـرُ الـلَّـهْـ ... ـوِ ورَيْـحـانُ الـجِـنَـانِ

جَـنَّـةُ الـدُّنْـيـا أبـو إسـ ... ـحاقَ فـي كُـلِّ مَـكـانِ

عَرُوضه من الرَّمَل. الشِّعْرُ لابن سَيَابةَ. والغناء لإبراهيم المَوْصِليّ خفيفُ ثَقيل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق ابنه.

أخبار إبراهيم بن سيابةَ ونسبه

[اسمه ونسبه وولاؤه]

إبراهيم بن سَيَابَةَ مولى بني هاشم. وكان يقال: إنّ جَدَّه حَجَّام أعتقه بعض الهاشميين. وهو من مُقَارَبِي شُعَراء وقتِه، ليست له نباهةٌ ولا شعرٌ شريف، وإنّما كان يميل بمودّته ومَدْحِه إلى إبراهيم المَوْصِلِيّ وابنِه إسحاق، فغَنَّيَا في شعره ورفعا منه، وكانا يذكُرانه للخُلفاء والوُزراء ويُذَكِّرانِهم به إذا غَنَّيَا في شعره، فينفَعانِه بذلك. وكان خليعاً ماجناً، طَيِّبَ النادرة، وكان يُرْمَى بالأُبْنة.

[بعض أخباره وشعره]

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق قال: حدّثنا يعقوب بن إسرائيل قال: حدّثني أبو زائدةَ عن جعفر بن زِيادٍ قال: عَشِقَ ابنُ سَيَابَةَ جاريةً سوداءَ، فلامه أهله على ذلك وعاتبوه؛ فقال: [الوافر]

يَكُونُ الخَالُ فِي وَجْهٍ قَبِيحٍ ... فَيَكْسُوهُ المَلاَحَةَ والجَمالا
فَكَيْفَ يُلاَمُ مَعْشُوقٌ على مَنْ ... يَرَاها كُلَّها في العَيْنِ خالاً

أخبرني محمد بن مَزْيَدٍ وعيسى بن الحسين والحسين بن يحيى قالوا: حدّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال: لَقِيَ إبراهيمُ بن سَيَابَةَ وهو سكرانُ ابناً لسوَّار بن عبد الله القاضي أَمْرَدَ، فعانقه وقبَّله، وكانت معه دايةٌ يقال لها رُخَاص، فقيل لها: إنّه لم يُقَبِّلْه تقبيل السلام، إنّما قبَّله قُبْلَةَ شَهْوةٍ. فلَحِقَته الدَّايةُ فشتمتْه وأسمعَته كلَّ ما يكره، وهَجَره الغلامُ بعد ذلك. فقال له:

قُلْ لِلَّذِي لَيْس لِي مِنْ ... يَدَيْ هَوَاهُ خَلاَصُ
أَأَنْ لَثَمْتُكَ سِرّاً ... فَأَبْصَرَتْنِي رُخَاصُ
وقَالَ فِي ذاكَ قَوْمٌ ... عَلَى انْتِقَاصِي حِرَاصُ

هَـجَـرْتَـنِـي وَأَتَـتْـنِـي شَـتِـيـمَـةٌ وانْـتِـقـاصُ
فَـهَـاكَ فـاقْـتَـصَّ مِـنِّـي إنَّ الـجُـروحَ قِـصَـاصُ

ويُرْوَى أنّ رُخَاصَ هذه مغنّية كان الغلام يُحِبُّها، وأنه سَكِرَ ونام؛ فقبَّله ابن سَيَابةَ. فلمّا انتبه قال للجارية: ليت شِعْري ما كان خَبَرُكِ مع ابن سَيَابةَ؟ فقالت له: سَلْ عن خبرك أنت معه، وحدّثته بالقِصّة؛ فهجره الغلام؛ فقال هذا الشعر.

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا ابن مَهْرُويه قال: حدّثنا علي بن الصَّبّاح قال: عاتَبْنا ابن سَيَابةَ على مُجونه، فقال: وَيْلَكم! لأنْ ألقى اللّهَ تبارك وتعالى بذُلِّ المعاصي فيَرْحَمَنِي، أَحَبُّ إليَّ من أنْ ألقاه أتبختر إدلالاً بحسناتي فَيَمْقُتَنِي.

قال: ورأيتُ ابن سَيَابةَ يوماً وهو سكرانُ وقد حُمِل في طَبَقٍ يَعْبُرون به على الجِسْر، فسألهم إنسانٌ ما هذا؟ فرفَع رأسه من الطبق وقال: هذا بَقِيَّةٌ ممّا تَرَكَ آلُ موسى وآلُ هارون تَحْمِلهُ الملائكةُ يا كِشْخان[1].

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويه قال: حدّثنا أبو الشِّبْل البُرْجُمِيّ قال: وَلِع يوماً أبو الحارث جُمَّيْز بابن سَيَابةَ حتى أَخْجَلَه. فقال عند ذلك ابن سَيَابةَ يهجوه: [البسيط]

بَنَى أبو الحارثِ الجُمَّيْزِ في وَسَطٍ مِـن ظَـهْـرِهِ وقَـريـبـاً مِـن ذِرَاعَـيْـنِ
دَيْـراً لِـقَـسٍّ إذا مـا جـاءَ يَـدْخُـلُـهُ أَلْقَى على بابِ دَيْرِ القَسِّ خُرْجَيْنِ
يَـغْـدُو عـلـى بَطْنِهِ شَدًّا عَلى عَجَلٍ لا ذو يَـدَيْـنِ ولا يَـمْـشِـي بِـرِجْـلَـيْـنِ

أخبرني هاشم بن محمد الخُزَاعيّ قال: حدّثنا عيسى بن إبراهيم تِينةُ قال: كَتَب ابن سَيَابةَ إلى صديقٍ له يقترض منه شيئاً؛ فكَتب إليه يعتذر له ويحلِف أنّه ليس عنده ما سأله. فكتب إليه: «إن كنتَ كاذباً فجعلك الله صادقاً، وإن كنتَ ملوماً فَجَعلك الله معذوراً».

أخبرني محمد بن أبي الأَزْهَر قال: حدّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال: كان ابنُ سَيَابةَ الشاعرُ عندنا يوماً مع جَماعةٍ نتحدّث ونتناشد وهو يُنْشِدنا شيئاً من شِعْره، فتحرّك فَضَرَطَ، فضرب بيده على اَسْتِه غير مكترثٍ، ثم قال: إمّا أنْ تسكُتي حتى أتكلَّم، وإمّا أن تتكلَّمي حتى أسكُتَ.

---

(١) الكشخان: الديّوث.

أخبرني عليّ بن صالح بن الهَيْثَم الأنباريّ الكاتب قال: حدّثني أبو هِفَّانَ قال: غَمَزَ ابن سَيَابةَ غلاماً أمْرَدَ ذاتَ يومٍ فأجابه، ومضى به إلى منزله، فأكلا وجَلَسا يَشْرَبان. فقال له الغلامُ: أنت ابن سَيَابةَ الزِّنْديق؟ قال نعم. قال: أُحِبُّ أن تُعَلِّمني الزَّندقةَ. قال: أفعَلُ وكرامةً. ثم بَطَحه على وجهه، فلمّا تَمَكَّن منه أدخل عليه؛ فصاح الغلامُ أوَّهْ!. أيْشٍ هذا وَيْحَكَ؟ قال: سألتَني أنْ أُعَلِّمَك الزندقة، وهذا أوّلُ بابٍ من شرائعها.

أخبرني الحسين بن القاسم الكَوْكَبِيُّ قال: حدّثني مُحْرِز بن جعفر الكاتب قال: قال لي إبراهيم بن سَيَابةَ الشاعرُ: إذا كانت في جِيرانك جِنازةٌ وليس في بيتك دقيقٌ فلا تحضُر الجِنازةَ، فإنَّ المُصِيبةَ عندك أكبرُ منها عند القوم، وبيتك أَوْلَى بالمأتم من بيتهم.

أخبرني جعفر بن قُدَامةَ ومحمد بن مَزْيَدٍ قالا: حدّثنا حَمَّاد بن إسحاق عن أبيه قال: سَخِطَ الفضلُ بن الرَّبيع على ابن سَيَابةَ، فسألتُه أن يرضَى عنه فامتنع. فكَتَب إليه ابن سَيَابة بهذه الأبيات وسألني إيصالَها: [الكامل]

إنْ كـان جُـرْمِـي قـد أحـاطَ بـحُـرْمَـتِـي ... فَـأَحِـطْ بـجُـرْمِـي عَـفْـوَكَ الـمَـأْمُـولاَ
فَكَـم ارْتَـجَـيْـتُـكَ فِـي الَّـتِـي لا يُـرْتَـجَـى ... فـي مِـثْـلِـهـا أحَـدٌ فَـنِـلْـتُ الـسُّـولاَ(١)
وَضَـلَـلْـتُ عَـنْـكَ فـلـم أجِـدْ لِـي مَـذْهَـباً ... وَوَجَـدْتُ حِـلْـمَـكَ لِـي عَـلَـيْـكَ دلـيـلا
هَـبْـنِـي أسَـأْتُ ومـا أَسَـأْتُ أُقِـرُّ كَـيْ ... يَـزْدَادَ عَـفْـوُكَ بَـعْـدَ طَـوْلِـكَ طُـولاَ(٢)
فَـالـعَـفْـوُ أجْـمَـلُ والـتَّـفَـضُّـلُ بـامْـرِئٍ ... لـم يَـعْـدَمِ الـرَّاجُـونَ مـنـه جَـمِـيـلا

فلمّا قرأها الفضلُ دَمَعتْ عيناه ورَضِي عن ابن سَيَابةَ. وأَوْصَله إليه وأمَر له بعشرة آلاف درهم.

[بينه وبين بشار بن برد]

أخبرني الحسن بن عليٍّ قال: حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويه قال: حدّثنا الحسن بن الفَضْل قال: سمعتُ ابنَ عائشةَ يقول: جاء إبراهيم بن سَيَابةَ إلى بَشَّار فقال له: ما رأيتُ أعمَى قَطُّ إلاّ وقد عُوِّض من بصره إمّا الحِفْظَ والذَّكَاءَ وإمّا حُسنَ

(١) السول: السؤل.
(٢) الطول: الفضل.

الصّوت، فأيَّ شيء عُوِّضْتَ أنت؟ قال: ألاَّ أرى ثقيلاً مثلَك، ثم قال له: مَنْ أنت وَيْحَك؟ قال: إبراهيم بن سَيَابَةَ. فتَضاحَكَ ثم قال: لو نُكِح الأَسدُ في اسْتِه لذلَّ. وكان إبراهيم يُرْمَى بذلك. ثم تمثَّل بَشَّار: [المنسرح]

لَوْ نُكِح اللَّيْثُ في اسْتِهِ خَضَعَا ... ومات جُوعاً وَلَمْ يَنَلْ شِبَعَا
كَذَلِكَ السَّيْفُ عِنْدَ هِزَّتِهِ ... لَوْ بَصَقَ النَّاسُ فيهِ ما قَطَعَا

أخبرني حَبِيبُ بن نَصْر المُهَلَّبِيّ قال: حدّثنا عبد اللّه بن أبي سَعْد قال: حدّثني عبد اللّه بن أبي نصر المَرْوزِيّ قال: حدّثني محمد بن عبد اللّه الطَّلْحي قال: حدّثني سليمان بن يحيى بن مُعَاذ قال: قدِم إبراهيم بن سَيَابةَ نَيْسابورَ فأنزلتُه عليَّ؛ فجاءني ليلةً من اللَّيالي وهو مُهْرِبٌ[1]، فجعل يصيح بي. يا أبا أيُّوب. فخَشِيتُ أن يكون قد غَشِيَه شيءٌ يُؤذِيه، فقلتُ: ما تشاء؟ فقال:

أَغْيَانِيَ الشَّادِنُ الرَّبِيبُ

فقلتُ بماذا؟ فقال: [مخلع البسيط]

أكتُبُ أشْكُو فلا يُجِيبُ

قال فقلتُ له: دَاره ودَاوه؛ فقال:

مِنْ أينَ أبْغِي شِفاءَ ما بِي ... وَإنَّما دائِيَ الطَّبِيبُ

فقلت: لا دواءَ إذاً إلاَّ أن يُفَرِّجَ الله تعالى. فقال:

يا رَبِّ فَرِّجْ إذاً وَعَجِّلْ ... فَإنَّكَ السَّامِعُ المُجِيبُ

ثم انصرف.

في هذا الشعر رَمَلٌ طُنْبورِيٌّ لجَحظة.

---

(١) المُهْرِب: الجادّ في سيره من الذعر والخوف.

[مقتل الوليد بن طريف ورثاء أخته له]

صوت

[الطويل]

أَيَا شَجَرَ الخابورِ ما لَكَ مُورِقاً ... كأَنَّكَ لم تَحْزَنْ على ابْنِ طَرِيفِ[1]
فَتًى لا يُحِبُّ الزَّادَ إلاَّ مِنَ التُّقَى ... ولا المالَ إلاَّ مِنْ قَناً وسُيُوفِ

الشعر لأُخت الوليد بن طَرِيفٍ الشاري. والغناء لعبد اللّه بن طاهر ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى، من رواية ابنه عُبَيد اللّه عنه. وأوّلُ هذه الأبيات كما أنشدنَا محمدُ بن العبَّاس اليزيديّ عن أحمد بن يحيى ثَعْلَب: [الطويل]

بِتَلٍّ بُناتَا رَسْمُ قَبْرٍ كأَنَّهُ ... على عَلَمٍ فَوْقَ الجبالِ مُنِيفِ[2]
تَضَمَّنَ جُوداً حاتِمِيّاً ونائِلاً ... وَسَوْرَةَ مِقْدَامٍ وَقَلْبَ حَصِيفِ
أَلاَ قاتَلَ اللّهُ الجُثَا حَيْثُ أَضْمَرَتْ ... فَتًى كانَ بالمعروفِ غَيْرَ عَفِيفِ
فإنْ يَكُ أَرْدَاهُ يَزِيدُ بْنُ مَزْيَدٍ ... فَيَا رُبَّ خَيْلٍ فَضَّها وَصُفُوفِ
أَلاَ يا لَقَوْمٍ لِلنَّوائِبِ وَالرَّدَى ... وَدَهْرٍ مُلِحٍّ بالكِرامِ عَنِيفِ
وَلِلْبَدْرِ مِنْ بَيْنِ الكواكِبِ إذْ هَوَى ... وَلِلشَّمْسِ هَمَّتْ بَعْدَهُ بِكُسُوفِ
أيا شَجَرَ الخابُورِ ما لَكَ مُورِقاً ... كأنَّكَ لم تَحْزَنْ على ابْنِ طَرِيفِ
فَتًى لا يُحِبُّ الزَّادَ إلاَّ مِنَ التُّقَى ... ولا المالَ إلاَّ من قَناً وَسُيُوفِ
ولا الخَيْلَ إلاَّ كُلَّ جَرْداءَ شِطْبَةٍ ... وَكُلَّ حِصانٍ باليَدَيْنِ غَرُوفِ[3]
فلا تَجْزَعَا يَاَبْنَيْ طَرِيفٍ فإنَّني ... أَرَى المَوْتَ نَزَّالاً بِكُلِّ شَرِيفِ
فَقَدْنَاكَ فِقْدانَ الرَّبِيعِ وَلَيْتَنا ... فَدَيْنَاكَ مِنْ دَهْمائِنَا بأُلُوفِ

وهذه الأبيات تقولها أُخت الوليد بن طَرِيفٍ تَرثيه، وكان يزيدُ بن مَزْيَدٍ قتله.

---

(١) الخابور: نهر كبير بين الفرات ورأس العين (معجم البلدان ٢/ ٣٣٤).

(٢) في الأصل: بتلّ بنانا، ولم أجده واختلف الاسم في المراجع والمصادر والموجود في معجم البلدان بتل بَوَنّا، وهي قرية من قرى الكوفة.

(٣) الفرس الجرداء: القصيرة الشعر. والشطبة: السبطة، وقيل الطويلة. والغروف: السريعة كأنها تغرف الأرض سرعة.

ذكر الخبر في ذلك

[مقتل الوليد بن طريف الخارجي، والحديث عن يزيد بن مزيد]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال: حدّثنا محمد بن يَزِيد عن عَمِّه عن جماعة من الرُّواة قال: كان الوَليدُ بن طَرِيفٍ الشَّيْبانيُّ رأسَ الخَوَارج وأشدَّهم بأساً وصَوْلةً وأشجعَهم؛ فكان منْ بالشَّمَاسيَّة[1] لا يأمَنُ طُروقَه إياه[2]، واشتدّتْ شَوْكتُه وطالتْ أيّامه. فوَجَّه إليه الرشيدُ يَزِيدَ بن مَزْيَدٍ الشَّيْبانيَّ، فجعَل يُخَاتِلُه ويُمَاكِرُه. وكانتِ البرامكةُ منحرفةً عن يَزِيدَ بن مَزْيَدٍ، فأغْرَوْا به أميرَ المؤمنين، وقالوا: إنما يتجافَى عنه للرَّحِم، وإلاَّ فشوكة الوليد يسيرة، وهو يُوَاعِدُه وينتظر ما يكون من أمره. فوَجَّه إليه الرشيدُ كتابَ مُغْضَبٍ يقول فيه: «لو وَجَّهْتُ بأحد الخَدَم لقامَ بأكثر مما تقوم بِهِ، ولكنّك مُدَاهِنٌ مُتعصِّب. وأمير المؤمنين يُقْسِم بالله لئن أَخَّرْتَ مُنَاجَزةَ الوليد لَيُوجِّهنَّ إليكَ من يحمِلِ رأسَك إلى أمير المؤمنين». فلَقِيَ الوليدَ عَشِيَّةَ خَمِيسٍ في شهر رمضان. فيقال: إنَّ يزيدَ جُهد عَطَشاً حتَّى رمَى بخاتمه في فِيه، فجعل يَلُوكه ويقول: اللَّهُمَّ إِنَّها شِدّةٌ شديدةٌ فاسْتُرْها. وقال لأصحابه: فدَاكم أبي وأُمِّي، إنما هي الخوارجُ ولهم حمْلةٌ، فاثْبُتُوا لهم تحت التِّراس[3]، فإذا انقضتْ حملتُهم فاحْمِلُوا؛ فإنَّهم إذا انهزموا لم يَرجِعوا. فكان كما قال، حَمَلُوا حملة وثَبَتَ يزيد ومَنْ معه من عَشِيرته وأصحابِه، ثم حَمَل عليهم فانكشفوا. ويقال: إنَّ أَسَد بن يَزِيدَ كان شبيهاً بأبيه جِدّاً؛ وكان لا يَفْصِل بينهما إلاّ المتأمِّل، وكان أكثرُ ما يُباعده منه ضربةٌ في وجه يزيد تأخُذ من قَصَاصِ شَعْرِهِ ومنحرفةً على جَبْهته؛ فكان أسدٌ يتمنَّى مثلها. فهَوَتْ له ضربةٌ فأخرج وجهَه من التُّرْس فأصابتْه في ذلك الموضع. فيقال: إنّه لو خُطَّتْ على مثالِ ضَرْبة أبيه ما عدا، جاءت كأنّها هي - وأتْبَع يزيدُ الوليدَ بن طريفٍ فلَحِقه بعد مسافةٍ بعيدةٍ فأخذ رأسَه. وكان الوليد خرج إليهم حيث خرج وهو يقول: [الرجز]

أنا الوَلِيدُ بْنُ طَرِيفَ الشَّارِي ... قَسْوَرَةٌ لا يُصْطَلَى بِنَارِي
جَوْرُكُمُ أَخْرَجَنِي مِنْ دارِي

(١) الشماسية: بلدة منسوبة إلى بعض شماسي النصارى، مجاورة لبلاد الروم. (معجم البلدان ٣/ ٣٦١).
(٢) طرقهم العدوّ: هاجمهم ليلاً.
(٣) التراس: جمع ترس، وهو صفحة فولاذية يتقى بها من السيوف.

فلمّا وقع فيهم السَّيْفُ وأُخِذَ رَأْسُ الوليدِ، صَبَّحَتْهم أُخته ليلَى بنت طَرِيفٍ مستعدّةً عليها الدِّرْعُ والجَوْشَنُ، فجعلتْ تحمِل على الناس فعُرِفتْ. فقال يزيد: دَعُوها، ثمّ خرج إليها فضَرَب بالرُّمْحِ قَطاةَ فرسها[١]، ثم قال اغْرُبِي غَرّب الله عليك! فقد فَضَحْتِ العشيرةَ؛ فاسْتَحْيَتْ وانصرفتْ وهي تقول: [الطويل]

أيا شَجَرَ الخابورِ ما لَكَ مورقاً ... كأنَّكَ لم تَحْزَنْ على ابْنِ طَرِيفِ
فتًى لا يُحِبُّ الزَّادَ إلاَّ مِنَ التُّقَى ... ولا المَالَ إلاَّ من قَناً وسُيوفِ
ولا الذُّخْرَ إلاَّ كُلَّ جَرْدَاءَ صِلْدِمٍ ... وكلَّ رَقِيقِ الشَّفْرَتَيْنِ خَفِيفِ[٢]

فلمّا انصرف يزيدُ بالظَّفَر حُجِب برأي البرامكة، وأظهر الرشيدُ السخطَ عليه. فقال: وحَقِّ أمير المؤمنين لأَصِيفَنّ وَأَشْتُوَنَّ على فَرَسي أو أدخلَ. فارتفع الخبر بذلك فأذِن له فدخل. فلمَّا رآه أمير المؤمنين ضَحِك وسُرّ وأقبل يصيح: مَرْحَباً بالأعرابيّ! حتى دخل وأُجْلِسَ وأُكرِمَ وعُرِف بَلاؤه ونقاءُ صَدْرِه.

ومدَحه الشعراء بذلك. فكان أحسنُهم مدحاً مُسْلم[٣] بن الوليد؛ فقال فيه قصيدته التي أولها: [البسيط]

أُجْرِرْتُ حَبْلَ خَلِيعٍ في الصِّبَا غَزِلِ ... وَشَمَّرَتْ هِمَمُ العُذَّالِ في عَذَلي[٤]
هاجَ البكاءَ على العَيْنِ الطَّمُوحِ هَوًى ... مُفَرَّقٌ بَيْنَ تَوْدِيعٍ ومُحْتَمَلِ
كيفَ السُّلُوُّ لِقَلْبٍ باتَ مُخْتَبَلاً ... يَهْذِي بصاحِبِ قَلْبٍ غَيْرِ مُخْتَبَلِ[٥]

وفيها يقول:

يَفْتَرُّ عنَ افترارِ الحَرْبِ مُبْتَسِماً ... إذا تَغَيَّرَ وَجْهُ الفارِس البَطَلِ[٦]
مُوفٍ على مُهَجٍ في يَوْمِ ذِي رَهَجٍ ... كأنَّهُ أَجَلٌ يَسْعَى إلى أَمَلِ[٧]

(١) قطاة الفرس: عجزها.
(٢) الفرس الصلدم: الشديدة الحافر. ورقيق الشفرتين: السيف.
(٣) مسلم بن الوليد: شاعر غزل، لقب بصريع الغواني.
(٤) أجررت حبله: أطلت رسنه، أمهلته. والعذل: اللوم.
(٥) المختبل: المصاب بالخبل. وهو المس من الجنون.
(٦) يفترّ: يضحك حتى تبدو أسنانه.
(٧) الرهج: الغبار.

يَنالُ بالرِّفْقِ ما يَعْيَا الرِّجالُ بِهِ — كالمَوْتِ مُسْتَعْجِلاً يأتِي عَلى مَهَلِ
لا يَرْحَلُ النَّاسُ إلاَّ نَحْوَ حُجْرَتِهِ — كالبَيْتِ يُفْضِي إليه مُلْتَقى السُّبُلِ[(١)]
يَقْرِي المَنِيَّةَ أرواحَ العُدَاةِ كَمَا — يَقْرِي الضُّيُوفَ شُحُومَ الكُوم والبُزُلِ[(٢)]
يَكْسُو السُّيُوفَ رُؤوسَ الناكِثِينَ بهِ — وَيَجْعَلُ الهامَ تِيجانَ الْقَنَا الذُّبُلِ[(٣)]
إذا انْتَضَى سَيْفَهُ كانَتْ مَسَالِكُهُ — مَسَالِكَ المَوْتِ في الأبْدَانِ والقُلَلِ[(٤)]
لاَ تُكْذَبَنَّ فإنَّ المَجْدَ مَعْدِنُهُ — وِرَاثَةٌ فِي بَنِي شَيْبَانَ لم تَزَلِ
إذا الشَّرِيكِيُّ لَمْ يَفْخَرْ على أحَدٍ — تَكَلَّمَ الفَخْرُ عنهُ غَيْرَ مُنْتَحِلِ[(٥)]
الزَّائِديُّونَ قَوْمٌ في رِماحِهِمُ — خَوْفُ المُخِيفِ وأَمْنُ الخائِفِ الوَجِلِ[(٦)]
كَبِيرُهُمْ لا تَقُومُ الرّاسِياتُ لَهُ — حِلْماً وطِفْلُهُمُ في هَدْيِ مُكْتَهِلِ
إسْلَمْ يَزِيدُ فما في المُلْكِ مِنْ أوَدٍ — إذا سَلِمْتَ ولا في الدِّين مِنْ خَلَلِ[(٧)]
لَوْلا دِفاعُكَ بأسَ الرُّوم إذْ مَكَرَتْ — عَنْ بَيْضةِ الدِّينِ لم تَأْمَنْ من الثَّكَلِ
وَالمارِقُ ابنُ طَرِيفٍ قَدْ دَلَفْتَ لَهُ — بِعَارِضٍ لِلْمَنَايَا مُسْبِلٍ هَطِلِ[(٨)]
لَوْ أَنَّ غَيْرَ شَرِيكيٍّ أطافَ بِهِ — فَازَ الوَلِيدُ بِقِدْحِ النَّاضِلِ الخَصِلِ[(٩)]
ما كانَ جَمْعُهُمُ لمَّا دَلَفْتَ لَهُمْ — إلاَّ كَمِثْلِ جَرادٍ رِيعَ مُنْجَفِلِ
كَمْ آمِنٍ لكَ نائي الدَّارِ مُمْتَنِعٍ — أَخْرَجْتَهُ من حُصونِ المُلْكِ والخَوَلِ[(١٠)]
تَرَاهُ في الأَمْنِ في دِرْعٍ مُضَاعَفَةٍ — لا يأمَنُ الدَّهْرَ أنْ يُدْعَى على عَجَلِ
لا يَعْبَقُ الطِّيبُ خَدَّيْهِ ومَفْرِقَهُ — ولا يُمَسِّحُ عَيْنَيْهِ مِنَ الكُحُلِ
يأبَى لكَ الذَّمَّ في يَوْمَيْكَ إنْ ذُكِرَا — عَضْبٌ حُسَامٌ وَعِرْضٌ غيرُ مُبْتَذَلِ
فافْخَرْ فما لكَ في شَيْبانَ مِنْ مَثَلٍ — كذاكَ ما لِبَنِي شَيْبانَ مِنْ مَثَلِ

---

(١) البيت: هنا البيت الحرام.
(٢) الكوم: جمع كوماء، وهي الناقة العظيمة السنام. والبزل: جمع بازل وهي التي بلغت تسع سنين.
(٣) الناكثون: الناقضون للعهد. والقنا الذبل: الرماح اللينة.
(٤) انتضى سيفه: استله من غمده. والقلل: جمع قلة وهي أعلى الشيء، وأراد: الرؤوس.
(٥) الشريكي نسبة إلى شريك أحد أجداد يزيد بن مزيد.
(٦) الزائديون: نسبة إلى زائدة وهو جدّ من جدود يزيد بن مزيد أيضاً.
(٧) الأود: الاعوجاج.
(٨) العارض: السحابة الممطرة والمسبل من السحاب: الهاطل، والكثير المطر.
(٩) الناضل الخَصِل: الرامي المصيب.
(١٠) الخول: العبيد والخدم.

وقال محمد بن يزيد: يعني بقوله:

تَــراهُ فــي الأمْــنِ فــي دِرْعٍ مُــضَــاعَــفَــةٍ

خبرَ يزيدَ بن مَزْيَدٍ. وذاك أنّ امرأةَ مَعْن بن زائدةَ عاتبتْ مَعْناً في يَزِيدَ وقالت: إنك لَتُقَدِّمه وتُؤَخِّر بَنِيك. وتُشِيد بذكْره وتُخْمِل ذِكرَهم، ولو نَبَّهتهم لانتبهوا، ولو رفعتَهم لارتفعوا. فقال مَعْنٌ: إن يزيدَ قريبٌ لم تَبْعُدَ رَحِمُه، وله عليّ حُكم الولد إذ كنتُ عمَّه. وبعدُ فإنَّهم ألْوَطُ بقلبي[1] وأدنى من نَفْسي على ما تُوجبه واجبة الوِلاَدةِ للأُبوّة من تقديمهم، ولكنِّي لا أجدُ عندهم ما أجده عنده. ولو كان ما يَضْطلِع به يَزِيدُ من بَعيدٍ لصار قريباً، وفي عدوٍّ لصار حبيباً. وسأُرِيكِ في ليلتي هٰذه ما ينفسح به اللَّوْم عني ويتبيَّن به عُذْرِي. يا غلامُ اذْهَبْ فادْعُ جَسَّاساً وزائدة وعبدَ اللّه وفلاناً وفلاناً، حتى أتى على أسماء وَلَده؛ فلم يلبَثْ أن جاءوا في الغلائل المطيَّبة والنِّعال السِّنْدِية، وذلك بعد هَدْأةٍ من اللَّيل، فسلَّموا وجلسوا. ثم قال: يا غلام ادْعُ لي يزيدَ وقد أسْبَل سِتْراً بينه وبين المرأة، وإذا به قد دخل عَجَلاً وعليه السِّلاح كلُّه، فوضع رُمْحَه بباب المجلس ثم أتى يُحْضِر[2]. فلمَّا رآه معن قال: ما هذه الهيئة أبا الزُّبَير؟ ـ وكان يزيدُ يُكْنَى أبا الزُّبَير وأبا خالد ـ فقال: جاءني رسول الأمير فسَبَق إلى نَفْسي أنه يُريدني لوجهٍ، فقلت: إن كان مَضَيْتُ ولم أُعَرِّجْ، وإن يكن الأمر على خلاف ذلك فَنَزْعُ هذه الآلةِ أيسرُ الخَطْب. فقال لهم: انصرِفوا في حفظ الله. فقالت المرأة: قد تبيَّن عُذْرُك. فأنشَد معنٌ متمثِّلاً: **[الرجز]**

نَــفْــسُ عِــصَــامٍ سَــوَّدَتْ عِــصَــامَــا ... وَعَــوَّدَتْــهُ الــكَــرَّ والإقــدامــا
وصَــيَّــرتْــهُ مَــلِــكــاً هُــمَــامَــا

وأخبرني محمد بن الحسن الكِنْدي قال: حدّثنا الرّياشيُّ قال: أنشدني الأصمعي لأخت الوليد بن طَريف تَرْثيه: **[المتقارب]**

ذَكَــرْتُ الــوَلِــيــدَ وأيّــامَــهُ ... إذِ الأرْضُ مِــنْ شَــخْــصِــهِ بَــلْــقَــعُ
فــأقْــبَــلْــتُ أطْــلُــبُــهُ فــي الــسَّــمــاءِ ... كــمــا يَــبْــتَــغِــي أنْــفَــهُ الأجْــدَعُ
أضــاعَــكَ قَــوْمُــكَ فَــلْــيَــطْــلُــبــوا ... إفــادَةَ مِــثْــلِ الَّــذِي ضَــيَّــعُــوا

---

(١) ألْوَط بقلبي: ألصق بقلبي، أقرب إلى قلبي.
(٢) يُحْضِر: يسرع

لَـوَ أنّ الـسُّـيُـوفَ الَّـتِـي حَـدُّهـا يُـصِـيـبُـك تَـعْـلَـمُ مـا تَـصْـنَـعُ
نَـبَـتْ عَـنْـكَ أوْ جَـعَـلَـتْ هَـيْـبَـةً وَخَـوْفـاً لِـصَـوْلِـكَ لا تَـقْـطَـعُ

[عبد اللّه بن طاهر، وبعض من سيرته وأخلاقه وشعره وغنائه]

فأمّا خبرُ عبد اللّه بن طاهر في صَنْعته هذا الصوتَ، فإنّ عبد اللّه كان بمحلٍّ من عُلَوِّ المنزلةِ وعِظَم القَدْر ولُطْف مكانٍ من الخُلفاء، يَسْتَغْني به عن التقريظ له والدّلالة عليه. وأمرُه في ذلك مشهورٌ عند الخاصّة والعامّة، وله في الأدب مع ذلك المَحَلُّ الذي لا يُدْفَع، وفي السماحة والشجاعة ما لا يُقَارِبه فيه كَبِيرُ أحدٍ.

أخبرني عليُّ بن سليمان الأخفش عن محمد بن يزيدَ المُبَرَّد أنّ المأمون أعطى عبدَ اللّه بن طاهر مالَ مصر لسنةٍ خَراجَها وضِياعَها، فوهَبَه كلَّه وفرَّقه في الناس، ورجع صِفْراً من ذلك؛ فغاظ المأمونَ فِعْلُه. فدخل إليه يومَ مَقْدَمِه فأنشده أبياتاً قالها في هذا المعنى، وهي: [البسيط]

نَـفْـسِـي فِـداؤك والأَعْـنَـاقُ خـاضِـعَـةٌ لِـلـنَّـائـبـاتِ أَبِـيًّـا غَـيْـرَ مُـهْـتَـضَـمِ
إلَـيْـكَ أقْـبَـلْـتُ مِـنْ أرْضٍ أَقَـمْـتُ بـهـا حَـوْلَـيْـنِ بَـعْـدَكَ فـي شَـوْقٍ وفـي أَلَـمِ
أقْفُو مَسَاعِيَكَ اللاَّتِي خُصِصْتَ بها حَـذْوَ الـشِّـراكِ عَـلـى مِـثْـلٍ مِـنَ الأَدَمِ
فـكـانَ فَـضْـلِـيَ فِـيـهـا أَنَّـنِـي تَـبَـعٌ لِـمَـا سَـنَـنْـتَ مـن الإنْـعـام والـنِّـعَـمِ
وَلَـوْ وُكِـلْـتُ إلى نَـفْـسِـي غَـنِـيـتُ بِـهـا لَـكِـنْ بَـدَأْتَ فَـلَـمْ أعْـجِـزْ وَلَـمْ أُلَـمِ

فضحِك المأمون وقال: واللّهِ ما نَفِسْتُ عليك مَكْرُمةً نِلْتَها ولا أُحدوثةً حَسُن عنك ذِكْرُها، ولكن هذا شيءٌ إذا عوَّدتَه نفسَك افتقرتَ ولم تَقْدِرْ على لَمِّ شَعَثِك وإصلاح حالِك. وزال ما كان في نفسه.

أخبرني وكيعٌ قال: حدّثنا عبدُ اللّه بن أبي سَعْدٍ قال: حدّثني عبد اللّه بن فَرْقَدٍ قال: أخبرني محمد بن الفَضْل بن محمد بن منصور قال:

لمّا افتتح عبدُ اللّه بن طاهر مصرَ ونحن معه، سوَّغه المأمونُ خَراجَها. فصَعِد المنبرَ فلم يَزَلْ حتّى أجاز[1] بها كلّها ثلاثة آلافِ دينارٍ أو نَحْوها. فأتاه مُعَلَّى الطائيُّ وقد أعلموه ما قد صنع عبد اللّه بن طاهر بالنّاس في الجوائز، وكان عليه واجداً، فوقف بين يديه تحت المنبر فقال: أصلح الله الأميرَ! أنا مُعَلَّى الطائيّ، وقد

(١) أجاز: أعطى الجوائز.

بلغ منِّي ما كان منك إليَّ من جفاءٍ وغِلَظ. فلا يَغْلُظَنَّ عليَّ قلبُك، ولا يَسْتَخِفَّنَّك الذي بلغك، أنا الذي أقول: [البسيط]

يا أَعْظَمَ النَّاسِ عَفْواً عندَ مَقْدِرَةٍ ... وأَظْلَمَ النّاسِ عندَ الجُودِ للمالِ
لَوْ أَصْبَحَ النِّيلُ يَجْرِي ماؤهُ ذَهَباً ... لَمَا أَشَرْتَ إلى خَزْنٍ بِمِثْقالِ
تُغْلِي بما فيهِ رِقُّ الحَمْدِ تَمْلِكُهُ ... وَلَيْسَ شَيْءٌ أَعَاضَ الحَمْدَ بالغالي[1]
تَفُكُّ بالْيُسْرِ كَفَّ العُسْرِ مِنْ زَمَنٍ ... إذا اسْتَطالَ على قَوْمٍ بإقْلالِ
لَمْ تَخْلُ كَفُّكَ مِنْ جُودٍ لِمُخْتَبِطٍ ... أَوْ مُرْهَفٍ قاتِلٍ في رأسِ قَتَّالِ[2]
وَمَا بَثَثْت رَعِيلَ الخَيْلِ في بَلَدٍ ... إلاّ عَصَفْنَ بأرزاقٍ وآجالِ
إنْ كُنْتُ مِنْكَ على بالٍ مَنَنْتَ بِهِ ... فإنّ شُكْرَكَ مِنْ قَلْبِي على بالِ
ما زِلْتُ مُنْقَضِباً لَوْلا مُجاهَرَةٌ ... مِنْ أَلْسُنٍ خُضْنَ في صَدْرِي بِأقْوالِ

قال فضحِك عبد اللّه وسُرَّ بما كان منه، وقال: يا أبا السَّمراء أَقْرِضْنِي عشرة آلاف دينارٍ، فما أمسيتُ أملِكها؛ فأقْرضه فدفعها إليه.

أخبرني عليّ بن عبد العزيز عن ابن خُرْدَاذبة قال: كان موسى بن خاقان مع عبد اللّه بمصر، وكان نديمه وجليسَه، وكان له مُؤْثِراً مُقَدِّماً؛ فأصاب منه معروفاً كثيراً وأجازه بجوائز سنيَّة هناك وقبل ذلك. ثم إنّه وَجَد عليه في بعض الأمر، فجفاه وظَهَر له منه بعضُ ما لم يُحِبَّه، فرجع حينئذ إلى بغداد وقال:

صوت

[السريع]

إنْ كانَ عَبْدُ اللّهِ خَلاَّنَا ... لا مُبْدِئاً عُرْفاً وإحْسانا
فَحَسْبُنَا اللّهُ رَضِينَا بِهِ ... ثُمَّ بِعَبْدِ اللّهِ مَوْلانا

يعني بعبد اللّه الثاني المأمون، وغَنّتْ فيه جاريته ضَعْفُ لحناً من الثقيل الأوَل، وسَمِعه المأمون فاستحسنه ووصله وإيّاها. فبلَغ ذلك عبدَ اللّه بن طاهر، فغاظه ذلك وقال: أَجَلْ! صَنَعْنا المعروفَ إلى غير أهله فضاع.

وكانت ضَعْف إحدى المُحْسِنات. ومن أوائل صَنْعتها وصدور أغانيها وما

(١) تغلي بالشيء: تجعله غالياً.

(٢) المختبط: طالب المعروف بلا وسيلة من آصرة قربى أو مودة أو معرفة.

بَرَّزتْ فيه وقُدِّمتْ فاختيرتْ، صَنعتها في شعر جَمِيلٍ: [الطويل]

أمِنْكِ سَرَى يا بَثْنُ طَيْفٌ تَأَوَّبَا هُدوءاً فهاجَ القَلْبَ شَوْقاً وَأَنْصَبَا
عَجِبْتُ لَهُ أنْ زارَ في النَّوْمِ مَضْجَعِي وَلَوْ زَارَني مُسْتَيْقِظاً كانَ أَعْجَبَا

الشعر لجميل، والغناء لضَعْفَ ثقيلٌ أول بالبنصر.

أخبرني عمِّي قال: حدّثني أبو جعفر بن الدِّهقانة النديم قال: حدّثني العباس ابن الفضل الخُرَاسانيّ، وكان من وجوه قُوّاد طاهر وابنِهِ عبد اللّه، وكان أديباً عاقلاً فاضلاً، قال: لمّا قال عبد اللّه بن طاهر قصيدتَه التي يفخَر فيها بمآثر أبيه وأهله ويفخَر بقَتْلِهم المخلوعَ، عارضَه محمد بن يَزِيدَ الأمَوِيّ الحِصْنيّ، وكان رجلاً من ولد مَسْلَمَةَ بن عبد الملك، فأفرط في السَّبِّ وتجاوز الحدّ في قُبْح الردّ، وتوسَّط بين القوم وبين بني هاشم فأَرْبَى في التوسُّط والتعصُّب. فكان مما قال فيه: [المديد]

يابنَ بَيْتِ النَّارِ مُوقِدُها ما لِحَاذَيْهِ سَرَاوِيلُ[1]
مَنْ حُسَيْنٌ مَنْ أبُوكَ وَمَنْ مُصْعَبٌ! غالَتْكُمُ غُولُ
نَسَبٌ في الفَخْرِ مُؤْتَشَبٌ وَأُبُوَّاتٌ أراذِيلُ[2]
قاتِلُ المَخْلُوعِ مَقْتُولُ وَدَمُ المَقْتُولِ مَطْلُولُ

وهي قصيدة طويلة. فلمّا وُلِّي عبدُ اللّه مِصْرَ ورُدَّ إليه تدبير أمر الشام، علم الحِصْنِيُّ أنّه لا يُفْلِت منه إن هَرَب، ولا ينجو من يده حيث حَلَّ؛ فَثَبت في موضعه، وأحْرَزَ حُرَمَه، وتَرَكَ أموالَه ودوابَّه وكلَّ ما كان يملكه في موضعه، وفتَح بابَ حِصْنِه وجلس عليه، ونحن نتوقَّع من عبد اللّه بن طاهر أن يُوقِع به. فلما شارَفْنَا بَلَدَه وكنّا على أنْ نُصَبِّحَه[3]، دعاني عبدُ اللّه في الليل فقال لي: بِتْ عندي الليلةَ، وليَكُنْ فرسُك مُعَدًّا عندك لا يُرَدُّ، ففعلتُ. فلَمّا كان في السَّحر أمَر غِلْمانَه وأصحابَه ألاَّ يَرْحَلوا حتّى تطلُعَ الشمس، ورَكِب في السَّحَر وأنا وخمسةٌ من خواصِّ غِلْمانه معه، فسار حتّى صَبَّح الحِصْنِيَّ، فرأى بابَه مفتوحاً ورآه جالساً مُسْتَرْسِلاً، فقصده وسلَّم عليه ونزل عنده وقال له: ما أَجْلَسَك ها هنا وحَمَلك على أن فتحتَ بابَك ولم تتحصَّن من هذا الجيش المُقْبِل ولم تَتَنَحَّ عن عبد اللّه بن طاهر مع ما في نفسه

(١) الحاذان من الدابة: ما وقع عليه الذنب من الفخذين.
(٢) المؤتشب: غير الصريح.
(٣) نُصبِّحه: نأتيه صباحاً.

عليك وما بَلَغه عنك؟ فقال: إنّ ما قُلْتَ لم يَذْهَبْ عليّ، ولكنّي تأمّلتُ أمري وعَلِمتُ أنّي أخطأتُ خطيئةً حَمَلني عليها نَزَقُ الشَّباب وغِرَّةُ الحَدَاثة، وأنّي إنْ هربتُ منه لم أَفُته، فباعدتُ البناتِ والحُرَمَ، واستسلمتُ بنفسي وكلّ ما أملِك؛ فإنّا أهلُ بيتٍ قد أسرع القَتْلُ فينا، ولي بمن مضى أُسْوةٌ؛ فإنّي أثِق بأنّ الرجلَ إذا قتلني وأخذ مالي شفَى غَيْظَه ولم يتجاوز ذلك إلى الحُرَم ولا له فيهنّ أَرَبٌ، ولا يُوجِب جُرْمِي إليه أكثرَ مما بذلتُه. قال: فواللّهِ ما اتّقاه عبد اللّه إلاّ بدُموعه تجري على لِحْيته. ثم قال له: أتعرِفني؟ قال: لا والله! قال: أنا عبدُ اللّه بن طاهر، وقد أمّن الله تعالى رَوْعَتَك، وحَقَن دَمَك، وصان حُرَمَك، وحَرَس نِعْمَتَك، وعفا عن ذَنْبِك. وما تَعَجَّلْتُ إليك وحدي إلاّ لتأمنَ من قبل هجوم الجيش، ولئلاّ يُخالِط عَفْوِي عنك روعةٌ تَلْحَقُك. فبكى الحِصْنيُّ وقام فقبّل رأسَه؛ وضَمَّه إليه عبد اللّه وأدناه، ثم قال له: إمّا لا فلا بدّ من عتاب. يا أخي جعلني الله فداك! قلتُ شعراً في قومي أفخر بهم لم أَطْعَنْ فيه على حَسَبك ولا ادّعيت فضلاً عليك. وفخرتُ بقتل رجلٍ هو وإن كان من قومك، فهم القومُ الذين ثَأْرُك عندهم؛ فكان يَسَعُك السكوتُ، أو إن لم تسكُتْ لا تُغْرِقْ ولا تُسْرِفْ. فقال: أيها الأمير، قد عفوتَ، فاجْعَله العفوَ الذي لا يخلِطه تثريبٌ، ولا يكدِّر صَفْوَه تأنيب. قال: قد فعلتُ، فقُمْ بنا ندخل إلى منزلك حتَّى نُوجِبَ عليك حقّاً بالضِّيافة. فقام مسروراً فأدخلَنا، فأتى بطعام كان قد أعدَّه، فأكلْنا وجلسنا نشرَب في مُسْتَشْرَفٍ له. وأقبل الجيش، فأمرني عبد اللّه أن أتلقَّاهم فأُرَحِّلَهم، ولا ينزَل أحدٌ منهم إلاّ في المنزل، وهو على ثلاثة فراسخ؛ فنزلتُ فرحَّلتهم. وأقام عنده إلى العصر. ثم دعا بدواةٍ فكتب له بتسويغه خَراجَه ثلاثَ سنين، وقال له: إنْ نَشِطتَ لنا فالْحَقْ بنا، وإلاَّ فأقِمْ بمكانك. فقال: فأنا أتجهَّز وأَلْحَقُ بالأمير. ففعل فلَحِق بنا بمصر. ولم يَزَلْ مع عبد اللّه لا يُفارقه حتى رَحَل إلى العِراق، فودّعه وأقام ببلده.

فأمّا الأصواتُ التي غنَّى فيها عبدُ اللّه بن طاهر فكثيرة. وكان عُبَيد اللّه بن عبد اللّه إذا ذكر شيئاً منها قال: الغناء للدّار الكبيرة، وإذا ذكر شيئاً من صَنْعته قال: الغناء للدار الصغيرة. فمنها ومن مُختارها وصُدورها ومُقَدّمها لحنُه في شِعْر أُخت عَمْرو بن عاصية ـ وقيل: إنه لأُخت مسعود بن شَدّاد ـ فإنه صوتٌ نادر جيِّد. قال أبو العُبَيْس بن حَمْدون وقد ذكره ففضَّله: جاء به عبدُ اللّه بن طاهر صحيحَ العمل مُزْدَوِجَ النَّغم بَيْن لينٍ وشِدّةٍ على رَسْم الحُذَّاق من القُدَماء، وهو:

صوت

[البسيط]

هَلاّ سَقَيْتُمْ بَنِي سَهْمٍ أَسِيرَكُمُ نَفْسِي فِداؤكَ مِنْ ذِي غُلَّةٍ صادِي
الطاعِنُ الطَّعْنَةَ النَّجلاَءَ يَتْبَعُها مُضَرَّجٌ بَعْدَ ما جادَتْ بإزْبادِ

الشعر لأُخت عمرو بن عاصِيَة السُّلَميّ ترثيه. وكان بنو سَهْم، وهم بطنٌ من هُذَيل، أسَروه في حربٍ كانت بينهم ولم يعرفوه، فلمّا عرَفوه قتلوه. وكان قد عَطِش فاستسقاهم، فمنعوه وقتلوه على عَطَشِه. وقيل: إنّ هذا الشعر للفارعة أُخت مسعود بن شَدّاد. ولحنُ عبد اللّه بن طاهر خفيفُ ثقيل أوّل بالوسطى ابتداؤه استهلال.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وحبيبُ بن نصر المُهَلَّبيّ قالا: حدّثنا عمر بن شبّة قال: قتلت بنو سَهْم، وهم بطن من هُذَيْل، عمرَو بن عاصية السُّلَميّ، وكان رجلان منهم أخذاه أخذاً، فاستسقاهما ماءً فمنعاه ذلك، ثم قتلاه. فقالتْ أخته ترْثيه، وتذكُر ما صنعوا به: [البسيط]

شَبَّتْ هُذَيْلٌ وبَهْزٌ بَيْنَها إرَةً فلا تَبُوخُ ولا يَرْتَدُّ صَالِيها[1]

ويروى: «شبت هذيلٌ وسهمٌ»، وهو الصحيح، ولكن كذا قال عمر بن شبّة.

إنّ ابنَ عاصِيَةَ المَقْتُولَ بَيْنَكُمَا خَلَّى عَلَيَّ فِجَاجاً كانَ يَحْمِيها

وقالت أيضاً ترثيه: [البسيط]

يا لَهْفَ نَفْسِيَ لَهْفاً دائِماً أبَداً على ابْنِ عَاصِيَةَ المَقْتُولِ بِالوَادِي
هَلاَّ سَقَيْتُمْ بَنِي سَهْمٍ أسِيرَكُمُ نَفْسِي فِداؤكَ مِنْ ذِي غُلَّةٍ صَادِي[2]

قال: فغزَا عَرْعَرةُ بن عاصية هُذَيْلاً يطلبُهم بدم أخيه، فقتل منهم نَفَراً وسَبَى امرأةً فجرّدها، ثم ساقها معه عارِيةً إلى بلاد بني سُلَيْم؛ فقالت عند ذلك: [الطويل]

ألامَتْ سُلَيْمٌ في السِّياقِ وأَفْحَشَتْ وَأَفْرَطَ في السَّوْقِ العَنِيفِ إسَارُها[3]

---

(١) الإرة: الحفرة فيها نار، وهي هنا كناية عن الحرب.

(٢) ذو الغلة، والصادي: العطشان.

(٣) ألامت: فعلت ما تلام على فعله. وأفحشت أتت الفحشاء والقبيح. والسياق: السَّوْق. والإسار: الأسر.

لَعَلَّ فَتاةً مِنْهُمُ أنْ يَسُوقَها فَوَارِسُ منّا وَهْيَ بادٍ شَوارُها[١]
فإنْ سَبَقَتْ عُلْيَا سُلَيْم بِذَحْلِها هُذَيْلاً فَقَدْ باءَتْ فَكَيْفَ اعْتِذارُها
ألا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أرَى الخَيْلَ شُزَّباً تُثِيرُ عَجاجاً مُسْتَطِيراً غُبارُها[٢]
فَتَرْقا عُيُونٌ بَعْدَ طُولِ بُكائِها وَيُغْسَلُ ما قَدْ كانَ بالأمْسِ عارُها[٣]

هذه رواية عمر بن شَبّة. فأمّا أبو عُبَيْدة فإنه خالفه في ذلك، وذكر في مقتله، فيما أخبرني به محمد بن الحسن بن دُرَيْد إجازةً عن أبي حاتم عن أبي عُبَيدةَ قال: خرج عمرو بن عاصية السُّلَميُّ ثم البَهْزِيّ في جماعةٍ من قومه، فأغاروا على هُذَيْلِ بن مُدْرِكَة، فصادفوا حيّاً من هُذَيلٍ يقال لهم بنو سَهْم بن مُعاوية. وكانت امرأةٌ من هُذَيل تحت رجل من بني بَهْزٍ، فقالت لابن لها معه: أيْ بُنَيَّ انْطَلِقْ إلى أخوالك فأنْذِرْهم بأنّ ابن عاصيةَ السُّلَميّ قد أمسى يريدهم، وذلك حين عَزَم ابن عاصيةَ على غَزْوهم وأراد المسيرَ إليهم. فانطلق الغلام من تحت ليلته حتى أتى أخواله فأنذرهم، فقال: ابن عاصية السُّلَميّ يريدكم، فخذوا حِذْرَكم؛ فبَدَر القوم واستعدّوا. وأصبح عمرو بن عاصية قريباً من الحيّ، فنزل فَرَباً لأصحابه[٤] على جبلٍ مشرف على القوم، فإذا هم حَذِرون. فقال لأصحابه: أرى القومَ حَذِرين، إنّ لهم لشأناً، ولقد أُنْذِرُوا علينا. فَكَمن في الجبل يطلُب غَفْلَتَهم، فأصابه وأصحابَه عطشٌ شديد، فقال ابن عاصية لأصحابه: هل فيكم مَنْ يرتوي لأصحابه؟ فقال أصحابه: نخاف القوم، وأبى أحدٌ منهم أن يُجيبه إلى ذلك. قال: فخرج على فَرَسٍ له ومعه قِرْبتُه. وقد وضعتْ هُذَيْلٌ على الماء رجلاً منهم رَصَداً، وعَلِموا أنّهم لا بدَّ لهم من أن يَرِدُوا الماء. فمرّ بهم عمرو بن عاصية وقد كَمَن له شيخٌ وفَتَيانِ من هُذَيل، فلما نظروا إليه همّ الفَتَيانِ أن يُثَاوِرَاه[٥]. فقال الشيخ: مَهْلاً، فإنه لم يَرَكما، فكَفَّا. فانتهى ابن عاصيةَ إلى البئر، فنظر يميناً وشِمالاً فلم يرَ أحداً والآخرون يرمقُونه[٦] من حيثُ لا يراهم. فوثب نحو قربته فأخذها ثم دخل البئر فطَفِق يملأ القربة ويشرَب. وأقبل الفَتَيان والشيخُ معهما حتى أشرفوا عليه وهو في

---

(١) الشوار: الحسن، الزينة، اللباس.
(٢) الخيل الشُّزَّب: الضوامر. والعجاج: الغبار المتطاير.
(٣) ترقا: ترقأ، حذفت الهمزة للتسهيل. وترقأ العين: يجف دمعها.
(٤) ربأ لأصحابه: كان لهم ربيئة. والربيئة: الذي يكون عيناً يرقب العدوّ ليخبر أصحابه.
(٥) ثاوره: واثبه.
(٦) يرمقونه: ينظرون إليه.

البئر، فرفع رأسه فأبصر القوم؛ فقالوا: قد أخزاك الله يابنَ عاصية وأمكن منك! قال: ورمى الشيخَ بسهم فأصاب أخمصه فأنفذه فصرعه، وشُغِل الفَتَيانِ بنَزْع السهم من قَدَمِ الشيخ، ووثب ابن عاصية من البئر شَدّاً[١] نحو أصحابه، وأدركه الفَتَيانِ قبل وصوله فأسَراه. فقال لهما حين أخذاه: أرْوِيَاني من الماء ثم اصنعا ما بَدَا لكما. فلم يَسْقِياه وتَعَاوراه بأسيافهما حتى قتلاه. فقالت أخت عمرو بن عاصية تَرثي أخاها: [البسيط]

يـا لَـهْـف نَـفْـسِـيَ يَـوْمـاً ضَـلَّـةً جَـزَعـاً — على ابْنِ عـاصِـيَـةَ الـمَـقْـتُـولِ بِـالـوَادِي

إذ جَـاءَ يَـنْـفُـضُ عـن أصْـحـابِـهِ طَـفَـلاً — مَشْيَ السَّبَنْتَى أمامَ الأَيْكَةِ العَادِي[٢]

هَـلاَّ سَـقَـيـتُـمْ بَـنِـي سَـهْـمٍ أسِـيـرَكُـمُ — نَفْسِي فِداؤكَ من مُسْتَوْرِدٍ صادِي[٣]

قال أبو عبيدة: وآب غَزِيٌّ[٤] بني سُلَيْم بعد مقتل ابن عاصية. قال: فبلغ أخاه عَرْعَرَةَ بنَ عاصيةَ قَتْلُ هُذَيلٍ أخاه وكيف صُنِع به، فجمع لهم جمعاً من قومه فيهم فوارسُ من بني سُلَيْم منهم عَبِيدةُ بن حكِيم الشَّرِيديّ وعمرُو بن الحارث الشَّريديّ وأبو مالك البَهْزِيّ وقيسُ بن عمرو أحد بني مطرود من بني سُلَيْم وفوارسُ بني رِعْلٍ. قال: فسرى إليهم عرعرة، فالتقَوْا بموضع يقال له الجُرْف[٥] فاقتتلوا قِتالاً شديداً، فظفِرتْ بهم بنو سُلَيم فأوجعوا فيهم وقتلوا منهم قَتْلَى عظيمةً، وأسروا أَسْرَى، وأصابوا امرأةً من هُذَيْل فعَرَّوْها من ثيابها واستاقوها مجرّدةً فأفحشوا في ذلك. وقال عرعرة بن عاصية في ذلك يذكر مَنْ قتل: [الوافر]

ألاَ أبْـلِـغْ هُـذَيْـلاً حَـيْـثُ حَـلَّـتْ — مُـغَـلْـغَـلَـةً تَـخُـبُّ مـعَ الـشَّـفِـيـقِ

مُـقَـامَـكُـمْ غَـداةَ الـجُـرْفِ لَـمَّـا — تَـوَاقَـفَـتِ الـفَـوَارِسُ بـالـمَـضِـيـقِ

غَـداةَ رَأيـتُـمْ فُـرْسـانَ بَـهْـزٍ — ورِعْـلٍ ألْـبَـدَتْ فَـوْقَ الـطَّـرِيـقِ[٦]

تَـرَامَـيْـتُـمْ قَـلِـيـلاً ثُـمَّ وَلَّـتْ — فَـوَارِسُـكُـمْ تَـوَقَّـلُ كُـلَّ نِـيـقِ[٧]

(١) شدّاً: ركضاً سريعاً.
(٢) ينفض: يكشف. والسَّبنتي: الأسد.
(٣) المستورد: الطالب الورد، أي الماء. والصادي: العطشان.
(٤) الغزيّ: الغازي.
(٥) الجرف: علم على عدة مواضع. (انظر معجم البلدان: ٢/ ١٢٨).
(٦) ألبد بالمكان: أقام به ولزمه.
(٧) توقل: تتوقل حذف حرف المضارعة. وتتوقل: تصعد. والنيق: أعلى الجبل.

بِـضَـرْبٍ تَـسْـقُـطُ الـهـامـاتُ مِـنْـهُ وَطَـعْـنٍ مِـثْـلِ إشْـعَـالِ الـحَـرِيـقِ

وقال لي: إنّ هذا الشعر الذي فيه صنعة عبد اللّه بن طاهر لمسعود بن شدّاد يَرثي أخاه، وزعَم أنّ جَرْماً كانت قتلتْه وهو عطشان، فقال:

يـا عَيْنُ جُـودِي لِـمَسْعُـودِ بـن شَـدّادِ بـكـلِّ ذي عَـبَـراتٍ شَـجْـوُهُ بـادِي
هَـلاَّ سـقـيـتـم بـنـي جَـرْمٍ أسِـيـرَكُـمُ نَـفْـسِـي فـداؤكَ مـن ذي غُـلَّـةٍ صـادِي

فأنشدَنيها بعضُ أصحابنا قال: أنشدني أبو بكر محمد بن الحسن بن دُرَيْد قال أنشدني أبو حاتم عن أبي عُبَيدةَ لفارعة المُرّيّة أُخت مسعود بن شَدّاد ترثيه، فذكر من الأبيات البيت الأوّل، وبعده: [البسيط]

يـا مَـنْ رأى بـارِقـاً قـد بِـتُّ أرمُـقُـهُ جَـوْداً عـلى الـحَـرَّةِ الـسَّوْداءِ بـالـوَادِي[1]
أسْقِـي بـه قَـبْـرَ مَـنْ أعْـنِـي وَحُـبَّ بِـهِ قَـبْـراً إِلَـيَّ وَلَـوْ لَـمْ يَـفْـدِهِ فـادِي
شَـهَّـادُ أنْـدِيَـةٍ رَفَّـاعُ أبْـنِـيَـةٍ شَـدّادُ أَلْـوِيَـةٍ فَـتَّـاحُ أسْـدادِ
نَـحَّـارُ راغِـيَـةٍ قَـتَّـالُ طـاغِـيَـةٍ حَـلاَّلُ رابِـيَـةٍ فَـكَّـاكُ أقْـيـادِ[2]
قَـوّالُ مُـحْـكَـمَـةٍ نَـقّـاضُ مُـبْـرَمَـةٍ فَـرّاجُ مُـبْـهَـمَـةٍ حَـبَّـاسُ أوْرادِ
حَـلاَّلُ مُـمْـرِعَـةٍ حَـمَّـالُ مُـضْـلِـعَـةٍ قَـرّاعُ مُـفْـظِـعَـةٍ طَـلاَّعُ أنْـجـادِ[3]
جَمَّاع كُلِّ خِصَالِ الخَيْرِ قد عَلِمُوا زَيْنُ القَرِينِ وَخَطْمُ الظالِمِ العادِي
أبـا زُرَارةَ لا تَـبْـعَـدْ فَـكُـلُّ فَـتًـى يَـوْمـاً رَهِـيـنُ صَـفِـيـحـاتٍ وأعْـوَادِ

والغناء في هذا الشعر لعبد اللّه بن طاهر خفيفُ ثقيلٍ أوّلَ بالبنصر. قال عُبَيد اللّه بن عبد اللّه بن طاهر: لمّا صنع أبي هذا الصوتَ لم يُحِبَّ أن يَشِيع شيءٌ من هذا ولا يُنْسَبَ إليه؛ لأنه كان يترفَّع عن الغناء، وما جَسَّ بيده وَتَراً قَطُّ ولا تعاطاه، ولكنه كان يعلم من هذا الشأن بطول الدُّرْبة وحُسْن الثقافة ما لا يعرِفه كبير أحدٍ. وبلغ من عِلْم ذلك إلى أن صَنَعَ أصواتاً كثيرة، فألقاها على جَواريه، فأخَذْنَها عنه وغَنَّيْنَ بها، وسَمِعها النَّاسُ منهنّ وممن أَخَذ عنهنّ. فلما أن صنع هذا الصوتَ:

[البسيط]

هَـلاّ سَـقَـيْـتُـمْ بَـنِـي جَـرْمٍ أسِـيـرَكُـمُ نَـفْـسِـي فِـداؤكَ مـن ذي غُـلَّـةٍ صـادِي

---

(١) البارق: السحاب يصحبه برق. والجود: الكثير المطر.
(٢) الراغية: الناقة.
(٣) المضلعة: التي تقض الأضلاع وتثقل عليها. والأنجاد: جمع نجد وهو المكان المرتفع.

نسبه إلى مالك بن أبي السَّمْح. وكان لآل الفضل بن الربيع جاريةٌ يقال لها دَاحة، فكانت ترغَب إلى عبد اللّه بن طاهر لمّا نَدَبه المأمونُ إلى مصرَ في أن يأخذها معه، وكانت تغنيه، وأخذت هذا الصوت عن جواريه، وأخذه المغنُّون عنها ورَوَوْه لمالك مدّة. ثم قَدِم عبدُ اللّه العراقَ فحضر مجلسَ المأمون. وغُنِّي الصوتُ بحضرته ونُسِب إلى مالك؛ فضحِك عبدُ اللّه ضحكاً كثيراً. فسُئِل عن القِصّة فصَدَق فيها واعترف بصَنْعة الصوت. فكَشَف المأمونُ عن ذلك، فلم يَزَلْ كلُّ مَنْ سُئِل عنه يُخْبر عمن أخذه عنه، فتنتهي القِصّةُ إلى داحةَ ثم تقِف ولا تعدوها. فأُحْضِرتْ دَاحةُ وسئلتْ فأخبرتْ بقصته؛ فعُلِم أنّه من صَنْعته حينئذ بعد أن جاز على إسحاق وطبقته أنّه لمالك. ويقال: إنّ إسحاق لم يَعْجَبْ من شيءٍ عَجَبه من عبد اللّه وحِذْقه بمذاهب الأوائل وحكاياتهم.

قال: ومن غنائه أيضاً:

صوت

[الخفيف]

رَاحَ صَحْبي وعاوَدَ القَلْبَ داءُ ... مِنْ حَبيبٍ طِلابُهُ لِي عَنَاءُ

حَسَنُ الرَّأيِ وَالمَوَاعِيدِ لا يُلْـ ... فَى لِشَيْءٍ مِمّا يَقُولُ وَفاءُ

مَنْ تَعَزَّى عَمَّنْ يُحِبُّ فَإنِّي ... لَيْسَ لي ما حَيِيتُ عَنْهُ عَزاءُ

الغناء لابن طُنْبورةَ خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالسبّابة في مجرى الوسطى. ولحنُ عبد اللّه بن طاهر ثاني ثقيلٍ بالبنصر.

ومنها: [مجزوء الوافر]

فَمَنْ يَفْرَحْ بِبَيْنِهِمُ ... فَغَيْري إذْ غَدَوْا فَرِحَا

صوت

يا خَلِيلَيَّ قَدْ مَلِلْتُ ثَوَائِي ... بالمُصَلَّى وقد شَنِئْتُ البَقِيعَا[1]

بَلِّغانِي ديارَ هِنْدٍ وَسَلْمَى ... وَارْجِعَا بِي فَقَدْ هَوَيْتُ الرُّجُوعا

الشعر لعُمَر بن أبي ربيعة. والغناء لِلغَرِيضِ خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى في مجراها

(١) المصلّى: موضع الصلاة. وشنئت: أبغضت، كرهت.

عن إسحاق، وذكر الهِشاميّ أنّه لابن سُرَيج. وذكر حبشٌ أنّ فيه رَمَلاً بالبنصر لإبراهيم. وفيه لحن لمَعْبَدٍ ذكَره حَمّاد بن إسحاق عن أبيه ولم يجنّسه.

[أخبار متفرقة]

أخبرني بخبر عمر بن أبي ربيعة في هذا الشعر وقَوْلِهِ إيّاه الحَرَمِيُّ بن أبي العلاء قال: حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال: حدّثنا سليمان بن عَيَّاش السَّعْدي قال: أخبرني السائب بن ذَكْوان راوية كُثَيِّر قال: قَدِم عمر بن أبي ربيعة المدينةَ، وأخبرني الحُسين بن يحيى عن حَمَّاد عن أبيه عن عثمان بن حَفْص قال، وأخبرني علي بن صالح عن أبي هِفَّانَ عن إسحاق عن عثمان بن حفص والزُّبَيْريّ والمُسَيَّبِيّ، وأخبرني به أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال: حدّثنا عمر بن شَبّة موقوفاً عليه. وجمعتُ رواياتهم، وأكثرُ اللَّفْظِ للزُّبَير بن بَكّار وخبرُه أتمُّ، أنّ عمر بن أبي ربيعة قَدِم المدينةَ؛ فزعموا أنّه قَدِمَها من أجل امرأةٍ من أهلها، فأقام بها شهراً؛ فذلك قوله:

يا خَلِيلَيَّ قد مَلِلْتُ ثَوائِي ... بالمُصَلَّى وَقَدْ شَنِئْتُ البَقِيعَا

قال: ثمّ خرج إلى مكة، فخرج معه الأحوصُ واعتمرا.

قال الزُّبَير في خبره عن سائب راوية كُثَيِّر: إنه قال: لمّا مَرَّا بالرَّوْحاء[1] اسْتَتْلَيَاني[2] فخرجت أتلوهما، حتّى لَحقْتُهما بالعَرْج[3] عند رَوَاحهما. فخرجْنا جميعاً حتّى وَرَدْنا وَدَّانَ[4]، فحبسهما النُّصَيْبُ وذَبَح لهما وأكرمهما، وخرجنا وخرج معنا النُّصَيْب. فلمّا جئنا كُلَيَّةَ[5] عدلنا جميعاً إلى منزل كُثَيِّرٍ، فقيل لنا: هبَطَ قُدَيْداً[6]، فذكر لنا أنّه في خيمةٍ من خِيامها. فقال لي ابن أبي ربيعة: اذْهَبْ فادْعُه لي. فقال النُّصَيْب: هو أحمق وأشدُّ كِبْراً من أن يأتيك. فقال لي عمر: اذْهَبْ كما أقولُ لك فادْعُه لي. فجئتُه، فهَشّ لي وقال: «أُذْكُرْ غائباً تَرَه»، لقد جئت وأنا

(١) الروحاء: قرية على بعد ليلتين من المدينة (معجم البلدان ٢/ ٧٦).
(٢) استتلياني: طلبا أن يتبعاني.
(٣) العَرْج: قرية من نواحي الطائف. (معجم البلدان ٤/ ٩٨).
(٤) ودّان: موضع قريب من الجحفة. (معجم البلدان ٥/ ٣٦٥).
(٥) كليّة: وادٍ قريب من الجحفة. (معجم البلدان ٤/ ٤٧٨).
(٦) قديد: موضع قرب مكة. (معجم البلدان ٤/ ٣١٣).

أذكُرُك. فأبلغتُه رسالة عمر؛ فجدَّد إليَّ نظرةً وقال: أمَا كان عندك من المعرفة ما يَرْدَعُك عن إتياني بمثل هذه الرسالة! قلت: بلى والله! ولكنِّي سترتُ عليك فأبى الله إلاَّ أن يَهْتِكَ سِتْرَكَ. فقال لي: إنّك والله يابنَ ذَكْوَان ما أنتَ من شَكْلِي؛ فقُلْ لابن أبي ربيعةَ: إنْ كنتَ قُرَشِيًّا فأنا قرشيٌّ. فقلت له: لا تترك هذا التَّلَصُّقَ وأنت تُقْرَفُ[1] عنهم كما تُقْرَفُ الصَّمْغةُ! فقال: والله لأنا أثبتُ فيهم منك في سَدُوسَ. ثم قال: وقل له: إنْ كنتَ شاعراً فأنا أشعرُ منك. فقلت له: هذا إذا كان الحُكْمُ إليك. فقال: وإلى مَنْ هو ومَنْ أَوْلَى بالحكم منِّي! وبعد هذا يابن ذكوان فاحْمَدِ الله على لومك؛ فقد منعَك منِّي اليوم؟ فرجعتُ إلى عُمَر، فقال: ما وراءك؟ فقلتُ: ما قال لك نُصَيْبٌ. فقال: وإنْ. فأخبرتُه فضَحِك وضحِك صاحباه ظَهْراً لبَطْنٍ، ثم نهضوا معي إليه. فدخلْنا عليه في خَيْمَةٍ، فوجدناه جالساً على جِلْدِ كَبْشٍ، فواللَّهِ ما أوسع للقُرَشيّ. فلمّا تحدّثوا مليّاً فأفاضوا في ذكر الشِّعر، أقبلَ على عُمَرَ فقال له: أنت تَنْعَت المرأةَ فتَنْسب بها ثم تَدَعُها وتَنْسِب بنفسِك. أخْبِرْني يا هذا عن قولك:

[المنسرح]

قــالَــتْ تَــصَــدَّيْ لَــهُ لِــيَــعْــرِفَــنــا ... ثــمّ اغْــمِــزيــهِ يــا أُخْــتُ فــي خَــفَــرِ
قــالَــتْ لــهــا قَــدْ غَــمَــزْتُــهُ فَــأَبَــى ... ثــم اسْــبَــطَــرَّتْ تَــشْــتَــدُّ فــي أَثَــرِي
وَقَــوْلُــهــا وَالــدُّمُــوعُ تَــسْــبِــقُــهــا ... لَــنُــفْــسِــدَنَّ الــطَّــوافَ فــي عُــمَــرِ

أتُراكَ لو وصفتَ بهذه هِرَّةَ أهلك ألم تكن قد قَبَّحْتَ وأسأتَ وقُلْتَ الهُجْرَ. إنما تُوصَف الحُرّةُ بالحياء والإباء والالْتِواء والبُخْل والامتِناع، كما قال هذا ـ وأشار إلى الأحوص: [الطويل]

أَدُورُ وَلَــوْلا أنْ أرَى أُمَّ جَــعْــفَــرٍ ... بِــأَبْــيــاتِــكُــمْ مــا دُرْتُ حَــيْــثُ أدُورُ
ومــا كُــنْــتُ زَوَّاراً وَلٰــكِــنَّ ذا الــهَــوَى ... إذا لَــمْ يَــزُرْ لا بُــدَّ أَنْ سَــيَــزُورُ
لَــقَــدْ مَــنَــعَــتْ مَــعْــرُوفَــهــا أُمُّ جَــعْــفَــرٍ ... وَإِنِّــي إِلــى مَــعْــرُوفِــهَــا لَــفَــقِــيــرُ

قال: فدخلتِ الأحْوَص أُبَّهة وعُرِفَتِ الخُيَلاءُ فيه. فلما استبانَ كُثَيِّر ذلك فيه قال: أبطل آخِرُك أوّلَك. أَخْبِرْني عن قولك: [الوافر]

فــإنْ تَــصِــلِــي أصِــلْــكِ وإنْ تَــبِــيــنِــي ... بِــصُــرْمِــكِ بَــعْــدَ وَصْــلِــكِ لا أُبــالــي

(١) تقرف: تفرّق.

ولا أُلْـفَـى كَـمَـنْ إنْ سِـيـمَ صَـرْمـاً تَـعَـرَّضَ كَـي يُـرَدَّ إلـى الـوِصـالِ

أمَا والله لو كنتَ فَحْلاً لباليْتَ ولو كَسَرت أنفَك. ألاَ قُلْتَ كما قال هذا الأسود ـ وأشار إلى نُصيب ـ: [الطويل]

بِزَيْنَبَ أَلْـمِـمْ قبلَ أن يَرْحَلَ الرَّكْبُ وَقُـلْ إنْ تَـمَلِّـينَا فـما مَـلَّكِ الـقَـلْـبُ

قال: فانكسر الأحوصُ، ودخلتِ النُّصَيْبَ أُبهةٌ. فلمّا نَظَر أنّ الكِبْرِياء قد دخلته، قال له: يابنَ السَّوْداء، فأَخْبِرْني عن قولك:

أَهِـيـمُ بِـدَعْـدٍ مـا حَـيِـيـتُ فَـإنْ أَمُـتْ فـوَا كَـبِـدِي مَـنْ ذا يَـهِـيـمُ بـهـا بَـعْـدِي

أَهَمَّكَ مَنْ يَنِيكُها بعدَك! فقال نُصَيْب: استوتِ القِوَقُ، قال: وهي لُعْبةٌ مثل المنقلة. ومن هذا الموضع ينفرد الزُّبير بروايته دون الباقين. قال سائب: فلمّا أمسك كُثَيِّر أقبل عليه عُمَر فقال له: قد أَنْصَتْنا لك فاسْمَع يا مَذْبوبُ[1] إليَّ، أَخْبِرْني عن تَخَيُّرِكَ لِنَفْسِكَ وَتَخَيُّرِكَ لِمَنْ تُحِبُّ حيثُ تقول: [الطويل]

أَلاَ لَـيـتَـنـا يـا عَـزَّ كُـنّـا لِـذِي غِـنًـى بَـعِـيرَيْـنِ نَـرْعَـى في الـخَـلاءِ ونَـعْـزُبُ

كِـلاَنَـا بـهِ عَـرٌّ فَـمَـنْ يَـرَنـا يَـقُـلْ عَـلى حُـسْـنِـهـا جَـرْبـاءُ تُـعْـدِي وأَجْـرَبُ

إذا مـا وَرَدْنـا مَـنْـهَـلاً صَـاحَ أَهْـلُـهُ عَـلَـيْـنـا فـما نَـنْـفَـكُّ نُـرْمَـى ونُـضْـرَبُ

وَدِدْتُ وَبَـيْـتِ الـلَّـهِ أنَّـكِ بَـكْـرَةٌ هَـجانٌ وأنِّـي مُـصْـعَـبٌ ثُـمَّ نَـهْـرُبُ[2]

نَـكُـونُ بَـعِـيَـرَيْ ذِي غِـنًـى فَـيُـضِـيـعُـنـا فـلا هُـوَ يَـرْعَـانـا ولا نَـحْـنُ نُـطْـلَـبُ

وقال: تَمَنَّيْتَ لها ولنفسك الرِّقَّ والجرب والرَّمْيَ والطَّرْدَ والمَسْخَ، فأيَّ مَكْروهٍ لم تَمَنَّ لها ولنفسك! لقد أصابها منك قولُ القائل: «مُعَاداةُ عاقلٍ خيرٌ من مودَّة أحمقَ». قال: فجعل يختلج جسده[3] كله. ثم أقبل عليه الأحوص فقال: إليَّ يابن اسْتها أُخبِرْكَ بخَبَرك وتَعَرُّضِك للشرّ وعَجْزك عنه وإهدافك[4] لمن رَمَاك. أَخبرني عن قولك: [الطويل]

وقُـلْـنَ ـ وَقَـدْ يَـكْـذِبْـن ـ فِـيـكَ تَـعَـيُّـفٌ وَشُـؤْمٌ إذا مـا لَـمْ تُـطَـعْ صـاحَ نـاعِـقُـهْ

---

(١) المذبوب: المجنون.

(٢) البكرة: الناقة. والهجان: البيضاء. والمصعب: الفحل.

(٣) يختلج جسده: يضطرب.

(٤) الإهداف: التعرض.

وَأَعْيَيْتَنا لا راضِياً بكرامَةٍ ولا تاركاً شَكْوَى الّذي أنتَ صادِقُهْ
فأدرَكْتَ صَفْوَ الوُدِّ مِنَّا فلُمْتَنا وَلَيْسَ لنا ذَنْبٌ فنَحْنُ مَوَاذِقُهْ(١)
وَألفَيتَنا سَلْماً فصَدَّعْتَ بَيْنَنا كما صَدَّعَتْ بينَ الأدِيمِ خَوالِقُهْ(٢)

واللَّهِ لو احتفلَ عليك هاجيك ما زاد على ما بُؤْتَ به على نَفْسِك. قال: فخَفَق كما يَخْفِق الطائرُ. ثم أقبل عليه النُّصَيْبُ فقال: أَقْبِلْ عليَّ يا زُبَّ الذُّبَاب! فقد مَنَّيْتَ معرفة غائبٍ عندي عِلْمُه فيك حيث تقول: [الطويل]

وَدِدْتُ - وما تُغْنِي الوَدَادةُ - أنَّنِي بما في ضَمِيرِ الحاجِبِيَّةِ عالِمُ
فإنْ كانَ خَيْراً سَرَّني وعَلِمْتُهُ وإنْ كانَ شَرًّا لَم تَلُمْنِي اللوَّائمُ

أُنْظُرْ في مِرْآتِك واطَّلِعْ في جَيْبِك واعْرِفْ صورةَ وجهِك، تَعْرِفْ ما عندها لك. فاضطرب اضطرابَ العُصْفور، وقام القومُ يضحَكون. وجلست عنده؛ فلمَّا هدأ شَأْوُه(٣) قال لي: أَرْضَيْتُك فيهم؟ فقلتُ له: أمّا في نفسك فنعَمْ! فقد نَحُسَ يومُك معهم، وقد بَقِيتُ أنا عليك. فما عُذْرُكَ - ولا عُذْرَ لك - في قولك: [الطويل]

سَقَى دِمْنَتَيْنِ لم نَجِدْ لَهُما أهْلاَ بِحَقْلٍ لَكُمْ يا عَزَّ قد رَابَنا حَقْلاَ
نَجَاءُ الثُّرَيَّا كُلَّ آخِرِ لَيْلَةٍ يَجُودُهُما جَوْداً ويُتْبِعُهُ وبْلاَ

[ثم قلتَ في آخرها]

وما حَسِبَتْ ضَمْرِيَّةٌ حَدَرِيَّةٌ سِوَى التَّيْس ذي القَرْنَيْن أنَّ لها بَعْلاَ

أهكذا يقول الناسُ وَيحكَ! ثم تظنّ أنّ ذلك قد خَفِيَ ولم يعلَمْ به أحدٌ، فتَسُبّ الرجالَ وتَعِيبهم! فقال: وما أنت وهذا؟ وما علْمُك بمعنى ما أردت؟ فقلت: هذا أعجبُ من ذاك. أتذكُر امرأةً تَنْسِبُ بها في شَعْرك وتَسْتَغزرُ لها الغَيْثَ في أوّل شعْرك، وتَحْمِلُ عليها التَّيْسَ في آخره! قال: فأطرقَ وذَلَّ وسَكَن. فعُدْتُ إلى أصحابي فأعْلمتُهم ما كان من خَبَره بعدَهم. فقالوا: ما أنت بأهْوَن حجارتِه التي رُمِي بها اليوم منَّا. قال فقلتُ لهم: إنّه لم يَتِرْني(٤) فأطْلُبَه بذَحْلٍ(٥)، ولكنّي نصحته

(١) مذق الودّ: لم يخلصه.
(٢) البين هنا: الوصل.
(٣) هدأ شاوه، هنا: هدأ اضطرابه.
(٤) الترة: الثأر، والعداوة والحقد. ولم يترني: لم يعادني.
(٥) الذَّحْل: الثأر.

لئلاّ يُخِلّ هذا الإخلالَ الشديد، ويَرْكَبَ هذه العَروضَ التي رَكِب في الطَّعْن على الأَحرار والعَيْبِ لهم.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجَوْهري وإسماعيل بن يونس قالا: حدّثنا عمر بن شَبّة قال: حدثني إسحاق الموصليّ قال: حدَّثني ابن جامع عن السَّعِيديّ عن سهل بن بَرَكَةَ وكان يَحْمِل عُودَ ابنِ سُرَيْج قال: كانَ على مَكَّة نافعُ بن عَلْقمةَ الكِنَانِيّ، فشَدَّد في الغِناء والمغنِّين والنبيذ، ونادى في المخنَّثين. فخرج فِتْيَةٌ من قُرَيْش إلى بَطْنِ مُحَسِّرٍ وبعثوا برسولٍ لهم فأتاهم براوية من الشراب الطائفيّ - فلمَّا شَرِبوا وطَرِبوا قالوا: لو كان معنا ابنُ سُرَيج تمَّ سرورنا. فقلت: هو عليَّ لكم. فقال لي بعضهم: دُونَك تلك البغلة فارْكَبْها وامْضِ إليه. فأتيته فأخبرتُه بمكان القوم وطلبِهم إيَّاه. فقال لي: وَيْحَكَ! وكيف لي بذاك مع شِدّة السلطان في الغِناء ونِدائه فِيه؟ فقلت له: أفتردُّهم؟ قال: لا والله! فكيف لي بالعُود؟ فقلتُ له: أنا أَخْبَؤه لك فشأنَك. فركب وسترتُ العُودَ وأردفني. فلمّا كنّا ببعض الطريق إذا أنا بنافع بن عَلْقمةَ قد أقبل، فقال لي: يابنَ بَرَكةَ هذا الأمير! فقلتُ: لا بأس عليك، أَرْسِلْ عِنانَ البغلة وامْضِ ولا تَخَف، ففعل. فلمّا حاذيناه عَرَفني ولم يعرف ابن سُرَيْج، فقال لي يابنَ بركة: مَنْ هذا أمامَك؟ فقلت: ومَنْ ينبغي أن يكون! هذا ابنُ سُرَيْج. فتبسَّم ابن علقمةَ ثم تمثَّل: [الطويل]

فَإِنْ تَنْجُ مِنْها يا أَبانُ مُسَلَّماً ... فَقَدْ أَفْلَتَ الحَجّاجُ خَيْلَ شَبِيبِ

ثم مضى ومَضَيْنا. فلمّا كنّا قريباً من القوم نزلنا إلى شجرةٍ نستريح، فقلتُ له: غَنِّ مرتجلاً؛ فرفع صوتَه فخُيِّل إليَّ أنّ الشجرة تنطِق معه، فغَنَّى:

صوت

[الكامل]

كَيْفَ الثَّواءُ بِبَطْنِ مَكَّةَ بَعْدَما ... هَمَّ الَّذِينَ تُحِبُّ بالإِنْجادِ
أَمْ كَيْفَ قَلْبُكَ إذ ثَوَيْتَ مُخَمَّراً ... سَقِماً خِلافَهُمُ وَكَرْبُكَ بادي[1]
هَلْ أَنْتَ إن ظَعَنَ الأَحِبَّةُ غادِي ... أَمْ قَبْلَ ذلكَ مُدْلِجٌ بِسَوَادِ[2]

- الشعر للعرجيّ. وذكر إسحاق في مُجَرَّده أنّ الغناء فيه لابن عائشة ثاني ثقيلٍ

(١) المُخَمَّر: الذي أصابه الخُمار، وهو الصداع الذي يصيب شارب الخمر.
(٢) المدلج: السائر ليلاً.

مطلق في مجرى الوسطى. وحكى حماد ابنه عن أنّ اللحن لابن سُرَيْج - قال سهل: فقلت: أحسنتَ والذي فَلَق الحبَّة وَبَرأ النَسمة، ولو أنَّ كنَانةَ كلَّها سَمِعَتْك لاستحسنتْك فكيف بنافع بن علقمة! المغرورُ مَنْ غَرَّه نافع. ثم قلتُ: زِدْني وإنْ كان القوم متعلِّقةً قلوبُهم بك. فغَنَّى وتناول عُوداً من الشجرة فأَوْقَعَ به على الشجرة؛ فكان صوتُ الشجرة أحسنَ من خَفْق بُطون الضَّأن[1] على العِيدان إذا أخذتْها قُضْبان الدَّفْلَى[2]. قال: والصوت الذي غنَّى:

صوت

لا تَـجْـمَـعِـي هَـجْـراً عَـلَـيَّ وغُـرْبـةً ... فَـالـهَـجْـرُ في تَـلَـفِ الـغَـريـبِ سَـرِيـعُ
مَـنْ ذا - فَـدَيْـتُـكِ - يَـسْـتَـطِـيعُ لِـحُـبِّـهِ ... دَفْـعـاً إذا اشْـتَـمَـلَـتْ عَـلَـيْـهِ ضُـلُـوعُ

فقلتُ: بنفسي أنت واللّهِ مَنْ لا يُمِلُّ ولا يكَدُّ، والله ما جَهِل مَنْ فَهِمَك! اركَبْ - فدتْك نفسي - بنا. فقال: أَمْهِلْنِي كما أمهلتُك أَقْضِ بعضَ شأني. فقلت: وهل عما تُريد مَدْفَعٌ! فقام فصلَّى ركعتين، ثم ضرب بيده على الشجرة وقال: أَشْهَدُ أنْ لا إلَهَ إلاَّ الله وأشهد أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، ثم قال: يا حبيبتي إذا شَهِدْتِ بذاك الشيء فاشهَدي بهذا. ثم مضينا والقوم متشوِّقون. فلما دَنَونا أحسّت الدوابّ بالبغلة فصَهَلتْ، وشَحَجتِ[3] البغلة، وإذا الغريض يُغَنِّيهم لحنَه: [الكامل]

مِـنْ خَـيْـلِ حَـيٍّ مـا تَـزالُ مُـغِـيـرَةً ... سَـمِـعَـتْ على شَـرَفٍ صَـهِـيلَ حِـصَـانِ

فبكى ابن سُرَيْج حتى ظننتُ أنّ نفسه قد خرجتْ، فقلت: ما يُبكيك يا أبا يحيى جُعِلْتُ فداك، لا يسوؤك الله ولا يُريك سوءاً! قال: أبكاني هذا المخنَّث بحسن غنائه وشَجَا صوتِه؛ والله ما ينبغي لأحدٍ أن يُغَنِّيَ وهذا الصبيُّ حيٌّ. ثم نزل فاستراح وركِب. فلمّا سار هنيهةً اندفع الغَرِيضُ فغَنَّاهم لَحْنَه:

يـا خَـلِـيـلَـيَّ قـد مَـلِـلْـتُ ثَـوَائِـي ... بـالـمُـصَـلَّـى وَقَـدْ شَـنِـئْـتُ الـبَـقِـيـعَـا

قال: ولصوته دَوِيٌّ في تلك الجبال. فقال ابن سُرَيج: وَيْلَك يابنَ بركةَ!

---

(١) بطون الضأن: هنا الأوتار التي تتخذ من المعي.
(٢) الدفلى: شجر حسن المنظر له زهر أحمر.
(٣) شحجت الدابّة: صوّتت.

أَسَمِعْتَ أحسنَ من هَذا الغِناء والشعر قَطّ؟ قال: ونظروا إلينا فأقبلوا نَشَاوَى[١] يسحَبون أعطافَهم، وجعلوا يُقبِّلون وجهَ ابن سُرَيْج. فنزل فأقام عندهم ثلاثاً والغريض لا ينطِق بحرف واحد، وأخذوا في شرابهم وقالوا: يا حبيبَ النفس وشقيقَها أعْطِها بعض مُنَاها؛ فضرب بيده إلى جَيْبه فأخرج منه مِضْراباً، ثم أخذه بيده ووضع العُودَ في حِجْره، فما رأيتُ يداً أحسنَ من يده، ولا خشبةً تَخَيَّلتْ إليَّ أنّها جوهرةٌ إلاَّ هي، ثم ضرب فلقد سَبَّح القومُ جميعاً، ثم غَنَّى فكُلٌّ قال: لَبَّيْك لبَّيك! فكان مما غَنَّى فيه ـ واللحنُ له هزج ـ:

صوت

[مجزوء الرجز]

لَـبَّـيْـكِ يـا سَـيِّـدَتِـي ... لَـبَّـيْـكِ ألـفـاً عَـدَدا
لَـبَّـيْـكِ مِـنْ ظـالِـمَـةٍ ... أحْـبَـبْـتُـهـا مُـجْـتَـهِـدَا
قُـومُـوا إلـى مَـلْـعَـبِـنـا ... نَـحْـكِ الـجَـوَارِي الـخُـرَّدَا
وَضْـعَ يَـدٍ فَـوْقَ يَـدٍ ... تَـرْفَـعُـهـا يَـداً يَـدَا

فكلٌّ قال: نفعل ذاك. فلقد رأيتُنا نستبق أيُّنا تَقَعُ يدُه على يده. ثم غنَّى:

صوت

[مجزوء الكامل]

مـا هـاجَ شَـوْقَـكَ بـالـصَّـرائِـمْ ... رَبْـعٌ أحـالَ لأُمِّ عـاصِـمْ[٢]
رَبْـعٌ تَـقَـادَمَ عَـهْـدُهُ ... هَـاجَ الـمُـحِـبَّ عـلـى الـتَّـقَـادُمْ
فـيـهِ الـنَّـوَاعِـمُ والـشَّـبـا ... بُ الـنَّـاعِـمُـونَ مَـعَ الـنَّـوَاعِـمْ
مِـنْ كُـلِّ وَاضِـحَـةِ الـجَـبِـيـ ... ـنِ عَـمِـيـمَـةٍ رَيَّـا الـمَـعَـاصِـمْ[٣]

ثم إنه غَنَّى:

صوت

شَجَانِي مَعَانِي الحَيِّ وَانْشَقَّتِ العَصَا ... وصاحَ غُرَابُ البَيْنِ أنْتَ مَرِيضُ[٤]

---

(١) نشاوى: جمع نشوان، وهو المصاب بالنشوة لسكر أو غيره.
(٢) أحال: مضى عليه عام.
(٣) العميمة: الطويلة التامة القوام والخلق.
(٤) انشقت العصا: كناية عن التفرق.

فَفَاضَتْ دُمُوعِي عِنْدَ ذاكَ صَبابَةً وَفِيهِنَّ خَوْدٌ كالمَهَاةِ غَضِيضُ[١]
وَولَّيْتُ مَحْزُونَ الفُؤادِ مُرَوَّعاً كَئِيباً وَدَمْعِي في الرِّداءِ يَفِيضُ

ـ الغناء لابن مُحْرِز خفيفُ ثقيلٍ مطلق في مجرى البنصر، وفيه خفيفُ ثقيلٍ آخر لابن جُنْدَب ـ قال: فلقد رأيت جماعةَ طيرٍ وقعن بقُرْبنا وما نُحِسُّ قبل ذلك منها شيئاً؛ فقالت الجماعةُ: يا تمام السُّرورِ وكمالَ المجلس! لقد سَعِد مَنْ أخذ بحَظّه منك، وخابَ مَنْ حُرِمَك، يا حياةَ القلوب ونسيمَ النفوس جعلَنا الله فداءك! غَنِّنا، فغَنَّى واللحن له.

صوت

يا هِنْدُ إنَّكِ لَوْ عَلِمْـ ـتِ بِعاذِلَيْنِ تَتَابَعا

ـ وهذا الصوت يأتي خبره مفرداً لأنّ فيه طُولاً ـ فبدرتُ من بينهم فقبَّلت بين عينيه، فتهافتَ القومُ عليه يقبِّلونه؛ فلقد رأيتُني وأنا أرفَعُهم عنه شفقةً عليه.

[ما في الشعر الذي تناشده عمر وصحبه من غناء]

وفي هذه الأشعار التي تَنَاشَدها كُثَيِّر وعُمَر ونُصَيْبٌ والأحوصُ أغانٍ، منها:

صوت

أبْصَرْتُها لَيْلَةً ونِسْوَتَها يَمْشِينَ بينَ المَقَامِ والحَجَرِ
ما إنْ طَمِعْنا بها ولا طَمِعَتْ حَتَّى التَقَيْنا لَيْلاً على قَدَرِ
بِيضاً حِسَاناً خَرائِداً قُطُفاً يَمْشِينَ هَوْناً كَمِشْيَةِ البَقَرِ[٢]

الشعر لعُمَر. والغِناء لابن سُرَيْج رملٌ بالوسطى عن الهِشَاميّ وحَبَشٍ. وذكر عمرو أنّ فيه لابن سُريج خفيفَ ثقيلٍ أوّلَ بالبِنْصر. ولأبي سَعِيدٍ مولى فائد ثقيلٌ أوّل، وقيل: إنه لِسَنانٍ الكاتب. ومن هذه القصيدة أيضاً. وهذا أوّلها:

---

(١) الغضيض: الفاترة الطرف.
(٢) القُطُف: الماشيات الهوينى.

صوت

[المنسرح]

يَـا مَـنْ لِـقَـلْـبٍ مُـتَـيَّـمٍ كَـمِـدِ يَـهْـذِي لِـخَـوْدٍ مَـرِيـضَـةِ الـنَّـظَـرِ
تَـمْـشِـي رُوَيْـداً إذا مَـشَـتْ فُـضُـلاً وَهْـيَ كَـمِـثْـلِ الـعُـسْـلُـوجِ مِ الـبُـسُـرِ[1]
مـا زالَ طَـرْفِـي يَـحَـارُ إذ بَـرَزَتْ حَـتَّـى عَـرَفْـتُ الـنُّـقْـصَـانَ فَـي بَـصَـرِي

غنّاه ابن مُحْرِز، ولحنُه من خفيفِ الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى، ومنها:

صوت

[المنسرح]

قـالَـتْ لِـتـربٍ لـهـا تُـحَـدِّثُـهـا لَـنُـفْـسِـدَنَّ الـطَّـوافَ فـي عُـمَـرِ
قـالَـتْ تَـصَـدَّيْ لـه لِـيَـعْـرِفَـنـا ثـمَّ اغْـمِـزِيـهِ يـا أُخْـتِ فـي خَـفَـرِ
قـالـتْ لَـهـا قَـدْ غَـمَـزْتُـهُ فَـأَبَـى ثـم اسْـتُـطِـيـرَتْ تَـشْـتَـدُّ فـي أَثَـرِي

غنَاء يونس خفيف ثقيلٍ أوّلَ بالبنصر عن حَبَشٍ. وقيل: إنّ فيه لعبد اللّه بن عبَّاس لحناً جَيِّداً. ومنها ما لم يَمْض ذكرُه في الكتاب:

صوت

[الطويل]

أَلاَ لَـيْـتَـنـا يـا عَـزَّ مِـنْ غَـيْـرِ بِـغْـضَـةٍ بَـعِـيـرَيْـنِ نَـرْعَـى فـي الـخَـلاءِ ونَـعْـزُبُ
كِـلاَنَـا بـه عَـرٌّ فَـمَـنْ يَـرَنـا يَـقُـلْ عَـلى حُـسْـنِـهـا جَـرْبـاءُ تُـعْـدِي وأَجْـرَبُ
إذا مـا وَرَدْنـا مَـنْـهَـلاً صـاحَ أَهْـلُـهُ عَـلَـيْـنـا فـمـا نَـنْـفَـكُّ نُـرْمَـى ونُـضْـرَبُ

الغِناء لإبراهيم، رملٌ بالوسطى عن حَبَشٍ.

أخبرنا محمد بن خَلَفٍ وكيعٌ قال: حدّثنا حَمّادُ بن إسحاق عن أبيه عن أبي عُبَيْدةَ عن عَوَانةَ وعيسى بن يزيد: أنّ كُثَيِّراً دخل على عَزّةَ ذاتَ يوم، فقالت له: ما ينبغي لنا أن نأذَنَ لك في الجلوس. قال: ولِمَ؟ قالت: لأنّي رأيتُ الأحوص أَلْيَنَ جانباً في شِعْره منك في شِعْرك وأَضْرَعَ خَدّاً للنساء، وإنه لأشعرُ منك حين يقول:

[البسيط]

يـا أَيُّـهـا الـلاَّئِـمِـي فـيـهـا لأَصْـرِمَـهـا أَكْـثَـرْتَ لـو كـانَ يُـغْـنِـي مِـنْـكَ إِكْـثـارُ

---

(١) العسلوج: الغصن اللين. وِم البسر: من البسر. والبسر: التمر قبل إرطابه.

اِرْجِعْ فَلَسْتَ مُطاعاً إذْ وَشَيْتَ بِهَا ... لا القَلْبُ سالٍ ولا في حُبِّها عارُ

وإنِّي اسْتَرَقْتُ قولَه: [الطويل]

وما كُنْتُ زَوَّاراً وَلٰكِنَّ ذَا الهَوَى ... إذا لَمْ يَزُرْ لا بُدَّ أنْ سَيَزُورُ

وأعجبني قولُه: [البسيط]

كَمْ من دَنِيٍّ لها قد صِرْتُ أتْبَعُهُ ... وَلَوْ صَحا القَلْبُ عَنْهَا كانَ لي تَبَعَا

وزادَنِي كَلَفاً بِالحُبِّ أنْ مَنَعَتْ ... أَحَبُّ شَيْءٍ إلى الإنسانِ ما مُنِعَا

وقولُه أيضاً: [الطويل]

وما العَيْشُ إلاَّ ما تَلَذُّ وتَشْتَهِي ... وإنْ لاَمَ فيهِ ذُو الشَّنَانِ وفَنَّدَا[1]

فقال كُثَيِّر: قد واللّهِ أجَاد! فما الذي استَجْفَيْتِ من قولي؟ قالت: أخزاك الله! أمَا استحييتَ حين تقول: [الطويل]

يُحاذِرْنَ مِنِّي غَيْرَةً قَدْ عَرَفْنَها ... لَدَيَّ فما يَضْحَكْنَ إلاَّ تَبَسُّمَا

فقال كُثَيِّر:

وَدِدْتُ وَبَيْتِ اللَّهِ أنَّكِ بَكْرَةٌ ... هِجَانٌ وَأنِّي مُصْعَبٌ ثم نَهْرُبُ

كِلاَنا بهِ عَرٌّ فمَنْ يَرَنا يَقُلْ ... على حُسْنها جَرْباءُ تُعْدِي وأجْرَبُ

نَكُونُ لِذي مالٍ كَثِيرٍ مُغَفَّلٍ ... فلا هُوَ يَرْعانا ولا نَحْنُ نُطْلَبُ

فقالت لي: وَيْحَك! لقد أردتَ بي الشقاءَ الطويلَ، ومن المُنَى ما هو أعفَى من هذا وأطْيَبُ.

صوت

[المنسرح]

قد كُنْتَ في مَنْظَرٍ وَمُسْتَمَعٍ ... عَنْ نَصْرِ بَهْراءَ غَيْرِ ذي فَرَسِ

لا تِرَةٌ عِنْدَهُمْ فَتَطْلُبَها ... ولا هُمُ نُهْزَةٌ لِمُخْتَلِسِ

بِكَفِّ حَرَّانَ ثائِرٍ بِدَمٍ ... طَلاَّبِ وِتْرٍ في المَوْتِ مُنْغَمِسِ

إمّا تَقارَشْ بكَ الرِّماحُ فلاَ ... أبْكِيكَ إلا لِلدَّلْوِ والمَرَسِ

تَذُبُّ عَنْهُ كَفٌّ بها رَمَقٌ ... طَيْراً عُكُوفاً كَزُوَّرِ العُرُسِ

---

(١) الشنان والشنآن: البغض والكراهية.

عَـمَّـا قَـلِـيـلٍ يَـصْـبَـحْـنَ مُـهْـجَـتَـهُ فَـهُـنَّ مِـنْ وَالِـغٍ ومُـنْـتَـهِـسِ[١]

الشعرُ لأبي زُبيْد الطائيّ. والغِناء لابن مُحْرِز في الأوّل والثاني خفيفُ ثقيلِ الأوّل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق. وذكر عمرو بن بانة أنّ في الأربعة الأُوَل خفيفَيْ ثقيلٍ كلاهما بالبنصر لمَعْبَد وابن مُحْرِز، ووافقه الهِشاميّ في لحن مَعْبَدٍ في الأول والثاني وذَكر أنّه بالوسطى. وفي كتاب ابن مِسْجَح عن حَمَّاد له فيه لحنٌ يقال إنّه لابن سُرَيْج في الأوّل والخامس والسادس والسابع رَمَلٌ بالوسطى عن عمرو. وذكر لنا حبشٌ أنّ الرمل لمعْبَد، وذكر إسحاق أنّه لابن سُرَيْج أيضاً، وأوّله:

تَـذُبُّ عَـنْـهُ كَـفٌّ بِـهَـا رَمَـقٌ

وفيه لمالك في السادس والسابع خفيف ثقيل آخر. وفيه لابن عائشةَ رَمَلٌ. وفيه لِحُنَيْنٍ ثاني ثقيل. هذه الحكايات الثلاث عن يونس، وطرائقُها عن الهشاميّ. ولمُخَارِقٍ في الرابع والأوّل خفيفُ رَمَلٍ. ولمُتَيَّم في الأوّل والثاني خفيفُ رملٍ آخر. وذكر حبشٌ أنّ لإبراهيم في الأوّل والثاني ثاني ثقيل بالوسطى، ولابن مِسْجَحٍ خفيفُ ثقيل بالوسطى.

(١) الوالغ: الشارب بطرف لسانه.

أخبار أبي زُبيد ونسبه

[توفي ٦٢ هـ/ ٦٨٢ م]

[اسمه ونسبه]

هو حَرْمَلَةُ بن المُنْذر، وقيل المنذر بن حرملة. والصحيح حرملة بن المنذر بن مَعْدِيَكرِب بن حنظلة بن النُّعْمان بن حَيَّةَ بن سَعْنةَ بن الحارث بن ربيعة بن مالك بن سكر بن هنىء بن عمرو بن الغوث بن طيىء بن أُدَدٍ بن زيد بن يَشْجُب بن عَرِيب بن زيد بن كَهْلان. وكان أبو زُبَيْدٍ نَصْرانياً وعلى دينه مات. وهو ممّن أدرك الجاهلية والإسلام فَعُدّ في المخضرمين وألحقه ابن سلام بالطبقة الخامسة من الإسلاميين، وهم العُجَيْر السَّلُوليّ وذووه. وقد مضى أكثرُ أخباره مع أخبار الوليد بن عُقْبة بن أبي مُعَيْط.

[بعض أخباره وشعره]

أخبرني أبو خليفة الفضل بن الحباب الجُمحيّ إجازةً قال: حدّثني محمد بن سَلاّم الجُمَحِيّ قال: حدّثني أبو الغَرّاف قال: كان أبو زُبَيْدٍ الطائيّ من زُوّار الملوك وخاصةً ملوك العجم. وكان عالماً بسِيَرهم. وكان عثمان بن عَفّان رضي الله تعالى عنه يُقَرّبه على ذلك ويُدْنِي مجلسه، وكان نصرانياً. فحضَر ذاتَ يوم عثمان وعنده المهاجرون والأنصار، فتذاكروا مآثِرَ العربِ وأشعارَها. قال: فالتفَتَ عثمانُ إلى أبي زُبَيد وقال: يا أخا تُبَّعِ المسيح أَسْمِعْنا بعضَ قولك؛ فقد أُنبِئتُ أنّك تُجِيد. فأنشده قصيدته التي يقول فيها: [البسيط]

مَنْ مُبْلِغٌ قَوْمَنَا النَّائِينَ إِذْ شَحَطُوا … أنَّ الفُؤادَ إِلَيْهِمْ شَيِّقٌ وَلِعُ

ووصَف فيها الأسدَ. فقال عثمان رضي الله تعالى عنه: تالله تفتأ تذكُر الأسدَ

ما حَيِيتَ. واللَّهِ إنِّي لأحْسِبُك جَبَاناً هِدَاناً[١]. قال: كلاَ يا أميرَ المؤمنين، ولكنِّي رأيتُ منه مَنْظَراً وشَهِدتُ منه مَشْهَداً لا يبرح ذِكْرُه يتجدّد ويتردّد في قلبي، ومعذور أنا يا أمير المؤمنين غيرُ مَلُوم. فقال له عثمان رضي الله عنه: وأنَّى كان ذلك؟ قال: خرجتُ في صُيَّابة[٢] أشرافٍ من أفناء قبائل العرب ذوي هيئةٍ وشارةٍ حسنةٍ، ترتمي بنا المَهَارِي[٣] بأكسائها[٤]، ونحن نُريد الحارثَ بن أبي شَمِرٍ الغَسَّانيّ ملك الشأم؛ فاخْرَوَّط[٥] بنا السيرُ في حَمَارَّة القَيْظ، حتى إذا عَصَبتِ[٦] الأفواه، وذَبَلتِ الشِّفاه، وشالتِ المياه[٧]، وأذْكتِ الجَوْزاءُ المَعْزاءَ[٨]، وذابَ الصَّيْهَد[٩]، وصَرَّ الجُنْدَبُ، وضاف العُصْفورُ الضَّبَّ وجاوره في جُحْره، قال قائل: أيُّها الرَّكْبُ غوِّروا بنا في ضَوْج هذا الوادي[١٠]، وإذا وادٍ قد بَدَا لنا كثيرُ الدَّغَل[١١]، دائمُ الغَلَل[١٢]؛ شَجْراؤه مُغِنَّةٌ، وأطيارُه مُرِنَّة[١٣]. فحَطَطْنا رِحَالنا بأُصولِ دَوْحاتٍ كَنَهْبَلاتٍ[١٤]، فأصَبْنا من فَضَلات الزّاد وأَتْبَعْنَاها الماءَ البارد. فإنَّا لَنَصِفُ حَرَّ يومِنا ومُمَاطَلَتَه، إذ صَرَّ أقصى الخيلِ أُذُنَيْه[١٥]، وفَحَص الأرضَ بيديه. فوالله ما لَبِثَ أنْ جال، ثم حَمْحَمَ فَبال، ثم فعل فِعْلَه الفرسُ الذي يليه واحداً فواحداً، فتضعضعتِ الخيلُ، وتَكَعْكَعتِ[١٦] الإبلُ، وتقهقرتِ البِغال، فمِنْ نافرٍ بشِكَاله[١٧]، وناهضٍ بعِقَاله؛

---

(١) الهِدان: الأحمق.
(٢) الصيّاب: السادة.
(٣) المهاري: جمع مهرية، والمهرية من الإبل: نوق منسوبة إلى مهرة وهم حي من قضاعة. وهذه النوق مشهورة بسرعتها.
(٤) الأكساء: جمع كسى، وهو مؤخر العجز.
(٥) أخروّط بنا السير: طال.
(٦) عصبت الأفواه: جفت.
(٧) شالت المياه: قلت.
(٨) المعزاء: الأرض الصلبة.
(٩) الصَّيْهَد: السراب وشدة الحرّ.
(١٠) ضَوْج الوادي: منعطفه.
(١١) الدَّغَل: الشجر الكثير الملتف.
(١٢) الغَلَل: الماء الجاري بين الأشجار.
(١٣) مُرِنَّة: مغرِّدة.
(١٤) الكنهبل: شجر عظام.
(١٥) صرّ أذنيه: نصبهما للاستماع.
(١٦) تكعكع: تأخر إلى وراء.
(١٧) الشكال: الحبل الذي تشدّ به قوائم الدابة.

فَعَلِمْنا أنْ قد أُتِينا وأنَّه السَّبعُ؛ ففَزِع كلُّ رجلٍ منَّا إلى سيفه فاستلَّه من جُرُبَّانه[١]، ثم وقفنا له رَزْدَقاً أي صَفّاً. وأقبل أبو الحارث من أَجَمته يَتَظَالَعُ في مِشْيته من نَعْته كأنه مجنوبٌ[٢]، أو في هِجارٍ[٣] معصوب؛ لِصَدْرِه نَحِيطٌ[٤]، ولِبَلاَعِمهِ غَطِيطٌ، ولِطَرْفِه وَمِيضٌ، ولأسارعه نَقِيضٌ؛ كأنَّما يَخْبِط هَشِيماً، أو يَطَأُ صَرِيماً؛ وإذا هامةٌ كالمِجَنّ، وخَدٌّ كالمِسن، وعَيْنانِ سَجْراوَانِ[٥]، كأنَّهما سِرَاجان يَقِدان، وقَصَرةٌ[٦] رَبَلَة[٧]، ولِهْزِمةٌ رَهِلة[٨]؛ وكَتَدٌ مُغْبَطٌ[٩]، وزَوْرٌ مُفْرط[١٠]؛ وساعدٌ مجدول، وعَضُدٌ مفتول؛ وكَفٌّ شَثْنة البَراثن[١١]، إلى مَخَالِبَ كالمَحَاجِن[١٢]. فضرب بيده فَأَرْهَجَ[١٣]، وكشَّر فأفْرَجَ، عن أنيابٍ كالمَعَاولِ، مصقولة غير مفلولة؛ وفَمٍ أشْدَقَ، كالغار الأخرق؛ ثم تَمَطَّى فأسرع بيديه، وحفز[١٤] وَركَيه برجليه، حتى صار ظِلُّه مِثْلَيْهِ؛ ثم أَقْعَى[١٥] فاقشعرّ، ثم مَثَلَ فاكْفَهَرّ[١٦]، ثم تَجَهَّم فازبَأَرّ[١٧]. فلا وذُو بَيْتُه في السماء ما اتَّقيناه إلا بأوّل أخ لنا من فَزَارَة، كان ضَخْمَ الجُزارةِ[١٨]، فَوَقَصه[١٩] ثم نَفَضه نَفْضةً فَقَضْقَضَ[٢٠]

(١) جُرُبّان السيف: غمده.
(٢) المجنوب: المصاب بذات الجنب.
(٣) الهجار: حبل يشد في رسغ رجل البعير ثم يشد إلى حقوه.
(٤) النحيط: الزفير.
(٥) عين سجراء: العين التي خالط بياضها حمرة.
(٦) القصرة: أصل العنق الغليظة.
(٧) الربلة: اللحمة الغليظة.
(٨) اللهزمة الرهلة: العظم الناتىء المتنفخ.
(٩) الكتد: ما بين الكاهل إلى الظهر. والمغبط: المرتفع.
(١٠) الزَّوْر المفرط: الصدر المجاوز الحدّ، الضخم.
(١١) شثنة البراثن: خشنتها.
(١٢) المحاجن: جمع محجن، وهو العصا المنعطفة.
(١٣) أرهج: أثار الرَّهَج وهو الغبار.
(١٤) حفز: دفع.
(١٥) أقعى: جلس على مؤخرته.
(١٦) اكفهرَّ: كشَّر.
(١٧) ازبأرَّ: تنفش حتى ظهرت أصول وبر شعره.
(١٨) ضخم الجزارة: كبير الجسم.
(١٩) وَقَصه: دقّ عنقه.
(٢٠) قضقض متنيه: كسر متني ظهره.

متنيه، فجعل يَلَغُ في دمه. فَذَمَرْتُ أصحابي[١]، فَبَعْدَ لأي ما اسْتَقْدَمُوا. فَهَجْهَجْنا[٢] به، فَكَرَّ مُقْشَعِراً بِزُبْرَتِه[٣]، كأنّ به شَيْهَماً حَوْلِيًّا[٤]، فاختلجَ رجلاً أَعْجَرَ ذا حَوَايَا[٥]، فنفَضَه نفضةً تزايلتْ منها مفاصله، ثم نَهَمَ ففَرْفَر[٦]، ثم زَفَر فَبرْبَر[٧]، ثم زَأَرَ فجَرْجَرَ[٨]، ثم لحَظَ[٩]، فوالله لَخِلْتُ البَرْقَ يتطايرُ من تحت جُفونه، من عن شِماله ويمينه. فأُرْعِشَتِ الأيدي، واصْطَكَّتِ الأرجُل، وأَطَّتِ الأضلاع[١٠]، وارْتَجَّتِ الأسماعُ، وشَخَصتِ العيونُ، وتَحقَّقتِ الظُّنونُ، وانْخزلتِ المُتُون. فقال له عثمان: أُسْكُتْ قَطَع الله لِسانَك! فقد أرعبتَ قلوبَ المسلمين.

أخبرني محمد بن العَبّاس اليزيديّ قال: حدّثنا الخليل بن أَسَدٍ قال: حدّثني العُمَريّ قال: حدّثني شُعْبةُ قال: قلتُ لِلطِّرِمّاح بن حَكِيم: ما شأنُ أبي زُبَيْدٍ وشأنُ الأَسَدِ؟ فقال: إنّه لَقِيه بالنَّجَفِ[١١]، فلمَّا رآه سَلَح من فَرَقه ـ وقال مرة أُخرى: فسَلَّحَه ـ فكان بعد ذلك يَصفه كما رأيت.

أخبرني أبو خَلِيفَة عن محمد بن سَلاَّم قال: حدّثني أبي عمن يَثِق به أنَّ رجلاً من طيىء من بني حَيَّةَ نَزَل به رَجُلٌ من بني الحارث بن ذُهْلِ بن شَيْبان يقال له المُكّاء، فذبح له شاةً وسقاه الخمر، فلما سَكِر الطائيّ قال: هَلُمَّ أُفاخِرْك: أبنو حَيَّة أكرمُ أم بنو شَيْبانَ؟ فقال له الشيباني: حديثٌ حسن، ومُنَادَمةٌ كريمةٌ أحبُّ إلينا من المفاخرة. فقال الطائي: والله ما مَدّ رجلٌ قطُّ يداً أطولَ من يَدي. فقال الشيبانيّ: والله لئن أعدتَها لأخْضِبَنَّها من كُوعِها. فرفع الطائي يده، فضربها الشيباني بسيفه فقطعها. فقال أبو زُبَيْدٍ في ذلك:

---

(١) ذمر أصحابه: لامهم.
(٢) هجهجنا به: صحنا به ليكف.
(٣) الزُّبرة: الشعر المجتمع بين كتفي الأسد.
(٤) الشيهم: ما عظم شوكه من ذكور القنافذ. والحوليّ: الذي مضى عليه عام.
(٥) اختلج: انتزع. وأَعْجَرَ: عظيم البدن. والحَوايا: الأمعاء.
(٦) نَهَم: أحدث صوتاً يشبه الأنين. وفَرفر: صاح.
(٧) زَفَر: أخرج نَفَسَهُ مع مَدِّهِ إياه.
(٨) جَرْجَرَ: ردّد صوته في حنجرته.
(٩) لَحَظ: نظر بمؤخرة العين عن يمين ويسار غاضباً.
(١٠) أطّتِ الأضلاع: صوّتت.
(١١) النَّجَفُ: بالفرع عينان يقال لإحداهما الرَّبض وللأُخرى النجف. (معجم البلدان ٥/ ٢٧١).

خَبَّرَتْنا الرُّكْبانُ أنْ قَدْ فَخَرْتُمْ وَفَرِحْتُمْ بِضَرْبَةِ المُكّاءِ[١]
وَلَعَمْرِي لَعَارُها كانَ أدْنَى لَكُمُ مِنْ تُقًى وحَقٍّ وَفاءِ
ظَلَّ ضَيْفاً أخُوكُمُ لأخِينا في صَبُوحٍ ونَعْمَةٍ وشِوَاءِ[٢]
ثُمَّ لَمَّا رآه رانَتْ بِه الخَمْـ ـرُ وأنْ لا يَرِيبَهُ باتِّقاءِ
لَمْ يَهَبْ حُرْمَةَ النَّدِيمِ وحُقَّتْ بالقَوْمِ لِلسَّوْءَةِ السَّوْءاءِ[٣]

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال: حدَّثني عمي عبيد الله عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابيّ قال: كانَ لأبي زبيدٍ كلبٌ يُقال له أكْدَر، وكان له سلاحٌ يُلْبسُه إيّاه، فكان لا يَقوم له الأسد، فخرج ليلة قبل أن يلبِسَه سلاحَه، فلقيَه الأسد فقتله، ويقال: أخذه فأفْلَت منه، فقال عند ذلك أبو زبيد: [البسيط]

أحَالَ أكْدَرُ مُخْتَالاً كَعَادَتِهِ حَتَّى إذا كانَ بَيْنَ البِئْرِ والعَطَنِ[٤]
لاقَى لَدَى ثُلَلِ الأطْوَاءِ دَاهِيَةً أَسْرَتْ وأكْدَرَ تَحْتَ اللَّيْلِ في قَرَنِ[٥]
حَطَّت بِهِ شِيمَةٌ وَرْهاءُ تَطْرُدُهُ حَتَّى تَنَاهَى إلى الحُولاتِ في السَّنَنِ[٦]
إلى مُقَابَلِ خَطْوِ السَّاعِدَيْنِ لَهُ فَوْقَ السَّرَاةِ كذِفْرَى الفالِجِ القَمِنِ[٧]
رِئبالِ غابٍ فلا قَحْمٌ ولا ضَرَعٌ كالبَغْلِ يَخْتَطِمُ العِلْجَيْنِ في شَطَنِ

وهيَ قَصيدةٌ طويلةٌ. فلامه قومُه على كَثْرة وصفِه للأسد، وقالوا له: قد خِفنا أن تَسُبَّنا العربُ بوصفك له. قال: لو رأيتم منه ما رأيتُ أو لَقِيكم ما لَقِي أكدر لما لُمْتُموني. ثم أمسك عن وصْفِه فلم يصفْه بعد ذلك في شعره حتى مات.

(١) الرُّكْبانُ: رُكْبانُ الإبل، اسم جَمْعٍ أو جَمْعٌ وهم العشرةُ فصاعداً وقد يكون للخيل.
(٢) الصَّبُوح: ما أصبح عند القوم من شراب فشربوه. والتنعم: التمتع.
(٣) السوءة: ما يقبح كشفه. والسوءاء: الخصلة أو العادة القبيحة.
(٤) أحال: أقبل. والعَطَنُ: موطن الإبل، ومبركها حول الحوض.
(٥) ثلة البئر: ما أخرج من ترابها. جمعه: ثلل. والأطواء: واحدة الطويّ، البئر المطوية بالحصى. وأسْرَتْ: سارت ليلاً. والقَرَن: الحبل الذي يجمع به البعيران.
(٦) الشيمة: الخلق والعادة. والورهاء: الحمقاء. والحولات: جمع حولة: وهي الداهية.
(٧) الفالج: البعير ذو السنامين. والقَمِنِ: السريع.

[أخباره وشعره]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال: حدَّثني أبو سعيدٍ السُّكريّ قال: حدّثني هارونُ بن مُسْلم بن سَعْدان أبو القاسم قال: حدّثنا هشامٌ بن الكلبيّ قال: كان الأجلحُ الكِنْدِيُّ يحدّث عن عمارةَ بن قابوس قال: لقيتُ أبا زُبَيد الطائيّ فقلتُ له: يا أبا زبيد هل أتيتَ النُّعمانَ بن المنذر؟ قال: إي والله لقد أتيتُه وجالستُه. قال: قلت: فصِفْه لي. فقال: كان أحمر أزرق أبْرَش قصيراً. فقلت له: بالله أخبرني أيَسرُّك أنه سمع مقالتَك هذه وأنّ لك حُمْرَ النَّعَم؟ قال: لا والله ولا سُودَها؛ فقد رأيتُ ملوكَ حمير في مُلْكها، ورأيت ملوك غَسّانَ في ملكها، فما رأيتُ أحداً قطُّ كان أشدَّ عزًّا منه. وكان ظَهْرُ الكوفة يُنْبت الشقائق، فَحَمى ذلك المكانَ، فنُسِب إليه فقيل «شقائقُ النُّعمان».

فجلس ذَاتَ يوم هناك وجَلسْنا بين يديه كأنّ على رؤوسنا الطَّيْر، وكأنه باز. فقام رجل من الناس فقال له: أبيْتَ اللعن! أَعْطني فإنِّي مُحتاج. فتأمَّله طويلاً ثم أمرَ به فَأُدْني حتَّى قَعَد بين يديه، ثم دعا بكنانةٍ فاستخرج منها مَشَاقِص[1] فجعل يَجَأُ بِها[2] في وَجْهه حتى سَمِعْنا قَرْعَ العِظام، وخُضبت لحيتُه وصدرُه بالدم، ثم أمر به فَنُحِّي. ومكثنا ملياً.

ثم نهض آخرُ فقال له: أبيْت اللَّعنَ! أعْطِني. فتأمَّله ساعةً ثم قال: أعْطُوه ألفَ درهم، فأخذها وانْطَلقَ.

ثم التفتَ عن يمينه ويساره وخَلْفِه، فقال: ما قولكُم في رجلٍ أزرق أحْمَر يُذْبَح على هذه الأَكَمَة، أترون دمَه سائلاً حتى يجري في هذا الواديّ؟ فَقُلنا له: أنتَ ـ أبيتَ اللَّعن ـ أعْلَى برأيك عَيْناً. فدعا برجل على هذه الصِّفَة فأَمَر به فذُبح.

ثم قال: ألا تسألوني عما صنعتُ؟ فقلنا: ومن يسألُكَ ـ أبيْتَ اللَّعن ـ عن أمْركَ وما تصنع؟ فقال: أما الأوّل فإني خرجتُ مع أبي نَتصيَّد، فمررت به وهو بفناء بابه وبين يديه عُسٌّ[3] من شراب أو لبن، فتنَاولتُه لأشربَ منه، فثار إليّ

(١) المشقص: نصل السهم العريض.
(٢) الوجء: الضرب.
(٣) العُسّ: القدح الضخم.

فهراقَ[1] الإِناء فملأ وجهِي وصدري، فأعطيتُ الله عَهْداً لئن أمكنني منه لأَخْضِبَنَّ لحيتَه وصدرَه من دم وجهه.

وأما الآخر فكانت له عندي يَدٌ كافأته بها، ولم أكُنْ أُثْبته[2]، فتأمّلتُه حتى عرفته.

وأما الذي ذبحتُه فإنّ عيناً لي بالشام كتب إليّ: إنّ جَبلة بن الأيْهَم قد بعث إليك برجُل صِفَتُه كذا وكذا ليغتالَك. فطلبته أياماً فلم أقدِرْ عليه، حتى كان اليوم.

أخبرني الحسينُ بنُ يحيى عن حماد عن أبيه قال: كان لأبي زُبَيدٍ نديمٌ يشرب معه بالكوفة، فغاب أبو زبيد غَيْبةً، ثم رجع فأُخْبر بوفاته، فعَدَل إلى قَبْره قبل دخوله منزله، فوقَفَ عليه ثم قال: [الكامل]

يـا هـاجِـرِي إذْ جِـئْـتُ زائِـرَهُ ... مـا كـانَ مِـنْ عـاداتِـكَ الـهَـجْـرُ
يـا صـاحِـبَ الـقَـبْـرِ الـسَّـلامَ عـلـى ... مَـنْ حَـالَ دُونَ لِـقَـائِـهِ الـقَـبْـرُ

ثم انصرفَ. وكان بعد ذلك يجيء إلى قبره فيشرَبُ عندَه ويصُبُّ الشراب على قبره.

والأبيات التي فيها الغناءُ المذكور يقولُها في غلامٌ له قَتَلته تغلِبُ، وكان مُجاوراً فيهم، فَدلَّ بَهْراءَ على عَوْرَتهم وقاتلهم معهم فقُتِل.

أخبرني بخَبَره أبو خليفة قال: حدّثني محمد بن سلام. وأخبرني محمدُ بنُ العباس اليزيديّ عن عمه عبيد اللّه عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابيّ قال:

كان أخوالُ أبي زبيد بني تَغْلب، وكان يقيم فيهم أكثَر أيامه، وكان له غلام يرعى إبله، فغزتْ بهراءُ بني تَغْلِب، فمرّوا بغلامه، فدَفَع إليهم إبلَ أبي زبيد وقال: انطلقوا أدُلَّكم على عَوْرة القَوْم وأُقاتل مَعَكم. ففعلوا، والتَقَوْا، فهُزِمت بهراءُ وقُتِل الغلامُ، فقال أبو زبيد هذه القصيدة وهي: [المنسرح]

هَـلْ كُـنْـتَ فـي مَـنْـظَـرٍ ومُـسْـتَـمَـعٍ ... عَـنْ نَـصْـرِ بَـهْـراءَ غَـيْـرَ ذي فَـرَسِ
تَـسْـعَـى إلـى فِـتْـيَـةِ الأراقِـمِ واسْـ ... ـتَـعْـجَـلَـتْ قَـبْـلَ الـجُـمَـانِ والـقَـبَـسِ[3]

(١) هَراقَ الماء: صبَّه.
(٢) أُثبته: أعرفه حق المعرفة.
(٣) الجُمان والقبس: ناقتان لأبي زبيد.

في عارضٍ مِنْ جبال بَهرائِها الْـ ... ـأولى مَرَيْنَ الحُرُوبَ عَنْ دُرَسِ[١]
فَبَهْرَةٌ مَنْ لَقُوا حَسِبْتَهُمُ ... أحْلَى وأشْهَى من باردِ الدِّبِسِ[٢]
لا تِرَةٌ عِنْدَهُمْ فَتَطْلُبَها ... ولا هُمُ نُهْزَةٌ لِمُخْتَلِسِ[٣]
جُودٌ كِرَامٌ إذا هُمُ نُدِبُوا ... غَيْرُ لِئامٍ ضُجْرٍ ولا كُسُسِ[٤]
صُمْتٌ عِظامُ الحُلُوم إنْ قَعَدُوا ... عَنْ غَيْرِ عِيٍّ بِهِمْ ولا خَرَسِ
تَقُودُ أفْرَاسَهُمْ نِساؤُهُمُ ... يُزْجُونَ أجْمَالَهُمْ مَعَ الغَلَسِ
صادفْتَ لَمّا خَرَجْتَ مُنْطَلِقاً ... جَهْمَ المُحَيّا كباسِلٍ شَرِسِ
تَخالُ فِي كَفِّهِ مُثَقَّفَةً ... تَلْمَعُ فيها كَشُعْلَةِ القَبَسِ[٥]
بِكَفِّ حَرّانَ ثائِرٍ بِدَمٍ ... طَلاَّبِ وِتْرٍ في المَوْتِ مُنْغَمِسِ
إمّا تقارَنْ بكَ الرِّماحُ فلا ... أبْكِيكَ إلاَّ لِلدَّلْوِ والمَرَسِ[٦]
حَمِدْتَ أمْرِي وَلُمْتَ أمْرَكَ إذ ... أمْسَكَ جَلْزُ السِّنانِ بالنَّفَسِ[٧]
وَقَدْ تَصَلَّيْتَ حَرَّ نارِهِمُ ... كَمَا تَصَلَّى المَقْرورُ مِنْ قَرَسِ[٨]
تَذُبُّ عَنْهُ كَفٌّ بِها رَمَقٌ ... طَيْراً عُكُوفاً كَزُوَّرِ العُرُسِ[٩]
عَمّا قَلِيلٍ عَلَوْنَ جُثَّتَهُ ... فَهُنَّ مَنْ والِغٍ وَمُنْتَهِسِ

فلما فرغ أبو زبيد مِنْ قصيدته بعثت إليه بنو تغلِب بدِية غلامه وما ذهب من إبله، فقال في ذلك: [الوافر]

ألا أبْلِغْ بَنِي عَمْرٍو رَسُولاً ... فإنّي في مَوَدَّتِكُمْ نَفِيسُ

هكذا ذكر ابن سلاّم في خبره، والقصيدة لا تَدُلُّ على أنَّها قِيلت فيمن أحسن إليه وودّى غلامه وردّ عليه ماله. وفي رواية ابن حبيب:

أَلا أَبْلِغْ بَنِي نَصْرِ بْنِ عَمْرٍو

---

(١) الأولى: الذين، ومرينا الحروب: تمرّسنا بها. ودُرَس: جمع دُرسةُ: وهي الرياضة.
(٢) بَهْرَة: أراد بهراء. والدِّبس: عصارة التمر والدبس.
(٣) لا تِرة عندهم: لا ثأر عندهم.
(٤) الكُسُس: جمع أكسّ، وهو ما كان حنكه الأعلى قاصراً عن الأسفل.
(٥) ثقّف الرمح: قوّمه وسوّاه.
(٦) المَرَس: الحبل.
(٧) السّنان. الحلقة المستديرة في أسفله.
(٨) المقرور: المصاب بالبرد الشديد.
(٩) الزُوّر: جمع الزائر. والعُرُس: طعام الوليمة.

وقوله أيضاً فيها: [الوافر]

فمـا أنـا بـالـضَّـعِـيـفِ فَـتَـظْـلِـمُـونِـي ... ولا جـافِـي الـلـقـاءِ ولا خَـسِـيـسُ
أفـي حـقٍّ مـواسـاتِـي أخـاكُـمْ ... بـمـالـي ثـمَّ يَـظْـلِـمُـنِـي الـسَّـرِيـسُ

ـ السريس: الضعيف الذي لا ولد له ـ وهذا ليس من ذلك الجنس ولعل ابن سلام وهم.

وأبو زبيد أحدُ المُعَمَّرِين، ذكر ابن الكلبي أنه عمر مائة وخمسين سنة.

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن ابن الكلبي عن أبيه قال: كان طول أبي زبيد ثلاثة عشر شبراً.

أخبرني أحمدُ بنُ عبد العزيز وأحمد بن عبيد اللّه بن عمار قالا: حدثنا محمدُ بن عبد اللّه العبدِيُّ أبو بَكْرة قال: حدّثني أبو مِسعرٍ الجُشَمِيّ عن ابن الكلبيّ: قال: كان أبو زبيد الطائيّ مِمَّنْ إذا دخل مكّة دخلها متنكّراً لجماله.

وأخبرني إبراهيمُ بن محمد بن أيوب قال: حدّثنا محمد بن عبد اللّه بن مسلِم قال: لما صار الوليدُ بنُ عقبة إلى الرَّقَّةِ واعتزل عليًّا ﷺ ومعاوية، صار أبو زبيد إليه، فكان ينادمه، وكان يُحْمَل في كل أحدٍ إلى البِيعة مع النصارى. فبينا هو يوم أَحَدٍ يشرب والنصارى حوله رفع بصره إلى السماء فنظر ثم رمى بالكأس من يده وقال: [الطويل]

إذا جَـعَـلَ الـمَـرْءُ الَّـذِي كـان حـازِمـاً ... يُـحَـلُّ بـه حَـلَّ الـحُـوارِ وَيُـحْـمَـلُ[1]
فَـلَـيْـسَ لَـهُ فـي الـعَـيْـشِ خَـيْـرٌ يُـرِيـدُهُ ... وَتَـكْـفِـيـنُـهُ مَـيْـتـاً أَعَـفُّ وَأَجْـمَـلُ

[مدفنه]

ومات فدفِن هناك على البَلِيخ[2]. فلما حضرت الوليدَ بن عقبة الوفاةُ أوصى أن يدفن إلى جنب أبي زبيد. وقد قيل: إن أبا زبيد مات بعد الوليد؛ فأوصى أن يدفن إلى جنب الوليد.

قال ابن الكلبيّ في خبره الذي ذكره إسحاق عنه: هرب أبو زبيد من الإِسلام فجاور بهراء فاستأجر منهم أجيراً لإِبله فكان يقبِّله حلبَ الجُمان والقبس، وهما

(١) الحُوار بالضم وبالكسر أيضاً: ولد الناقة قبل أن يُفصَل عنها.
(٢) البليخ: نهر بالرّقة يجتمع فيه الماء من عيون الذهبانية في أرض حران. (معجم البلدان ١/ ٤٩٣).

ناقتان كانتا له. فلما كان يوم حابس، وهو اليوم الذي التقت فيه بهراء وتغلب خرج أجيرُ أبي زُبيد مع بهراء، فقتل وانهزمت بهراء، فمرّ أبو زبيد به وهو يجود بنفْسه، فقال فيه هذه القصيدة.

أخبرني محمد بن يحيى، ويحيى بن علي الأبوابيُّ المدائنيّ قالا: حدّثنا عقبة المِطرفيُّ قال: كنا في الحمام ومعي ابن السَّعْدِيّ وأنا أقرأ القرآن، فدخل سعد الرُّواسي فغنى: [المنسرح]

قَدْ كُنْتُ في مَنْظَرٍ وَمُسْتَمَعِ عَنْ نَصْرِ بَهْرَاءَ غَيْرَ ذي فَرَسِ

فقال ابن السعديّ: اسكت اسكت! فقد جاء حديث يأكل الأحاديث.

أخبرني عمي والحسن بن عليّ قالا: حدّثني العمري قال: حدّثني أحمد بن حاتم قال: حدّثني محمد بن عمرو الجمّاز قال: حدّثني أبو عبيدة عن يونس وأبي الخطّاب النحوي: أنّ الوليد بن عقبة بن أبي معيط أوصى لما احتُضِر لأبي زُبيد بما يُصلِحه في فِصحِه[1] وأعياده، من الخمر ولحوم الخنازير وما أشبه ذلك. فقال أهله وبنوه لأبي زُبيد: قد علمتَ أنّه لا يحلُّ لنا هذا في ديننا، وإنما فعله إكراماً لك وتعظيماً لحقِّك، فقدِّره لنفسك ما شئت أن تعيش، وقَوِّمْ ما أوصَى به لك حتّى نعطيك قيمتَه ولا تفضحْنا وتفضح آباءَنا بهذا، واحفظه واحفظنا فيه، ففعل أبو زبيد ذلك، وقبله منهم.

صوت

[البسيط]

هَلْ تَعْرِفُ الدارُ مِنْ عَامَيْنِ أو عام دارٌ لِهِنْدٍ بِجِزعِ الخُرْجِ فالدَّام[2]
تَحْنُو لأطلائِها عِينٌ مُلَمَّعَةٌ سُفْعُ الخُدودِ بَعِيداتٌ مِنَ الرّامِي[3]

الحرج والدام: موضعان، ويروى «مذ عامين». وهذا الأجود، وكلاهما رُوِي. وعِين: بقر. وأطلاؤها: أولادها، واحدها طلا. ويروى: «بعيدات من الذام» هو الذي يذم.

(١) الفصح: عيد من أعياد النصارى.
(٢) الخُرج: غدير في ديار فزارة. (معجم البلدان ٢/ ٢٣٩). والدّامُ: من بلاد بني سعد. وقيل من نواحي اليمامة. (معجم البلدان ٢/ ٤٣٣).
(٣) اللُّمعة: كل لون خالف لون الشيء الموجود فيه فهو لمعة.

[مدح الحطيئة أبا موسى الأشعري]

الشعر للحُطَيْئة يمدح به أبا موسى الأشعرِيَّ لما ولاّه عمرُ بنُ الخطاب رضي الله عنه العراق. والغناءُ لمالك، خفيفُ رملٍ مطلقٌ في مجرى الوسطى عن إسحاق. وذكر أنّ فيه لابن جامع أيضاً صنعةً.

قال محمد بن حبيب: أتى الحُطَيْئة أبا موسى يسأله أن يكتبه معه، فأخبره أنّ العِدَّةَ قد تمت، فمدحه الحُطَيْئَة بهذه القصيدة التي ذكرتها، وأوّلها: [البسيط]

هَلْ تَعْرِف الدّارُ مِنْ عَامَيْنِ أو عامِ ... دارٌ لِهِنْدٍ بِجِزعِ الحُرْجِ فالدّامِ

وفيها يقول:

وَجَحْفَلٍ كَسَوادِ اللَّيْلِ مُنْتَجِعٍ ... أرْضَ العَدُوِّ بِبُوسٍ بَعْدَ إنْعامِ

جَمَعْتَ مِنْ عامرٍ فيهِ وَمِنْ أسَدٍ ... وَمِنْ تَمِيمٍ وَمِنْ حاءٍ ومن حامِ

ـ حاء من مذحج، وحام من خثعم ـ

وما رَضِيتَ لَهُمْ حَتَّى رَفَدْتَهُمُ ... مِنْ وَائِلٍ رَهْطِ بِسْطامٍ بأصْرامِ[1]

فيهِ الرِّماحُ وفيهِ كُلُّ سابِغَةٍ ... جَدْلاءَ مُحْكَمَةٍ مِنْ نَسْجِ سَلاَّمِ

ـ يعني سليمان النبي ـ

وَكُلُّ أجْرَدَ كالسِّرْحانِ أضْمَرَهُ ... مَسْحُ الأكُفِّ وَسَقْيٌ بَعْدَ إطْعامِ[2]

مُسْتَحْقِباتٍ رَواياها جَحافِلُها ... يَسْمُو بها أشْعَرِيٌّ طَرْفُهُ سامِ[3]

ـ الروايا: الإبل التي تحمل أثقالهم وأزوادهم، وتجنب الخيل إليها فتضع جحافلها على أعجاز الإبل ـ

لا يزجُرُ الطَّيرَ إن مَرَّت بهِ سُنُحاً ... وَلا يُفِيضُ عَلى قِدْحٍ بأزلامِ[4]

وقال المدائني: لما مدح الحُطَيْئَةُ أبا موسى رضي الله عنه بهذه القصيدة وصله أبو موسى ـ وقد كان كتب من أراد وكملت العدّةُ ـ فبلغ ذلك عمر بن الخطّاب

---

(١) أصرام: جماعات.

(٢) السِّرحان: الذئب.

(٣) مُستحقباتٍ: من استحقب الشيء: شدّه في مؤخر رحلٍ أو قتبٍ واحتمله خلفه.

(٤) الأزلام: جمع زلم، وهو قدح كان في الجاهلية يستقسمون به.

رضي الله عنه فكتب يلومُه، فكتب إليه: إني اشتريت منه عِرضي، فكتب إليه: أحسنتَ. قال: وزاد فيه حمّاد الراوية أنه ـ يعني نفسه ـ أنشدها بلالَ بن أبي بردة[1] ولم يكن عرفها فوصله.

أخبرني القاضي أبو خليفة إجازةً قال: حدّثنا محمد بن سلام قال: أخبرني أبو عبيدة عن يونس قال: قدِم حماد الراوية البصرة على بلال بن أبي بُرْدة وهو عليها فقال له: ما أطرفتني شَيئاً يا حمّادُ! فعاد إليه فأنشده قول الحُطَيْئة في أبي موسى، فقال له: ويحك! يمدح الحُطيئةُ أبا موسى وأنا أروي شعره كله ولا أعلم بهذه؟ أذِعْها تذهبْ في الناس.

وكانت ولاية أبي موسى الكوفة بعد أن أخرج أهلُها سَعيد بن العاص عنها، وتحالفوا ألا يُوَلُّوا عليها إلا من يريدون.

أخبرني بالسبب في ذلك أحمدُ بنُ عبد العزيز الجوهريُّ قال: حدّثني عمر بن شبَّة قال: حدّثنا المدائني عن أبي مِخْنف عن عبد الملك بن نوفل بن مُساحق قال: كان قوم من وجوه أهل الكوفة من القُرّاء يختلفون إلى سعيد بن العاص ويسألونه، فتذاكروا يوماً السهلَ والجبل، فقال حسانُ بنُ محدوج: سهلنا خير من جبلنا: أكثرُ بُرًّا، فيه أنهارٌ مطَّرِدة، ونخل باسِقات، وقلَّت فاكهةٌ يُنبِتُها الجبل إلا والسهل ينبت مثلها. فقال له عبد الرحمن بن حبيش: صدقتم، ودِدت أنه للأمير وأنّ لكم أفضلَ منه. فقال الأشتر: تمنّ للأمير أفضلَ ولا تتقرّب إليه بأموالنا، فقال: ما ضَرَّكَ ذلك. والله لو يشاء أن يكون له لكان. قال: كذبت والله لو أراد ذلك ما قدر عليه. فقال سعيد: والله ما السوادُ إلا بستانٌ لقريش. ما شئنا أخذنا منه، وما شئنا تركنا. فقال له الأشتر: أنت تقول هذا أصلحك الله وهذا من مركز رماحنا وفيئنا[2]! ثم ضربوا عبد الرحمن بن حُبَيْش حتى سقط.

قال المدائني: فحدّثني عليُّ بنُ مجاهد عن محمد بن إسحاق عن الشعبي ومجالد بن حمزة بن بيض عن الشعبيّ قال: بينا القرّاء عند سعيد بن العاص وهم يأكلون تمراً وزُبْداً إذ قال سعيد: السواد بستان قريش، فما شِئنا أخذنا منه وما شئنا

(١) بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري، أمير البصرة وقاضيها. كان راوية فصيحاً وأديباً. (ت، سنة ١٢٦ هـ) ترجمته في: (تهذيب التهذيب ١/ ٥٠٠).

(٢) الفيء: الغنيمة، وأصل الفيء: الرجوع.

تركنا. فقال له عبد الرحمن بن حبيش وكان على شرطة سعيد: صدَق الأمير. فوثب عليه القرّاء فضربوه، وقالوا له: يا عدوّ الله، يقول الباطِل وتصدقه فقال: اخرجوا من داري. فخرجوا، فلما أصبحوا أتوا المسجدَ فداروا على الحِلَق فقالوا: إن أميركم زعم أنّ السواد بستان له ولقومه وهو فيئُنا ومركزُ رماحنا، فوالله ما على هذا بايعنا ولا عليه أسلمنا. فكتب سعيد إلى عثمان رضي الله عنه: إنّ قِبَلي قوماً يُدْعَون القرّاء وهم السفهاء، وثبوا على صاحب شرطتي فضربوه واستخفوا بي. منهم عمرو بن زرارة، وكُمَيْل بنُ زياد، والأشتر، وحُرقوص بن هبيرة، وشريح بن أوفى، ويزيد بن المكفَّف، وزيد وصعصعة ابنا صُوحان، وجُندب بن عبد الله. فكتب إليهم عثمان رضي الله عنه يأمرهم أن يخرجوا إلى الشام ويغزوا مغازِيَهم. وكتب إلى سعيد: قد كفيتك الذي أردت فأقرئهم كتابي فإني أراهم لا يخالفون إن شاء الله، واتّقِ الله جَلَّ وعز وأحسِن السيرة. فأقرأهم الكتاب، فخرجوا إلى دمشق فأكرمهم معاوية وقال: إنكم قدِمتم بلداً لا يعرف أهله إلا الطاعةَ فلا تجادلوهم فتدْخِلوا الشكَّ قلوبَهم. فقال له الأشتر: إن الله جل وعز قد أخذ على العلماء في علمهم ميثاقاً أن يبيّنوه للناس ولا يكتموه، فإن سألنا سائل عن شيء نعلمه لم نكتمه. فقال: قد خفتُ أن تكونوا مُرْصِدين للفتنة، فاتقوا الله **﴿وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾**[1]. فقال عمرو بنُ زُرَارة: نحن الذين هدى الله. فأمر معاوية بحبسهم. فقال له زيدُ بن صُوحان: إن الذين أشخصونا إليك لم يَعجِزوا عن حبسنا لو أرادوا، فأحسِنُوا جِوارنا، وإن كنا ظالمين فنستغفر الله، وإن كنا مظلومين فنسأل الله العافية. فقال له معاوية: إني لا أرى حبسك أمراً صالحاً؛ فإن أحببتَ أن آذن لك فترجع إلى مصرك وأكْتب إلى أمير المؤمنين بإذنك فعلت. قال: حسبي أن تأذن لي وتكتبَ إلى سعيد. فكتب إليه، فأذن له، فلما أراد زيد الشخوص كلّمه في الأشتر وعمرو بن زرارة فأخرجهما. وأقام القوم بدمشق لا يرون أمراً يكرهونه؛ ثم أشخصهم معاويةُ إلى حِمْص، فكانوا بها، حتى أَجْمَعَ أهلُ الكوفة على إخراج سعيد فكتبوا إليهم فقدموا.

قال أبو زيد: قال المدائني: حدّثني الوقاصي عن الزهري: إن أهل الكوفة لما قدموا على عثمان يشكون سعيداً قال لهم: أكتب إليه فأجمع بينكم وبينه.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٥.

ففعل، فلم يحققوا عليه شيئاً إلا قولَه: «السوادُ بستانُ قريش»، وأثنى الآخرون عليه. فقال عثمان: أرى أصحابكم يسألون إقراره، ولم يثبتوا عليه إلا كلمةً واحدة، لم يَنْتهك بها لأحد حرمةً. ولا أرى عزله إلا أن تُثبتوا عليه ما لا يحلُّ لأحد تركُه معه. فانصرِفوا إلى مصركم. فرجع سعيدٌ والفريقان معه، وتقدّمهم عليُّ ابنُ الهيثم السدوسيُّ حتى دخل رحبَةَ المسجد فقال: يا أهل الكوفة إنا أتينا خليفتنا فشكونا إليه عاملنا، ونحن نرى أنه سيصرفه عنا، فردّه إلينا وهو يزعم أن السواد بستان له. وأنا امرؤ منكم أرضى إذا رضيتم. فقالوا: لا نرضى.

[تحريض الأشتر على عثمان]

وجاء الأشتر فصعد المنبر فخطب خطبة ذكر فيها النبيﷺ، وأبا بكر، وعمر رضي الله عنهما. وذكر عثمان رضي الله عنه. فحرّض عليه ثم قال: من كان يرى أن لِلّهِ جل وعز حقاً فليصْبح بالجَرَعَة، ثم قال لكُمَيْل بن زياد[١]: انطلق فأخرج ثابتَ بن قيس بن الخَطِيم، فأخرجه. واستعمل أهلُ الكوفة أبا موسى الأشعريّ.

أخبرني أحمد قال: حدّثنا عمر قال: حدّثنا عفّانُ قال: حدّثنا أبو مِحْصَنٍ قال: حدّثنا حصينُ بن عبد الرحمن قال: حدّثني جُهَيمٌ قال: أنا شاهد للأمر، قالوا لعثمان: إنك استعملت أقاربكَ. قال: فليقم أهلُ كلِّ مصر فليُسْلِمُوا صاحبهم. فقام أهل الكوفة فقالوا: اعزل عنا سعيداً واستعمل علينا أبا موسى الأشعريّ. ففعل.

قال أبو زيدٍ: وكان سعيدٌ قد أبغضه أهل الكوفة لأمور: منها أن عطاءَ النساء بالكوفة كان مائتين مائتين فحطّه سعيد إلى مائة مائة. فقالت امرأة من أهل الكوفة تذمّ سعيداً وتثني على سعد بن أبي وقّاص: [الطويل]

فَلَيْتَ أبا إسْحاقَ كانَ أميرَنا ... وَلَيْتَ سَعِيداً كانَ أوّلَ هالِكِ[٢]
يُحَطِّطُ أشْرافَ النِّساءِ وَيَتَّقي ... بِأبْنَائِهِنَّ مُرْهَفاتِ النَّيازِكِ[٣]

---

(١) كميل بن زياد، تابعي من أصحاب عليّ بن أبي طالب عليه السلام (ت. سنة ٨٢هـ) ترجمته في (تهذيب التهذيب ٨/٤٤٧).
(٢) أبو إسحاق: كنية سعد بن أبي وقاص.
(٣) النيازك: جمع نيزك، وهو الرمح القصير.

حدّثني العباس بن علي بن العباس ومحمدُ بن جرير الطبري قالا: حدّثنا يحيى بن معين قال: حدّثنا أبو داود، وأخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حدّثنا عمر بن شَبة قال: حدّثنا أبو داود قال: حدّثنا شعبة بن عمرو بن مُرّة قال: سمعت أبا وائل يحدّث عن الحارث بن حُبَيْش قال: بعثني سعيدُ بنُ العاص بهدايا إلى المدينة وبعثني إلى عليّ عليه السلام وكتب إليه: إني لم أبعث إلى أحد بأكثر مما بعثت به إليك إلا شيئاً في خزائن أمير المؤمنين. قال: فأتيت عليّاً فأخبرته، فقال: لشدَّ ما تَحْظر بنو أمية تراث محمد ﷺ. أما والله لَئِنْ وليتُها لأَنْفُضَنَّها نفضَ القصَّاب لتراب الوذَمة[١].

قال أبو جعفر: هذا غلط إنما هو لِوِذامِ التَّربةِ.

قال أبو زيد: وحدّثني عبد الله بن محمد بن حكيم الطائي عن السعدي عن أبيه قال: بعث سعيد بن العاص مع ابن أبي عائشة مولاه بصِلةٍ إلى عليٍّ بن أبي طالب عليه السلام؛ فقال: والله لا يزالُ غلامٌ من غِلْمان بني أميّة يبعث إلينا مما أفاءَ الله على رسوله بمثل قوتِ الأرْملة، واللّهِ لئن بَقِيتُ لأَنْفُضَنَّها نَفْضَ القصّابِ لوذام التربة. هكذا في هذه الرواية.

صوت

رُبَّ وَعْـدٍ مِـنْـكِ لا أَنْسَـاهُ لِـي ... أَوْجَـبَ الشُّكْـرَ وإنْ لَـمْ تَـفْعَـلِـي
أَقْـطَـعُ الـدَّهْـرَ بِـظَـنٍّ حَـسَـنٍ ... وَأُجَـلِّـي غَـمْـرَةً مـا تَـنْـجَـلِـي
كُـلَّـمـا أَمَّـلْـتُ يَـوْمـاً صـالِـحـاً ... عَـرَضَ الـمَـكْـرُوهُ لِـي فِـي أَمَـلِـي
وَأَرَى الأَيَّـامَ لا تُـدْنِـي الَّـذِي ... أَرْتَـجِـي مِـنْـكِ وَتُـدْنِـي أَجَـلِـي

عروضه من الرمل؛ الشِّعرُ لمحمد بن أميَّة، والغناءُ لأبي حَشيشة، رملٌ طُنْبوريّ وفيه لَحْن لحسين بن مُحْرِز ثاني ثقيلٍ بالوُسْطى عن أبي عبد الله الهشاميّ.

(١) الوَذامِ: جمع وذمة: وهي قطعة الكرش. والتِّرابُ: جمع تربة، وهي الكرش أيضاً.

أخبارُ محمَّد بن أميَّةَ وأخبارُ أخيه علي بن أمية وما يُغَنَّى فيه من شعرهما

[اسمهما ونسبهما وشعرهما وبعض أخبارهما]

سألْتُ أحمدَ بنَ جعفرٍ جَحْظةَ عن نسبه قُلتُ له: إنّ النّاسَ يقولون ابنُ أميةَ وابنُ أبي أمية؛ فقال: هُوَ محمدُ بنُ أمية بن أبي أميّة.

قال: وكان محمدٌ كاتباً شاعراً ظريفاً، وكان ينادمُ إبراهيمَ بنَ المَهْديِّ، وربما عاشرَ عليَّ بنَ هِشام، إلاّ أنّ انقِطاعَه كان إلى إبراهيمَ، ورُبما كتبَ بين يديه. وكان حَسَنَ الخطّ والبيان. وكان أميّةُ بنُ أبي أمية يكتُبُ للمَهْدِيّ على بَيْتِ المال. وكان إليه خَتْمُ الكُتُبِ بِحَضْرته، وكان يأنسُ به لأدبِهِ وفَضْلِه، ومَكانِهِ من وَلائِه، فزامَلَه أرْبَعَ دَفَعَاتٍ حَجَّها في ابتدائِه ورُجُوعِهِ.

قال جَحْظةُ: وحدّثني بذلك أبو حشِيشَة.

وحدّثني جحظة أيضاً قال: حدّثني أبو حشيشة عن محمد بن عليّ بن أمية قال: حدّثني عمي محمد بن أمية قال: كنتُ جالساً بين يديْ إبراهيم بن المهدي، فدخل إليه أبو العتاهية وقد تَنَسَّك ولبس الصوفَ وترك قولَ الشعر إلاّ في الزُّهد، فرفعه إبراهيم وسُرَّ به، وأقبل عليه بوجهه وحديثه، فقال له أبو العتاهية: أيُّها الأمير بلغني خبرُ فتًى في ناحيتك ومن مواليك يُعْرَف بابن أمية يقول الشعرَ، وأُنْشِدْتُ له شعراً أعجبني، فما فَعَل؟ قال: فضحك إبراهيم ثم قال: لعله أقربُ الحاضرين مجلساً منك. فالتفت إليّ فقال لي: أنت هو فَدَيْتُك؟ فتشوّرت[1] وخجلت وقلت له: أنا محمد بنُ أمية جُعلت فداءك! وأمّا الشعر فإنما أنا شابٌّ أعبثُ بالبيت

(١) تشوّر: استحيى، خجل.

والبيتين والثلاثة كما يعبث الشابُّ؛ فقال لي: فديتك، ذلك والله زمانُ الشعر وإبّانه، وما قيل فيه فهو غُرَرُه وعيونُه، وما قَصُر من الشعر وقيل في المعنى الذي تومىء إليه أبلغُ وأملحُ. وما زال ينشّطني ويؤنِسني حتى رأى أني قد أنِست به، ثم قال لإبراهيم بن المهديّ: إنْ رأى الأمير ـ أكرمه الله ـ أن يأمره بإنشادي ما حضر من الشعر. فقال لي إبراهيم: بحياتي يا محمد أنشِده. فأنشدته: [الرمل]

رُبَّ وَعْـدٍ مِـنْـكِ لا أنْـسـاهُ لِـي ... أوْجَـبَ الشُّـكْـرَ وَإنْ لَمْ تَـفْـعَـلِـي

وذكر الأبيات الأربعة. قال: فبكى أبو العتاهية حتى جرت دموعُه على لحيته وجعل يُرَدّد البيت الأخير منها وينتحِب، وقام فخرج وهو يردّد ويبكي حتى خرج إلى الباب.

[حبّ محمد بن أمية لخداع وشعره فيها]

أخبرني عمي قال: حدّثني يعقوب بن إسرائيل قرقارةُ قال: حدّثني محمد بن عليّ بن أمية قال: كان عمي محمدُ بنُ أمية يهوى جاريةً مغنِّية يقال لها خِداعُ كانت لبعض جواري خالِ المعتصم، فكان يدعوها، ويعاشِره إخوانه إذا دعوه بها اتّباعاً لمسرته. وأراد المعتصم الخروجَ والتأهُّبَ للغزو، وأمر الناس جميعاً بالخروج والتأهب، فدعاه بعضُ إخوانه قبل خروجهم بيوم، فلما أضحى النَّهار جاءَ من المطرِ أمرٌ عظيمٌ لم يقدِرْ معه أحد أن يُطلِعَ رأسَه من داره، فكاد محمد أن يموت غمًّا، فكتب إلى صديقه الذي دعاه وقد كان ركِب إليه ثم رجعَ لشدّة المطر، ولم يقدِر على لقائه: [الوافر]

تَمَـادَى القَـطْـرُ وَانْـقَـطَـعَ السَّـبِـيـلُ ... مِـنَ الإلْـفَـيْـنِ إذْ جَـرَتِ السُّـيُـولُ
عَـلَـى أنِّـي رَكِـبْـتُ إلَـيْـكَ شَـوْقـاً ... وَوَجْـهُ الأرْضِ أوْدِيَـةٌ تَـجُـولُ
وَكَـانَ الشَّـوْقُ يَـقْـدُمُـنِـي دَلِـيـلاً ... وَلِـلْـمُـشْـتَـاقِ مُـعْـتَـزِمـاً دَلِـيـلُ
فَـلَـمْ أجِـدِ السَّـبِـيـلَ إلـى حَـبِـيـبٍ ... أُوَدِّعُـهُ وَقَـدْ أَفِـدَ الـرَّحِـيـلُ(١)
وَأرْسَـلْـتُ الـرَّسُـولَ فـغـابَ عَـنِّـي ... فَـيَـا لِـلَّـهِ مـا فَـعَـلَ الـرَّسُـولُ

وقال في ذلك أيضاً: [المديد]

مَـجْـلِـسٌ يُـشْـفَـى بِـهِ الـوَطَـرُ ... عـاقَ عَـنْـهُ الـغَـيْـمُ وَالـمَـطَـرُ

(١) أفِد الرحيل: قرب، دنا.

رَبِّ خُذْ لِي مِنْهُمَا فَهُمَا رَحْمَةٌ عَمَّت وَلِي ضَرَرُ
ما عَلى مَوْلايَ مَعْتَبَةٌ عُذْرُهُ بادٍ وَمُسْتَتِرُ(١)
شُغِلَتْ عَيْنِي بِعَبْرَتِها وَاسْتَمالَتْ قَلْبِيَ الفِكَرُ

قال: ثم بِيعت خِداعُ هذه فاشتراها بعضُ ولد المهديّ وكان ينزل شارع الميدان، فحجِبت عنه وانقطع ما بينهما إلاّ مكاتبةً ومُراسلةً.

قال محمدُ بن عليّ فأنشدني يوماً عمّي محمد لنفسه فيها: [الخفيف]

خَطَراتُ الهَوَى بِذِكْرِ خِداع هِجْنَ شَوْقِي لا دارساتُ الطُّلُولِ
حُجِبَتْ أنْ تُرَى فَلَسْتُ أراها وَأَرَى أهْلَها بِكُلِّ سَبِيلِ
وإذا جاءَها الرَّسُولُ رآها لَيْتَ عَيْنِي مكانَ عَيْنِ الرَّسُولِ
قَدْ أتاكِ الرَّسُولُ يَنْعَتُ ما بي فاسْمَعِي منهُ ما يَقُولُ وَقُولِي

وقال فيها أيضاً: [الطويل]

بِناحِيَةِ المَيْدَانِ دَرْبٌ لَوَ انَّنِي أُسَمِّيهِ لَمْ أَرْشُدْ وإنْ كانَ مُفْسِدِي
أَخَافُ عَلى سُكّانِهِ قَوْلَ حَاسِدٍ يُشِيرُ إِلَيْهِمْ بِالجُفُونِ وَبِاليَدِ
وَصَائِفُ أبْكارٌ وَعُونٌ نَوَاطِقٌ بِأَلْسِنَةٍ تَشْفِي جَوَى الهائِمِ الصَّدِي(٢)
يُقارِبْنَ أَهْلَ الوُدِّ بِالقَوْلِ في الهَوَى وما النَّجْمُ مِنْ مَعْرُوفِهِنَّ بِأَبْعَدِ
يَزِدْنَ أخا الدُّنْيا مُجُوناً وَفِتْنَةً وَيَشْغَفْنَ قَلْبَ النّاسِكِ المُتَعَبِّدِ
وَلَيْلة وافَى النَّوم طيفٌ سَرَى بِهِ إِلَيَّ الهَوَى مِنْهُنَّ بَعْدَ تَجَرُّدِ
فَقاسَمْتُهُ الأشْجانَ نِصْفَيْنِ بَيْنَنَا وَأَوْرَدْتُهُ مِنْ لَوْعَةِ الحُبِّ مَوْرِدِي
وَنِلْتُ الَّذِي أَمَّلْتُ بَعْدَ تَمَنُّعٍ وَعَاهَدْتُهُ عَهْدَ امْرِىءٍ مُتَوَكِّدِ
فَلَمَّا افْتَرَقْنَا خاسَ بِالعَهْدِ بَيْنَنَا وَأَعْرَضَ إِعْراضَ العَرُوسِ مِنَ الغَدِ(٣)
فَوَا نَدَما ألا أَكُونَ ارْتَهَنْتُهُ لأَخْبُرَهُ في حِفْظِ عَهْدٍ وَمَوْعِدِ

أخبرني الحسن بن علي وعمي قالا: حدّثنا محمدُ بن القاسم بن مهرويه قال: حدّثني حذيفةُ بن محمد قال: قال لي محمدُ بن أبي العتاهية:

(١) المعتبة: العتب. والبادي: الظاهر.
(٢) الوصائف: جمع وصيفة وهي الجارية. والعون: جمع عوان، وهي المرأة النَّصِف.
(٣) خاس بالعهد: خان العهد.

سمع أبي يوماً مخارقاً يغنّي: [الطويل]

أُحِبُّكِ حُبًّا لَوْ يُفَضُّ يَسِيرُهُ على ... الخَلْقِ مَاتَ الخلْقُ مِنْ شِدَّةِ الحُبِّ
وَأَعْلَمُ أَنِّي بَعْدَ ذَاكَ مُقَصِّرٌ ... لأنَّكِ في أَعْلَى المَرَاتِبِ مِنْ قَلْبِي

فطرِبَ ثم قال له: من يقولُ هذا يا أبا المُهَنَّأ؟ قال: فتى من الكتَّاب يخدُمُ الأميرَ إبراهيمَ بن المهديّ. فقال: تَعْني محمدَ بنَ أميَّة؟ قال: نعم. قال: أحْسَنَ والله، وما يزال يأتي بالشَّيء المليحِ يبدُو له.

أخبرني عمي قال: حدّثنا أحمدُ بنُ أبي طاهرٍ قال: حدّثني أحمد بن أمية بن أبي أمية قال: لقي أخي محمّدُ بنُ أُميّة مُسْلمَ بن الوليدِ وهُوَ يَمْشي وطويلته[1] مع بعض رواته، فسلم عليه ثم قال له: قد حضرني شيءٌ؛ فقال: هاتِه؛ فقال: على أنه مِزاح لا يُغْضَبُ منه؛ قال: هاتِه ولو أنه شتم. فقال: [المديد]

مَنْ رَأى فِيما خَلاَ رَجُلاً ... تِيهُهُ يُرْبِي على جِدَتِهْ[2]
يَتَبَاهَى راجِلاً وَلَهُ ... شَاكِرِيٌّ في قُلَنْسِيَتِهْ[3]

فسكَتَ عنه مُسلِمٌ ولم يُجبْه، وضحِك منه محمدٌ وافترقا.

قال: وكان لمحمد بن أميّة بِرْذَوْن يركبه، فلقِيَه مسلِمٌ وهو راجلٌ فقال: ما فعل بِرذونُك؟ قال: نَفَق[4]. قال: الحمدُ لله، فَنُجَازيك إذاً على ما كان منك إلينا. ثم قال مسلم: [السريع]

قُلْ لابْنِ مَيٍّ لا تَكُنْ جازِعا ... لَنْ يَرْجِعَ البِرْذَوْنُ بِاللَّيْتِ[5]
طامَنَ أحْشَاءَكَ فِقْدانُهُ ... وَكُنْتَ فِيهِ عَالِيَ الصَّوْتِ
وَكُنْتَ لا تَنْزِلُ عَنْ ظَهْرِهِ ... وَلَوْ مِنَ الحُشِّ إلى البَيْتِ[6]
ما ماتَ مِنْ حَتْفٍ وَلٰكِنَّهُ ... مَاتَ مِنَ الشَّوْقِ إلى المَوْتِ

أخبرني أحمدُ بنُ عبيد اللّه بن عمار قال: حدّثنا يعقوب بن إسرائيل، قال

(١) طويلته: هنا قلنسوته الطويلة.
(٢) الجِدَة: الغنى.
(٣) الشاكريّ: الأجير.
(٤) نفق: مات.
(٥) الليت: قول لَيْتَ.
(٦) الحش: بيت الخلاء.

حدّثني محمد بن عليّ بن أمية قال: حدّثني حسين بن الضحاك قال: دخلت أنا ومحمدُ بنُ أميّةَ منزل نَخّاس بالرَّقة أيامَ الرشيد وعنده جاريةٌ تغنّي فوقعت عينُها على محمد، ووقعت عينُه عليها، فقال لها: يا جاريةُ، أتغنّين هذا الصوت:

خَبِّرِينِي مَنِ الرَّسُولُ إِلَيْكِ ... واجْعَلِيهِ مَنْ لا يَنِمُّ عَلَيْكِ

وَأَشِيرِي إِلَيَّ مَنْ هُو بِاللَّحْـ ... ـظِ لِيَخْفَى عَلى الَّذِينَ لَدَيْكِ

وَأَقِلِّي المُزاحَ في المَجْلِسِ اليَوْ ... مَ فَإِنَّ المزاحَ بَيْنَ يَدَيْكِ

فقالت له: ما أعرِفه، وأشارت إلى خادمٍ كان على رأسها واقِفاً. فمكثا زماناً والخادمُ الرسولُ بينهما. قال: والشعر لمحمد بن أمية.

حدّثني جَحْظةُ قال: حدّثني ميمونُ بن هارون قال: حدّثني بعضُ من كان يختلط بالبرامكة قال: كنتُ عند إبراهيمَ بنِ المهديّ، وقد اصطبحنا وعنده عمرُو بن بانة، وعبيدُ اللّه بن أبي غسان، ومحمد بن عمرو الرومي، وعمرو الغزَّال، ونحن في أطيب ما كنا عليه إذ غنّى عمرو الغَزَّالُ، وكان إبراهيمُ بن المهدي يستثقله، إلا أنه كان يتخفَّف بين يديه ويَقْصِدُه، ويَبْلُغه عنه تقديمٌ له وعصبيَّة، فكان يَحْتملُ ذاك منه، فاندفع عمرو الغزال، فتغنَّى في شعرِ محمد بن أمية: [السريع]

ما تَمَّ لِي يَوْمُ سُرورٍ بِمَنْ ... أَهْواهُ مُذْ كُنْتُ إلى اللَّيْلِ

أَغْبَطَ ما كُنْتُ بِما نِلْتُهُ ... مِنْهُ أَتَتْنِي الرُّسْلُ بالوَيْلِ

لاَ وَالَّذِي يَعْلَمُ كُلَّ الَّذِي ... أَقُولُ ذي العِزَّةِ وَالطَّوْلِ

ما رُمْتُ مُذْ كُنْتُ لَكُمْ سَخْطَةً ... بِالغَيْبِ في فِعْلٍ ولا قَوْلِ

قال: فتطيَّر إبراهيمُ، ووضع القدَح من يده، وقال: أعوذُ بالله من شر ما قلتَ. فوالله ما سكَتَ ـ وأخذنا نتلافَى إبراهيمَ ـ إذ أتى حاجبُه يعدو فقال: ما لَكَ؟ فقال: خرج الساعةَ مسرورٌ من دار أمير المؤمنين حتى دخل إلى جعفر بن يحيى، فلم يلبث أن خرج ورأسُه بين يديه وقبض على أبيه وإخوته. فقال إبراهيم: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾[1] ارفع يا غلام ارفع. فرفع ما كان بين أيدينا، وتفرقنا فما رأيت عمْراً بعدها في داره.

أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال: حدّثني الحسين بن يحيى الكاتب

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٥٦.

قال: حدّثني محمد بن يحيى بن بُسْخُنَّر قال: كنت عند إبراهيم بن المهدي بالرَّقة وقد عزمنا على الشراب ومعنا محمد بن أميّة في يوم من حزيران، فلما هممنا بذلك هبّت الجَنُوب، وتلطَّخَت السماء بغيم، وتكدَّر ذلك اليوم، فترك إبراهيمُ بن المهدي الشُّرْبَ ولحقه صُداع، وكان يناله ذلك مع هبوب الجنوب، فافترقنا؛ فقال لي محمَّدُ بن أمية: ما أَحَبَّ إليَّ ما كَرِهْتُموه من الجنوب! فإن أنشدْتُك بيتين مليحين في معناهما تساعدني على الشرب اليوم؟ قلت: نعم. فأنشدني: [البسيط]

إنَّ الجَنُوبَ إذا هَبَّتْ وَجَدْتُ لَها ... طِيباً يُذَكِّرُني الفِرْدَوْسَ إنْ نَفَحَا
لَمَّا أَتَتْ بِنَسِيمٍ مِنْكِ أَعْرِفُهُ ... شَوْقاً تَنَفَّسْتُ وَاسْتَقْبَلْتُها فَرِحا

فانصرفتُ معه إلى منزله، وغنَّيتُ في هذين البيتين وشربنا عليهما بقيةَ يومنا.

وجدْتُ في بعض الكتبِ بغير إسنادٍ: أهدَتْ جاريةٌ يقال لها خِداعُ إلى محمد بن أُميّة ـ وكان يهواها ـ تفاحةً مُفَلَّجةً[1] منقوشةً مطيَّبة حَسنةً، فكتب إليها محمد: [السريع]

خِداعُ أهْدَيْتِ لَنا خُدْعَةً ... تُفَّاحَةً طَيِّبَةَ النَّشْرِ
ما زِلْتُ أرْجُوكِ وَأخْشَى الهَوَى ... مُعْتَصِماً بِاللَّهِ وَالصَّبْرِ
حَتَّى أتَتْنِي مِنْكِ في ساعَةٍ ... زَحْزَحَتِ الأحْزانَ عَنْ صَدْرِي
حَشَوْتِها مِسْكاً وَنَقَّشْتِها ... وَنَقْشُ كَفَّيْكِ مِنَ النَّحْرِ
سَقْياً لَها تُفَّاحَةً أُهْدِيَتْ ... لَوْ لَمْ تَكُنْ مِنْ خُدَعِ الدَّهْرِ

أخبرني الحسنُ بن عليّ قال: حدّثنا محمدُ بن القاسم بن مَهْرويه قال: حدّثني عبدُ اللّه بنُ جعفر اليقطيني قال: حدّثني أبي جعفر بن عليّ بن يقطينَ قال: كنتُ أسِيرُ أنا ومحمدُ بن أمية في شارع المَيْدان، فاستقبلتْنَا جاريةٌ ـ كان محمَّدٌ يَهْوَاها ثم بِيعتْ ـ وهي راكبةٌ، فكلَّمها، فأجابتْه بجواب أخفَتْهُ فلم يفهمه، فأقبل عليّ وقد تغيَّر لونُه فقال: [البسيط]

يا جَعْفَرُ بْنَ عَلِيٍّ وابْنَ يَقْطِينِ ... ألَيْسَ دُونَ الَّذِي لاقَيْتُ يَكْفِينِي
هذا الَّذِي لَمْ تَزَلْ نَفْسِي تُخَوِّفُنِي ... مِنْها فَأيْنَ الَّذِي كانَتْ تُمَنِّينِي
خاطَرْتُ إذْ أقْبَلَتْ نَحْوِي وَقُلْتُ لَها ... تَفْدِيكِ نَفْسِي فِداءً غَيْرَ مَمْنُونِ

---

(١) تفاحة مفلجة: مقسمة.

فَخَاطَبَتْنِي بِما أَخْفَتْهُ فَانْصَرَفَتْ . نَفْسِي بِظَنَّيْنِ مَخْشِيٍّ وَمَأْمُونِ

حدَّثني محمدُ بن يحيى الصُّولي قال: حدَّثني أحمدُ بن يزيد المهلبيّ قال: حدّثني أبي قال: كنت بَين يدي المنتصر جالساً فجاءتْهُ رُقْعَة لا أعلمُ مِمَّن هي، فقرأها وتبسَّمَ ثم إنه أقبل عليَّ وأنشد: [الوافر]

لَطَافَةُ كَاتِبٍ وَخُشُوعُ صَبٍّ وَفِطْنَةُ شَاعِرٍ عِنْدَ الجَوَابِ

ثم أقبل عليّ فقال: من يقول هذا يا يزيد؟ فقلتُ: محمدُ بن أميَّة يا أمير المؤمنين. فضحك وقال: كأنه والله يصفُ ما في هذه الرُّقْعة.

أخبرني الحسنُ بن علي قال: حدّثنا محمَّدُ بن القاسم بنِ مَهْرويه قال: حدّثني حذيفةُ بنُ محمَّد قال: كنت أنا وابن قنْبر عندَ محمد بن أُميَّة بعقِب بَيْع جاريةٍ كان يحِبُّها وقد لَحِقَه علَيْها ولَهٌ كالجنون، فجعل ابن قنبرٍ وأخوه عليّ بن أمية يعاتبانه على ما يظهر منه، فأقبل بوجهه عليهما ثم قال: [الطويل]

لَوْ كُنْتَ جَرَّبْتَ الهَوَى يابْنَ قَنْبَرٍ كَوَصْفِكَ إِيّاهُ لأَلْهَاكَ عَنْ عَذْلي
أنا وأخِي الأدْنَى وَأَنْتَ لَهَا الفِدا وإنْ لَمْ تَكُونا في مَوَدَّتِها مِثْلِي
أَأَنْ حُجِبَتْ عَنِّي أجُودُ لِغَيْرِها بِوُدِّي وَهَلْ يُغْرِي المُحِبَّ سِوَى البُخْلِ
أَسَرُّ بأَنْ قَالُوا تَضَنُّ بِوُدِّها عَلَيْكَ وَمَنْ ذَا سُرَّ بِالبُخْلِ مِنْ قَبْلِي

قال: فضحك ابنُ قَنْبر، وقال: إذا كان الأمْرُ هكذا فكن أنتَ الفداء لها، وإن ساعدك أخوك فاتَّفِقا على ذلك، وأما أنا فلستُ أنشط لأن أُساعدك على هذا. وافترقنا.

أخبرني علي بن سليمان الأخفشُ قال: أنشدني محمد بن الحسن بن الحزَوَّر لمحمد بن أمية في جارية كان يهواها، وقطَع الصوْمُ بينهما، فقال يخاطب محمدَ بن عثمان بن خُرَيْم المريَّ: [الطويل]

قِفا فَابْكِيا إنْ كُنْتُما تَجِدانِ كَوَجْدِي وإنْ لَمْ تَبْكِيا فَدَعانِي
فَفِي الدَّمْعِ مِمَّا تُضمِرُ النَّفْسُ رَاحَةٌ إذا لَمْ أُطِقْ إظْهَارَهُ بِلِسَانِي
أَغَضُّ بأَسْرارِي إذا ما لَقِيتُها فَأُبْهَتُ مَشْدُوهاً أَعُضُّ بَنَانِي
فَيَابْنَ خُرَيْمٍ يا أخِي دُونَ إخْوَتِي وَمَنْ هُوَ لِي مِثْلِي بِكُلِّ مَكَانِ
تَأَمَّلْ أحَظِّي مِنْ خِداعَ وَحُبِّها سِوَى خُدَعٍ تُذْكِي الهَوَى وَأمانِي
وَأَصْبَحَ شَهْرُ الصَّوْمِ قَدْ حَالَ بَيْنَنَا فَيَا لَيْتَ شَوَّالاً أَتَى بِزَمَانِ

أنشدني جعفرُ بن قُدامة قال: أنشدني عبدُ اللّه بن المعتزّ قال: أنشدني أبو عبد اللّه الهشاميُّ لمحمد بن أمية، وفيه غناء لمتيَّم، قال واستحسنه عبد اللّه:

صوت

[الكامل]

عَجَباً عَجِبْتُ لِمُذْنِبٍ مُتَغَضِّبِ ... لَوْلاَ قَبِيحُ فَعالِهِ لَمْ أَعْجَبِ
أَخِداعُ، طالَ على الفِرَاشِ تَقَلُّبِي ... وَإِلَيْكِ طُولُ تَشَوُّقِي وَتَطَرُّبِي
لَهْفِي عَلَيْكِ وَمَا يَرُدُّ تَلَهُّفِي ... قَصُرَتْ يَدَايَ وَعَزَّ وَجْهُ المَطْلَبِ

الغناء لمتيّم، فيه لحنان: رملٌ عن ابن المعتز، وخفيفُ رمل عن الهشامي. وهذا من شِعْر محمد فيها بعد أن بيعت. قال: وغنتنا هَزَارُ هذا الصوت يومئذ.

حدّثني عمّي قال: حدّثنا أحمد بن محمد الفيرزان قال: حدّثني شيبةُ بنُ هِشَام قال: دعانا محمدُ بن أُميَّةَ يوماً وَوَجَّه إلى جاريةٍ كان يحبها فدعاها، وبعث إلى مولاها يُحْدِرها[1] مع رسوله، فأبطأ الرسولُ حتَّى انتصف النهارُ ثم عاد وليسَتْ معه وقال: أخذوا مني الدراهم ثم ردوها عليّ، ورأيتهم مُخْتَلِطين، ولهم قصة لم يُعَرِّفونيها، وقالوا: ليسَتْ ها هنا فإن عادت بَعَثْنا بها إليكم. فتنغَّصَ عليه يومُه وتغيَّر وجهُه وتجمَّل لنا؛ ثم بكَرنا من غد بأجمعنا إلى منزل مولاها فإذا هي قد بِيعت، فَوَجم طويلاً، وسار حتى إذا خلا لنا الطريق اندفع باكياً. فما أنسى حُرْقة بكائه وهو ينشدني:

[الطويل]

تَخَطَّى إِلَيَّ الدَّهْرُ مِنْ بَيْنِ مَنْ أَرَى ... وَسُوءُ مَقَادِيرٍ لَهُنَّ شُؤُونُ
فَشَتَّتَ شَمْلِي دونَ كُلِّ أخِي هَوًى ... وَأَقْصَدَنِي بَلْ كُلَّهم سَيَبِينُ[2]
وَمَهْمَا تَكُنْ مِنْ ضَحْكَةٍ بَعْدَ فَقْدِها ... فَإِنِّي وإِنْ أَظْهَرْتُها لَحَزِينُ
سَلاَمٌ عَلَى أَيَّامِنَا قَبْلَ هٰذِهِ ... إِذِ الدَّارُ دارٌ وَالسُّرُورُ فُنُونُ

قال: ومَضتْ على ذلك مدّةٌ. ثم أخبرني أنه اجتاز بها، وهي تنظُرُ من وراء شُبَّاك، فسلَّم عليها فأومأتْ بالسلام إليه ودخلَتْ، فقال:

[الوافر]

تُطَالِعُنِي على وَجَلٍ خِداعُ ... مِنَ الشَّبَكِ الَّتِي عُمِلَتْ حَدِيدا
مُطَالِعَتِي، قِفِي بِاللَّهِ حَتَّى ... أُزَوِّدَ مُقْلَتِي نَظراً جَدِيدا

---

(١) يحدرها: يرسلها.
(٢) أقصدني: طعنني ولم يخطئني.

فَقَالَتْ إنْ سَهَا الواشُونَ عَنَّا ... رَجَوْنَا أنْ تَعُودَ وأنْ نَعُودا

وأنشدني أيضاً في ذلك:

صوت

[مجزوء الكامل]

يا صاحِبَ الشَّبَكِ الَّذِي اسْـ ... ـتَخْفَى، مكانُكَ غَيْرُ خَافِ

أَفَمَا رَأَيْتَ تَلَدُّدِي ... بِفِنَاءِ قَصْرِكَ وَاخْتِلافِي[1]

أَوَ ما رَحِمْتَ تَخَشُّعِي ... وَتَلَفُّتِي بَعْدَ انْصِرَافِي

صوت

إنَّ الرِّجالَ لَهُمْ إلَيْكِ وَسِيلَةٌ ... إنْ يَأْخُذُوكِ تَكَحَّلِي وَتَخَضَّبِي

وَأنا امْرؤٌ إن يأخُذُونِي عَنْوَةً ... أُقْرَنْ إلى سَيْرِ الرِّكابِ وأُجْنَبِ

وَيَكُونُ مَرْكَبُكِ القَعُودَ وَحِدْجَهُ ... وَابْنُ النَّعامَةِ يَوْمَ ذلكَ مَرْكَبِي[2]

عروضه من الكامل. قال ابن الأعرابي في تفسير قوله:

وابنُ النعامةِ يومَ ذلك مَرْكبي

ابن النعامة: ظِلّ الإنسان أو الفَرس أو غَيْره. قال جرير: [الكامل]

إذْ ظَلَّ يَحْسَبُ كُلَّ شَيْءٍ فارِساً ... وَيَرَى نعامَةَ ظِلِّهِ فَيَحُولُ

يعني بنعامةِ ظِلّه جَسَده. وقال أبو عمرو الشيبانيّ: النَّعامةُ ما يلي الأصابع في مُقَدَّم الرِّجل. يقول: مَرْكبي يومئذٍ رِجْلي. وقال الجاحظُ: ذَكر علماؤنا البصريون أنَّ النعامةَ اسمُ فرسِه. يقول: إنِّي أَشُدُّ على ركابي السرج فإذا صارَ للفرس ـ وهو الذي يُسَمَّى النعامةَ ـ ظلٌّ وأنا مقرونٌ إليه صار ظله تحْتي فكنتُ راكباً له. وجعل ظلها ها هنا ابنَها.

الشعر للحارث بن لوذان بن عوف بن الحارث بن سدوس بن شيبانَ بنِ ذهلِ بن ثعلبة. وقال ابن سلام: لخُزَزَ بن لَوْذان. ومن الناس من ينسب هذا الشعر

---

(١) تلددي: تحيُّري. واختلافي: تردّدي.

(٢) القعود: الجمل. والحدج: ضرب من مراكب النساء شبيه بالهودج.

إلى عنترةَ، وذلك خطأ. وأحد من نسبه إليه إسحاق الموصليّ. والغناء لعزةَ المَيْلاءِ. وأوّل لحنها: [الكامل]

لِـمَـنِ الـدِّيـارُ عَـرَفْـتُـهـا بِـالـشُّـرْبُـبِ ذَهَـبَ الَّـذِيـنَ بـهـا وَلَـمَّـا تَـذْهَـبِ[1]

وبعده «إن الرجال».

وطريقته من خفيفِ الثقيل الأوّل بالبنصر من روايتي حمّاد وابن المكّي. وفيه للهذيل خفيف ثقيلٍ بالوسطى عن الهشاميّ. وفيه لعريبَ خفيفُ رمل. وفيه لعزةَ المرزوقيّة لحن. وقال هارونُ بنُ محمد بنِ عبد الملك الزيات: هذا اللحنُ لريِّق، سلخت لحن «ومخنث شهِد الزفافَ وقبله» فجعلته لهذا، وهو لحنٌ محرَّك يشبه صنعة ابن سُرَيج وصنعةَ حَكَم في محركاتهما، فمن هنا يغلط فيه ويظن أنه قديم الصنعة.

[إعجاب ابن أبي عتيق بغناء عزة الميلاء]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال: حدّثت عن صالح بن حسان قال: كان ابن أبي عتيق معجباً بِغناء عزّة الميلاء كثيرَ الزيارة لها، وكان يختار عليها قوله:

لِـمَـنِ الـدِّيـار عَـرَفْـتَـهـا بـالـشُّـرْبُـبِ

فسألها يوماً زيارتَه فأجابته إلى ذلك ومضت نحوه، فقال لها بعد أن استقرّ بها المجلسُ: يا عزة، أُحبُّ أن تغنيني صوتي الذي أنا له عاشق. فغنته هذا الصوت، فطرِب كل الطرب وسر غاية السرور.

وكانت له جارية، وكان فتى من أهل المدينة كثيراً ما يعبث بها؛ فأعلَمتْ ابنَ أبي عتيق بذلك؛ فقال لها: قولي له: وأنا أُحبُّكَ؛ فإذا قال لك: وكيف لي بك؟ فقولي له: مولاي يخرج غداً إلى مال له، فإذا خرج أدخلتُك المنزل. وجمع ابن عتيق ناساً من أصحابه فأجلسهم في بيته ومعهم عزة الميلاء، وأدخلَت الجاريةُ الرجلَ. وقال لعزة: غني فأعادت الصوت. وخرجت الجاريةُ فمكثت ساعة ثم دخلت البيت كأنها تطلب حاجة، فقال لها: تعاليْ. فقالت: الآن آتيك. ثم عادت

(١) الشربب: وادٍ في ديار بني سليم. (معجم البلدان ٣/ ٣٣٢).

فدعاها فاعتلَّت[١]، فوثب فأخذها فضرب بها الحجلة[٢]، فوثب ابنُ أبي عتيق عليه هو وأصحابُه، فقال لهم وهو غيرُ مكترث: يا فسَّاقُ ما يُجلسكم ها هنا مع هذه المغنية! فضحِك ابن أبي عتيق من قوله وقال له: استر علينا ستر الله تعالى عليك. فقالت له عَزَّةُ: يابنَ الصِّدِّيق[٣]، ما أظرف هذا لولا فسقه! فاستحيا الرجل فخرج، وبلغه أن ابنَ أبي عتيق قد آلى إن هو وقع في يده أن يصير به إلى السلطان. فأقبل يعبث بها كلما خرجت، فشكت ذلك إلى مولاها، فقال لها: أو لم يرتدع من العبث بك! قالت: لا. قال: فهيئي الرحى وهيئي من الطعام طحينَ ليلة إلى الغداة. فقالت: أَفْعَلُ يا مولاي. فهيّأت ذلك على ما أمرها به ثم قال لها: عِدِيه الليلة فإذا جاء فقولي له: إن وظيفتي الليلة طحنُ هذا البُر كلِّه ثم اخرجي من البيت واتركيه. ففعلت، فلما دخل طحنت الجاريةُ قليلاً، ثم قالت له: إن كفَّتْ الرحى فإن مولاي جاءٍ إليّ أو بعض من وكله بي، فاطحن حتى نأمَن أن يجيئنا أحدٌ، ثم أصير إلى قضاءِ حاجتك. ففعل الفتى ومضت الجاريةُ إلى مولاها وتركته. وقد أمر ابنُ أبي عتيق عِدّة من مولياته أن يتراوحن[٤] على سهر ليلتهن ويتفقَّدن أمرَ الطحين ويحثثن الفتى عليه كلما أمسك؛ ففعلن، وجعلن ينادينه كلما كفَّ: يا فلانة إنّ مولاك مستيقِظ؛ والساعةَ يعلم أنك كففتِ عن الطحن، فيقومُ إليك بالعصا كعادته مع من كانت نوبتها قبلك إذا هي نامت وكفّت عن الطحن. فلم يزل الفتى كلّما سمع ذلك الكلامَ يجتهد في العمل والجارية تتعهد وتقول: قد استيقظ مولاي. والساعةَ ينام فأصير إلى ما تحِب. فلم يزل الرجل يطحن حتى أصبح وفرغ من جميع القمح. فلما فرغ وعلِمت الجارية أتته فقالت: قد أصبحت فانجُ بنفسك. فقال: أوقد فعلتِها يا عدوّة الله! فخرج تعِباً نصِباً فأعقبه ذلك مرضاً شديداً أشرف منه على الموت، وعاهد الله تعالى ألاّ يعودَ إلى كلامها، فلم تر منه بعد ذلك شيئاً يُنْكر.

---

(١) اعتلت: اعتذرت.

(٢) الحجلة: بيت يزين بالثياب والأسرة والستور.

(٣) ابن الصديق: أي ابن أبي عتيق واسمه: عبد الله بن أبي عتيق بن محمد بن عبد الرحمٰن بن أبي بكر الصديق. (تهذيب التهذيب: ٦/ ١١).

(٤) يتراوحن: يتناوبن.

صوت

أجَدَّ اليَوْمَ جيرتُك احْتِمالا ... وَحَثَّ حُداتُهمْ بِهِمُ عِجالا
وفي الأظْعانِ آنِسةٌ لَعُوبٌ ... تَرَى قَتْلِي بِغَيْرِ دَمٍ حلالا

عروضه من الوافر. الشعر للمتوكل الليثي، والغناء لابن مُحرِز ثاني ثقيلٍ بالسبابة في مجرى الوُسْطى عن إسحاق. وفيه لابن مِسْجَح ثاني ثقيل آخرُ بالخِنْصَر في مجرى البِنصر عنه. وذكر حَبشٌ أن هذا اللحن لابن سُرَيْج، وفيه لإسحاقَ هزجٌ.

نسب المتوكِّل الليثي وأخباره

[اسمه ونسبه وبعض أخباره وشعره]

هو المتوكل بن عبد اللّه بن نهشل بنِ مُسَافِع بن وَهْب بن عمرو بن لَقِيط بن يَعْمَر بن عَوْف بن عامر بن ليْث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خُزيمة بن مدرِكة بن إلياسِ بن مضَر بن نِزارٍ. من شعراء الإِسلام، وهو من أهل الكوفة. كان في عصر معاوية وابنه يزيد، ومدحهما. ويكنى أبا جهمة. وقد اجتمع مع الأخطل وناشده عند قبِيصة بن والق، ويقال عند عكرمة بن رِبْعي الذي يقال له الفيّاض، فقدمه الأخطل.

وهذه القصيدة التي أوّلها الغناء قصيدة هجا بها عِكرمة بن رِبْعي وخبره معه يذكر بعد. أخبرني بذلك الحسن بن عليّ عن أحمد بن سعيد الدمشقي عن الزبير بن بَكّار عن عمه.

وأخبرني الحسن بن عليّ عن أحمد بن سعيد الدمشقي قال: حدّثني هارون بن محمد بن عبد الملك قال: أخبرني هارون بن مسلم قال: حدّثني حفص بن عمر العُمَرِيّ عن لَقيط بن بُكَير المحاربي قال: قدِم الأخطل الكوفة فنزل على قبِيصةَ بنِ والق، فقال المتوكّل بن عبد اللّه الليثيّ لرجل من قومه: انطلق بنا إلى الأخطل نستنشِده ونسمع من شعره. فأتياه فقالا: أنشِدنا يا أبا مالك. فقال: إني لخاثر[1] يومي هذا. فقال له المتوكل: أنشدنا أيها الرجل، فوالله لا تُنشِدني قصيدة إلا أنشدتك مثلها أو أشعر منها من شعري. قال: ومن أنت؟ قال: أنا

(١) خثرت نفسي: غثت، خبثت، ثقلت، اختلطت. والخاثر: المصاب بالغثيان.

المتوكل. قال: أنشدني ويحك من شعرك! فأنشده: [الكامل]

لِلْغانِياتِ بِذِي المَجازِ رُسُومُ فَبِبَطْنِ مَكَّةَ عَهْدُهُنَّ قَدِيمُ[١]
فبِمَنْحَرِ البُدْنِ المُقَلَّدِ مِنْ مِنًى حِلَلٌ تَلُوحُ كأنَّهُنَّ نُجُومُ[٢]
لا تَنْهَ عَنْ خُلُقٍ وتَأتِيَ مِثْلَهُ عَارٌ عَلَيْكَ إذا فَعَلْتَ عَظِيمُ[٣]
والهَمُّ إنْ لَمْ تُمْضِهِ لِسَبِيلِهِ دَاءٌ تَضَمَّنَهُ الضُّلُوعُ مُقِيمُ

غَنَّى في هذه الأبيات سائبُ خاثرٍ من رواية حمادٍ عن أبيه ولم يُجنّسه. قال وأنشده أيضاً: [الكامل]

الشِّعْرُ لُبُّ المَرْءِ يَعرِضُهُ وَالقَوْلُ مِثْلُ مَوَاقِعِ النَّبْلِ
مِنْها المُقَصِّرُ عن رَمِيَّتِهِ وَنَوَافِذٌ يُذْهِبْن بالخَصْلِ[٤]

قال وأنشده أيضاً: [الخفيف]

إنَّنا مَعْشَرٌ خُلِقْنا صُدُوراً مَنْ يُسَوِّي الصُّدُورَ بالأذنابِ

فقال له الأخطل: ويحك يا متوكل! لو نبحت الخمر في جوفك كنت أشعر الناس.

[شعره في زوجته رهيمة]

قال الطوسيّ قال الأصمعيّ: كانت للمتوكل بن عبد الله الكِناني امرأةٌ يقال لها رُهَيمة ـ ويقال أمَيمة ـ وتُكْنى أمَّ بكرٍ، فأُقْعِدت[٥]، فسألته الطلاق، فقال ليس هذا حينَ طلاق. فأبت عليه، فطلقها، ثم إنها برئت بعد الطلاق، فقال في ذلك:

[الوافر]

طَرِبتُ وَشاقَنِي يا أمَّ بَكْرٍ دُعاءُ حَمَامَةٍ تَدْعُو حَمَاما
فَبِتُّ وباتَ هَمِّي لي نَجِيّاً أُعَزِّي عَنْكِ قَلْباً مُستَهاما[٦]

(١) موضع سوق عرفة. (معجم البلدان ٥/ ٥٥).
(٢) الحلل: جمع حلة وهي جماعة بيوت القوم. شبهها بالنجوم لأضوائها وتفرقها عن بعضها.
(٣) هذا البيت يروى لأبي الأسود الدؤلي.
(٤) الخَصَل: السبق الذي يتراهن عليه.
(٥) أقعدت: أصيبت بمرض أقعدها عن الوقوف والمشي.
(٦) النجيّ: المناجي.

إذا ذُكِرَتْ لِقَلْبِكَ أُمُّ بَكْرٍ ... يَبِيتُ كأنَّما اغْتَبَقَ المُدَاما
خَدَلَّجَةٌ تَرِفُّ غُرُوبُ فِيهَا ... وَتَكْسُو المَتْنَ ذا خُصَلٍ سُخاما[1]
أبَى قَلْبِي فَمَا يَهْوَى سِوَاهَا ... وإنْ كانَتْ مَوَدَّتُها غَراما
ينامُ اللَّيْلَ كُلُّ خَلِيٍّ هَمٍّ ... وتأْبَى العَيْنُ منِّي أنْ تَنَاما
أُرَاعِي التَّالياتِ من الثُّرَيّا ... وَدَمْعُ العَيْنِ مُنْحَدِرٌ سِجاما
على حِينَ ارْعَوَيْتُ وكانَ رأسِي ... كأنَّ على مَفارِقِهِ ثَغَاما[2]
سَعَى الواشُونَ حَتَّى أزْعَجُوها ... وَرَثَّ الحَبْلُ فانْجَذَمَ انجِذاما[3]
فَلَسْتُ بِزَائِلٍ ما دُمْتُ حَيًّا ... مُسِرًّا مِنْ تَذَكُّرِها هُيَاما
تُرَجِّيها وَقَدْ شَحَطَتْ نَواها ... وَمَنَّتْكَ المُنَى عاماً فعَاما
خَدَلَّجَةٌ لها كَفَلٌ وَثِيرٌ ... يَنُوءُ بها إذا قامَتْ قِياما
مُخَصَّرَةٌ تَرَى في الكَشْحِ منها ... على تثْقِيلِ أسْفَلِها انْهِضاما
إذا ابْتَسَمَتْ تَلألأ ضَوْءُ بَرْقٍ ... تَهَلَّلَ في الدُّجُنَّةِ ثُمَّ دَاما
وإنْ قامَتْ تَأمَّلَ رائِياها ... غَمامَةَ صَيِّفٍ وَلَجَتْ غَماما[4]
إذا تَمْشِي تَقُولُ دَبِيبُ أيْمٍ ... تَعَرَّجَ سَاعَةً ثم اسْتَقاما[5]
وإنْ جلَسَتْ فَدُمْيَةُ بَيْتِ عِيدٍ ... تُصانُ ولا تُرَى إلا لِماما
فَلَوْ أشْكُو الَّذي أشْكُو إليها ... إلى حَجَرٍ لَرَاجَعَنِي الكَلاما
أُحِبُّ دُنُوَّها وَتُحِبُّ نأْيِي ... وَتَعْتَامُ التَّنَائِي لي اعْتِياما[6]
كأنِّي مِنْ تَذَكُّرِ أمِّ بَكْرٍ ... جَرِيحُ أسِنَّةٍ يَشْكُو كِلاما
تَسَاقَطُ أنْفُساً نَفْسِي عَلَيْها ... إذا شَحَطَتْ وَتَغْتَمُّ اغْتِماما
غَشِيتُ لَها مَنازِلَ مقْفِراتٍ ... عَفَتْ إلاَّ الأيَاصِرَ والثُّماما[7]

---

(١) الخَدلجة: الممتلئة الساقين والذراعين. وترف: تبرق. وغروب فيها: ماء فمها. والسخام: الأسود الحسن الليّن. أراد شعرها الناعم الأسود.
(٢) الثغامة: نبتة ذات زهر أبيض يشبه به الشيب.
(٣) انجذم: انقطع. ورث الحبل: بلي.
(٤) غمامة صيِّف: غمامة مطر يهطل في الصيف.
(٥) الأيم: الحيّة.
(٦) تعتام: تختار.
(٧) الأياصر: جمع أيصر، وهو وتد الطنب أو حبل يشدّ به أسفل الخباء. والثمام: نبت ضعيف.

وَنُـؤْيـاً قـد تَـهَـدَّمَ جـانِـبـاهُ ... وَمَبْناها بِذِي سَلَم خِياما[1]
صِلِيني وَاعْلَمِي أنِّي كَرِيمٌ ... وأنَّ حَلاَوتِي خُلِطَتْ عُراما[2]
وأنِّي ذو مُجامحةٍ صَلِيبٌ ... خُلِقت لمن يماكِسني لجاما[3]
فلا وأبيكِ لا أنْساكِ حَتَّى ... تُجاوِبَ هَامَتِي في القَبْرِ هاما

[بين الغزل والمديح والهجاء والاعتذار]

والقصيدة التي فيها الغناء المذكور في أوّل خبر المتوكل يقولها أيضاً في امرأته هذه ويمدح فيها حَوْشَباً الشَّيبانيّ، ويقول فيها: [الوافر]

إذا وَعَدَتْكَ مَعْروفاً لَوَتْهُ ... وَعَجَّلَتِ التَّجَرُّمَ وَالمِطالا[4]
لها بَشَرٌ نَقِيُّ اللَّوْنِ صافٍ ... وَمَتْنٌ خُطَّ فَاعْتَدَلَ اعْتِدالا
إذا تَمْشِي تأَوَّدَ جانِباها ... وكادَ الخَصْرُ يَنْخَزِلُ انْخِزالا[5]
تَنُوءُ بها روادِفُها إذا ما ... وِشاحاها على المَتْنَيْنِ جالا
فإنْ تُصْبِحْ أمَيْمَةُ قَدْ تَوَلَّتْ ... وعادَ الوَصْلُ صَرْماً وَاعْتِلالا
فَقَدْ تَدْنُو النَّوَى بَعْدَ اغْتِرَابٍ ... بِهَا وتُفَرِّقُ الحَيَّ الحِلالا[6]
تُعَبِّسُ لِي أمَيْمَةُ بَعْدَ أُنْسٍ ... فَمَا أدْرِي أسُخْطاً أمْ دَلالا
أبِينِي لِي فَرُبَّ أخٍ مُصافٍ ... رُزِئْتُ وما أُحِبُّ بِهِ بِدالا
أصَرْمٌ مِنْكِ هٰذا أمْ دَلالٌ ... فَقَدْ عَنَّى الدَّلالُ إذاً وَطالا[7]
أم اسْتَبْدَلْتِ بِي وَمَلَلْتِ وَصْلِي ... فَبُوحِي لي بِهِ وَدَعِي المِحالا[8]
فَلاَ وَأبِيكِ ما أهْوَى خَلِيلاً ... أُقاتِلُهُ عَلَى وَصْلِي قِتَالا
وَكَمْ مِنْ كاشِحٍ يا أمَّ بَكْرٍ ... مِنَ البَغْضاءِ يأتَكِلُ ائتِكالا
لَبِسْتُ على قِناعٍ مِنْ أذاهُ ... وَلَوْلا اللّهُ كُنْتُ لَهُ نَكالا

---

(١) النؤي: الحفير حول الخيمة أو الخباء يمنع السيل. وذو سلم. وادٍ ينحدر على الذنائب (انظر معجم البلدان ٣/ ٢٤٠).
(٢) العُرام: الشراسة.
(٣) يماكسني: يشاكسني. والمماكسة: المشاكسة.
(٤) تجرّم عليه: ادعى عليه الجرم.
(٥) تأوّد: انعطف. وينخزل انخزالاً: ينقطع انقطاعاً.
(٦) القوم الحِلال: القوم الذين يحلون في مكان وهم كثيرون.
(٧) عَنَّى: أتعب وأرهق.
(٨) المِحال: الكيد، المكر.

ومما يغنى به من هذه القصيدة قوله:

صوت

أنـا الـصَّـقْـرُ الَّـذِي حُـدِّثْـتَ عَـنْـهُ ... عِـتـاق الـطَّـيْـرِ تَـنْـدَخِـلُ انْـدِخـالا(١)

رَأَيْـتُ الـغَـانِـيـاتِ صَـدَفْـنَ لَـمَّـا ... رَأَيْـنَ الـشَّـيْـبَ قَـدْ شَـمِـلَ الـقَـذَالا

فَـلَـمْ يُـلْـوُوا إذا رَحَـلُـوا وَلٰـكِـنْ ... تَـوَلَّـتْ عِـيـرُهُـمْ بِـهِـمُ عِـجَـالا

غنَّى فيه عمر الواديُّ خفيفَ رمل عن الهشاميّ. وذكر حبش أنّ فيه لابن مُحرِز ثاني ثقيل بالوسطى، وأحسبه مضافاً إلى لحنه الذي في أوّل القصيدة.

وقال الطوسي: قال أبو عمرو الشيباني: هجا معنُ بن حمل بن جَعونة بن وهب، أحد بني لقيط بن يَعمر المتوكل بن عبد الله الليثي؛ وبلغ ذلك المتوكل، فترفع عن أن يجيبه، ومكث معن سنين يهجوه والمتوكل معرض عنه. ثم هجاه بعد ذلك وهجا قومه من بني الديل هجاء قَذِعاً استحيا منه وندم، ثم قال المتوكل لقومه يعتذر ويمدح يزيد بن معاوية: [الطويل]

خَـلِـيـلَـيَّ عُـوجـا الـيَـوْمَ وَانْـتَـظِـرَانِـي ... فَـإِنَّ الـهَـوَى وَالـهَـمَّ أمُّ أبـانِ

هِـيَ الـشَّـمْـسُ يَـدْنُـو قَـرِيـبـاً بَـعِـيـدُهـا ... أرَى الـشَّـمْـسَ ما أسْـطِـيـعُـهـا وَتَـرَانِـي

نَـأَتْ بَـعْـدَ قُـرْبٍ دَارُهـا وَتَـبَـدَّلَـتْ ... بِـنَـا بَـدَلاً وَالـدَّهْـرُ ذو حَـدَثَـانِ

فَـهَـاجَ الـهَـوى وَالـشَّـوْقَ لِـي ذِكْـرُ حُـرَّةٍ ... مِـنَ الـمـرْجَـحِـنَّـاتِ الـثِّـقـالِ حَـصَـانِ(٢)

غنى في هذه الأبيات ابن مُحرز من كتاب يونس ولم يجنسه:

سَـيَـعْـلَـمُ قَـوْمِـي أَنَّـنِـي كُـنْـتُ سُـورَةً ... مِـنَ الـمَـجْـدِ إنْ داعِـي الـمَـنُـونِ دَعـانِـي

ألاَ رُبَّ مَـسْـرُورٍ بِـمَـوْتِـيَ لَـوْ أتَـى ... وَآخَـرَ لَـوْ أُنْـعَـى لَـهُ لَـبَـكَـانِـي

خَـلِـيـلـيَّ مـا لاَمَ امْـرَأً مِـثْـلُ نَـفْـسِـهِ ... إذا هِـيَ لامَـتْ فَـارْبَـعَـا وَدَعَـانِـي

نَـدِمْـتُ عَـلى شَـتْـمِـي الـعَـشِـيـرَةَ بَـعْـدَمَـا ... تَـغَـنَّـى بِـهـا غَـوْرِي وَحَـنَّ يَـمَـانِـي

قَـلَـبْـتُ لَـهُـمْ ظَـهْـرَ الـمِـجَـنِّ وَلَـيْـتَـنِـي ... رَجَـعْـتُ بِـفَـضْـلٍ مِـنْ يَـدِي وَلِـسَـانِـي

عَـلَىٰ أنَّنِي لَمْ أَرْمِ فِي الشِّعْرِ مُسْلِماً ... وَلَـمْ أَهْـجُ إلا مَـنْ رَوَى وَهَـجَـانِـي

---

(١) عتاق الطير: الطيور الجوارح.

(٢) المرجحنة: السمينة. والحصان: العفيفة.

هُمُ بَطِرُوا الحِلْمَ الَّذِي مِنْ سَجِيَّتِي ... فَبَدَّلْتُ قَوْمِي شِدَّةً بِلَيَانِ(١)
وَلَوْ شِئْتُمُ أولادَ وَهْبٍ نَزَعْتُمُ ... وَنَحْنُ جَمِيعٌ شَمْلُنا أَخَوانِ
نَهَيْتُمْ أَخَاكُمْ عَنْ هِجَائِي وَقَدْ مَضَى ... لَهُ بَعْدَ حَوْلٍ كَامِلٍ سَنَتَانِ
فَلَجَّ وَمَنَّاهُ رِجَالٌ رَأَيْتُهُمْ ... إذا قَارَنُونِي يَكْرَهُونَ قِرَانِي
وَكُنْتُ امْرَأً يَأْبَى لِيَ الضَّيْمَ أَنَّنِي ... صَرُومٌ إذا الأَمْرُ المُهِمُّ عَنَانِي
وَصُولٌ صَرُومٌ لا أَقُولُ لِمُدْبِرٍ ... هَلُمَّ إذا ما اغْتَشَّنِي وَعَصَانِي
خَلِيلَيَّ لَوْ كُنْتُ امْرأً بِيَ سَقْطَةٌ ... تَضَعْضَعْتُ أَوْ زَلَّتْ بِيَ القَدَمَانِ
أَعِيشُ على بَغْيِ العُدَاةِ وَرَغْمِهِمْ ... وَآتِي الَّذِي أَهْوَى عَلَى الشَّنَآنِ
وَلٰكِنَّنِي ثَبْتُ المَرِيرَةِ حَازِمٌ ... إذا صاح طُلاَّبِي مَلأْتُ عِنَانِي
خَلِيلَيَّ كَمْ مِنْ كَاشِحٍ قَدْ رَمَيْتُهُ ... بِقَافِيَةٍ مَشْهُورَةٍ وَرَمَانِي
فَكَانَ كذاتِ الحَيْضِ لَمْ تُبقِ مَاءَها ... وَلَمْ تُنْقِ عَنْهَا غُسْلَها لأوانِ

ثم إنه يقول فيها ليزيد بن معاوية:

أبا خالِدٍ حَنَّتْ إِلَيْكَ مَطِيَّتِي ... عَلَىٰ بُعْدِ مُنتابٍ وَهَوْلِ جَنَانِ
أَبَا خَالِدٍ فِي الأَرْضِ نَأْيٌ وَمَفْسَحٌ ... لِذِي مِرَّةٍ يُرْمَى بِهِ الرَّجَوَانِ(٢)
فَكَيْفَ يَنَامُ اللَّيْلَ حُرٌّ عَطَاؤهُ ... ثَلاَثٌ لِرَأْسِ الحَوْلِ أَوْ مائتانِ
تَنَاهَتْ قَلُوصِي بَعْدَ إسآدِيَ السُّرَى ... إلى مَلِكٍ جَزْلِ العَطاءِ هِجانِ(٣)
تَرَى النَّاسَ أفواجاً يَنُوبُونَ بَابَهُ ... لِبِكْرٍ مِنَ الحاجاتِ أَوْ لِعَوَانِ

فأجابه مَعْن بن حَمَلٍ فقال: [الطويل]

نَدِمْتَ كذاكَ العَبْدُ يَنْدَمُ بَعْدَ ما ... غُلِبتَ وسارَ الشِّعْرُ كُلَّ مَكَانِ
وَلاَقَيْتُ قَرْماً في أَرُومَةِ ماجدٍ ... كَرِيماً عَزِيزاً دَائِمَ الخَطَرَانِ(٤)
أنا الشَّاعِرُ المَعْرُوفُ وَجْهِي وَنِسْبَتِي ... أَعِفُّ وَتَحْمِينِي يَدِي وَلِسَانِي
وَأَغْلِبُ مَنْ هاجَيْتُ عَفْواً وأَنْتَمِي ... إلى مَعْشَرٍ بِيضِ الوُجُوهِ حِسانِ
فَهَاتِ إذاً يابنَ الأَتانِ كَصَاحِبِ الـ ... ـمُلُوكِ أبي، أَسَيِّدٌ كَمُهَانِ!

---

(١) بطروا: كرهوا. واللّيان: اللين.
(٢) الرجا: ناحية كل شيء. ورجوا البئر: حافتاه. ويرمى به الرجوان: أي يستهان به، فكأنه يرمى به ويطرح للمهالك.
(٣) الإسآد: السرعة في السير. والهجان: الرجل الحسيب.
(٤) القرم: السيد المبجّل.

فَهَاتِ كَزَيْدٍ أو كَسَيْحانَ لا تَجِدْ لَهُمْ كُفُواً أَوْ يُبْعَثَ الثَّقَلاَنِ

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال: حدّثنا العتيبيّ عن العباس بن هشام عن أبيه عن عَوانة قال: أتى المتوكل الليثي عِكرمةَ بن رِبعي الذي يقال له الفياضُ، فامتدحه فحرمه، فقيل له: جاءك شاعر العرب فحرمته! فقال: ما عرفْتُه. فأرسل إليه بأربعة آلاف درهم، فأبى أن يقبلها وقال: حرمني على رؤوس الناس ويبعث إليّ سراً.

فبينا المتوكل بالحيرة وقد رمِد رمَداً شديداً، فمرّ به قَسٌّ منهم فقال: ما لك؟ قال: رمِدتُ. قال: أنا أُعالجك. قال: فافعل. فذرّه، فبينا القس عنده وهو مذرور العين مستلْقٍ على ظهره، يفكر في هجاء عِكرمة ـ وذلك غير مطَّرِدٍ له ولا القولُ في معناه ـ إذ أتاه غلام له فقال: بالباب امرأة تدعوك. فمسح عينيه وخرج إليها، فسَفرت عن وجهها فإذا الشمس طالعةً حُسناً، فقال لها: ما اسمك؟ قالت: أُميةُ. قال: فممن أنتِ؟ فلم تخبِره. قال: فما حاجتك؟ قالت: بلغني أنك شاعر فأحببت أن تنسِب بي في شعرك. فقال: أسفِري. ففعلت فكرَّ طرفه في وجهها مُصعِّداً ومصوِّباً، ثم تلثّمت وولّت عنه، فاطَّرد له القولُ الذي كان استصعَب عليه في هجاء عِكرمة وافتتحه بالنسيب. فقال: [الوافر]

أَجَدَّ اليَوْمَ جِيرَتُكَ احْتِمالا وَحَثَّ حُداتُهم بِهِمُ الجِمَالا
وَفِي الأظْعَانِ آنِسَةٌ لَعُوبٌ تَرَى قَتْلِي بِغَيْرِ دَمٍ حَلالا
أُمَيَّةُ يَوْمَ دَيْرِ القَسِّ ضَنَّتْ عَلَيْنَا أنْ تُنَوِّلَنا نَوالا
أَبِينِي لِي فَرُبَّ أخٍ مُصافٍ رُزِئْتُ وما أُحِبُّ بِهِ بِدالا

وقال فيها يهجو عِكرمة:

أَقِلْنِي يابْنَ رِبْعِيٍّ ثَنَائِي وَهَبْهَا مِدْحَةً ذَهَبَتْ ضَلالا
وَهَبْهَا مِدْحَةً لم تُغْنِ شَيْئاً وَقَوْلاً عادَ أكْثَرُهُ وَبالا
وَجَدْنا العِزَّ مِنْ أولادِ بَكْرٍ إلى الذُّهْلِين يَرْجِعُ وَالفِعالا
أعِكْرِمَ كُنْتُ كالمُبْتَاعِ داراً رَأى بَيْعَ النَّدَامَةِ فَاسْتَقالا
بَنُو شَيْبانَ أكْرَمُ آلِ بَكْرٍ وَأمْتَنُهُمْ إذا عَقَدُوا حِبالا
رِجالٌ أُعْطِيَتْ أحْلامَ عادٍ إذا نَطَقُوا وَأيْدِيَهَا الطِّوالا

وَتَـيْـمُ الـلَّـهِ حَـيٌّ حَـيُّ صِـدْقٍ ... وَلٰكِنَّ الرَّحَى تَعْلُو الثِّفالا[1]

صوت

سَقَى دِمْنَتَيْنِ لَمْ نَجِدْ لَهُما أهْلا ... بِحَقْلٍ لَكُمْ يا عَزَّ قَدْ رَابَنِي حَقْلا[2]

فَيَا عَزَّ إنْ واشٍ وَشَى بِيَ عِنْدَكُمْ ... فَلاَ تُكْرِمِيهِ أنْ تَقُولي لَهُ مَهْلا

كما نَحْنُ لوْ وَاشٍ وَشَى بِكِ عِنْدَنَا ... لَقُلْنَا تَزَحْزَحْ لا قَرِيباً ولا سَهْلا

ألَمْ يأْنِ لي يا قَلْبِ أنْ أتْرُكَ الجَهْلا ... وَأنْ يُحدِثَ الشَّيْبُ المُلِمُّ لِيَ العَقْلا

عَلَى حِينَ صَارَ الرَّأسُ مِنِّي كأنَّما ... عَلَتْ فَوْقَهُ نَدَّافَةُ العُطْبِ الغَزْلا[3]

عروضه من الطويل. الدِّمَن: آثار الديار، واحدتها دِمنة. والحقل: الأرض التي يزرع فيها. والعُطْب هو القطن.

الشعر لكثيِّر كلُّه إلا البيت الأوّل فإنه انتحله، وهو للأفوه الأوْدِيّ. والغِناء لابن سريج ثاني ثقيلٍ بالوسطى عن الهِشاميّ في الثلاثة الأبيات الأُوَل متوالية. وذكر حبش أنه لمعبد. وفي الرابع والخامس والثاني والثالث لحنين ثقيل أوّل بالسَّبابة في مجرى البنصر عن إسحاق، وفيه ثقيل أوّل بالبنصر؛ وذكر ابن المكيّ أنه لمعبد، وذكر الهِشامي أنه من منحول يحيى المكيّ.

(١) الثفال: ما وقيت به الرحى من الأرض.
(٢) حقل: موضع دون أيلة بستة عشر ميلاً. (معجم البلدان ٢/٢٧٨).
(٣) العُطْب: القطن.

نسب الأفوَه الأوديِّ وشيء من أخباره

[توفي ٥٠ ق.هـ/ ٥٧٠ م]

[اسمه ولقبه ونسبه وشعره]

الأفوه لقب، واسمه صَلاءة بن عمرو بن مالك بنِ عوف بنِ الحارث بن عوف بنِ منبِّه بن أَوْد بن الصعب بن سعد العشِيرة. وكان يقال لأبيه عمرو بن مالك فارس الشوهاء؛ وفي ذلك يقول الأفوه: [الطَويل]

أبي فارِسُ الشَّوْهاءِ عَمْرُو بْنُ مالِكٍ غَداةَ الوَغَى إذْ مالَ بالجدِّ عاثِرُ[1]

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدّثنا ابن أبي سعد عن عليّ بن الصَّباح عن هشام بن محمد الكلبيّ عن أبيه قال: كان الأفوه من كبار الشعراء القدماء في الجاهلية، وكان سيد قومِه وقائدهم في حروبهم، وكانوا يصدُرون عن رأيه. والعرب تعدّه من حكمائها. وتعدّ داليّته: [البسيط]

معاشِرُ ما بَنَوْا مَجْداً لِقَوْمِهِمُ وَإنْ بَنَى غَيْرُهُمْ ما أَفْسَدُوا عادُوا

من حكمة العرب وآدابها، فأمّا البيت الذي أخذه كثير من شعر الأفوه وأضافه إلى أبياته التي ذكرناها وفيها الغناء آنِفاً فإنه من قصيدة يقول فيها: [الطويل]

نُقاتِلُ أقْواماً فَنَسْبِي نِسَاءَهُمْ وَلَمْ يَرَ ذو عِزٍّ لِنسوتِنا حِجْلا[2]
نَقُودُ وَنَأْبَى أنْ نُقَادَ وَلاَ نَرَى لِقَوْمٍ عَلَيْنَا في مُكَارَمَةٍ فَضْلا
وَإنَّا بِطاءُ المَشْيِ عِنْدَ نِسَائِنَا كَمَا قُيِّدَتْ بِالصَّيْفِ نَجْدِيَّةٌ بُزْلا

---

(١) الشوهاء: اسم فرس. والشوهاء من الخيل: الطويلة.
(٢) الحجل: الخلخال.

نَـظَـلُّ غَـيَـارَى عـنـدَ كُـلِّ سَـتِـيـرَةٍ ... نُقَلِّب جِيداً وَاضِحاً وَشَوًى عَبْلا[١]
وَإنَّـا لَـنُـعْـطِـي الـمَـالَ دُونَ دِمَـائِـنَـا ... وَنَـأْبَى فَـمَـا نَـسْـتَـامُ دُونَ دَمٍ عَـقْـلا[٢]

قال أبو عمرو الشيباني: قال الأفْوَه الأودِي هذه الأبياتَ يفخر بها على قومٍ من بني عامر، كانت بينه وبينهم دماء، فأدرك بثأره وزاد، وأعطاهم دِياتِ مَنْ قتِلَ فضلاً على قتلى قومه، فقبِلوه وصالحوه.

وقال أبو عمرو: أغارت بنو أَوْد - وقد جمعها الأفْوَه - على بني عامر، فمرِض الأفْوه مرضاً شديداً، فخرج بدله زيد بن الحارث الأوديّ وأقام الأفْوَه حتى أفاق من وجعه، ومضى زيد بن الحارث حتى لقِي بني عامر بتُضَارِع[٣] وعليهم عوف بن الأحوص بن جعفر بن كلاب. فلما التقوا عرف بعضهم بعضاً، فقال لهم بنو عامر: سانِدونا فما أصبنا كان بيننا وبينكم. فقالت بنو أَوْد - وقد أصابوا منهم رجلين -: لا والله حتى نأخذ بطائِلتنا[٤]. فقام أخو المقتول، وهو رجل من بني كعب بن أَوْد فقال: يا بني أَوْد، والله لتأخُذُنَّ بطائلتي أو لأنتحينّ على سيفي. فاقتتلت أَوْد وبنو عامر، فظفِرت أَوْد وأصابت مغنماً كثيراً. فقال الأفْوهُ في ذلك:

صوت

[الوافر]

ألا يـا لَـهْـفَ لَـوْ شَـهِـدَتْ قَـنَـاتِـي ... قَـبَـائِـلَ عـامِـرٍ يَـوْمَ الـصَّـبِـيـبِ[٥]
غَـدَاةَ تَـجَـمَّـعَـتْ كَـعْـبٌ إلَـيْـنَـا ... حَـلائـبَ بـيـنَ أفـنـاءِ الـحُـروبِ[٦]
فَـلَـمَّـا أنْ رَأَوْنَـا فِـي وَغَـاهَـا ... كـآسـادِ الـغَـرِيـفَـةِ والـحَـجِـيـبِ[٧]
تَـدَاعَـوْا ثُـمَّ مَـالُـوا عَـنْ ذراهـا ... كَـفِـعْـلِ الـخـامِـعـاتِ مِـنَ الـوَجِـيـبِ[٨]

---

(١) السَتيرة: المرأة المستورة، والشوى: اليدان والرجلان. والعبل: التام الخلق، الممتلىء.
(٢) العقل: الدية.
(٣) تُضَارع: موضع في الحجاز. (معجم البلدان ٥/ ٢٨).
(٤) الطائلة: الثأر.
(٥) الصَّبِيب: بركة على يمين القاصد إلى مكة. (معجم البلدان ٣/ ٣٩٢).
(٦) الحلائب: الجماعات. والأفناء: الأخلاط.
(٧) الغَرِيفة: الشجر الكثير الملتف. والحَجِيب: اسم موضع (انظر معجم البلدان ٢/ ٢٢٦).
(٨) الخامِعات: الضباع، سميت بذلك لأنها تعرج في مشيتها، وهي موصوفة بالجبن. والوجيب: الخوف.

وَطَـارُوا كـالـنَّـعـامِ بِـبَـطْـنِ قَـوٍّ ... مُـوَاءلَـةً عَـلـى حَـذَرِ الـرَّقِـيـبِ[١]

صوت

[الطويل]

كـأنْ لَـمْ تَـرَيْ قَـبْـلِـي أسِـيـراً مُـكَـبَّـلاً ... ولا رَجُـلاً يُـرْمَـى بِـهِ الـرَّجَـوانِ[٢]
كـأنِّـي جَـوَادٌ ضَـمَّـهُ الـقَـيْـدُ بَـعْـدَمـا ... جَـرَى سَـابِـقـاً فـي حَـلْـبَـةٍ وَرِهَـانِ

الشعر لرجل من لُصوص بني تميم يعرف بأبي النَّشْنَاش، والغناء لابن جامع ثاني ثقيلٍ بالبِنصر من روايتَي عليّ بن يحيى والهِشاميّ.

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفشُ قال: حدّثنا أبو سعيد السكّري عن محمد بن حبيب قال: كان أبو النَّشناشِ من مَلاَص بني تميم[٣]، وكان يعترض القوافل في شُذَّادٍ من العرب بين طريق الحجاز والشام فيجتاحها. فظفِر به بعض عمال مروان فحبسه وقيده مدّة، ثم أمكنه الهربُ في وقت غِرّة فهرب، فمر بغرابٍ على بانةٍ ينتِف ريشه وينعَب فجزِع من ذلك. ثم مر بحيٍّ من لِهبٍ فقال لهم: رجل كان في بلاءٍ وشرّ وحبسٍ وضِيقٍ فنجا من ذلك، ثم نظر عن يمينه فلم ير شيئاً، ونظر عن يساره فرأى غراباً على شجرة بانٍ ينتِف ريشه وينعب. فقال له اللهبيّ: إن صدقتِ الطيرُ يعاد إلى حبسه وقيده، ويطول ذلك به، ويقتل ويصلب. فقال له: بفيك الحجر. قال: لا بل بفِيك. وأنشأ يقول:

[الطويل]

وَسَـائِـلَـةٍ أَيْـنَ ارْتِـحَـالِـي وَسَـائِـلٍ ... وَمَـنْ يَـسْـأَلُ الـصُّـعْـلُـوكَ أَيْـنَ مَـذَاهِـبُـهْ
مَـذَاهِـبُـهُ أنَّ الـفِـجَـاجَ عَـرِيـضَـةٌ ... إذا ضَـنَّ عَـنْـهُ بِـالـنَّـوَالِ أقـارِبُـهْ
إذا الـمَـرْءُ لَـمْ يَـسْـرَحْ سَـوَامـاً وَلَـمْ يُـرِحْ ... سَـواماً وَلَـمْ يَـبْـسُـطْ لَـهُ الـوَجْـهَ صـاحِـبُـهْ
فَـلَـلْـمَـوْتُ خَـيْـرٌ لِـلْـفَـتَـى مِـنْ قُـعُـودِهِ ... عَـدِيـمـاً وَمِـنْ مَـوْلًـى تُـعـافُ مَـشَـارِبُـهْ
وَدَوِّيَّـةٍ قَـفْـرٍ يَـحَـارُ بِـهَـا الـقَـطـا ... سَـرَتْ بـأبِـي الـنَّـشْـنـاشِ فـيـهـا ركـائِـبُـهْ[٤]
لِـيُـدْرِكَ ثـأراً أوْ لِـيَـكْـسِـبَ مَـغْـنَـمـاً ... ألا إنَّ هٰـذا الـدَّهْـرَ تَـتْـرَى عَـجَـائِـبُـهْ
فَـلَـمْ أرَ مِـثْـلَ الـفَـقْـرِ ضـاجَـعَـهُ الـفَـتَـى ... ولا كَـسَـوادِ الـلَّـيْـلِ أخْـفَـقَ طـالِـبُـهْ

---

(١) قَوٌّ: اسم لعدة مواضع. (معجم البلدان ٤/ ٤١٥). والموَاءلة: طلب النجاة.
(٢) الرَّجوان: حافتا البئر. ويرمى به الرجوان: أي يُستهان به.
(٣) الملاص: جمع ملصة وهو اسم جمع للص. وملاص بني تميم: لصوصهم.
(٤) الدَّويَّة: المفازة، وهي الصحراء الواسعة التي يفوز من يقطعها وينجو.

فَعِشْ مُعذِراً أوْ مُتْ كَرِيماً فَإِنَّنِي أَرَى المَوْت لا يُبْقِي عَلَى مَنْ يُطَالِبُهْ[1]

صوت

أصادِرَةٌ حُجَّاجُ كَعْبٍ وَمَالِكٍ على كُلِّ فَتْلاءِ الذِّرَاعَيْنِ مُحْنِقِ
أَقَامَ قَنَاةَ الوُدِّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ وَفَارَقَنِي عَنْ شِيمَةٍ لَمْ تُرَنَّقِ

عروضه من الطويل. الصادر: المنصرف، وهو ضدّ الوارِد، وأصله من ورود الماء والصَّدَرِ عنه، ثم يقال لكل مقبلٍ إلى موضع ومنصرِف عنه. وكعب: من خزاعة. ومالك: يعني مالك بن النضر بن كِنانة. وكان كثير ينتمي وينمي خزاعة إليهم. ومحنِق: ضامرة. والشيمة: الخلق والطبيعة. وترنَّق: تكدر. والرنَق: الكدر.

الشعر لكثِّير عزّة يرثي خَنْدقاً الأسديّ، والغناء للهذليّ ثاني ثقيلٍ بالخنصر في مجرى البِنصر من رواية إسحاق. وفي الثاني من البيتين ثم الأوّل لِسياطٍ رملٌ بالبِنصر عنه وعن الهِشامِيّ وعمرو. وفيهما لمعبد لحنٌ ذكره يونس ولم يجنسه. وفي رواية حماد عن أبيه أن لحن الهذلي من الثقيل الأوّل، فإن كان ذلك كذلك فالثقيل الثاني لمعبد. وذكر أحمد بن عبيد أن الذي صح فيه ثقيل أوّل أو ثاني ثقيل.

---

(١) المعذر: الذي له عذر.

خبر كثيّر وخَندَقِ الأسديّ
الذي من أجله قال هذا الشعر

[كثيِّر يرثي خندقاً]

حدّثني محمد بن العباس اليزيديّ قال: حدّثني محمد بن حبيب. وأخبرني وكيعٌ قال: حدّثنا عليّ بن محمد النوفليّ عن أبيه. وأخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال: حدّثنا عمر بن شبة عن ابن داحةَ، قالوا: كان خَنْدقُ بنُ مرة الأسدِي ـ هكذا قال النوفليّ. وغيره يقول: خندق بن بدر ـ صديقاً لكثّير، وكانا يقولان بالرجعة، فاجتمعا بالموسِم فتذاكرا التشيع. فقال خندق: لو وجدت من يضمن لي عِيالي بعدي لوقفت بالموسم فذكرت فضل آل محمدﷺ وظلم الناس لهم وغَصْبهم إياهم على حقهم، ودعوت إليهم وتبرأت من أبي بكر وعمر. فضمن كثيِّر عِياله، فقام ففعل ذلك وسب أبا بكر وعمر رضوان الله عليهما وتبرأ منهما.

قال عمر بن شبة في خبره فقال: أيها الناس إنكم على غير حق، قد تركتم أهل بيتِ نبيكم، والحقُّ لهم وهم الأئمة ـ ولم يقل إنه سب أحداً ـ فوثب عليه الناس فضربوه ورموه حتى قتلوه. ودفِن خندق بِقَنونى[1]. فقال إذ ذاك كثيِّر يرثيه:

[الطويل]

أصـادِرَةٌ حُـجَّـاجُ كَـعْـبٍ وَمـالِـكٍ ... عَلى كُلِّ عَجْلَى ضامِرِ البَطْنِ مُحْنِقِ[2]

بِـمَـرْثِـيَـةٍ فِـيـهـا ثَـنـاءٌ مُـحَـبَّـرٌ ... لأزْهَـرَ مِـنْ أولادِ مُـرَّةَ مُـعْـرِقِ

(١) قنونى: وادٍ من أودية السراة. (معجم البلدان ٤/ ٤٠٩).
(٢) عَجْلَى: مسرعة.

كـأنَّ أخـاهُ فـي الـنَّـوائِـبِ مُـلْـجَـأ إلى عَلَم مِنْ رُكْن قُدْسَ المُنَطَّقِ[١]
يـنـالُ رِجـالاً نَـفْـعُـهُ وَهْـوَ مِـنْـهُـمُ بَعِيدٌ كَعَيُّوقِ الثُّرَيَّا المُعَلَّقِ[٢]
تَقُولُ ابْنَةُ الضَّمْرِيِّ ما لَكَ شاحِباً وَلَوْنُكَ مُصْفَرٌّ وإنْ لَمْ تَخَلَّقِ[٣]
فَقُلْتُ لَها لاَ تَعْجَبِي، مَنْ يَمُتْ لَهُ أَخٌ كَأَبِي بَدْرٍ وَجَدِّكِ يُشْفِقِ[٤]
وَأَمْرٍ يُهِمُّ النَّاسَ غِبُّ نِتَاجِهِ كَفَيْتَ وَكَرْبٍ بالدّواهِي مُطَرِّقِ[٥]
كَشَفْتَ أبا بَدْرٍ إذا القَوْمُ أَحْجَمُوا وَعَضَّت ملاقِي أمْرِهِمْ بالمُخَنَّقِ[٦]
وَخَصْمٍ أبا بَدْرٍ أَلَدَّ أَبَتَّهُ على مِثْلِ طَعْمِ الحَنْظَلِ المُتَفَلِّقِ
جَزَى اللَّهُ خَيْراً خَندَقاً مِنْ مكافىءٍ وَصاحِبِ صِدْقٍ ذِي حِفاظٍ وَمَصْدَقِ
أقامَ قَناةَ الوُدِّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ وفارَقَنِي عَنْ شِيمَةٍ لم تُرَنَّقِ
حَلَفْتُ ـ على أنْ قَدْ أجَنَّتْكَ حُفْرَةٌ بِبَطْنِ قَنونَى ـ لَوْ نَعِيشُ فَنَلْتَقِي
لأُلْفَيَتَنِي بالوُدِّ بَعْدَكَ دائِماً على عَهْدِنا إذْ نَحْنُ لَمْ نَتَفَرَّقِ
إذا ما غَدا يَهْتَزُّ لِلْمَجْدِ وَالنَّدَى أَشَمَّ كَغُصْنِ البانَةِ المُتَوَرِّقِ
وَإنِّي لَجازٍ بالَّذِي كانَ بَيْنَنا بَنِي أَسَدٍ رَهْطِ ابْنِ مُرَّةَ خَنْدَقِ

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حدّثنا عمر بن شَبَّة أن كثيِّراً لما انتمى إلى قريش وجرى بينه وبين الحَزِين الدِّيليّ من المُواثبة والهجاء ما جرى بلغ ذلك الطُّفيل بن عامر بن واثلةَ وهو بالكوفة، فأنكر أمر كثيِّر وانتسابه إلى كِنانة وتصييرَه خُزاعةَ منهم، وما فعله الحزين. فحلف لئن رأى كثيِّراً ليضربنه بالسيف أو ليطعننه بالرمح، فكلمه فيه خندق الأسديّ ـ وكان صديقاً له ولكثيِّر ـ فوهبه له واجتمعا في مكة فجلسا مع ابن الحنفية. فقال طفيل: لولا خندق لوفَيْت لك بيميني. فقال يرثيه، وعنه كان أخذ مقالته: [الطويل]

وَنَالَ رِجالاً نَفْعُهُ وَهْوَ مِنْهُمُ بَعِيدٌ كَعَيُّوقِ الثُّرَيّا المُعَلَّقِ

وذكر باقي الأبيات.

---

(١) قُدْس: جبل عظيم بأرض نجد (انظر معجم البلدان ٤/ ٣١١). والمنطَّق: المرتفع.
(٢) العيُّوق: نجم أحمر مضيء في طرف المجرَّة الأيمن يتلو الثريا ولا يتقدمها.
(٣) تخلّق: تطيب بالخلوق. وهو نوع من الطيب أكثر أجزائه من الزعفران.
(٤) يُشْفِق: يجزع.
(٥) المطرِّق: الذي يأتي بالطوارق والمصائب.
(٦) المخنَّق: موضع حبل الخنق من العنق.

[إعجابه بعزّة]

أخبرني الحرميّ بنُ أبي العلاء قال: حدّثنا الزبير بن بكار قال: حدّثني محمد ابن إسماعيل قال: حدّثني حُميدُ بن عبد الرحمٰن أحد بني عِتوارَة بن جدّي قال:

كان كثيّر قد سلّطه الله يَنْسِبُ بعزّةَ بنتِ عبد الله، أحد بني حاجب بن عبد الله بن غِفار. قال: وكان نسوانهم قد لَقِيتَها وهي سائرة في نسائهم في الجلاء، في عام أصابت أهلَ تهامةَ فيه حَطْمةٌ[1] شديدةٌ، وكانت عزّة من أجمل النساء وآدبهن وأعقلهن، ولا والله ما رأى لها وجهاً قطُّ إلا أنه استُهيمَ بها قلبُه لِمَا ذُكر له عنها. فلقيه رجال من الحي لِمَا بلغهم ذلك عنه، فقالوا له: إنك قد شَهَرْت نفسَك وشهرتنا وشهرت صاحبتنا فاكفف نفسك. قال: فإني لا أذكرها بما تكرهون. فخرجوا جَالِينَ إلى مصرَ في أعوام الجلاء. فتبعهم على راحلته فزجروه، فأبى إلا أن يلحقهم بنفسه، فجلس له فِتيةٌ من جُدَيّ، قال: وكان بنو ضَمْرَة كلّهم يهونُ عليهم نسيبُه لما يعرفون من براءتها، إلا ما كان من بني جُديّ فإنهم كانوا صُمْعاً[2] غُيُراً. فقعد له عون، أحد بني جُديّ في تسعة نفر على مَحَالج[3]، فلما جاز بهم تحت الليل أخذوه، ثم عدلوا به عن الطريق إلى جيفة حمار كانوا يعرفونها من النهار، فأدخلوه فيها ورَبطوا يديه ورجليه، ثم أوثقوا بطن الحمار، فجعل يضطرب فيه ويستغيث، ومضوا عنه، فاجتاز به خندق الأسدي، فسمع استغاثته ـ وهو خَنْدق بن بدر ـ فعدل إلى الصوت حين سمعه، فوجد في الجيفة إنساناً، فسأله مَنْ هو وما خبره؟ فأخبره. فأطلقه وحمله وألحقه ببلاده. فقال كُثَيِّر في ذلك ـ قال الزُّبير: أنشدنِيها عُمر بن أبي بكر المؤمّلِي عن عبد الله بن أبي عبيدة معْمَر بن المثنّى ـ [الطويل]

أصـادِرةٌ حُـجَّـاجُ كَـعْـبٍ ومَـالِـكٍ ... عـلـى كُـلِّ فـتْـلاءِ الـذِّراعَـيْـنِ مُـخْـنِـقِ

وذكر القصيدة كلّها على ما مضت.

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال: حدّثنا الزبيرُ قال: حدّثنا عمر بن أبي

---

(١) الحَطْمَةُ: السنة الشديدة، لأنها تحطم كل شيء.
(٢) صُمْع: جمع أصمع، وهو الحازم. والغُيُر: جمع غيور وهو ذو الغيرة.
(٣) المحالج: جمع مِحْلج، وهو الخفيف من الحمر.

بكر المؤمّلي عن أبي عبيدة قال: خَنْدقٌ الأسديّ هو الذي أدخل كُثيِّراً في مذهب الخَشَبيّة(١).

أخبرني محمد بن العباس اليزيديّ قال: حدّثنا محمد بن حبيب قال: لما قُتِل خَنْدقٌ الأسدي بعرفَة رثاه كثيِّر فقال: [الوافر]

شَجا أَظْعانُ غاضِرَةَ الغَوادِي ... بِغَيْرِ مَشُورَةٍ عَرَضاً فؤادِي
أغاضِرُ لَوْ شَهِدْتِ غَداةَ بِنْتُمْ ... حُنُوَّ العائِداتِ على وِسادِي
أَوَيْتِ لِعاشِقٍ لَمْ تَشْكُمِيهِ ... نَوافِذُهُ تَلَذَّعُ بالزِّنادِ(٢)
وَيَوْمَ الخَيْلِ قَدْ سَفَرَتْ وَكَفَّتْ ... رِداءَ العَصْبِ عَن رَتِلٍ بُرادِ(٣)

ـ الرتِل: الثغر المستوي النبت ـ

وَعَنْ نَجْلاء تَدمَع في بَياضٍ ... إذا دَمَعَتْ وَتَنْظُرُ في سَوادِ
وَعَنْ مُتَكاوِسٍ في العَقْصِ جَثْلٍ ... أثِيثِ النَّبْتِ ذِي عُذَرٍ جَعادِ(٤)
وَغاضِرَةُ الغَداةَ وإنْ نَأَتْنا ... وَأَصْبَحَ دُونَها قُطْرُ البِلادِ
أحَبُّ ظَعِينَةٍ وَبَناتُ نَفْسِي ... إلَيْها لَوْ بَلِلْن بها صَوادِي
وَمِنْ دونِ الَّذِي أمَّلْتُ وُدّاً ... وَلَوْ طالَبْتُها خَرْطُ القَتادِ
وقالَ النَّاصِحُون تَحَلَّ مِنْها ... بِبَذْلٍ قَبْلَ شِيمَتِها الجَمادِ

ـ تَحَلَّ: أصِب. يقال: ما حَلِيت من فلان بشيءٍ ولا تحلّيت منه بشيء، ومنه حُلوان الكاهن والراقي وما أشبه ذلك ـ

فَقَدْ وَعَدَتْكَ لَوْ أقْبَلْتَ وُدَّا ... فَلَجَّ بِكَ التَّدَلُّلُ في تَعَادِ(٥)
فأسْرَرْتَ النَّدامَةَ يَوْمَ نادَى ... بِرَدِّ جِمالِ غاضِرَةَ المُنادِي
تَمَادى البُعْدُ دُونَهُمُ فأمْسَتْ ... دُمُوعُ العَيْنِ لَجَّ بها التَّمادِي

---

(١) الخشبية: هم أصحاب المختار بن أبي عبيد الثقفي، وقيل: هم فئة من الشيعة سموا الخشبية لأنهم حفظوا خشبة زيد بن علي رضي الله عنه حين صلب.
(٢) أويت: أشفقت، ولم تشكميه: لم تجازيه. والنوافذ: كناية عن الفم وثقبي الأذنين والأنف.
(٣) البُرادِ: البارد.
(٤) المتكاوس: المتراكب، والجثل: الشعر الكثير. والأثيث: العظيم الكثير. والعُذرة: النّاصية، والخصلة من الشعر.
(٥) التعادي: التباعد.

لَـقَـدْ مُـنِـعَ الـرُّقَـادُ فَـبِـتُّ لَـيْـلِـي تُـجَـافِـيـنـي الـهُـمُـومُ عَـن الـوِسَـادِ
عَـدَانِـي أنْ أزورَكَ غَـيْـرَ بُـغْـضٍ مُـقَـامُـكَ بَـيْـنَ مُـصْـفَـحَـةٍ شِـدادِ[1]
وإنِّـي قَـائِـلٌ إنْ لَـمْ أزُرْهُ سَـقَـتْ دِيَـمُ الـسَّـوارِي وَالـغَـوادِي
مَـحَـلَّ أخِـي بَـنِـي أسَـدٍ قَـنَـوْنَـى فَـمـا والَـى إلَـى بِـرْكِ الـغِـمَـادِ[2]
مُـقِـيـمٌ بـالـمَـجَـازَةِ مِـنْ قَـنَـوْنَـى وَأَهْـلُـكَ بـالأُجَـيْـفِـرِ والـثِّـمادِ[3]
فَـلا تَـبْـعَـدْ فَـكُـلُّ فَـتـى سَـيَـأتِـي عـلـيـهِ الـمَـوْتُ يَـطْـرُقُ أوْ يُـغـادِي
وَكُـلُّ ذَخِـيـرَةٍ لا بُـدَّ يَـوْمـاً وَلَـوْ بَـقِـيَـتْ تَـصِـيـرُ إلـى نَـفـادِ
يَـعِـزُّ عَـلَـيَّ أنْ نَـغْـدُو جَـمِـيـعـاً وَتُـصْـبِـحَ ثـاوِيـاً رَهْـنـاً بِـوادِ
فَـلَـوْ فُـودِيـتَ مِـنْ حَـدَثِ الـمَـنـايـا وَقَـيْـتُـكَ بِـالـطَّـرِيـفِ وَبـالـتِّـلادِ

في هذه القصيدة عدّة أصوات هذه نسبتها قد جُمعت.

صوت

أغـاضِـرَ لَـوْ شَـهِـدْتِ غَـداةَ بِـنْـتُـمْ حُـنُـوَّ الـعـائِـداتِ عـلـى وِسـادِي
رَثَـيْـتِ لِـعـاشِـقٍ لَـمْ تَـشْـكُـمِـيـهِ نـوافِـذُهُ تَـلَـذَّعُ بـالـزِّنـادِ
عَـدانِـي أن أزُورَكَ غَـيْـرَ بُـغْـضٍ مُـقـامُـكَ بَـيْـنَ مُـصْـفَـحَـةٍ شِـدادِ
فـلا تَـبْـعَـدْ فَـكُـلُّ فَـتًـى سَـيَـأتِـي عَـلَـيْـهِ الـمَـوْتُ يَـطْـرُقُ أوْ يُـغـادِي

لمعبد في البيتين الأوّلين لحن من خفيف الثقيل الأوّل بالوسطى عن عمرو وابن المكيّ والهشامي. وفيهما لإبراهيمَ ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى عن الهشاميّ، وأحمد بن عُبَيد. وفيهما للغريض ثاني ثقيل عن ابن المكي. ومن الناس من ينسُب لحن مالك إلى معبد أيضاً. وفي الثالث والرابع لابن عائشة ثاني ثقيل مطلق في مَجْرى الوُسطى عن إسحاق وعمرو وغيرهما. ويقال: إن لابن سُريج وابن محرزٍ وابن جامعٍ فيهما ألحاناً.

(١) المصفحة: حجارة القبر.

(٢) برك الغماد: اسم لموضعين أحدهما وراء مكة بخمس ليال، والثاني بلد باليمن. (انظر معجم البلدان ١/ ٣٩٩).

(٣) المجازة: منزل من منازل طريق البصرة. وقنونى: وادٍ من أودية السراة. (معجم البلدان ٤/ ٤٠٩). والأجيفر: موضع في أسفل السُّبعان من بلاد قيس. (معجم البلدان ١/ ١٠٦). والثماد: موضع في ديار بني تميم (معجم البلدان ٢/ ٨٣).

غاضِرةُ هذه التي ذكرها كثير مولاة لآل مروان بن الحكم، وقد رُوي في ذكره إياها غير خبرٍ مختلف.

[أم البنين وبعض من أخبارها]

فأخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال: حدّثنا الزبير قال: حدّثني عمر بن أبي بكر المؤمَّلي قال: حدّثني عبد الله بن أبي عبيدة قال:

حجّتْ أمّ البنين بنتُ عبد العزيز بن مروانَ فقالت لكثيِّر ووَضَّاحٍ: انسُبابي. فأمّا وضّاح فنسب بها، وأما كثيِّر فنسب بجاريتها غاضرةَ حيث يقول:

شَجا أظعانُ غاضِرَةَ الغوادِي ... بِغَيْرِ مَشُورَةٍ عَرَضاً فؤادِي

قال: وكانت زوجة الوليد بن عبد الملك، فقتَل وَضّاحاً ولم يجِد على كُثَيِّرٍ سبيلاً.

أخبرني الحرميّ قال: حدّثنا الزبير قال: حدّثني إبراهيم بن محمد بن عبد العزيز الزُّهْرِيّ عن مُحرِز بن جعفر عن أبيه عن بُديح قال: قدِمتْ أُمّ البنين بنتُ عبد العزيز بن مروان ـ وهي عندَ الوليد بن عبد الملك ـ حاجّة، والوليد إذ ذاك خليفة. فأرسلت إلى كثيّر ووضّاح أن انسبا بي. فنسب وضّاح بها ونسب كثيّر بجارِيتها غاضِرة في شعره الذي يقول فيه:

شجا أظعانُ غاضِرَة الغوادي

قال: وكان معها جَوارٍ قد فَتنّ الناسَ بالوَضاءة. قال بُديح: فلقِيت عُبيد الله بن قيسِ الرقيّات فقلتُ له: بمن نسَبتَ من هذا القطين[1]؟ فقال لي: [الهزج]

ما تَصْنَعُ بالشَّرِّ ... إذا لَمْ تَكُ مَجْنُونا
إذا قاسَيْتَ ثِقْلَ الشَّـ ... ـرِّ حَسَّاكَ الأمَرِّينا[2]
وَقَدْ هِجْتَ بِما قَدْ قُلْـ ... ـتَ أمْراً كانَ مَدْفُونا

قال بُديح: ثم أخذ بيدي فخلا بي وقال لي: يا بديح، احفظ عني ما أقول

---

(١) القطين: الحشم والإماء.

(٢) الأمرِّين: الشرّ والأمر العظيم. وحسَّاك: سقاك.

لك فإنك موضِع أمانة وأنشِدْني: [مجزوء الكامل]

أصَحَوْتَ عَنْ أمِّ البَنِيـ ـنَ وذِكْرِها وعَنائِها
وَهَجَرْتَها هَجْرَ امْرِئٍ لم يَقْلِ حَمْلَ إخائِها
مِنْ خِيفَةِ الأعْداءِ أن يُوهُوا أدِيمَ صَفائِها
قُرَشِيَّةٌ كالشَّمْسِ أشْـ ـرَقَ نُورُها بِبَهائِها
زادَتْ على البِيضِ الحِسا نِ بِحُسْنِها ونَقائِها
لَمّا اسْبَكَرَّتْ لِلشَّبا بِ وقُنِّعَتْ بِرِدائِها[١]
لَمْ تَلْتَفِتْ لِلِداتِها وَمَضَتْ على غُلَوائِها[٢]

غنّى ابن عائشة في الثلاثة الأبيات الأُوَل لحناً من الثقيل الأولِ عن الهِشاميّ عن يحيى المكيّ. وفي الرابع وما بعده لحُنينٍ؛ أحدهما ثاني ثقيل بالبنصر، والآخر خفيف ثقيل بالبنصر عن ابنه وغيره. وغنى إبراهيم الموصليّ في الأربعة الأول لحناً آخرَ من الثقيل الأولِ وهو اللحن الذي فيه استهلال. وذكر الهشاميّ أن الثقيل الثاني لابن مُحرز.

قال: فقتل الوليد وضّاحاً ولم يجِد على كثيِّر سبيلاً. قال: وحجّت بعد ذلك وقد تقدّم الوليد إليها وإلى من معها في الحجاب؛ فلقيني ابن قيس حيث خرجَتْ ولم تكلِّم أحداً ولم يرها، فقال لي: يا بُديح:

صوت

[المنسرح]

بانَ الخَلِيطُ الَّذِي بِهِ نَثِقُ واشْتَدَّ دونَ المَلِيحَةِ القَلَقُ
مِنْ دُونِ صَفْراءَ فِي مفاصِلِها لِينٌ وَفِي بَعْضِ بَطْشِها خُرُقُ
إنْ خَتَمَتْ جازَ طِينُ خاتَمِها كما تَجُوزُ العَبْدِيَّةُ العُتُق[٣]

غَنى في هذه الأبيات مالك بن أبي السَّمح لحناً من الثقيل الأوّل بالبنصر، عن عمرو ويونس. وفيها لابن مسجح ـ ويقال لابن محرز، وهو مما يشبه غناءهما جميعاً وينسب إليهما ـ خفيف ثقيلٍ أوّل بالبنصر. والصحيح أنه لابن مسجح. وفيها

(١) اسبكرّت: اعتدلت، واستقامت.
(٢) اللدة: التّرب، المماثل في السن.
(٣) العتق: جمع عتيق، وهي كل قديم نفيس.

ثاني ثقيلٍ لابن محرز عن ابن المكّي. وذكر حبش أن لِسياطٍ فيها لحناً ماخُوريّاً بالوُسطى. وفي هذه الأبيات زيادة يُغنِّي فيها ولم يذكرها الزبير في خبره. وهي:

[المنسرح]

إنِّـي لأُخْـلِـي لَـهـا الـفِـراشَ إذا قَـصَّـعَ فـي حِـضْـنِ زَوْجِـهِ الـحَـمِـقُ[1]
عَـنْ غَـيْـرِ بُـغْـضٍ لَـهـا لَـدَيَّ وَلَـ كِـنْ تِـلْـكَ مِـنِّـي سَـجِـيَّـةٌ خُـلُـقُ

قال الزبير: أراد بقوله في هذه الأبيات:

إن خـتـمـت جـاز طـيـنُ خـاتـمـهـا

إنها كانت عند سلطان جائزِ الأمر. والعبدية هي الدنانير، نسبها إلى عبد الملك. ثم وصل ابنُ قيس الرقيات هذه الأبيات ـ يعني الهائية ـ بأبياتٍ يمدح بها عبد الملك فقال:

صوت

[مجزوء الكامل]

اسْـمَـعْ أمـيـرَ الـمُـؤمـنـيـ نَ لِـمِـدْحَـتِـي وثَـنـائِـهـا
أنْـتَ ابْـنُ عـائِـشَـةَ الَّـتِـي فَـضَـلَـتْ أُرُوم نِـسـائِـهـا[2]
مُـتَـعَـطِّـفُ الأعْـيـاصِ حَـوْ لَ سَـرِيـرِهـا وفِـنـائِـهـا[3]
وَلَـدَتْ أغَـرَّ مُـبـارَكـاً كـالـبَـدْرِ وَسْـطَ سَـمـائِـهـا

غنّاه ابن عائشة من رواية يونس ولم يجنّسه. وهذا الشعر يقوله ابن قيس الرقيّات في عبد الملك لا الوليد.

أخبرني الحسين وابن أبي الأزهر عن حماد عن أبيه عن المدائني: أن عبد الملك لما وهب لابن جعفر جُرم عبيد الله بن قيس الرقيات وأمَّنه، ثم تواثب أهل الشام ليقتلوه، قال: يا أمير المؤمنين، أتفعل هذا بي وأنا الذي أقول:

[مجزوء الكامل]

اسْـمَـعْ أمِـيـرَ الـمـؤمـنـيـ نَ لِـمِـدْحَـتِـي وثـنـائِـهـا

(١) قَصَّع: لزم البيت ولم يخرج منه (لسان العرب مادة: قصع).
(٢) الأروم: جمع أرومة، وهي الأصل.
(٣) الأعياص: هم أولاد أمية بن عبد شمس الأكبر.

أنْـتَ ابْـن مُـغْـتَـلَـجِ الـبِـطَـا ... حِ كُـدَيِّـهـا وكَـدائِـهـا
وَلِـبَـطْـن عـائِـشَـةَ الَّـتِـي ... فَـضَـلَـت أرومَ نِـسـائِـهـا

فلما أنشد هذا البيت قال له عبد الملك: قل «ولنسل عائشة». قال: لا بل «ولبطن عائشة». حتَّى ردّ ذلك عليه ثلاث مرات وهو يأبى إلاّ «ولبطن عائشة». فقال له عبد الملك: اسْحَنْفِر[1] الآن. قال: وعائشة أمّ عبد الملك بنت معاوية بن المغِيرة بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس. هذه رواية الزبير بن بكّار.

وقد حدّثنا به في خبر كثيِّر مع غاضِرَة هذه بغير هذا محمد بن العباس اليزيديّ. قال: حدّثنا محمد بن حبيب عن هشام بن الكلبيّ.

وأخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن ابن الكلبيّ عن أبي عبد الرحمٰن الأنصاريّ عن السائب بن حكيم السّدوسِي راوية كثيّر قال: والله إني لأسير يوماً مع كثيّر، حتى إذا كنا ببطن جِدار (جبل من المدينة على أميال) إذ أنا بامرأة في رِحالةٍ[2] متنقّبة، معها عبيد لها يسعون معها. فمرّت جَنَابِي فسلّمت ثم قالت: ممن الرجل؟ قلت: من أهل الحجاز. قالت: فهل تروي لكثيِّر شيئاً؟ قلت: نعم. قالت: أما والله ما كان بالمدينة من شيء هو أحبّ إليّ من أن أرى كثيِّراً وأسمعَ شعره، فهل تروي قصيدته:

أهـاجَـكَ بَـرْقٌ آخِـرَ الـلَّـيْـلِ واصِـبُ

قلت: نعم: فأنشدتها إياها إلى آخرها. قالت: فهل تروِي قوله: [الطويل]

كـأنَّـكَ لَـمْ تَـسْـمَـعْ ولـم تَـرَ قَـبْـلَـهـا ... تَـفـرُّقَ ألاّفٍ لَـهُـنَّ حَـنِـيـنُ

قلت: نعم وأنشدتها. قالت: فهل تروي قوله أيضاً:

لِـعَـزَّة مِـن أيـامِ ذِي الـغُـضْـنِ شـاقَـنِـي

قلت: نعم وأنشدتها إلى آخرها. قالت: فهل تروي قوله أيضاً:

أأطْـلالَ سُـعْـدَى بـالـلِّـوَى تَـتَـعَـهَّـدُ

(١) كُدّى وكَدَاء: اسم لموضعين، وقيل هما جبلان (انظر معجم البلدان ٤/ ٤٣٩).

(٢) اسْحَنْفَرَ: مضى.

(٣) الرّحالة: مركب من جلود ليس فيه خشب.

قلت: نعم وأنشدتها حتى أتيت على قوله: [الطويل]

فَلَمْ أرَ مِثْلَ العَيْنِ ضَنَّتْ بِمائِها عَلَيَّ ولا مَثْلِي عَلَى الدَّمْعِ يَحْسُدُ

قالت: قاتله الله! فهل قال مثل قول كثيِّر أحدٌ على الأرض؟ والله لأن أكون رأيت كثيِّراً، أو سمِعتُ منه شعره أحبّ إليّ من مائة ألف درهم. قال: فقلت: هو ذَاكِ الراكبُ أمامك، وأنا السائب راويته. قالت: حياك الله تعالى. ثمّ ركضت بغلتها حتى أدركتْه فقالت: أنت كثيّر؟ قال: مالك ويلك! فقالت: أنت الذي تقول:

إذا حُسِرَتْ عَنْهُ العِمامَةُ راعَها جَمِيلُ المُحَيَّا أغْفَلَتْهُ الدَّواهِنُ

والله ما رأيت عربياً قطّ أقبحَ ولا أحقرَ ولا ألأم منكَ. قال: أنتِ والله أقبح مني وألأم. قالت له: أو لسْتَ القائل: [الطويل]

تَراهُنَّ إلاّ أنْ يُؤدِّينَ نَظْرَةً بِمُؤخَرِ عَيْنٍ أو يُقَلِّبْنَ مِعْصَما
كَواضِمَ ما يَنْطِقْنَ إلا مَحُورَةً رَجِيعَةَ قَوْلٍ بَعْدَ أنْ يُتَفَهَّما[١]
يُحاذِرْنَ مِنّي غَيْرَةً قَدْ عَرَفْنَها قَدِيماً فَما يَضْحَكْنَ إلا تَبَسُّما

لعن الله من يفرَق[٢] منك. قال: بل لعنكِ الله. قالت: أو لست الذي تقول:

[الوافر]

إذا ضَمْرِيَّةٌ عَطَسَتْ فَنِكْها فَإنَّ عُطاسَها طَرَفُ الوِدَاقِ[٣]

قال: من أنتِ؟ قالت: لا يضرّك أن لم تعرِفني ولا من أنا. قال: والله إني لأراكِ لئيمة الأصل والعشيرةِ. قالت: حَيَّاك الله يا أبا صخر! ما كان بالمدينة رجل أحبَّ إليّ وجهاً ولا لقاء منك. قال: لا حيّاكِ الله، والله ما كان على الأرض أحدٌ أبغض إليّ وجهاً منكِ. قالت: أتعرفني؟ قال: أعرف أنك لئيمة من اللئام. فتعرّفتْ إليه فإذا هي غاضِرة أمّ ولدٍ لبِشْر بن مروان. قال: وسايَرَها حتى سندنا[٤] في الجبل من قِبلَ زَرود[٥]. فقالت له: يا أبا صخر، أضمن لك مائة ألف درهم عند بشر بن

(١) المَحُورَة: الجواب، أي لا يتكلمن إلا إذا سئلن.
(٢) يَفْرَق: يخاف.
(٣) الوِدَاقِ في كل ذات حافر: إرادة الفحل، الغُلمة.
(٤) سَنَدَنا: صعدنا. أو علونا.
(٥) زَرود: اسم جبل. انظر (معجم البلدان ٣/ ١٣٩).

مروان إن قدِمتَ عليه. قال: أفي سبِّكِ إيّاي أو سبّي إياكِ تضمنين لي هذا؟ والله لا أخرج إلى العراق على هذه الحال! فلما قامت تودّعه سفرَت، فإذا هي أحسن من رأيتُ من أهل الدنيا وجهاً. فأمَرتْ له بعشرة آلاف درهم، فبعد شَدِّ ما قبلها وأمرتْ لي بخمسة آلاف درهم. فلما ولَّوا قال: يا سائبُ أين نُعنِّي أنفسنا إلى عِكرمةَ، انطلِق بنا نأكلْ هذه حتى يأتينا الموت. قال: وذلك قوله لمّا فارقَتْنا: [البسيط]

شـجـا أظـعـانُ غـاضِـرَةَ الـغـوادِي ... بِـغَـيْـرِ مَـشِـيـئَـةٍ عَـرَضـاً فـؤادِي

وقد روى الزبير أيضاً في خبر هذه المرأة غير هذا، وخالف المعاني.

أخبرني الحرمِيّ بن أبي العلاء قال: حدّثنا الزبير بن بكار قال: حدّثني سليمان بن عيّاشٍ السعديُّ قال: كان كثيِّر يلقى حاجَّ المدينة من قريش بقُديد[1] في كل سنة، فَغَفل عاماً من الأعوام عن يومهم الذي نزلوا فيه قُدَيْداً حتى ارتفع النهار، ثم ركب جملاً ثَقالاً[2] واستقبل الشمس في يوم صائف، فجاء قُدَيْداً وقد كَلَّ وتعِب، فوجدهم قد راحوا. وتخلّف فَتى من قريش معه راحلتُه حتى يُبرِد[3]. قال الفتى القرشيّ: فجلس كثيِّر إلى جنبي ولم يسلّم عليّ؛ فجاءت امرأة وسِيمة جميلة، فجلست إلى خَيْمة من خيام قُدَيْد واستقبلت كثيِّراً فقالت: أأنت كثيِّر؟ قال: نعم: قالت: ابن أبي جُمعة؟ قال: نعم. قالت: الذي يقول:

لِـعَـزَّة أطْـلالٌ أبَـتْ أنْ تَـكَـلَّـمـا

قال: نعم. قالت: وأنت الذي تقول فيها: [الطويل]

وَكُنْتُ إذا ما جِئْتُ أجْلَلْنَ مَجْلِسِي ... وَأظْـهَـرْنَ مِـنّـي هَـيْـبَـةً لا تَـجَـهُّـمـا

فقال: نعم. قالت: أعلى هذا الوجه هيبة؟ إن كنت كاذباً فعليك لَعنةُ الله والملائكة والناس أجمعين. فضجِر وقال: من أنتِ؟ فلم تجبه بشيء، فسأل الموليات اللواتي في الخِباء بقُدَيْد عنها، فلم يخبرنه شيئاً، فضجِر واختلط. فلما سكن من شأوه[4] قالت: أأنت الذي تقول:

---

(١) قُدَيْد: موضع قرب مكة. (معجم البلدان ٤/٣١٣).
(٢) الجمل الثَّقال: البطيء.
(٣) أبرد: دخل في آخر النهار.
(٤) الشأو: الحزن.

مَتَى تَحْسِروا عَنّي العِمامَةَ تُبْصِرُوا جَمِيلَ المُحَيَّا أغْفَلَتْهُ الدَّواهِنُ

أهذا الوجه جَميلُ المحيّا؟ إن كنتَ كاذباً فعليك لعنةُ الله والملائكة والناس أجمعين. فاختلط وقال: والله ما عرفتِك، ولو عرفتِك لفعلتُ وفعلت. فسكتت، فلما سكن من شأوه قالت: أأنت الذي تقول: [الطويل]

يَرُوقُ العُيونَ النّاظِراتِ كأنَّهُ هِرَقْلِيٌّ وَزْنٍ أحْمَرُ التِّبْرِ راجِحُ[1]

أهذا الوجه يروق العيون الناظراتِ؟ إن كنت كاذباً فعليك لعنة الله ولعنة اللاعنين والملائكة والناس أجمعين. فازداد ضجراً وغيظاً واختلاطاً وقال لها: قد عرفتك والله لأقطعنَّكِ وقومك بالهجاء. ثم قام فالْتفتُّ في أثره، ثم رجعت طرْفي نحو المرأة فإذا هي قد ذهبت، فقلت لمولاة من مولياتها بقُدَيْد: لكِ الله عليّ إن أخبرتني مَن هذه المرأة لأطْوِينّ لكِ ثوبي هذين إذا قضيتُ حَجّي ثم أُعطِيكِهما. فقالت: والله لو أعطيتني زِنَتهما ذهباً ما أخبرتك مَنْ هي؛ هذا كثيِّر وهو مولاي قد سألني عنها فلم أُخبِره. قال الفتَى القرشيّ: فرُحت والله وبي أشدُّ مما بكثيِّر.

قال سليمان: وكان كُثَيِّر دميماً قليلاً أحمرَ أُقيشِرَ عظيمَ الهامةِ قبيحاً[2].

نسبة ما في هذه الأخبار من الشعر الذي يغنى به

صوت

منها: [الطويل]

أشاقَكَ بَرْقٌ آخِرَ اللَّيْلِ وَاصِبُ تَضَمَّنَهُ فَرْشُ الجَبَا فَالمَسارِبُ[3]
كما أوْمَضَتْ بالعَيْنِ ثُمَّ تَبَسَّمَتْ خَرِيع بدا منها جَبِينٌ وحاجِبُ[4]
وَهَبْتُ لِلَيْلَى ماءَهُ ونَباتَهُ كَما كُلُّ ذي وُدٍّ لِمَنْ وَدَّ واهِبُ

عروضه من الطويل. الواصِب: الدائم، يقال وصَب يصِب وُصُوباً أي دام. قال الله سبحانه: ﴿ولَهُ الدِّينُ واصِباً﴾[5] أي دائماً.

(١) الهِرقليُّ: الدينار، نسبة إلى هرقل ملك الروم. والراجِحُ: الموزون.
(٢) القليل من الرجال: القصير والنحيف القامة. والأقيشر: مصغر الأقشر وهو الشديد الحمرة.
(٣) فرش الجَبَا: موضع في الحجاز انظر (معجم البلدان ٤/ ٢٥٠).
(٤) الخَريع: المرأة الجميلة.
(٥) سورة النحل، الآية: ٥٢.

صوت

ومنها : [الطويل]

لِعَزَّةَ مِنْ أَيَّامِ ذِي الغُصْنِ شاقَنِي بِضَاحِي قَرَارِ الرَّوْضَتَيْنِ رُسُومُ
هِيَ الدّارُ وَحْشاً غَيْرَ أنْ قَدْ يَحُلُّها وَيَغْنَى بِها شَخْصٌ عَلَيَّ كَرِيمُ
فَما بِرُسُومِ الدَّارِ لَوْ كُنْتَ عالِماً ولا بالتِّلاعِ المُقْوِياتِ أَهِيمُ
سَأَلْتُ حَكِيماً أيْنَ شَطَّتْ بها النَّوَى فَخَبَّرَنِي مَا لا أُحِبُّ حَكِيمُ
أَجَدُّوا فأَمَّا آلُ عَزَّةَ غُدْوَةً فَبانُوا وأمَّا واسِطٌ فَمُقِيمُ
لَعَمْرِي لَئِنْ كانَ الفُؤادُ مِنَ الهَوَى بَغَى سَقَماً إنّي إذاً لَسَقِيمُ

حكيمٌ هذا هو أبو السائِبِ بن حكيم راوية كثيِّر. ذكر ذلك لنا اليزيديّ عن ابن حبيب.

في هذه الأبيات لمعبد لحنان، أحدهما في الثلاثة الأوَل خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى عن الهشامي وابن المكّي وحبَشٍ، وفي الثلاثة الأُخر التي أوّلها:

سألْتُ حَكِيماً أيْنَ شَطَّتْ بِها النَّوَى

له أيضاً ثقيل أوّل بالبنصر عن يونس وحبشٍ. وذكر حبَش خاصةً أن فيها لكَرْدم خفيف ثقيل آخر، وفي الثالث والثاني لابن جامع خفيف رملٍ عن الهشامي. وقال أحمد بن عبيد: فيه ثلاثة ألحان: ثقيل أوّل وخفيفه، وخفيفُ رمل.

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال: حدّثنا الزبير بن بكّار قال: حدّثني المؤمَّلي أن ابن أبي عبيدة كان إذا أنشد قصيدةَ كثيِّر: [الطويل]

لِعَزَّةَ مِنْ أيامَ ذِي الغُصْنِ شاقَنِي بِضَاحِي قَرَارِ الرَّوْضَتَيْنِ رُسُومُ

يَتَحازنُ حتى نقول: إنه يبكي.

أخبرني الحرميّ قال: حدّثنا الزبير بن بكّار قال: حدّثني عمّي عن الضحّاك بن عثمان قال: قال عروةُ بن أذينة[1]: كان الحزين الكناني الشاعرُ صديقاً لأبي، وكان عشيراً له على النبيذ، فكان كثيراً ما يأتيه، وكانت بالمدينة قيْنةٌ يهواها

(١) عروة بن أُذينة: هو عروة بن يحيى بن مالك بن الحارث الليثي، شاعر غزل مقدم (ت: ١٣٠ هـ) وترجمته في (الإصابة: ٥٢٨ هـ والتبريزي ٤/ ١٢١).

الحزينُ ويُكثر غِشيانَها، فبِيعت وأُخرجتْ عن المدينة، فأتى الحزين أبي، وهو كئيب حزين كاسِفِه، فقال له أبي: يا أبا حكيم ما لك؟ قال: أنا والله يا أبا عامر كما قال كثيِّر:

لَعُمْرِي لَئِن كَانَ الفُؤادُ مِنَ الهَوَى ... بَغَى سَقْماً إنّي إذاً لَسَقِيمُ
سَأَلْتُ حَكِيماً أيْنَ شطَّت بِهَا النَّوى ... فَخَبَّرَنِي مَا لاَ أُحِبُّ حَكِيمُ

فقال له أبي: أنت مجنون إن أقمت على هذا.

[قصيدته في عزّة حين أُخرجت إلى مصر]

وهذه القصيدة يقولها كثيِّر في عزّة لما أُخرجت إلى مصر، وذلك قوله فيها:

[الطويل]

وَلَستُ بِرَاءٍ نَحْوَ مِصْرَ سَحَابَةً ... وإن بَعُدَتْ إلاَّ قَعَدتُ أشِيمُ[1]
فَقَدْ يُوجَدُ النِّكْسُ الدَّنيُّ عَنِ الهَوَى ... عَزُوفاً ويَصبُو المَرْءِ وهْو كَرِيمُ
وَقَالَ خَلِيلي مَا لَهَا إذْ لَقيتَها ... غَداةَ الشَّبَا فِيهَا علَيْكَ وُجُومُ[2]
فَقُلْتُ لَهُ إنَّ المَودَّةَ بَينَنَا ... على غَيْرِ فُحْشٍ والصَّفاءُ قَدِيمُ
وإنّي وإن أعْرَضْتُ عَنْها تَجلُّداً ... عَلى العَهْدِ فِيمَا بَينَنا لَمُقِيمُ
وإن زَمَاناً فَرَّقَ الدَّهْرُ بَيْنَنَا ... وَبَيْنَكُمُ فِي صَرْفِهِ لَمَشُومُ
أفِي الحَقِّ هذا أنَّ قلبَكِ سَالِمٌ ... صَحِيحٌ وقَلْبِي في هواكِ سَقِيمُ
وأنّ بِجسمِي مِنْكِ دَاءً مُخَامِراً ... وجِسْمُكِ مَوْفُورٌ عَلَيْكِ سلِيمُ
لَعَمْرُكِ ما أنْصَفْتِنِي في مَوَدَّتِي ... ولَكِنَّنِي يا عَزَّ عَنْكِ حَلِيمُ
فَإمّا تَرَيْنِي اليَوْمَ أُبْدِي جَلاَدَةً ... فَإنِّي لَعَمْرِي تَحْتَ ذَاكِ كَلِيمُ
وَلَسْتُ ابنَةَ الضَّمْرِيِّ منْكِ بِنَاقِمٍ ... ذُنُوبَ العِدَا إنِّي إذاً لَظَلُومُ
وإنّي لَذُو وَجْدٍ إذا عَادَ وَصْلُهَا ... وإنِّي عَلَى رَبِّي إذاً لَكَرِيمُ

ومنها:

(١) أشيم: أنظر إليها.
(٢) الشَّبا: وادي بالأثيل من أعراض المدينة فيه عين يقال لها خيف الشَّبا. (معجم البلدان ٣/٣١٦)

صوت

[الطويل]

لِـعَـزَّةَ أَطْـلالٌ أَبَـتْ أن تَـكَـلَّـمَـا ... تَـهِيجُ مَغَانِيـهـا الـفُؤادَ الـمُـتَـيَّـمَـا
وَكُنْتُ إذا ما جِئْتُ أَجْلَلْنَ مَجْلِسي ... وأظْـهَـرْنَ مـنِّـي هَـيْـبَـةً لا تَـجَـهُّـمَـا
يُـحَـاذِرْنَ مِـنِّـي غَـيْـرَةً قَـدْ عَـرَفْـنَـهـا ... قَـدِيـمـاً فَـمَـا يَـضْـحَـكْـنَ إلاَّ تَـبَـسُّـمَـا

عروضه من الطويل. غنَّى فيه مالك بن أبي السَّمح لحنين عن يونس، أحدهما ثقيل أوّل بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق، وغيرُه ينسبه إلى معبد. والآخر ثاني ثقيلٍ بالوُسطى عن حبَشٍ، وفيه لابن مُحرِز خفيف ثقيل أوّل بالبنصر عن عمرو والهشامي. وغيره يقول: إنه لحن مالك. وفيه لابن سُرَيْج خفيفُ رملٍ بالبنصر عن عمرو والهشامي وعلي بن يحيى.

وأخبرني أحمد بن جعفر جحظة قال: حدّثني ميمونُ بنُ هارونَ قال: حدّثني من أثق به عن مسرور الخادم أن الرشيد لما أراد قتل جعفر بن يحيى لم يُطْلِعْ عليه أحداً بَتَّة، ودخل عليه جعفر في اليوم الذي قتله في ليلته فقال له: اذهب فتشاغل اليومَ بمن تأنس به واصطَبح فإني مصْطبح مع الحُرَم. فمضى جعفر، وفعل الرشيد ذلك. ولم يزل برّ الرشيد وألطافه[1] وتُحفه وتحياته تَتَابع إليه لئلا يستوحش. فلما كان في الليل دعاني فقال لي: اذهب فجئني الساعة برأس جعفر بن يحيى، وضَمَّ إليّ جماعةً من الغلمان، فمضيتُ حتى هجمتُ عليه منزَله. وإذا أبو زَكَّار الأعمى يغنّيه بقوله:

[الوافر]

فَـلا تَـبْـعَـد فَـكُـلُّ فَـتًـى سَـيَـأْتِـي ... عَـلَـيْـهِ الـمَـوْتُ يَـطْـرُقُ أو يُـغَـادِي

فقلت له: في هذا المعنى ومثله والله جئتك فأجب. فوثب وقال: ما الخبر يا أبا هاشم جعلني الله فداءك! قلت: قد أُمرتُ بأخذ رأسك. فأكبّ على رجلي فقبّلها وقال: الله الله، راجعْ أمير المؤمنين فيّ. فقلت: ما لي إلى ذلك سبيل. قال: فأعهدُ؟ قلت: ذاك لك. فذهب يدخل إلى النساء فمنعتُه، وقلت: اعهد في موضعك. فدعا بدواة وكتب أحرفاً على دَهَشٍ ثم قال لي: يا أبا هاشم بقيتْ واحدة. قلت: هاتها. قال: خذني معك إلى أمير المؤمنين حتى أخاطبه. قلت: ما لي إلى ذلك سبيل. قال: ويحك لا تقتلني بأمره على النبيذ. فقلت: هيهات ما

---

(١) الألطاف: الهدايا.

شرب اليوم شيئاً. قال: فخذني واحبسني عندك في الدار، وعاوِدْه في أمري. قلت: أفعل. فأخذته، فقال لي أبو زكّار الأعمى: نشدتُك الله إن قتلتَه إلاّ ألحقتَني به. قلت له: يا هذا لقد اخترتَ غيرَ مختار. قال: وكيف أعيش بعده وحياتي كانت معه وبه، وأغناني عمّن سواه، فما أُحب الحياة بعده. فمضيت بجعفر وجعلته في بيت وأقفلت عليه ووكّلت به. ودخلتُ إلى الرشيد، فلما رآني قال: أين رأسه ويلَك؟ فأخبرته بالخبر. فقال: يا بن الفاعلة، والله لئن لم تجئني برأسه الساعة لآخذنّ رأسك! فمضيت إليه، فأخذت رأسه ووضعته بين يديه. ثم أخبرته خبره، وذكرت له خبر أبي زكّار الأعمى، فلما كان بعد مدة أمرني بإحضاره، فأحضرته، فوصله وبرّه وأمرَ بالجِراية عليه.

[منظور بن زبان وأخباره وشعره]

صوت

[الوافر]

قِفَا في دَارِ خَوْلَةَ فاسْألاَها ... تَقادمَ عَهْدُهَا وهجرتُماها
بِمِحْلالٍ يَفُوح المِسْكُ مِنْهُ ... إذا هَبَّت بأبْطَحِهِ صَبَاها[1]
أتَرْعَى حيثُ شاءَت من حِمَانَا ... وتمنعُنا فلا نَرْعَى حِمَاها

عروضه من الوافر. الشعر لرجل من فَزارة. والغناءُ ذكر حمادٌ عن أبيه أنه لمعبَد، وذَكر عنه في موضع آخر أنه لابن مِسْجَح. وطريقتُه من الثقيل الأوّل مطلق في مجرى الوسطى.

وهذا الشعر يقوله الفَزاريّ في خَوْلة بنتِ منظور بن زبّان بن سيّار بن عمرو ابن جابر بن عقيل بن هلال بن سُمَيّ بن مازن بن فَزارة بن ذُبيان بن بَغيض بن رَيْث بن غَطَفان. وكان مَنظُورُ بن زَبّانَ سيدَ قومه غيرَ مدافَع، أمّه قِهطِم بنت هاشم بن حَرْمَلَةَ ـ وقد وَلَدَتْ أيضاً زُهَيرَ بن جَذيمة ـ فكان آخذاً بأطراف الشرف في قومه. وهو أحد من طالَ حَمْلُ أمّه به.

قال الزبير بن بكّار فيما أجاز لنا الحَرَميّ بن أبي العلاء والطّوسيّ روايتَه عنهما مما حدّثا به عنه: حدّثتني مُغيرةُ بنتُ أبي عَدِي. قال الزبير: وقد حدّثني هذا

(١) المحلال: الأرض المخصبة. والأبطح: مسيل واسع فيه دقاق الحصى.

الحديث أيضاً إبراهيمُ بن زِيادٍ عن محمد بن طلحة، وحدّثنيه أحمد بن محمد بن سعيد بن عُقدة عن يحيى بن الحسن العلويّ عن الزبير قالا جميعاً:

حملت قهْطِم بنتُ هاشمِ بمنظور بن زبَّانَ أربعَ سنين، فولدته وقد جَمع فاهُ فسماه أبوه منظوراً لذلك ـ يعني لطول ما انتظره ـ وقال فيه على ما رواه محمد بن طلحة: [الطويل]

ما جِئْتَ حَتَّى قِيلَ لَيْسَ بِوارِدٍ ... فسُمِيتَ مَنْظُوراً وجِئْتَ على قَدْرِ
وإنّي لأرْجُو أن تَكُونَ كَهاشِمٍ ... وإنّي لأرْجُو أن تَسُودَ بَنِي بَدْرِ

ذكر الهيثم بن عديّ[1] عن ابن الكلبي وابن عيَّاش، وذكر بعضه الزُّبير بن بَكَّار عن عمِّه عن مجالد: أنّ منظورَ بن زبّانَ تزوّج امرأة أبيه ـ وهي مُلَيْكةُ بنتُ سِنانَ بنِ أبي حارثة المُرّيّ ـ فولدت له هاشماً وعبد الجَبَّار وخَوْلةَ، ولَم تزلْ معه إلى خلافةِ عمر بن الخطّابِ رضي الله عنه. وكان يشربُ الخمرَ أيضاً، فرُفع أمرُه إلى عُمَر، فأحضره وسأله عما قيل، فاعترف به وقال: ما علِمت أنها حرام فحبسه إلى وقت صلاةِ العصر، ثم أحْلفه أنّه لم يعلم أن الله جلّ وعزّ حرّم ما فعله. فحلف ـ فيما ذكر ـ أربعين يميناً. فخلّى سبيلَه، وفرّق بينه وبين امرأة أبيه وقال: لولا أنك حلفتَ لضربت عنقَك.

قال ابن الكلبي في خبره: إنّ عمرَ قال له: أتنكِحُ امرأة أبيك وهي أمك؟ أو ما علِمتَ أن هذا نِكاح المقتِ[2]!. وفرّق بينهما. فتزوّجها محمد بن طلحة.

قال ابن الكلبي في خبره: فلما طلّقها أسِف عليها وقال فيها:

ألا لا أُبالِي اليومَ ما صَنَع الدَّهْرُ ... إذا مُنِعتْ مِنّي مُلَيْكَةُ والخَمْرُ
فإن تَكُ قَدْ أمْسَتْ بَعِيداً مَزارُها ... فحَيِّ ابنةَ المُرّيِّ ما طَلَع الفَجْرُ
لَعَمْرِي ما كانَتْ مُلَيْكَةُ سَوْءَةً ... ولا ضُمَّ في بيتٍ على مِثْلِها سِتْرُ

وقال أيضاً: [الطويل]

لَعَمْرُ أبِي، دِينٌ يُفَرِّقُ بينَنا ... وبينَك قَسْراً إنّهُ لَعَظِيمُ

(١) الهيثم بن عديّ بن عبد الرحمٰن الثعلي، أبو عبد الرحمٰن، مؤرخ، عالم بالأدب والنسب. (توفي سنة ٢٠٧ هـ) (إرشاد الأديب ٧/ ٢٦١).

(٢) نِكاح المقت: هو أن يتزوج الرجل امرأة أبيه بعده.

وقال حُجْر بن معاوية بن عُيَيْنة بن حصْن بن حُذيفةَ لمنظور: [البسيط]

لَبِئْسَ ما خلَفَ الآباءَ بَعْدَهُمُ في الأمَّهاتِ عِجَانُ الكَلْبِ منظورُ[1]
قد كُنْتَ تَغْمِزُها والشيخُ حاضِرُها فالآنَ أنْتَ بِطُولِ الغَمْزِ مَعْذُورُ[2]

قال أبو الفرج الأصبهاني: أخطأ ابن الكلبي في هذا. وإنما طلحةُ بنُ عبيد الله الذي تزوّجها؛ فأما محمد فإنه تزوّجَ خولة بنتَ منظورٍ فولدت له إبراهيم بن محمد وكان أعرجَ، ثم قُتِل عنها يوم الجمل، فتزوّجها الحسن بن علي عليه السلام، فولدت له الحسن بن الحسن عليه السلام. وكان إبراهيم بن محمد بن طلحةَ نازعَ بعضَ ولد الحُسين بن عليّ بعضَ ما كان بينهم وبين بني الحسن من مال عليّ عليه السلام، فقال الحُسينيّ لأمير المدينة: هذا الظالم الضالِع الظالِع[3] ـ يعني إبراهيم ـ فقال له إبراهيم: والله إني لأُبغِضُك. فقال له الحسيني: صادق، والله يحب الصادقين، وما يمنعك من ذلك وقد قَتَلَ أبي أباك وجدَّك، وناكَ عمي أمّك؟ ـ لا يَكنِي ـ فأمر بهما فأُقِيمَا من بين يدي الأمير.

رجع الخبرُ إلى رواية ابن الكلبي قال: فلما فرّق عمر رضي الله عنه بينهما وتزوّجت رآها منظورٌ يوماً وهي تمشي في الطريق ـ وكانت جميلة رائعة الحسن ـ فقال: يا مُليكةُ، لعن الله ديناً فرّق بيني وبينك! فلم تكلمه وجازت، وجاز بعدها زوجها؛ فقال له منظور: كيف رأيت أثر أيري في حِرِ مُليكة؟ قال: كما رأيتَ أثرَ أيرِ أبيك فيه، فأفحمه. وبلغ عمرَ رضي الله عنه الخبر فطلبه ليعاقبه، فهرب منه.

وقال الزبير في حديثه: فتزوّج محمد بن طلحة بن عبيد الله خولةَ بنتَ منظورٍ فولدت له إبراهيم وداود وأمّ القاسم بني محمد بن طلحةَ، ثم قتِل عنها يوم الجمل، فخلَفَ عليها الحسنُ بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فولدت له الحسن بن الحسن رضي الله عنهما.

قال الزبير: وقال محمد بن الضحاك الحزاميّ عن أبيه: تزوّج الحسن عليه السلام خَولة بنت منظور، زوّجه إياها عبد الله بن الزبير وكانت أختُها تحتَه.

وأخبرني أحمد بن محمد بن سعيد قال: حدّثني يحيى بن الحسن قال: حدّثني موسى بن عبيد الله بن الحسن قال: جعلتْ خولةُ أمرَها إلى الحسن عليه السلام فتزوّجها، فبلغ ذلك منظورَ بن زبّانَ فقال: أمثلي يُفتات عليه في ابنَتِهِ! فقدِم

(١) العِجَانُ: الاست.
(٢) الضالِع: الجائر. والظالِع: المتّهم.

المدينة، فركز راية سوداء في مسجد رسول الله ﷺ، فلم يبق قيسي بالمدينة إلا دخل تحتها، فقيل لمنظور بن زبان: أين يُذْهَبُ بك! تَزوّجها الحسن بن عليّ عليه السلام وليس مثله أحد، فلم يقبل. وبلَغ الحسن عليه السلام ما فعل، فقال له: ها، شأنك بها. فأخذها وخرج بها. فلما كان بقُباءٍ[١] جَعلَت خولةُ تُندِّمُه وتقول: الحسن بن عليّ سيِّد شباب أهل الجنة. فقال: تلبَّثي هاهنا، فإن كانت للرجل فيك حاجة فسيلحقنا هاهنا. قال: فلحقه الحسن والحسين عليهما السلام وابن جعفر وابن عباس، فتزوّجها الحسن، ورجع بها. قال الزبير: ففي ذلك يقول جفير العبْسِي: [البسيط]

إنّ النَّدَى مِنْ بَنِي ذُبيانَ قد عَلِموا ... وَالجُودَ في آلِ منظورِ بنِ سيَّارِ
الماطِرينَ بأيديهم نَدًى دِيَماً ... وكلَّ غَيْثٍ من الوَسْمِيِّ مِدرارِ[٢]
تَزُورُ جاراتِهم وَهْناً فواضِلُهُمْ ... وما فَتَاهم لها سِرّاً بِزوّارِ[٣]
تَرضَى قُرَيْشٌ بهم صِهْراً لأنْفُسِهِمْ ... وهُمْ رِضاً لِبَنِي أُخْتٍ وأصْهارِ

أخبرني إسماعيل بن يونس الشِّيعيّ قال: حدّثنا عمر بن شبّة قال: حدّثني ابن أبي أيّوب عن ابن عاشةَ المغنّي عن معبد: أن خولة بنت منظور كانت عند الحسن بن عليّ عليه السلام، فلما أسنّت مات عنها أو طلّقها، فكشفَت قِناعها وبرزت للرجال. قال معبد: فأتيتُها ذات يوم أُطالبها بحاجةٍ، فغنّيتها لَحني في شعرٍ قاله فيها بعض بني فَزارة، وكان خَطَبها فلم يُنكِحها أبُوها: [الوافر]

قِفَا في دَارِ خَوْلَةَ فاسألاها ... تقَادَم عَهْدُهَا وهَجَرتُماها
بِمِحلالٍ كَأنَّ المِسْكَ فيهِ ... إذا فاحَتْ بأبطَحِهِ صَبَاها
كأَنَّكِ مُزْنَةٌ بَرَقَتْ بِلَيلٍ ... لِحَرانٍ يُضِيءُ لَهُ سَنَاها
فَلَمْ تُمْطِرْ عليهِ وجاوزَتْهُ ... وقد أشْفَى عَلَيْها أو رَجاها
وما يَمْلا فُؤادِي فاعْلَمِيهِ ... سُلُوُّ النَّفْسِ عَنْكِ ولا غِناها
وتَرْعَى حيثُ شاءَت من حِمانا ... وتمنُعنا فلا نَرْعَى حِماها

قال: فطربت العجوز لذلك، وقالت: يا عبد بن قَطَن، أنا والله يومئذٍ أحسَنُ من النارِ الموقَدةِ في الليلة القَرَّة[٤].

(١) قباء: قرية على ميلين من المدينة (انظر معجم البلدان ٤/ ٣٠٢).
(٢) الوسميّ: مطر الربيع الأول.
(٣) الوَهْن: نصف الليل أو بعد ساعة منه. والفواضل: الأيدي الجسيمة.
(٤) الليلة القرَّة: الباردة.

صوت

لِلَّهِ در عِصَابَةٍ صاحَبْتُهم ... يَوْمَ الرُّصَافَةِ مِثْلُهُم لم يُوجَدِ
مُتَقَلِّدِينَ صَفائِحاً هِنْدِيَّةً ... يَتْرُكْن مَنْ ضَرَبُوا كأنْ لَمْ يولَدِ
وغدا الرِّجالُ الثائِرونَ كأنَّما ... أبْصارُهُمْ قِطَعُ الحَدِيدِ المُوقَدِ

عروضه من الكامل. الشعر للجحَّاف السُّلمي الموقِع ببني تغلِب في يوم البِشر. والغناء للأبجَرِ[1] ثقيل أوّل بالبنصر في مجراها عن إسحاق.

(١) الأبْجر: هو أبو طالب عبيد الله وقيل محمد بن القاسم كان مولى لكنانة.

خبر الجحّاف ونسبه وقصّته يوم البشر

[توفي ٩ هـ/ ٧٠٩ م]

[اسمه ونسبه]

هو الجَّحاف بن حكِيم بن عاصم بن قيس بن سِباع بن خُزاعي بن مُحاربيّ بن فالج بن ذكْوانَ بن ثَعْلَبَة بن بُهْثة بن سُلَيْم بن منصور.

[خبره يوم البشر]

وكان السببُ في ذلك فيما أخبرنا به محمد بن العباس اليزيدي وعليُّ بن سليمان الأخفش قالا: حدّثنا أبو سعيد السكريُّ عن محمد بن حبيبٍ عن ابن الأعرابي، وأخبرنا إبراهيم بن أيوب عن ابن قتيبة، وأخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريُّ وحبيبُ بنُ نصرٍ المهلَّبي قالا: حدّثنا عمر بن شَبَّةَ، وقد جَمَعْتُ روايتهم. وأكثرُ اللفظ في الخبر لابن حبيب:

أن عُمير بنَ الحباب[1] لما قَتَلَتْهُ بنو تغلِب بالحشَّاكِ[2] ـ وهو إلى جانب الثَّرْثَار، وهو قريبٌ من تَكْريتَ ـ أتى تميمُ بنُ الحُباب أخاهُ زُفَر بن الحارث فأخبره بمقتل عمير، وسأله الطلب له بثأره، فكرِه ذلك زُفَرُ، فسار تميم بن الحُباب بمن تَبِعه من قيس، وتابعه على ذلك مسلم بن أبي ربيعة العُقَيْلي. فلما توجهوا نحو بني تغلِبَ لقيهم الهذيل في زراعة لهم؛ فقال: أين تريدون؟ فأخبروه بما كان من زُفر؛ فقال: أمهلوني أَلقَ الشَّيخَ. فأقاموا ومضى الهذيل فأتى زُفَر؛ فقال: ما صنعت!

---

(١) عمير بن الحباب بن جعدة السلمي: رأس القيسية في العراق، وأحد الأبطال الدهاة. (توفي سنة ٧٠ هـ) (ابن الأثير: حوادث سنة ٧٠).

(٢) الحشَّاك: تل عبدة عند الثرثار، كانت فيه وقعة لتغلب على قيس (معجم البلدان ٢/ ٢٦٢).

والله لئن ظُفِر بهذه العصابة إنه لعارٌ عليك، ولئن ظفِروا إنه لأشدّ؛ قال زُفر: فاحبِس عليّ القوْمَ؛ وقام زُفَرَ في أصحابه، فحرَّضهم، ثم شخَص واستخلف عليهم أخاه أَوْساً، وسار حتى انتهى إلى الثَّرثار فدفنوا أصحابهم، ثم وجَّه زُفر بن الحارث يزيد بن حُمران في خيلٍ، فأساء إلى بني فَدَوْكس من تغلب، فقتل رجالهم واستباح أموالهم، فلم يبق في ذلك الجوّ غير امرأة واحدة يقال لها حُمَيْدة بنت امرىء القيس عاذت بابن حُمران فأعاذها. وبعث الهذيلَ إلى بني كعب بن زهير فقتل فيهم قتلاً ذريعاً. وبعث مُسْلِمَ بنَ رَبيعة إلى ناحية أُخرى فأسرع في القتل. وبلغَ ذلك بني تَغْلِبَ واليمن، فارتحلوا يريدون عُبورَ دجلة، فلحِقهم زُفَرُ بالكُحَيْل[١] ـ وهو نهرٌ أسفل الموصِل مع المغرب، فاقتتلوا قتالاً شديداً، وتَرَجَّلَ أصحابُ زُفَر أجمعون، وبقي زُفَر على بغلٍ له، فقتلوهم من لَيْلَتِهِم، ويَقَرُوا ما وجدوا من النساء. وذكر أن من غرِق في دِجلة أكثرُ مِمَّن قُتل بالسيف، وأنّ الدَّم كان في دِجلة قريباً من رَمْيةِ سهم. فلم يزالوا يقتلون مَنْ وجدوا حتى أصبحوا؛ فذكر أن زُفَر دخل معهم دجلةَ وكانت فيه بُحَّةٌ، فجعل ينادي ولا يسمعه أصحابه، ففقدوا صوته وحسبوا أن يكون قُتِل، فتذامروا[٢] وقالوا: لئن قتل شيخُنا لَمَا صَنَعْنا شيئاً، فاتبعوه فإذا هو في دجلة يصيح بالناس ـ وتغلِبُ قد رمت بأنفسها تعبر في الماء ـ فخرج من الماء وأقام في موضعه. فهذه الوقعةُ الحَرَجِيَّةُ لأنهم أُحرِجوا فألقوا أنفسهم في الماء. ثم وجّه يزيدَ بنَ حُمران وتميم بن الحُباب ومسلم بن ربيعة والهذيل بن زُفَرَ في أصحابه، وأمرهم ألاّ يلقَوا أحداً إلا قتلوه، فانصرفوا من ليلتهم، وكلٌّ قد أصاب حاجته من القتل والمال، ثم مضى يستقبِل الشمَّال في جماعة مِنْ أصحابه، حتَّى أتى رأس الأثيل[٣]، ولم يُخَلِّ بالكُحَيل أحداً ـ والكُحَيلُ على عشرة فراسخَ من الموصل فيما بينها وبين الجنوب ـ فصعد قِبلَ رأس الأثيل، فوجد به عسكراً من اليمن وتغلب، فقاتلهم بقية ليلتهم، فهربت تغلِبُ وصبرت اليمن. وهذه الليلةُ تسميها تَغلِب ليلة الهرير. ففي ذلك يقول زُفَر بنُ الحارث، وقد ذُكِرَ أنها لغيره:

وَلَـمَّـا أنْ نَـعَـى الـنَّـاعِـي عُـمَـيْـراً ... حَـسِـبْـتُ سَـمَـاءَهُـمْ دُهِـيَـتْ بِـلَـيْـلِ

(١) الكُحَيل: مدينة عظيمة على دجلة بين الزابين فوق تكريت من الجانب الغربي. (معجم البلدان ٤/ ٤٣٩).

(٢) تذامروا: حضّ بعضهم بعضاً على القتال.

(٣) الأثيل: اسم موضع. (انظر معجم البلدان ١/ ٩٣).

دهِيت بليل، أي أظلمت نهاراً كأن ليلاً دهاها.

وكـانَ الـنَّـجْـمُ يَـطْـلُـعُ فـي قَـتَـامٍ ... وخَـافَ الـذُّلَّ مِـنْ يَـمَـن سُـهَـيـلُ[(١)]
وكـنـتُ قـبـيْـلَـهـا يـا أُمَّ عَـمْـرٍو ... أُرَجِّـلُ لِـمَّـتِـي وأجُـرُّ ذَيْـلِـي[(٢)]
فـلـو نُـبِـش الـمَـقـابِـرُ عَـنْ عُـمَـيْـرٍ ... فَـيُـخـبَـرَ مِـنْ بَـلاءِ أبِـي الـهُـذَيْـلِ
غَـدَاةَ يـقـارعُ الأبْـطـالَ حَـتَّـى ... جَـرَى مِـنْـهُـم دَمـاً مَـرْجُ الـكـحَـيْـلِ[(٣)]
قـبِـيـلٌ يَـنْـهَـدُون إلـى قَـبِـيـلٍ ... تـسـاقَـى الـمَـوْتَ كَـيْـلاً بَـعْـدَ كَـيْـلِ[(٤)]

وفي ذلك يقول جرير يعيِّر الأخطَلَ: [الوافر]

أنسِيـتَ يَـوْمَـكَ بِـالـجَـزيـرةِ بَـعْـدَمَـا ... كَـانَـتْ عَـواقِـبُـهُ عَـلَـيْـكَ وَبَـالاَ!
حَـمَـلَـتْ عَـلَـيْـك حُـمَـاةُ قَـيْـسٍ خَـيْـلَـهـا ... شُـعْـثـاً عَـوَابِـسَ تَـحْـمِـل الأبْـطَـالا
مَـا زِلْـتَ تَـحْـسِـبُ كَـلَّ شَـيءٍ بَـعْـدَهُـم ... خَـيْـلاً تَـكُـرُّ عَـلَـيْـكُـمُ وَرِجَـالاَ
زُفَـرُ الـرَّئِـيـسُ أَبُـو الـهُـذَيْـلِ أبَـادَكُـمْ ... فَـسَـبَـى الـنِّـسـاءَ وأحـرَزَ الأمْـوَالا

[أغراه الأخطل في شعره بأخذ الثأر من تغلب]

فلمّا أن كانت سنة ثلاث وسبعين، وقُتِل عبدُ الله بنُ الزبير هدأتِ الفتنةُ واجتمع الناس على عبد الملك بن مروانَ، وتكافَّتْ قيس وتغلِبُ عن المغازي بالشام والجزيرة، وظنّ كلُّ واحد من الفريقين أنّ عنده فضلاً لصاحبه، وتكلم عبدُ الملك في ذلك ولم يحْكم الصلح فيه، فبينا هم على تلك الحال إذ أنشد الأخطلُ عبدَ الملك بن مروان وعنده وجوه قيس قوله: [الطويل]

ألا سـائِـلِ الـجـحّـافَ هـل هُـوَ ثَـائِـرٌ ... بِـقَـتْـلَـى أُصِـيـبَـتْ مِـنْ سُـلَـيْـم وعَـامِـرِ!
أجَـحّـافُ إِنْ نَـهْـبِـطْ عَـلَـيـكَ فَـتَـلْـتَـقِـي ... عَـلَـيـكَ بُـحُـورٌ طَـامِـيـاتُ الـزَّوَاخِـرِ
تَـكُـنْ مِـثْـلَ أبـداءِ الـحُـبـابِ الّـذي جَـرَى ... الـبَـحْـرُ تَـزْهـاهُ رِيـاحُ الـصَّـراصِـرِ[(٥)]

فوثب الجَحّاف يجرّ مُطْرفه[(٦)] وما يَعْلَمُ من الغضب، فقال عبد الملك

(١) القَتام: الغبار.
(٢) اللمَّة: الشعر المجاوز شحمة الأذن.
(٣) المَرْجُ: الفضاء، أو الأرض ذات الكلأ ترعى فيها الدواب.
(٤) يَنْهَدُون: ينهضون.
(٥) زهت الريح: هزّت وحركت. وريحٌ صِرٌّ: شديدة الصوت والبرد.
(٦) المطْرفَ: جمع مَطَارِف: وهو رداء من خزّ ذو أعلام.

للأخطل: ما أحْسَبكَ إلا قد كسَبْتَ قومَك شرّاً. فافتعل الجحّاف عهداً من عبد الملك على صدقات بكرٍ وتغلِب، وصحبه من قومه نحوٌ من ألف فارسٍ، فثار بهم حتى بلغ الرُّصافة ـ قال: وبينها وبين شط الفرات ليلةٌ وهي في قِبْلة الفرات ـ ثم كشف لهم أمرَه، وأنشدهم شعرَ الأخطل، وقال لهم: إنما هي النَّارُ أو العارُ، فمن صبرَ فَلْيُقْدِم ومن كره فليرجع، قالوا: ما بأنفسنا عن نفسك رغبةٌ، فأخبرهم بما يريد، فقالوا: نحنُ معك فيما كنتَ فيه من خيرٍ وشرٍّ، فارتحلوا فطرقوا صُهَيْن بعد رُؤبة[1] من الليل ـ وهي في قِبلة الرصافة وبينهما ميّ ـ ثم صبَّحوا عاجنة الرَّحوب في قِبلةِ صُهَيْنَ والبِشر ـ وهو وادٍ لبني تغلِب ـ فأغاروا على بني تغلِب ليلاً فقتلوهم، وبقروا من النِّساء من كانت حاملا، ومن كانت غيرَ حامل قتلوها. قال عمرُ بنُ شَبَّةَ في خبره: سمعت أبي يقول: صعِد الجحّافُ الجبلَ ـ فهو يوم البِشر، ويقال له أيضاً: يومُ عاجنة الرَّحوب، ويومُ مخاشِن، وهو جبلٌ إلى جنب البِشر، وهو مرج السَّلَوْطح[2] لأنه بالرَّحوب ـ وقَتَل في تلك الليلة ابناً للأخطل يقال له: أبو غِياثٍ، ففي ذلك يقول جرير له:

شَـرِبـتَ الـخَـمْـرَ بَـعْـدَ أَبِـي غِـيـاثٍ   فَـلاَ نَـعِـمَـتْ لَـكَ الـسَّـوءَات بَـالاَ

قال عمرُ بن شبّةَ في خبره خاصَّةً: ووقع الأخطلُ في أيديهم، وعليه عباءةٌ دَنِسة، فسألوه فذكر أنَّه عبدٌ من عبيدهم، فأطلقوه؛ فقال ابنُ صَفَّار في ذلك: [الكامل]

لَـمْ تَـنْـجُ إلاّ بِـالـتَّـعَـبُّـدِ نَـفْـسُـهُ   لَـمَّـا تَـيَـقَّـنَ أَنَّـهُـمْ قَـوْمٌ عِـدا
وتَـشَـابَـهَـتْ بُـرْقُ الـعَـبَـاءِ عَـلَـيْـهِـمُ   فَـنَـجَـا وَلَـو عَـرَفُـوا عـبَـاءَتَـهُ هَـوَى[3]

وجعل يُنادي: من كانت حاملاً فإليّ، فصعِدْنَ إليه، فجعل يبقَرُ بطونهنّ. ثم إن الجَّحاف هرب بعد فِعله، وفرق عنه أصحابه ولحق بالروم، فلحِق الجَّحافَ عُبَيْدَةُ بنُ همامِ التغلبيّ دون الدّرْبِ، فكرّ عليه الجَّحاف فهزمه، وهزم أصحابَه وقتلهم، ومكثَ زمناً في الروم، وقال في ذلك: [الطويل]

فَـإِن تَـطْـرُدُونـي تَـطْـرُدونـي وقـد مَـضَـى   مِـنَ الـوِرْدِ يَـوْم فِـي دَمَـاءِ الأَرَاقِـمِ[4]

---

(١) رُؤبة: قطعة.
(٢) مرج السَّلَوْطح: موضع بالجزيرة قريب من البِشر. (معجم البلدان ٣/ ٢٤٢).
(٣) الأَبْرَقَ: ما اجتمع فيه سواد وبياض.
(٤) الأراقم: حيّ من تغلب وهم جشم وغيرهم، سموا بذلك تشبيهاً لعيونهم بعيون الأراقم من الحيّات.

لَدُن ذَرَّ قَرنُ الشَّمس حَتَّى تَلَبَّسَتْ ظَلاماً بِرَكْضِ الْمُقْرَبَاتِ الصلادِمِ[(١)]

حتى سكن غضبُ عبدِ الملك، وكلَّمته القَيْسِية في أن يُؤمنه، فَلاَنَ وتلكأ، فقيل له: إنا والله لا نأمنُه على المسلمين إن طال مُقامُه بالروم؛ فأمَّنه، فأقبل فلما قدِم على عبد الملك لقِيه الأخطلُ فقال له الجحَّاف: [الطويل]

أبَا مَالِكٍ هَلْ لُمْتَنِي إذْ حَضَضْتَنِي عَلَى القَتْلِ أمْ هَلْ لاَمَنِي لَكَ لاَئِمِي
أبَا مَالِكٍ إنِّي أطَعْتُكَ فِي الَّتِي حَضَضْتَ عَلَيها فِعْلَ حَرَّانَ حَازِمِ
فَإن تَدْعُنِي أُخرَى أُجِبْكَ بِمِثْلِها وإنِّي لَطَبٌّ بِالوَغَى جِدُّ عَالِمِ[(٢)]

قال ابن حبيب: فزعموا أن الأخطلَ قال له: أراك والله شيخَ سَوْءٍ. وقال فيه جرير: [الطويل]

فَإنَّكَ والجَحّافَ يَومَ تَحُضُّهُ أرَدْتَ بِذَاكَ المُكْثَ والوِرْدُ أعْجَلُ
بَكَى دَوْبَلٌ لا يُرْقِىءُ اللَّهُ دَمْعَه ألا إنَّمَا يَبْكِي مِنَ الذُّلِّ دَوْبَلُ[(٣)]
ومَا زَالَتِ القَتْلَى تَمُورُ دِمَاؤُهُم بِدِجْلَةَ حَتَّى مَاءُ دِجْلَةَ أشْكَلُ[(٤)]

فقال الأخطل: ما لجرير لعنه الله! والله ما سَمَّتْني أمي دَوْبلاً إلاّ وأنا صبيّ صغير ثم ذهب ذلك عني لما كبِرت. وقال الأخطلُ: [الطويل]

لَقد أوْقَعَ الجحّافُ بِالبِشْرِ وَقْعَةً إلى الله مِنَها المُشْتَكَى والمُعَوَّلُ
فَسَائِلْ بَنِي مَروانَ ما بَالُ ذِمَّةٍ وَحَبْلٍ ضَعِيفٍ لا يَزَالُ يُوَصَّلُ
فَإلاَّ تُغَيِّرْها قُرَيْشٌ بِمِلكِها يَكُنْ عَنْ قُرَيْشٍ مُستَرادٌ ومَزْحَلُ[(٥)]

فقال عبد الملك حين أنشده هذا: فإلى أينَ يابنَ النَّصْرانية؟ قال: إلى النار قال: أولى لك لو قلتَ غيرها! قال: ورأى عبدُ الملك أنه إن تركهم على حالهم لم يُحْكِمِ الأمر، فأمر الوليدَ بنَ عبد الملك، فحمل الدماء التي كانت قبل ذلك بين قيس وتغلب، وضمَّن الجحّاف قتلى البشر، وألزمه إياها عقوبةً له، فأدّى الوليد

(١) المقربات من الخيل: المعدّة للركوب. والصلادم: جمع صلدم: وهو الفرس الشديد الصلابة.
(٢) الطَبّ: الحاذق. العالم بالأمور.
(٣) الدوبل: الخنزير، ورقأ الدمع: جفّ وهَدأ.
(٤) مار الدّم: جرى، والأشْكَل: جمع شُكْل: ما كان بياضه يضرب إلى حُمرة.
(٥) المستراد: في الأصل: المرعى، والمستراد أيضاً: موضع في سواد العرق. (معجم البلدان ٥/ ١٢٣). ومَزْحَل: من زحل عن مكانه زال وتنحى، أي المبعد.

الجِمالات[١]، ولم يكن عند الجحاف ما حُمِّل، فلحِق بالحجّاج بالعراق يسأله ما حُمِّل لأنه من هَوازِن، فسأل الإذنَ على الحجاج، فمنعه، فلقي أسماءَ بن خارجة؛ فَعَصَبَ حاجته به فقال: إني لا أقدِرُ لك على منفعةٍ، قد علِم الأمير بمكانك وأبى أن يأذن لك؛ فقال: لا والله لا أُلْزِمها غيرك أنْجَحْتُ أو أكْدت، فلما بلغ ذلك الحجاج قال: ما له عندي شيء، فأَبْلِغْهُ ذلك؛ قال: وما عليك أن تكون أنت الذي تُؤنسه فإنه قد أبى، فأذن له فلمّا رآه قال: أعهدتني خائناً لا أبا لَكَ! قال: أنت سيدُ هوازِن، وقد بدأنا بِك، وأنت أميرُ العراقين[٢]، وابنُ عظيم القريتين[٣]، وَعِمالَتُك في كل سنة خمسمائة ألفِ درهم، وما بِك بعدها حاجة إلى خيانةٍ؛ فقال: أشهد أن الله تعالى وفّقك، وأنّك نظرت بنور الله، فإذا صدقت فلك نصفُها العام، فأعطاه وادّوا البقية. قال: ثم تأله[٤] الجحاف بعد ذلك، واستأذن في الحج، فأذِن له، فخرج في المشيخة الذين شهدوا معه، قد لبسوا الصوف وأحرموا، وأَبْرَوا أنوفهم، أي خزموها وجعلوا فيها البُرَى[٥]، ومشوا إلى مكة فلما قدِموا المدينة ومكة جعل الناس يخرجون فينظرون إليهم، ويعجبون منهم. قال: وسمع ابنُ عمر الجحّاف وقد تعلق بأستار الكعبة وهو يقول: اللّهم اغفِرْ لي وما أُراك تفعل! فقال له ابنُ عمر: يا هذا، لو كنت الجحَّاف ما زِدت على هذا القول؛ قال: فأنا الجحَّاف، فسكت. وسمِعه محمد بن علي بن أبي طالب عليه السلام، وهو يقول ذلك؛ فقال: يا عبد الله، قُنوطُك من عفو الله أعظمُ من ذنبك!

قال عمرُ بن شبّة في خبره: كان مولد الجحّاف بالبصرة.

قال عبد الله بن إسحاق النحويُّ: كان الجحافُ معي في الكتَّابِ، قال أبو زيد في خبره أيضاً: ولما أمّنه عبدُ الملك دخل عليه في جُبَّةِ صوف، فلبث قائماً، فقال له عبد الملك: أنشِدْني بعضَ ما قلتَ في غزوتك هذه وفَجْرَتِك، فأنشده قوله:

[الكامل]

صَبَرَتْ سُلَيْمُ لِلطِّعانِ وَعامِرٌ ... وإذا جَزِعْنا لَمْ نَجِدْ من يَصْبِرُ

---

(١) الحمالات: الدِّية والغرامة.
(٢) العراقان: الكوفة والبصرة.
(٣) القريتان: مكة والطائف.
(٤) تأله: تعبَّد وتنسَّك.
(٥) البرى: جمع برة، وهي الحلقة التي توضع في أنف البعير.

فقال له عبدُ الملك بنُ مروان: كذبت، ما أكثرَ من يصبر! ثم أنشده: [الكامل]

نَـحْنُ الّـذِيـنَ إذَا عَـلَـوْا لَـمْ يَـفْـخَـرُوا   يَـوْمَ الـلّـقَـا وإذا عُـلُـوا لـم يَـضْـجَـرُوا

فقال عبدُ الملك: صدقتَ، حدّثني أبي عن أبي سفيان بن حرب أنكم كنتم كما وصفت يومَ فتح مكة.

حُدِّثتُ عن الدمشقيِّ عن الزبير بن بكّار، وأخبرني وكيعٌ عن عبد الله بن شبيب عن الزبير بن بكارٍ عن عبد الرحمٰن بن أبي الزناد عن أبيه عن عمرَ بنِ عبد العزيز بن مروان: أنه حضر الجحافُ عند عبد الملك بن مروان يوماً والأخطلُ حاضرٌ في مجلسه ينشد: [الطويل]

أَلا سَـائِـلِ الـجَـحَّـاف هَـلْ هُـوَ ثَـائِـرٌ   بِـقَـتْـلَـى أُصِـيـبَـتْ مِـنْ سُـلَـيْـمٍ وعـامِـرِ

قال: فتقبّض وجهه في وجه الأخطل. ثم إن الأخطل لما قال له ذلك قال له: [الطويل]

نـعَـمْ سَـوْفَ نَـبْـكِـيـهِـمْ بِـكُـلِّ مُـهَـنَّـدٍ   ونَـبـكِـي عُـمَـيْـراً بِـالـرِّمـاحِ الـخَـوَاطِـرِ[1]

ثم قال: ظننتُ أنك يا بنَ النصرانية لم تكن تجترىء عليَّ ولو رأيتني لك مأسوراً. وأوْعده، فما برح الأخطلُ حتى حُمَّ، فقال له عبد الملك: أنا جارُك منه؛ قال: هذا أجرْتَني منه يقظانَ، فمن يجيرني منه نائماً؟ قال: فجعل عبدُ الملك يضحك. قال: فأمّا قولُ الأخطل: [الطويل]

أَلا سَـائِـلِ الـجَـحّـاف هَـلْ هُـوَ ثَـائِـرٌ   بِـقَـتْـلَـى أُصِـيـبَـتْ مـن سُـلَـيْـمٍ وعَـامِـرِ

فإنه يعني اليوم الذي قَتَلَتْ فيه بنو تغلب عميرَ بنَ الحُبَاب السُّلميّ.

وكان السببُ في ذلك فيما أخبرني به عليّ بنُ سليمان الأخفش قال: حدّثني أبو سعيد السكريُّ عن محمد بن حبيب عن أبي عبيدة عن ابن الأعرابيّ عن المفضل: أن قَيْساً وتغلب تحاشدوا لِمَا كان بينهم من الوقائع منذ ابتداء الحرب بِمَرْج راهط، فكانوا يتغاورون[2]. وكانت بنو مالك بن بكر جامعةً بالتوْباذ[3] وما حوله، وجَلَبَتْ إليها طوائفَ تغلب وجميع بطونها، إلا أن بكر بن جُشَم لم تجتمع

(١) الرماح الخواطر: التي تهتزّ.
(٢) يتغاورون: يغير بعضهم على بعض.
(٣) التوباذ: جبل بنجد. (معجم البلدان ٢/ ٥٥).

أحلافُهم من النَّمِرِ بن قاسط. وحشدت بكر فلم يأت الجمعُ منهم على قدر عددهم. وكانت تغلبُ بدواً بالجزيرة لا حاضرة لها إلا قليل بالكوفة، وكانت حاضرة الجزيرة لقيسٍ وقضاعةَ وأخلاط مضر، ففارقتهم قضاعةُ قبل حرب تغلِب، وأرسلت تغلِبُ إلى مهاجريها وهم بأذْربيجان، فأتاهم شعيبُ بنُ مُلَيْل في ألفي فارس. واستنصر عمير تميماً وأسداً فلم يأته منهم أحد؛ فقال: [الطويل]

أيا أخَوَيْنَا مِنْ تَمِيم هُدِيتُما ... ومِنْ أَسَدٍ هَلْ تَسْمَعَانِ المُنَادِيَا
أَلَمْ تَعْلَمَا مُذْ جَاءَ بَكْرُ بنُ وَائِلٍ ... وتَغلِبُ أَلفَافاً تَهُزُّ العَواليا
إلى قَوْمِكُمْ قَدْ تَعْلَمُونَ مَكَانَهُم ... وهُمْ قُرْبُ أَدْنَى حَاضِرِينَ وبَادِيا

وكان مَنْ حضر ذلك من وجوه بكر بن وائلٍ المُجَشَّرُ بنُ الحارث بنِ عامرِ بنِ مرّةَ بن عبد الله بن أبي ربيعة بن ذُهلِ بن شيبان، وكان من سادات شيبانَ بالجزيرة فأتاهم في جمع كثيرٍ من بني أبي ربيعة. وفي ذلك يقول تميمُ بن الحُبابِ بعد يوم الحشّاك: [الطويل]

فَإن تَحتَجِزْ بِالمَاءِ بَكْرُ بنُ وَائِلٍ ... بَنِي عَمِّنَا فَالدَّهْرُ ذُو مُتَغَيَّر
فَسَوْفَ نُخِيضُ الماءَ أَوْ سَوْفَ نَلْتَقِي ... فَنَقْتَصُّ مِنْ أَبْنَاءِ عَمِّ المُجَشَّرِ[1]

وأتاهم زِمامُ بنُ مالك بن الحصين من بني عمرو بن هاشم بن مُرَّة في جمع كبير فشهدوا يوم الثرثار، فَقُتِل. وكان فيمن أتاهم من العراق من بكر بن وائل عبيدُ الله بنُ زيادِ بن ظَبْيان، ورهصة بنُ النعمان بن سويد بن خالد من بني أسعد بن همّام، فلذلك تحامل المُصْعَبُ بنُ الزبير على أبانِ بن زياد أخي عبيد الله بن زياد فقتله. وفي هذا السبب كانت فُرْقَةُ عبيد الله لمصعبٍ، وجمعت تغلِبُ فأكثرت، فلما أتى عميراً كثرةُ من أتى من بني تغلِب وأبطأ عنه أصحابه قال يستبطئهم:

أُنَادِيهُمْ وَقَدْ خَذَلَتْ كِلابٌ ... وَحَوْلِي مِنْ رَبِيعَةَ كَالجِبَال
أُقَاتِلُهُمْ بحيٍّ بَنِي سُلَيْمٍ ... ويَعْصُرَ كالمَصَاعِيبِ النِّهالِ[2]
فِدًى لِفَوارس الثَّرْثارِ قَوْمِي ... وَمَا جَمَّعْتُ مِنْ أهلِي ومَالِي
فَإِمَّا أُمْسِ قَدْ حَانَتْ وَفَاتِي ... فَقَد فَارَقْتُ أَعْصُرَ غَيْرَ قَال

---

(١) أخاضه في الماء: جعله يخوضه.
(٢) يعصر: قبيلة من قيس عيلان، والمصاعيب: جمع مصعب: وهو الفحل الذي يترك من الركوب والعمل للفحلة. والنِّهال: التي شربت حتى ارتوت.

أَبَــعْــدَ فَــوارِسِ الــثَّــرثَــارِ أرْجُــو ثَــراءَ الــمَــالِ أوْ عَــدَدَ الــرِّجَــالِ!

ثم زحف العسكرانِ، فأتت قيسٌ وتغلب الثرثار، بين رأس الأثيل والْكُحَيْل، فشاهدوا القتال يوم الخميس. وكان شعيب بنُ مُلَيْلٍ وثعلبةُ بنُ نِياطٍ التغلبيان قدِما في ألفي فارس في الحديد، فعبروا على قرية يقال لها لِبًّى[1] على شاطىء دجلةَ بين تكريت وبين الموصل، ثم توجهوا إلى الثرثار، فنظر شعيبٌ إلى دواخِنِ[2] قيس، فقال لثعلبة بن نِياط: سِر بنا إليهم، فقال له: الرأيُ أن نسير إلى جماعة قومِنا فيكون مقاتلُنا واحداً، فقال شعيبٌ: والله لا تُحَدِّثُ تغلِبُ أني نظرت إلى دواخِنِهم ثم انصرفتُ عنهم، فأرسل ناساً من أصحابه قُدَّامه وعميرٌ يقاتِل بني تغلب. وذلك يوم الخميس، وعلى تغلِب حنظلةُ بنُ هَوْبَرٍ، أحدُ بني كنانة بن تميم، فجاء رجلٌ من أصحاب عميرٍ إليه فأخبره أن طلائع شعيب قد أتته، وأنه قد عدل إليه، فقال عميرٌ لأصحابه: اكفوني قتال ابن هوبر، ومضى هو في جماعة من أصحابه، فأخذ الذين قدمهم شعيبٌ، فقتلهم كلّهم غيرَ رجل من بني كعب بن زهير يقال له: قَتَبُ بنُ عبيد، فقال عميرٌ: يا قتبُ، أخبرني ما وراءك؟ قال: قد أتاك شعيب بن مُلَيْل في أصحابه. وفارق ثعلبةُ بنُ نِياطٍ شعيباً، فمضى إلى حنظلة بن هوبر، فقاتل معه القيْسيَّة، فقُتل، فالتقى عمير وشعيب فاقتتلوا قتالاً شديداً، فما صُلِّيت العصر حتى قتِل شعيب وأصحابه أجمعون، وقطعت رجلُ شعيب يومئذٍ، فجعل يقاتل القوم وهو يقول: [الرجز]

قَــدْ عَــلِــمَــتْ قَــيْــسٌ ونَــحْــنُ نَــعْــلَــمُ أنَّ الــفَــتَــى يَــفْــتِــكُ وهْــوَ أجْــذَمُ[3]

فلما قتِل شعيب نزل أصحابه، فعقروا دوابَّهم، ثم قاتلوا حتى قُتِلوا، فلما رآه عمير قتيلاً قال: من سرّه أن ينظر إلى الأسد عقِيراً فها هو ذا. وجعلت تغلِبُ يومئذٍ ترتجز وتقاتل وهي تقول: [الرجز]

انْـعَـوا إيـاسـاً وانْـدُبُـوا مُـجَـاشِـعـاً كِـلاَهُـمـا كَـانَ كَـرِيـمـاً فَـاجِـعَـا
وَيْـهِ بَـنِـي تَـغْـلِـب ضـربـاً نـاقِـعـا[4]

---

(١) لِبًّى: هو موضع بين بلد والعَقْر من أرض الموصل. (معجم البلدان ٥/٩).
(٢) الدواخن: جمع داخنة، وهي المدخنة.
(٣) أجذم: أقطع.
(٤) ويه: كلمة إغراء وتحريض. وضرباً ناقعاً: بالغاً، قاتلاً.

وانصرف عمير إلى عسكره، وأبلغ بني تغلب مقتل شعيبٍ، فحمِيتْ على القتال وتذامرت على الصبر، فقال مِحصنُ بنُ حصين بن جنحور أحدُ الأبناء: مضيت أنا ومن أَفْلَتَ من أصحاب شعيب بعد العصر، فأتينا راهباً في صومعته، فسألنا عن حالنا، فأخبرناه، فأمر تلميذاً له، فجاءه بِخرق فداوى جِراحَنا، وذلك غداةَ يوم الجمعة. فلما كان آخر ذلك اليوم أتانا خبرُ مقتلِ عمير وأصحابه، وهرب من أفلت منهم.

صوت [الخفيف]

إنَّ جَنْبِي عَلَى الفِرَاشِ لَنَابِ | كَتَجَافِي الأَسَرِّ فَوْقَ الظِّرَابِ
مِنْ حَدِيثٍ نَمَى إليَّ فَمَا أَطْـ | ـعَمُ غُمْضاً ولا أُسِيغُ شَرَابِي
لِشُرَحْبِيلَ إذْ تَعَاوَرُهُ الأَرْ | مَاحُ فِي حَالِ شِدَّةٍ وشَبَابِ
فَارِسٌ يَطْعَنُ الكُمَاةَ جَرِيءٌ | تَحْتَهُ قَارِحٌ كَلَوْنِ الغُرَابِ[1]

عروضه من الخفيف. الأَسَرّ: البعيرُ الذي يكون به السَّرَرُ، وهي قرحةٌ تخرج في كِرْكرتِه، لا يقدِرُ أن يَبْركَ إلا على موضِعٍ مُستو من الأرض، والظرابُ: النشوزُ والجبال الصغار، واحدها ظَرِبٌ. والشعرُ لِغَلْفَاءَ، وهو معديكربُ بنُ الحارث بن عمرو بن حُجْر آكلِ الْمُرار الكِنديّ يرثي أخاه شُرحبِيل قتيلَ يوم الكُلاب الأول، والغناء للغريض ثقيلٌ أوّل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق ويونس وعمرو.

[قصّة يوم الكُلاب الأول وأسبابه]

وكان السببُ في مقتله وقصّة يوم الكُلاب فيما أخبرنا به محمدُ بنُ العباس اليزيدي، وعليُّ بن سليمان الأخفشُ قالا: حدّثنا أبو سعيد السكريُّ قال: أخبرنا محمد بنُ حبيبٍ عن أبي عبيدة قال: أخبرني إبراهيم بن سَعدان عن أبيه عن أبي عبيدة قال: أخبرني دَماذ عن أبي عبيدة قال: كان من حديث الكُلاب الأوّل أن قُباذَ ملك فارسَ لَمّا ملك كان ضعيف المُلْك، فوثبت ربيعةُ على المنذر الأكبر بن ماء السماء ـ وهو ذو القرنين بن النعمان بن الشُّقَيقة ـ فأخرجوه؛ وإنما سُمّي ذا القرنين لأنه كانت له ذُؤابتان، فخرج هارباً منهم حتى مات في إيادٍ[2]، وترك ابنه المنذِرَ

(١) القارح: الفرس الذي دخل في السنة السادسة.
(٢) إيادٍ: موضع بالحزن لبني يربوع بين الكوفة وفَيْد. (معجم البلدان ١/ ٢٨٧).

الأصغر فيهم ـ وكان أذكى ولدِه ـ فانطلقت ربيعةُ إلى كِنْدةَ، فجاءوا بالحارث بن عمرو بن حُجْر آكل المُرار، فملَّكوه على بكر بنِ وائلٍ، وحشدوا له، فقاتلوا معه، فظهَرَ على ما كانت العربُ تسكُنُ من أرض العراق، وأبى قباذُ أن يُمِدَّ المنذِرَ بجيشٍ. فلما رأى ذلك المنذرُ كتب إلى الحارث بن عمروٍ: إني في غير قومي، وأنت أحقُّ مَنْ ضمَّنِي، وأنا متحوِّلٌ إليك؛ فحوله إليه وزوَّجه ابنته هنداً. ففرّق الحارث بنيه في قبائل العرب، فصار شُرَحبِيلُ بن الحارث في بني بكر بن وائلٍ وحنظلة بن مالك وبني أسيّد، وطوائف من بني عمرو بن تميم والرِّبابِ، وصار معِديكرُ بن الحارث[1] ـ وهو غَلْفاء ـ في قيس، وصار سَلَمةُ بن الحارث في بني تغلب والنَّمِر بن قاسطٍ وسعد بن زيد مَناة. فلما هلك الحارثُ تشتّت أمر بنيه، وتفرقت كلمتهم، ومشت الرجالُ بينهم، وكانت المغاورةُ بين الأحياء الذين معهم، وتفاقم الأمر حتى جمع كلّ واحد منهم لصاحبه الجموع؛ فسار شُرَحبِيل ومَنْ معه من بني تميم والقبائل، فنزلوا الكُلاب ـ وهو فيما بين الكوفة والبصرة على سبع ليالٍ من اليمامة ـ وأقبل سلمة بن الحارث في تَغْلِبَ والنَّمِرِ ومن معه، وفي الصنائع، وهم الذين يقال لهم بنو رقيَّة، وهي أمٌّ لهم ينتسبون إليها، وكانوا يكونون مع الملوك ـ يريدون الكُلاب. وكان نصحاء شُرَحبيل وسَلمة قد نَهَوهما عن الحرب والفساد والتحاسد، وحذّروهما عَثَرات الحرب وسوء مغبّتها، فلم يقبلا ولم يبرحا، وأبيا إلا التتابع واللجاجة في أمرهم، فقال امرؤ القيس بنُ حُجْر في ذلك:

[المنسرح]

أَنَّى عَلَيَّ اسْتَتَبَّ لَوْمُكُما ... وَلَمْ تَلُوما عَمْراً ولا عُصُما

كَلاَّ يَمِينُ الإلٰهِ يَجْمَعُنا ... شَيْءٌ وأخْوالَنَا بَنِي جُشَما

حَتَّى تَزُورَ السِّباعُ مُلْحِمَةً ... كأنَّها مِنْ ثَمُودَ أَوْ إِرَمَا

وكان أوّل من ورد الكُلابَ من جمع سلمةَ سفيانَ بن مُجاشع بن دارم، وكان نازلاً في بني تَغْلب مع إخوته لأمّه فقتلت بكرُ بنُ وائلٍ بنين له، فيهم مُرّةُ بنُ سفيان، قتله سالم بن كعب بن عمرو بن أبي ربيعةَ بن ذُهْل بن شيبان؛ فقال سفيانُ وهو يرتجز:

[الرجز]

الشَّيْخُ شَيْخٌ ثَكْلانْ ... وَالجَوْفُ جَوْفٌ حَرَّانْ

---

(١) معديكرب بن الحارث بن عمرو بن حُجر آكل المرار الكندي، ملك جاهلي يماني، لقبه غلفاء. (توفي سنة ٦٠ ق.هـ) (جمهرة الأنساب ٤٠٢، والمحبر: ٣٧٠).

وَالـــــوِردُ وِرْدٌ عَــــجْـــــلانْ أَنْـــعَــى مُــرَّةَ بْــنَ سُــفْــيَــانْ

وفي ذلك يقولُ الفرزدقُ: [الوافر]

شُـيُـوخٌ مِـنْـهُـمُ عُـدُسُ بـنُ زَيْـدٍ وَسُـفْـيَـانُ الَّـذِي وَرَدَ الـكُـلابـا

وأوّل من ورد الماء من بني تغلِبَ رجلٌ مِنْ بني عبدِ جُشَمَ يقال له النعمانُ بنُ قُرَيْع بن حارثةَ بن معاوية بن عبد بن جشم، وعبدُ يغوث بن دَوْسٍ، وهو عمّ الأخطل ـ دوسٌ والْفَدَوْكَسُ أخوان ـ على فرس له يقال له الحَرُون، وبه كان يعرف ثم ورد سلمةُ، بين تغلب وسعد وجماعة الناس، وعلى بني تغلب يومئذ السفاح ـ واسمه سلمةُ بنُ خالد بن كعب بن زُهَيرِ بن تيم بن أسامةَ بن مالك بن بكر بن حبيب ـ وهو يقول: [الرجز]

إنَّ الـكُـلابَ مَـاؤُنَـا فَـخَـلُّـوهْ وسـاجِـراً والله لَـنْ تَـحُـلُّـوهْ[1]

فاقتتل القوم قتالاً شديداً، وثَبَت بعضُهم لبعض؛ حتى إذا كان في آخر النهار من ذلك اليوم خَذَلَتْ بنو حنظلة وعمرُو بن تميم والرِّبابُ بكرَ بنَ وائل، وانصرفت بنو سعد وألفافُها عن بني تغلب، وصبر ابنا وائلٍ: بكرٌ وتغلبُ ليس معهم غيرُهُم، حتى إذا غشيهم الليل نادى مُنادي سلمةَ: مَنْ أتى برأس شرحبيلَ فله مائة من الإبل، وكان شُرَحْبيل نازلاً في بني حنظلةَ وعمرو بن تميم، فَفَرُّوا عنه، وعَرَفَ مكانه أبو حَنَش ـ وهو عُصْمُ بنُ النعمان بن مالكِ بن غياثِ بن سعدِ بن زهيرِ بن جُشَم بن بكر بن حبيبٍ ـ فَصَمَدَ نحوه، فلما انتهى إليه رآه جالساً وطوائفُ الناس يقاتلون حوله، فطعنه بالرمح، ثم نزل إليه فاحتزّ رأسه وألقاه إليه. ويقال إنّ بني حنظلةَ وبني عمرو بن تميم والرِّباب لمّا انهزموا خرج معهم شُرَحبيلُ، فلحقه ذو السُّنَيْنَة ـ واسمه حبيب بن عُتَيبة بن حبيب بن بعج بن عتبةَ بن سعد بن زهير بن جشم بن بكر وكانت له سنٌّ زائدةٌ ـ فالتفت شرحبيل فضرب ذا السنينة على رُكْبَته، فأطنّ[2] رجلَه، وكان ذو السنينة أخا أبي حَنَشٍ لأمه، أُمُّهُما سَلْمى بنتُ عدِيّ بن ربيعة بنتُ أخي كليب ومهلهلٍ، فقال ذو السنينة: قتلني الرجل! فقال أبو حنش: قتلني الله إن لم أقتلْه، فَحَمَلَ عليه، فلما غَشيَه قال: يا أبا حنش، أملِكاً بسوقة؟

(١) ساجِرُ: ماء باليمامة بوادي السرّ. وقيل ماء في بلاد بني ضبّة وعُكل (انظر معجم البلدان ٣/١٦٩).
(٢) أطنّ رجله: قطعها.

قال: إنه قد كان مَلِكي، فطعنه أبو حنش، فأصاب رادفة السّرج[١]، فورَّعَتْ[٢] عنه، ثم تناوله فألقاه عن فرسه، ونزل إليه فاحتزّ رأسه، فبعث به إلى سلمة مع ابنِ عم له يقال له أبو أجأ بنُ كعب بن مالك بن غياث، فألقاه بين يديه؛ فقال له سلمة: لو كنت ألقيته إلقاء رفيقاً! فقال: ما صَنَع بي وهو حيٌّ أشدُّ من هذا، وعرف أبو أجَأ الندامةَ في وجهه والجزعَ على أخيه، فهرب وهرب أبو حنش فتنحى عنه، فقال معديكربُ أخُو شرحبيل، وكان صاحبَ سلامةٍ معتزلاً عن جميع هذه الحروب: [الوافر]

ألا أبْـلِـغْ أبَـا حَـنَـشٍ رَسُـولاً ... فـمـا لَـكَ لا تَـجِـيءُ إلـى الـثَّـوابِ!
تَـعَـلَّـمْ أنَّ خَـيْـرَ الـنّـاس طُـرّاً ... قَـتِـيـلٌ بَـيْـنَ أحْـجـارِ الـكُـلاب
تَـدَاعَـتْ حَـوْلَـهُ جُـشَـمُ بْـنُ بَـكْـرٍ ... وَأسْـلَـمَـهُ جَـعَـاسِـيـسُ الـرِّبـابِ[٣]
قَـتِـيـلٌ مـا قَـتـيـلُـكَ يـابْـنَ سَـلْـمَـى ... تَـضُـرُّ بِـه صَـدِيـقَـكَ أوْ تُـحـابـي

فقال أبو حَنَش مجيباً له: [الوافر]

أُحـاذرُ أن أجِـيـئَـكُـمُ فَـتَـحْـبُـو ... حِـبـاءَ أبِـيـكَ يَـوْمَ صُـنَـيْـبِـعَـاتِ[٤]
فَـكَـانَـتْ غَـدْرَةً شَـنْـعَـاءَ تَـهْـفُـو ... تَـقَـلَّـدَهـا أبُـوكَ إلـى الـمَـمَـاتِ

ويقال إنّ الشعر الأوّل لسلمةَ بن الحارث.

وقال معديكرب المعروفُ بغَلْفَاءَ يرثي أخاه شرحبيل بن الحارث: [الخفيف]

إنَّ جَـنْـبِـي عَـنِ الـفِـراشِ لَـنـابِـي ... كَـتَـجـافِـي الأسَـرِّ فَـوْقَ الـظِّـرابِ[٥]
مِـنْ حَـدِيـثٍ نَـمَـى إلـيَّ فـلا تـر ... قَـأُ عَـيْـنِـي ولا أسِـيـغُ شَـرابِـي
مُـرَّةٌ كـالـذُّعـافِ أكْـتُـمُـهـا الـنّـا ... سَ عـلـى حَـرِّ مَـلَّـةٍ كـالـشِّـهـابِ[٦]
مِـنْ شـرحـبـيـلَ إذ تَـعـاوَرُهُ الأرْ ... مـاحُ فـي حـالِ لَـذَّةٍ وَشَـبـابِ
يـابـن أمِّـي وَلَـوْ شَـهِـدْتُـكَ إذ تَـدْ ... عُـو تَـمِـيـمـاً، وأنْـتَ غَـيْـرُ مُـجـابِ

(١) رادفة السرج: مؤخرته.
(٢) ورَّعتْ: منعت.
(٣) جعاسيس: جمع جعسوس: وهو القصير الدميم.
(٤) صنيبعات: اسم موضع، وقيل: ماء. (انظر معجم البلدان ٣/ ٤٣١).
(٥) الظّرب: جمع ظِراب وأظْرب: التلّة الصغيرة.
(٦) الذّعاف: السمّ القاتل. والمَلّة: الرماد الحارّ.

لَتَرَكْتُ الحُسامَ تَجْرِي ظُباهُ ... مِنْ دماءِ الأعْداءِ يومَ الكُلابِ[١]
ثم طاعَنْتُ مِنْ ورائِكَ حَتَّى ... تَبْلُغَ الرَّحْبَ أو تُبَزَّ ثِيابِي[٢]
يَوْمَ ثارَتْ بَنُو تَمِيمٍ وَوَلَّتْ ... خَيْلُهُمْ يتَّقِينَ بالأذنابِ
وَيْحَكُمْ يا بَنِي أُسَيِّدَ إنِّي ... وَيْحَكُمْ ربُّكُم وَرَبُّ الرِّبابِ
أيْنَ مُعْطِيكُمُ الجَزِيلَ وحابيـ ... ـكم على الفَقْرِ بالمئين الكُبَاب[٣]
فارسٌ يَضْرِبُ الكتيبةَ بالسَّيْـ ... ـفِ على نَحْرِه كَنَضْحِ المَلاَب[٤]
فارسٌ يَطْعُنُ الكُماةَ جَرِيءٌ ... تَحْتَهُ قارحٌ كلونِ الغراب

قال: ولما قتِل شرحبيلُ قامت بنو سعدِ بن زيد مناةَ بن تميم دون عياله، فمنعوهم وحالوا بين الناس وبينهم، ودفعوا عنهم حتى ألحقوهم بقومهم ومأمنهم. ولِيَ ذلك منهم عوفُ بنُ شَجْنَةَ بنِ الحارث بن عُطارد بن عوف بن سعد بن كعبٍ، وحشد له فيه رهطُهُ ونهضوا معه، فأثنى عليهم في ذلك امرؤ القيس بن حُجْرٍ، ومدحهم به في شعره فقال: [الطويل]

ألا إنَّ قَوْماً كنتُمُ أمْسِ دُونَهُمْ ... هُمُ اسْتَنْقَذُوا جاراتِكُمْ آلَ غُدْرانِ
عُوَيْرٌ ومَنْ مِثْلُ العُوَيْرِ وَرَهْطِهِ ... وأسْعَدَ في يَوْمِ الهَزاهِزِ صَفْوانِ[٥]

وهي قصيدة معروفة طويلة:

صوت

[الطويل]

وَعَيْنُ الرِّضا عن كُلِّ عَيْبٍ كَليلةٌ ... ولكنَّ عينَ السُّخْطِ تُبدي المَساويا
وأنتَ أخِي ما لَمْ تَكُنْ لِي حاجَةٌ ... فإنْ عَرَضَتْ أيْقَنْتُ أنْ لا أخا ليا

الشعرُ لعبد الله بن معاوية بن عبد الله الجعفريّ، يقوله للحسين بن عبدِ الله بنِ عبيد الله بن العباس؛ هكذا ذكر مصعبُ الزبيريّ. وذكر مؤرِّج فيما أخبرنا به

---

(١) الحسام: السيف. والظّبا: جمع ظبة، حدّ السيف.
(٢) تُبَزُّ ثيابي: أي تُنزع عني بموتي.
(٣) الكُباب: الكثير الإبل.
(٤) المَلاَب: ضرب من الطيب.
(٥) أُسعدَ: اعان، والهزاهز: الفتن يهتز بها الناس. وعوير وصفوان: رجلان من القوم، ذكر أنهم منعوه وتحرّم بهم.

اليزِيديّ عن عمه أبي جعفر عن مُؤرِّج ـ وهو الصحيح ـ أنّ عبد الله بن معاوية قال هذا الشعر في صديقٍ له يقال له قُصَيّ بن ذَكْوان، وكان قد عتب عليه. وأوّل الشعر: [الطويل]

رأيتُ قُصَيّاً كانَ شيئاً مُلَفَّفاً فكشَّفَهُ التَّمْحِيصُ حتَّى بدا ليا
فلا زادَ ما بيني وبينكَ بعدما بَلَوْتُكَ في الحاجاتِ إلاّ تَنائِيا

والغناء لبنان بن عمرون رملٌ بالوسطى. وفيه الثقيلُ الأوّل لعَريبَ من رواية أبي العنْبس وغيره.

خبر عبد الله بن معاوية ونسبه

[توفي ١٢٩ هـ/ ٧٤٦ م]

[اسمه ونسبه وبعض أخباره]

هو عبدُ الله بنُ معاويةَ بن عبد الله بن جعفرِ بن أبي طالب بن عبد المطلب ابن هاشم بن عبد مناف. وأمُّ عبدِ الله بن جعفر وسائرِ بني جعفر أسماءُ بنتُ عُمَيْسِ ابنِ مَعْد بن تميم بن مالكِ بن قُحافةَ بن عامرِ بن معاويةَ بن زيد بن مالك بن بشر بن وهب الله بن شَهْران بن عِفْرِس بن أَفْتَل، وهو خُماعة بن خَثْعَم بن أنمار. وأمُّها هند بنتُ عوفٍ، امرأةُ من جُرَش. هذه الجُرشيَّة أكرمُ الناس أحماء؛ أحماؤها: رسولُ اللهﷺ وعليٌّ وجعفرٌ وحمزةُ والعباسُ وأبو بكر رضِي الله تعالى عنهم. وإنما صار رسولُ اللهﷺ من أحمائها أنه كان لها أربعُ بناتٍ: ميمونةُ[1] زوجةُ رسول اللهﷺ. وأمُّ الفضل زوجةُ العباس وأم بنته، وسَلْمى زوجةُ حمزةَ بن عبد المطلب؛ بناتُ الحارث، وأسماءُ بنتُ عُمَيْسٍ أختُهنَّ لأمّهنّ؛ كانت عند جعفرِ بن أبي طالب، ثم خلَف عليها أبو بكر رضي الله تعالى عنه ثم خلف عليها عليُّ بن أبي طالبؑ. وولدت من جميعهم. وهنّ اللواتي قال رسولُ اللهﷺ لهنّ: **«إنهن مؤمناتٌ»**.

حدّثني بذلك أحمدُ بن محمد بن سعيد قال: حدّثني يحيى بنُ الحسنِ العلويُّ قال: حدّثنا هارون بن محمد بن موسى الفرويُّ قال: حدّثنا داودُ بنُ عبد الله قال:

(١) ميمونة: هي بنت الحارث بن حزن الهلالية، آخر امرأة تزوجها النبيﷺ، كان اسمها «برة» فسماها ميمونة، بايعت بمكة قبل الهجرة. (توفيت سنة ٥١ هـ). (أسد الغابة ٥/ ٥٥٠، ومجمع الزوائد ٩/ ٢٤٩).

حدّثني عبد العزيز الدَّرَاوَرْدِيّ عن إبراهيم بن عُقبةَ عن كُرَيبٍ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول اللهﷺ: **«الأخوات المؤمِناتُ: ميمونةُ، وأمُّ الفضل، وسَلْمى، وأسماءُ بنتُ عُمَيْسٍ أختُهُنَّ لأمّهن»**.

حدّثني أحمد قال: حدّثني يحيى قال: حدّثنا الحسن بن علي قال: حدّثني عبد الرزاق قال: أخبرني يحيى بنُ العَلاء البَجَليُّ عن عمه شعيبِ بن خالد عن حنظلة بن سَمرة بن المسيَّب عن أبيه عن جدّه عن ابن عباس قال: دخل النبيﷺ على فاطمة وعليٍّ، عليهما السلام ـ ليلةَ بنَى بها ـ فأبصر خيالاً من وراء السّتر؛ فقال: **«من هذا؟»** فقالت: أسماءُ؛ قال: **«بنتُ عميس»**؟ قالت: نعم، أنا التي أَحْرُس بنتَكَ يا رسول الله؛ فإنّ الفتاة ليلة بنائها لا بدّ لها من امرأة تكون قريباً منها، إن عَرَضَتْ لها حاجةٌ أفْضت بذلك إليها؛ فقال رسول اللهﷺ: **«فإني أسأل إلهي أن يحرسك من بين يديك ومن خلفك وعن يمينك وعن شِمالك مِنَ الشيطان»**.

وقد أدرك عبدُ الله بنُ جعفرٍ رحِمه الله رسول اللهﷺ وروى عنه.

فممَّا رَوَى عنه ما حدّثنيه حامدُ بنُ محمدِ بن شعيب البَلْخيُّ، وأحمدُ بن محمد بن الجَعْد قالا: حدّثنا محمد بن بكّارٍ قال: حدّثني إبراهيم بن سعد عن أبيه عن عبد الله بن جعفر قال: رأيت النبيﷺ يأكل البِطّيخ بالرُّطَبِ.

حدّثنا أحمد بن محمد بن سعيد قال: حدّثنا يحيى بن الحسن قال: حدّثنا سلمة بن شبيب قال: حدّثنا عبد الرزاق قال: أخبرني ابن يحيى وعثمان بن أبي سليمان قالا: مرّ النبيّﷺ بعبد الله بنِ جعفرٍ وهو يصنع شيئاً من طين من لُعَبِ الصبيان فقال: **«ما تصنعُ بهذا»**؟ قال: أبيعه، قال: **«ما تصنع بثمنه»**؟ قال: أشتري به رُطباً فآكُلُه، فقال النبيﷺ: **«اللّهم بارك له في صَفْقَةِ يَمينه»**. فكان يقال: ما اشترى شيئاً إلا ربح فيه.

أخبرني الحرميُّ بن أبي العلاء والطُّوسيُّ قالا: حدّثنا الزبير بن بكار قال: حدّثني عمي مصعب عن جدّي عبد الله بن مصعب: أنّ الحزين قُمِر[١] في العقيق[٢]

---

(١) قُمِر: غُلب في القمار.

(٢) العقيق: اسم موضع، (انظر معجم البلدان: ٤/ ١٣٩).

في غداةٍ باردةٍ ثيابه، فمرّ به عبدُ الله بن جعفر وعليه مُقَطَّعاتُ خَزٍّ؛ فاستعار الحزينُ من رجل ثوباً، ثم قام إليه فقال: [المتقارب]

أقــولُ لَــهُ حــيــنَ واجَــهْــتُــهُ عــلــيــكَ الــسَّــلامُ أبــا جــعــفــرِ

فقال: وعليك السلام؛ فقال: [المتقارب]

فــأنْــتَ الــمُــهَــذَّبُ مــن غــالــبٍ وفــي الــبــيــتِ مــنــهــا الــذي تُــذْكَــرُ

فقال: كذبت يا عدوَّ الله؛ ذاك رسول الله ﷺ، فقال:

فَــهٰــذِي ثِــيــابِــيَ قَــدْ أخْــلَــقَــتْ وقــد عَــضَّــنــي زَمَــنٌ مُــنْــكَــرُ[1]

قال هاكَ ثيابي، فأعطاه ثيابَه.

قال الزُّبير: قال عمّي: أما البيتُ الثاني فحدّثني عمّي عن الفضل بن الربيع عن أبي، وما بقي فأنا سمِعته من أبي.

حدّثنا أحمدُ بن محمد بن سعيدٍ قال: أخبرنا يحيى بن الحسن قال: بلغني أن أعرابياً وقف على مروان بن عبد الحكم أيام الموسم بالمدينة فسأله، فقال: يا أعرابيُّ، ما عندنا ما نصلُك؛ ولكن عليك بابن جعفر. فأتى الأعرابيُّ باب عبد الله بن جعفر فإذا ثَقَلُه[2] قد سار نحوَ مكة، وراحلتُه بالباب عليها متاعُها وسيفٌ معلَّق، فخرج عبد الله من داره وأنشأ الأعرابي يقول: [الطويل]

أبــو جــعــفــرٍ مــن أهْــلِ بــيــتِ نُــبــوَّةٍ صــلاتُــهُــمْ لــلــمــســلــمــيــنَ طَــهُــورُ
أبــا جــعــفــرٍ إنَّ الــحَــجِــيــجَ تَــرَحَّــلــوا ولــيــسَ لِــرَحْــلِــي فــاعْــلَــمَــنَّ بَــعِــيــرُ
أبــا جــعــفــرٍ ضَــنَّ الأمِــيــرُ بــمــالــهِ وأنْــتَ عــلــى مــا فــي يَــدَيْــكَ أمِــيــرُ
وأنت امْرُؤٌ من هاشِمٍ في صَمِيمِها إلَيْكَ يَصِيرُ المَجْدُ حَيْثُ تَصِيرُ

فقال: يا أعرابي، سار الثقلُ فدونك الراحلةَ بما عليها، وإياك أن تُخْدَعَ عن السَّيْف فإني أخذتُه بألف دينار. فأنشأ الأعرابيّ يقول: [الطويل]

حَــبــانــيَ عَــبْــدُ الله، نَــفْــسِــي فِــداؤهُ بــأعْــيَــسَ مَــوَّارٍ سِــبــاطٍ مَــشَــافِــرُهْ[3]

---

(١) أخلقت الثياب: بليت.

(٢) الثقل: متاع المسافر.

(٣) أعيس: واحد العيس: وهي الإبل البيض يخالط بياضها شقرة خفيفة. والموار: النشيط. وسباط يريد أنها لينة.

وأبْيَضَ من ماءِ الحَديدِ كأنَّهُ ... شِهابٌ بدا والليلُ داج عَساكِرُهْ[1]
وكل امْرِئٍ يَرْجُو نوالَ ابْنِ جَعْفَرٍ ... سَيَجْرِي له باليُمْنِ وَالبِشْرِ طائرُهْ
فيا خَيْرَ خَلْقِ الله نَفْساً وَوالِداً ... وأكْرَمَهُ لِلْجارِ حِينَ يُجاوِرُهْ
سَأُثْني بما أوْلَيْتَنِي يابْنَ جَعْفَرٍ ... وما شاكِرٌ عُرْفاً كَمَنْ هُو كافِرُهْ

وحدّثني أحمد بن يحيى عن رجلٍ قال: حدّثني شيخٌ من بني تميم بخراسان قال: جاء شاعرٌ إلى عبد الله بن جعفر فأنشده: [المتقارب]

رأيتُ أبا جَعْفَرٍ في المنام ... كَساني من الخَزِّ دُرَّاعَهْ[2]
شَكَوْتُ إلى صاحبي أمْرَها ... فقالَ سَتُؤْتَى بها السّاعَهْ
سَيَكْسُوكَها الماجِدُ الجَعْفَرِيُّ ... وَمَنْ كَفُّهُ الدَّهْرَ نفَّاعَهْ
وَمَنْ قالَ لِلْجُودِ لاَ تَعْدُني ... فقالَ لَكَ السَّمْعُ والطَّاعَهْ

فقال عبدُ الله لغلامه: ادفع إليه دُرَّاعتي الخزّ ثم قال له: كيف لو ترى جبتي المنسوجةَ بالذهب التي اشتريتها بثلاثمائة دينارٍ! فقال له الشاعر: بأبي دعني أُغْفي إغفاءةً أُخرى فلعلي أرى هذه الجبة في المنام، فضحك منه وقال: يا غلام ادفع إليه جبّتي الوشي.

حدّثني أحمد قال يحيى: قال ابن دَأْبٍ: وسمِع قولَ الشماخ بنِ ضِرارٍ الثعلبيِّ في عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رحمه الله: [الرجز]

إنَّكَ يابنَ جَعْفَرٍ نِعْمَ الفَتَى ... وَنِعْمَ مَأْوَى طارقٍ إذا أَتَى
وجارِ ضيفٍ طَرَقَ الحَيَّ سُرَى ... صادَفَ زاداً وحديثاً يُشْتَهَى
إنَّ الحديثَ طَرَفٌ مِنَ القِرَى

فقال ابن دأب: العجب للشمّاخ يقول مثل هذا القول لابن جعفر ويقول لعرابة الأوسي: [الوافر]

إذا ما رايَةٌ رُفِعَتْ لِمَجْدٍ ... تَلَقَّاها عَرَابَةُ باليَمِينِ

عبد الله بنُ جعفر كان أحقّ بهذا من عرابة.

قال يحيى بن الحسن: وكان عبد الله بنُ الحسن يقول: كان أهلُ المدينة

---

(١) عساكر الليل: ظلمته.
(٢) الدرَّاعة: جبة مشقوقة المقدّم.

يدّانُون بعضُهم من بعض إلى أن يأتي عطاءُ عبد الله بن جعفر.

أخبرني أحمد قال: حدّثني يحيى قال: حدّثني أبو عبيد قال: حدّثنا يزيدُ بنُ هارونَ عن هشام عن ابن سِيرين قال: جلبَ رجلٌ إلى المدينة سُكَّراً فَكَسَدَ عليه فقيل له: لو أتيت ابنَ جعفر قبله منك وأعطاك الثَّمن، فأتى ابنَ جعفرٍ فأخبره، فأمره بإحضاره وبُسِطَ له، ثم أمرَ به فنُثِر، فقال للناس: انتهبوا، فلما رأى الناسَ ينتهبون قال: جعِلتُ فداءك! آخذ معهم؟ قال: نعم، فجعل الرجل يَهِيلُ في غرائره، ثم قال لعبد الله: أَعطني الثمنَ فقال: وكم ثمنُ سكّرك؟ قال: أربعة آلافِ درهم، فأمر له بها.

أخبرني أحمدُ قال: حدّثني يحيى بن علي، وحدّثني ابن عبد العزيز قال: حدّثنا أبو محمد الباهليُّ حسنُ بنُ سعيد عن الأصمعيِّ نحوه وزاد فيه، قال: فقال الرجل: ما يدري هذا وما يعقِلُ أخذَ أم أعطى! لأطلبَنَّهُ بالثمن ثانية، فغدا عليه فقال: ثمنُ سكّري، فأطرق عبدُ الله مليّاً ثم قال: يا غلامُ، أعطه أربعةَ آلاف درهم، فأعطاه إياها، فقال الرجل قد قلتُ لكم: إن هذا الرجلَ لا يعقل أخذ أم أعطى! لأطلبنّه بالثمن. فغدا عليه فقال: أصلحك الله! ثمنُ سكّري، فأطرق عبدُ الله مليّاً، ثم رفع رأسه إلى رجل، فقال: ادفع إليه أربعة آلاف درهم. فلما ولّى ليقبِضها قال له ابن جعفر: يا أعرابي، هذه تمام اثنيْ عشرَ ألفَ درهم، فانصرف الرجل وهو يعجب من فعله.

وأخبرني أبو الحسن الأسديُّ عن دَماذ عن أبي عبيدة: أن أعرابياً باع راحلةً من عبدِ الله بن جعفر، ثم غدا عليه فاقتضى ثمنها، فأمر له به، ثم عاوده ثلاثاً، وذكر في الخبر مثلَ الذي قبله وزاد فيه: فقال فيه: [البسيط]

لا خَيْرَ في الْمُجْتَدَى في الحينِ تسألُهُ فاسْتَمْطِروا مِنْ قُرَيْشٍ خَيْرَ مُخْتدعِ[1]
تَخالُ فِيهِ إذا حاوَرْتَهُ بَلَهاً مِنْ جُودِهِ وهْو وافِي العَقْلِ وَالوَرَعِ

وهذا الشعر يروى لابن قيسِ الرُّقيَّات.

(١) المجتدى: الذي تطلب جدواه، أي عطيته.

[وفاته وحزن الناس عليه ورثاؤهم له]

أخبرني الحَرَمِيُّ بنُ أبي العلاء والطوسِيُّ قالا: حدّثنا الزبير قال: حدّثني مصعبُ بنُ عثمان قال: لما ولِي عبدُ الملك الخلافة جفا عبدَ الله بنَ جعفر، فراح يوماً إلى الجمعة وهو يقول: اللّهمَّ إنك عوّدتني عادةً جريتُ عليها، فإن كان ذلك قد انقضى فاقبِضني إليك، فَتُوفِّي في الجمعة الأُخرى. قال يحيى: تُوفِّي عبد الله وهو ابنُ سبعين سنة في سنةِ ثمانين وهو عامُ الْجُحاف لسيلٍ كان بمكّة جَحَفَ الحاجَّ فذهب بالإبل عليها الحُمولةُ، وكان الوالي على المدينة يومئذٍ أبانُ بنُ عثمان في خلافة عبدِ الملك بنِ مروان، وهو الذي صلّى عليه.

حدّثنا أحمد بن محمد قال: أخبرني يحيى قال: حدّثنا الحسينُ بنُ محمد قال: أخبرني محمدُ بنُ مُكْرِم قال: أخبرني أحمدُ بنُ إبراهيم بن إسماعيلَ بنِ داودَ قال: أخبرني الأصمعي عن الجعفريّ قال: لمّا مات عبدُ الله بنُ جعفر شهده أهل المدينة كلُّهم، وإنّما كان عبدُ الله بنُ جعفر مأوى المساكينِ وملجأ الضعفاء، فما تنظر إلى ذي حِجىً إلاّ رأيته مُسْتَعْبِراً قد أظهر الهلعَ والجزعَ، فلما فرغوا من دفنه قام عمرو بن عثمان فوقف على شَفِير القبر فقال: رحمك الله يابنَ جعفر! إن كنتَ لرَحمك لواصلاً، ولأهل الشر لمبغضاً، ولأهل الريبة لقالياً، ولقد كنتَ فيما بيني وبينك كما قال الأعشى: [الطويل]

رَعَيْتَ الَّذي كانَ بيني وبينكم ... من الوُدِّ حتى غَيَّبَتْكَ المَقابِرُ

فرحِمك الله! يوم ولدتَ ويوم كنتَ رجلاً ويوم متَّ ويوم تُبعثُ حيّاً؛ والله لئن كانت هاشمٌ أُصِيبَتْ بك لقد عمّ قريشاً كلَّها هُلْكُك، فما أظنُّ أن يُرى بعدك مثلُك.

فقام عمرو بنُ سعيد بن العاص الأشدقُ فقال: لا إله إلاّ الله الذي يرث الأرضَ ومَنْ عليها وإليه تُرْجعون، ما كان أحلى العيشَ بك يابن جعفر! وما أسْمَجَ ما أصْبَحَ بعدك! والله لو كانت عيني دامعةً على أحد لدَمعتْ عليك، كان والله حديثُك غيرَ مشوب بكَذِب، ووُدُّك غيرَ ممزوج بكدر.

فوثب ابنٌ للمُغيرة بنِ نوفلٍ ـ ولم يُثبِت الأصمعيُّ اسمه ـ فقال: يا عَمْرو، بِمَنْ تُعرِّضُ بمزج الودّ وشَوْبِ الحديث؟ أفبابْنَيْ فاطمةَ؟ فهما والله خيرٌ منك ومنه،

فقال: على رَسْلِكَ يا لُكع[١]! أردتَ أن أُدخلكَ معهم؟ هيهات لستَ هُناكَ، والله لو متَّ أنتَ ومات أبوك ما مُدِحتَ ولا ذُممْتَ، فتكلم بما شئتَ فلن تجد لك مجيباً؛ فما هو إلا أن سمعهما الناسُ يتكلمان حتى حجزوا بينهما وانصرفوا. قال يحيى: وقال عبدُ الله بنُ قيس الرُّقيَّات في علة عبدِ الله بن جعفر التي مات فيها: [الخفيف]

بَاتَ قَلْبِي تَشُفُّهُ الأوجاعُ ... مِنْ هُمُومٍ تُجِنُّها الأضلاعُ[٢]
مِنْ حديثٍ سَمِعْتُهُ مَنَعَ النَّوْ ... مَ فَقَلْبِي مِمّا سمِعتُ يُراعُ[٣]
إذ أتانا بما كَرِهْنا أبو اللَّسْـ ... ـلاسِ، كانَتْ بِنَفْسِهِ الأوجاعُ
قالَ ما قالَ ثم راحَ سريعاً ... أدركتْ نفسَهُ المنايا السِّراعُ
قالَ يشكو الصُّداعَ وهو ثَقِيلٌ ... بكَ لا بالَّذِي عَنَيتَ الصُّداعُ
ابنَ أسْماءَ لا أبا لَكَ تَنْعَى ... أنَّهُ غيرُ هالكٍ نفَّاعُ
هاشميّاً بِكَفِّهِ من سِجالِ الـ ... ـمَجْدِ سَجْلٌ يهونُ فيه القُباعُ[٤]
نَشَرَ النّاسُ كلَّ ذلكَ منهُ ... شيمةَ المجدِ ليسَ فيه خِداعُ
لم أجِدْ بَعْدَكَ الأخِلاَّءَ إلاّ ... كَثِمادٍ بهِ قَذًى أو نِقاعُ[٥]
بَيْتُهُ من بُيوتِ عبدِ مَنافٍ ... مدّ أطنابَهُ المكانُ اليَفاعُ[٦]
مُنتهى الحَمْدِ والنُّبُوَّةِ والمَجْـ ... ـدِ إذا قَصَّرَ اللئامُ الوِضاعُ[٧]
فَسَتَأتِيكَ مِدحةٌ من كَرِيمٍ ... نالَهُ من نَدَى سِجالِكَ باعُ

من هذا الشعر الذي قاله ابن قيسٍ في عبد الله بن جعفر بيتان يغنّى فيهما، وهما:

(١) اللّكع: اللئيم.
(٢) شفه الحزن أو الوجع: ألمه، ولذعه، وأحرقه. وتُجِنّه الأضلاع: تستره وتخفيه.
(٣) يُراع: يفزع.
(٤) السّجال: جمع سجل، وهو الدلو المليئة. والقباع: مكيال كبير.
(٥) الثماد: الماء القليل. والنقاع: جمع نقع. وهو الغبار.
(٦) الأطناب: جمع طنب، وهو الحبلُ الذي يشد به السرادق، أو الخيمة. واليفاع: ما ارتفع من الأرض.
(٧) الوضاع: جمع وضيع، وهو الدنيء المحطوط القدر، ضد الشريف.

صوت

قد أتانا بما كرهنا أبو اللّـسـ ـلاس كانت بنفسه الأوجاعُ
قالَ يشكو الصُّداع وهو ثقيلٌ بكَ لا بالَّذِي ذَكَرْتَ الصُّداعُ

غَنَّاه عمرُو بنُ بانةَ خفيف ثقيل، الأوّل بالوسطى على مذهب إسحاق. ويقال إن عمرو بن بانة صاغ هذا اللحنَ في هذا الشعر وغنَّى به الواثقَ بعقب علّة نالته وصُداعٍ تشكّاه؛ قال: فاستحسنه وأمر له بعشرة آلاف درهم. وأمُّ معاوية بن عبد الله بن جعفر أمُّ ولد. وكان من رجالات قريش، ولم يكن في ولد عبد الله مثلُه.

حدّثنا محمد بنُ العباس اليزيديّ قال: حدّثنا أحمدُ بن الحارث الخرّازُ عن المدائنيّ عن أبي عبد الرحمٰن القرشيّ: أنّ معاوية بن عبد الله بنَ جعفر وِلِدَ وأبوه عبد الله عند معاوية، فأتاه البشير بذلك وعرف معاويةُ الخبرَ فقال: سمِّه معاويةَ ولك مائةُ ألفِ درهم، ففعل، فأعطاه المال، وأعطاه عبدُ الله للذي بشره به. قال المدائني: وكان عبد الله بن جعفر لا يؤدّب ولده، ويقول: إن يُرِدِ الله جلّ وعزّ بهم خيراً يتأدّبوا، فلم يُنْجِبْ فيهم غيرُ معاوية.

[بينه وبين ابن هرمة]

أخبرني محمدُ بنُ خلف وكيعٌ قال: حدّثنا هارون بنُ محمد بن عبد الملك الزيّات قال: حدّثنا حمادُ بنُ إسحاق عن أبيه، قال هارون وحدّثني محمدُ بنُ عبد الله بن موسى بن خالد بن الزبير بن العوّام قال: حدّثني عمرُو بنُ الحكم السَّعِيديُّ وإبراهيمُ بن محمد ومحمد بنُ معن بن عَنْبسةَ قالوا: كان معاوية بن عبد الله بن جعفر قد عوّد ابنَ هَرْمَة البِرَّ، فجاءه يوماً وقد ضاقت يدُه وأخذ خمسين ديناراً بدَينٍ، فرفع إليه مع جاريته رقعَةً فيها مديحٌ له يسأله فيه أيضاً بِرّاً، فقال للجارية: قولي له: أيدِينا ضَيِّقةٌ، وما عندنا شيءٌ إلاّ شيءٌ أخذناهُ بكُلْفَةٍ، فرجعتْ جاريتُه بذلك، فأخذ الرقعة فكتب فيها: [المتقارب]

فإنّي وَمَدْحَكَ غَيْرَ المُصِيـ ـبِ كالكَلْبِ ينبحُ ضَوْءَ القَمَرْ
مَدَحْتُكَ أرْجُو لديكَ الثَّوابَ فَكُنْتُ كعاصِرِ جَنْبِ الحَجَرْ

وبعث بالرقعة مَعَ الجاريةِ، فدفعتْها إلى معاوية، فقال لها: ويحكِ قد علِم بها أحدٌ! قالت: لا والله إنما دفعها من يده إلى يدي؛ قال: فخذي هذه الدنانير

فادفعيها إليه، فخرجت بها إليه، فقال: كلاّ أليس زَعَم أنه لا يدفع إليّ شيئاً؟

أخبرني الْحَرَمِيّ بنُ أبي العلاء والطوسيُّ قالا: حدّثنا الزبير قال: حدّثني عمّي مصعب قال: سمّى عبدُ الله بن جعفر ابنَه معاويةَ بمعاويةَ بن أبي سفيان. قال: وكان معاويةُ بنُ عبد الله بن جعفر صديقاً ليزيدَ بن معاوية خاصة، فسمى ابنه بيزيدَ بن معاوية.

[وصيته لابنه بعد وفاته]

قال الزبير: وحدّثني محمدُ بن إسحاق بن جعفر عن عمه محمد: أن عبد الله بنَ جعفر لما حضرته الوفاة دعا ابنه معاوية فنزع شَنْفاً[1] كان في أذنه وأوصى إليه - وفي ولدِه مَنْ هو أسنُّ منه - وقال له: إني لم أزلْ أُؤمِّلُك لها. فلما تُوُفي احتال بدَيْنِ أبيه وخرج فطلب فيه حتى قضاه، وقَسَمَ أموالَ أبيه بين وَلِده، ولم يستأثِر عليهم بدينار ولا درهم ولا غيرهما.

وأمُّ عبدِ الله بن معاوية أمُّ عون بنتُ عباس بنِ ربيعةَ بن الحارث بن عبدِ المُطَّلب. ويقال: بنت عياش بن ربيعة. وَقد روى عباسٌ عن النبيّ ﷺ وكان معه يومَ حنَيْنٍ، وهو أحد من ثَبَتَ معه يومئذٍ.

وكان عبدُ الله من فتيانِ بني هاشم وجُودَائهم وشعرائهم، ولم يكن محمودَ المذهب في دينه، وكان يُرمى بالزندقة ويستولي عليه من يُعرفُ ويُشْهَرُ أمرُه فيها، وكان قد خرج بالكوفة في آخر أيام مروان بنِ محمد، ثم انتقل عنها إلى نواحي الجبل ثم إلى خراسان، فأخذه أبو مسلم فقتله هناك.

ويكْنَى عبدُ الله بن جعفر أبا معاوية، وله يقول ابن هَرْمة: [الخفيف]

أُحْـبُ مَـدْحـاً أبـا مـعـاوِيَـةَ الـمـا ... جِـدَ لا تَـلْـقَـهُ حَـصُـوراً عَـيِـيّـا[2]

بـلْ كَـريـمـاً يـرتـاحُ لـلـمـجـدِ بـسّـا ... مـاً إذا هَـزَّهُ الـسّـؤالُ حَـيِـيّـا

إنَّ لِـي عـنـدهُ وإن رَغِـمَ الأعـ ... ـداءُ حـظّـاً مـن نـفـسِـه وقَـفِـيّـا

---

(١) الشنْف: حلي يلبس في أعلى الأذن. والقرط: حلي يلبس في أسفل الأذن. وقيل: الشنف والقرط سواء.

(٢) أحب مدحاً: امنح مدحاً. والحصور: البخيل، الضيق الصدر. والعييّ: العاجز.

ـ قفيا: أثرة، يقول: إن لي عنده لأثرة على غيري، وقال قوم آخرون: القفيّ: الكرامة ـ

إن أمُت تَبْقَ مِدْحَتِي وإخائِي ... وثنائي من الحياة مَلِيَّا
يأخذ السَّبْق بالتقدُّم في الجَرْ ... يِ إذا ما النَّدَى انتحاهُ عَلِيّا
ذو وفاءٍ عند العِداتِ وأوصا ... ه أبوهُ ألاَّ يَزالَ وَفِيّا
فَرَعَى عُقْدَةَ الوَصاةِ فأكْرِمْ ... بهما مُوصِياً وهذا وصِيّا
يابْنَ أسماءَ فاسقِ دَلْوِي فقد أو ... ردتُها مَنْهَلاً يَثُجُّ رَوِيّا[١]

يعني أمه أسماءَ، وهي أمُّ عون بنتُ العباس بن ربيعةَ بن الحارِث بن عبد المطلب. وأوّلُ هذه القصيدة:

عاتِبِ النَّفْسَ والفؤادَ الغَوِيَّا ... في طِلابِ الصِّبا فَلَسْتَ صَبِيّا

قال يحيى بن عليّ فيما أجازه لنا: أخبرني أبو أيوب المدينيُّ، وأخبرنا وكيعٌ عن هارونَ بن محمد بن عبد الملك عن حماد بن إسحاقَ عن أبيه قالا: مدح ابن هرْمة عبد الله بن جعفر بن أبي طالب فأتاه، فوجد الناس بعضَهم على بعض على بابه. قال ابن هَرْمة: ورآني بعض خدمه فعرفني، فسألته عن الذي رأيتُهم ببابه فقال: عامّتُهم غُرماءُ له، فقلت: ذاك شرٌّ. واستؤذِن لي عليه فقلت: لم أعلم والله بهؤلاء الغرماءِ ببابك، قال: لا عليك أنشِدْني. قلت: أُعيذُك بالله. واستحييت أن أُنشِد، فأبى إلا أن أُنشده قصيدتي التي أقول فيها: [الطويل]

حَلَلْتَ مَحَلَّ القَلْبِ من آلِ هاشم ... فعُشُّكَ مأوَى بَيْضِها المُتَفَلِّقِ
وَلَمْ تَكُ بالمُعْزَى إليها نِصابُهُ ... لِصاقاً ولا ذا المَرْكَبِ الْمُتَعَلِّقِ
فَمَنْ مِثْلُ عبدِ الله أو مثلُ جَعْفَرٍ ... وَمِثْلِ أبيكَ الأرْيَحِيِّ المُرَهَّقِ[٢]

فقال: مَنْ هاهنا من الغرماء؟ فقيل: فلانٌ وفلان، فدعا باثنين منهم فسارَّهما وخرجا، وقال لي: اتْبَعهما. قال: فأعطياني مالاً كثيراً. قال يحيى: ومن مختار مدحه فيه منها قوله: [الطويل]

فإلاَّ تُواتِ اليَومَ سَلْمَى فَرُبَّما ... شرِبنا بحوضِ اللَّهْوِ غَيْرِ المُرَنَّقِ

(١) يثج: يسيل. والرويّ: المليء.
(٢) المرهَّق: الكريم الذي يغشاه الناس.

فَدَعْها فقد أَعْذَرْتَ في ذِكْرِ وَصْلِها ... وأَجْرَيْتَ فيها شأْوَ غَرْبٍ ومَشْرِقِ[1]
ولكنْ لِعَبْدِ الله فانْطِق بِمدحةٍ ... تجيرُكَ من عُسْرِ الزمانِ المُطَبِّقِ
أَخٌ قلتُ للأَدْنَينَ لمّا مدحتُهُ ... هَلُمُّوا وساري الليل م الآنَ فاطْرُقِ
شديدُ التأنّي في الأمورِ مُجَرِّبٌ ... متى يَعْرُ أمرُ القَوْمِ يَفْرِ ويخلُقِ[2]
تَرَى الخيرَ يجري في أسِرَّةِ وجههِ ... كما لألأتْ في السَّيْفِ جِرْيَةُ رَوْنقِ[3]
كريمٌ إذا ما شاءَ عدَّ لَهُ أباً ... لهُ نَسَبٌ فوقَ السِّماكِ المُحَلِّقِ
وَأمّاً لَها فضلٌ على كلّ حُرَّةٍ ... متى ما تسابِقْ بابنها القَوْمَ تَسْبِقِ

ومما يغنى فيه من قصيدة ابن هرمة اليائيّة التي مدح بها ابن معاوية قوله:

صوت [الخفيف]

عَجِبَتْ جارتي لشيبٍ عَلاني ... عَمْرَكِ الله هَلْ رأيتِ بَدِيّا[4]
إنّما يُعْذَرُ الوليدُ ولا يُعْـ ... ـذَرُ من عاشَ في الزَّمان عَتِيّا[5]

غنّى فيهما فُلَيحٌ رملاً بالبنصرِ من روايةِ عمْرو بن بانةَ ومن روايةِ حبشٍ فيهما لابن محرزٍ خفيف ثقيل بالبنصر.

[خروجه على الأمويين ووقوعه في سجن أبي مسلم الخراساني]

حدّثنا بالسبب في خروجه أحمدُ بنُ عبيد الله بن عمارٍ قال: حدّثنا عليُّ بنُ محمد النوفليُّ عن أبيه وعمه عيسى، قال ابن عمار: وأخبرنا أيضاً ببعض خبره أحمدُ بن أبي خَيْثَمة عن مصعبٍ الزبيريّ، قال ابن عمار: وأخبرني أحمدُ بن الحارث الخرّازُ عن المدائنيِّ عن أبي اليقظانِ وشِهابِ بن عبد الله وغيرهما، قال ابن عمار وحدّثني به سليمانُ بن أبي شيخ عمن ذكره. قال أبو الفرج الأصبهاني: ونسخت أنا أيضاً بعضَ خبره من كتابِ محمد بن علي بن حمزة عن المدائني وغيره فجمعت معانيَ ما ذكروه في ذلك كراهةَ الإطالة، أنّ عبد الله بنَ معاويةَ قدِم

(١) أعذر: أتى العذر.
(٢) يفري: يقطع. ويخلق: يقدّر.
(٣) رونق السيف: صفاؤه.
(٤) البديّ: العجيب.
(٥) العتيّ: الكبير السنّ.

الكوفة زائراً لعبد الله بن عُمَرَ بن عبد العزيز ومستميحاً له، فتزوج بالكوفة بنتَ الشرقيّ بن عبد المُؤْمن بن شَبَث بن رِبْعِيٍّ الرياحيّ، فلما وقعت العصبية أخرجه أهلُ الكوفة على بني أمية، وقالوا له: أُخرُج فأنت أحقُّ بهذا الأمرِ مِنْ غيرك، واجتمعت له جماعةٌ، فلم يشعر به عبدُ الله بن عُمر إلا وقد خرج عليه. قال ابن عمارٍ في خبره: إنه إنما خرج في أيام يزيد بن الوليد[1]، ظهر بالكوفة ودعا إلى الرضا من آل محمدﷺ ولبس الصُّوفَ وأظهرَ سِيما الخَيْر، فاجتمع إليه وبايعه بعضُ أهل الكوفة، ولم يبايعه كلُّهُم وقالوا: ما فينا بَقِيّةٌ، قد قُتل جمهورنا مع أهلِ هذا البيتِ، وأشاروا عليه بقصدِ فارسَ وبلادِ المشرق فقبِل ذلك، وجمع جموعاً من النواحي، وخرج معه عبدُ الله بنُ العباس التميميُّ. قال محمدُ بنُ عليّ بن حمزة عن سليمانَ بن أبي شيخ عن محمد بن الحكم عن عَوانة: إن ابن معاوية قَبْلَ قَصْدِه المشرِقَ ظهر بالكوفة ودعا إلى نفسه، وعلى الكوفة يومئذٍ عاملٌ ليزيد الناقِص يقال له عبدُ الله بن عمر، فخرج إلى ظهر الكوفة مما يلي الحرَّة، فقاتل ابن معاوية قتالاً شديداً. قال محمدُ بن عليّ بن حمزة عن المدائنيّ عن عامر بن حفصٍ، وأخبرني به ابن عمار عن أحمد بن الحارث عن المدائني، أن ابن عمر هذا دسّ إلى رجل من أصحاب ابن معاوية مَنْ وعده عنه مواعيدَ على أن ينهزم عنه وينهزمَ الناسُ بهزيمته، فبلغ ذلك ابنَ معاوية، فذكره لأصحابه وقال: إذا انهزم ابن حمزة فلا يهولنكم، فلما التقوا انهزم ابن حمزة وانهزم الناسُ معه فلم يبق غير ابن معاوية، فجعل يقاتل وحده ويقول:

تَفَرَّقَتِ الظِّباءُ على خِداشٍ ... فما يَدْرِي خداشٌ ما يَصِيدُ

ثم ولى وجهه منهزماً فنجا، وجعل يجمع من الأطراف والنواحي مَن أجابه، حتى صار في عِدّة، فغلب على ماءِ الكوفة وماءِ البصرة[2] وهَمَذَان وقُمَّ والرَّيّ وقُومَسَ وأصبهَان وفارسَ، وأقام هو بأصبهان. قال: وكان الذي أخذ له البيعة بفارس محاربُ بن موسى مولى بني يَشْكُر، فدخل دار الإمارة بنعل ورداء واجتمع الناس إليه، فأخذهم بالبيعة؛ فقالوا: علام نبايع؟ فقال: على ما أحببتم وكرِهتم، فبايعوا على ذلك.

---

(١) يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان أحد خلفاء الأمويين، وكان يلقب بالناقص. توفي سنة ١٢٦ هـ.

(٢) ماءِ البصرة وماءِ الكوفة: الدينور ونهاوند (انظر معجم البلدان ٥/٣١٣).

وكتب عبد الله بن معاوية فيما ذكر محمدُ بنُ عليّ بن حمزة عن عبد الله بن محمد بن إسماعيل الجعفريّ عن أبيه عن عبد العزيز بن عِمران عن محمد بن جعفر بن الوليد مولى أبي هريرة ومحرزِ بن جعفر: أن عبد الله بن معاوية كتب إلى الأمصار يدعو إلى نفسه لا إلى الرضا من آل محمدﷺ، قال: واستعمل أخاه الحسن على إصْطَخْر، وأخاه يزيدَ على شِيرازَ، وأخاه علياً على كَرْمانَ، وأخاه صالحاً على قُم ونواحيها، وقَصَدَتْهُ بنو هاشم جميعاً منهم السّفاح والمنصورُ وعيسى بن عليّ. وقال ابن أبي خيثَمة عن مصعب: وقصده وجوهُ قريش من بني أمية وغيرهم، فمِمَّنْ قصده من بني أمية سليمانُ بنُ هشامِ بن عبد الملك وعمرُ بنُ سُهيل بن عبد العزيز بن مروان، فمن أراد منهم عملا قلّده، ومن أراد منهم صِلة وصله.

فلم يزل مقيماً في هذه النواحي التي غَلَبَ عليها حتى ولي مروانُ بنُ محمد الذي يقال له مروان الحِمار، فوجّه إليه عامرَ بن ضُبَارَة في عسكر كثيف، فسار إليه حتى إذا قرب من أصبهان ندب له ابن معاوية أصحابَه وحضهم على الخروج إليه، فلم يفعلوا ولا أجابوه، فخرج على دَهَشٍ هو وإخوته قاصِدين لخراسان ـ وقد ظهر أبو مسلم بها ونفى عنها نصر بن سيار ـ فلما صار في بعض الطريق نزل على رجل من التُّنَّاء[1] ذي مروءة ونعمة وجاهٍ، فسأله معونته، فقال له: من أنت مِنْ ولد رسول اللهﷺ؟ أأنت إبراهيـمُ الإمامُ الذي يُدْعى له بخراسان؟ قال: لا، قال فلا حاجة لي في نصرتك.

فخرج إلى أبي مسلم وطمِع في نصرته، فأخذه أبو مسلم وحبسه عنده، وجعل عليه عيناً يرفع إليه أخباره، فرفع إليه أنه يقول: ليس في الأرض أحمقُ منكم يا أهل خُراسان في طاعتكم هذا الرجل وتسليمكم إليه مقاليدَ أموركم من غير أن تراجِعوه في شيء أو تسألوه عنه، والله ما رضِيت الملائكةُ الكرام من الله تعالى بهذا حتى راجعته في أمر آدمَعليه السلام، فقالت: **﴿أتَجْعَلُ فِيها مَنْ يُفسِدُ فِيها ويَسْفكُ الدِّمَاءَ﴾**[2]. حتى قال لهم: **﴿إنّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾**.

ثم كتب إليه عبد الله بن معاوية رسالته المشهورة التي يقول فيها: «إلى أبي مسلم، من الأسير في يديه، بلا ذنب إليه ولا خلاف عليه. أما بعد، فإنك مستودَع ودَائع، ومُولِي صنائع؛ وإنّ الودائع مرعِيّةٌ، وإن الصنائع عارِيَّةٌ؛ فاذكر القصاص،

(١) التُّنّاء: جمع تانيء، وهو زعيم فلاحي العجم، أو رئيس الإقليم عندهم.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٣٠.

واطلب الخلاص؛ ونبِّه للفكر قلبَك، واتقِ الله ربَّك؛ وآثِر ما يلقاك غداً على ما لايلقاك أبداً؛ فإنك لاقٍ ما أسلفتَ، وغيرُ لاقٍ ما خلَّفْتَ؛ وفقك الله لما ينجيك، وآتاك شُكْرَ ما يُبلِيك»[١].

قال: فلما قرأ كتابه رمى به. ثم قال: قد أفسد علينا أصحابَنَا وأهلَ طاعتنا وهو محبوس في أيدينا، فلو خرج وملك أمرنا لأهلَكنا، ثم أمضى تدبيره في قتله. وقال آخرون: بل دسَّ إليه سمّاً فمات منه، ووجه برأسه إلى ابن ضبارة فحمله إلى مروان. فأخبرني عمر بن عبد الله العَتَكِيُّ قال: حدّثنا عن عمر بن شبة، قال: حدّثنا محمد بن يحيى أن عبد العزيز بن عمران حدثه عن عبد الله بن الربيع عن سعيدِ بن عمرو بن جَعْدة بن هُبيرةَ أنه حضر مروانَ يوم الزابِ وهو يقاتل عبد الله بن عليّ، فسأل عنه فقيل له: هو الشابُّ المُصْفرُّ الذي كان يسبُّ عبد الله بن معاوية يوم جيء برأسه إليك فقال: والله لقد هممتُ بقتله مراراً، كلُّ ذلك يُحال بيني وبينه، ﴿وكان أمرُ الله قَدَراً مقدوراً﴾[٢].

[علاقته بالزنادقة وأخباره في هذا المضمار]

حدّثني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدّثني النوفليّ عن أبيه عن عمه قال: كان عُمارة بنُ حمزة يُرْمى بالزندقة، فاستكتبه ابنُ معاوية، وكان له نديمٌ يعرف بمطيع بنِ إياسٍ، وكان زنديقاً مأبوناً، وكان له نديمٌ آخر يعرف بالبقليّ وإنما سمي بذلك لأنه كانَ يقول: الإنسان كالبقلة فإذا مات لم يرجع، فقتله المنصور لما أفضت الخلافة إليه[٣]. فكان هؤلاء الثلاثةُ خاصَّته، وكان له صاحبُ شُرْطة يقال له قيسٌ، وكان دهرياً[٤] لا يُؤمن بالله معروفاً بذلك، فكان يَعُسُّ[٥] بالليل فلا يلقاه أحد إلا قتله، فدخل يوماً على ابن معاوية فلما رآه قال: [الخفيف]

إنّ قيساً وإن تقنّع شَيْباً ... لخَبيثُ الهَوَى على شَمَطِهْ[٦]

---

(١) يبليك: ينعم عليك ويحسن إليك.
(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٣٨.
(٣) أفضت إليه الخلافة: آلت إليه.
(٤) الدهري: الملحد، الذي لا يؤمن باليوم الآخر، ويقول ببقاء الدهر.
(٥) يعسّ بالليل: يحرس بالليل ويسير في الشوارع والأحياء.
(٦) الشمط: بياض الشعر من الشيب.

ابنُ تِسْعِينَ مَنْظراً وَمَشِيباً وابْنُ عشرٍ يُعَدُّ في سَقَطِهْ

وأقبل على مطيع فقال: أجِز أنت، فقال: [الخفيف]

ولـه شُرْطةٌ إذا جَنَّهُ اللَّيـ ـلُ فَعُوذوا بالله مِنْ شُرَطِهْ

قال ابن عَمّارٍ: أخبرني أحمد بن الحارث الخرّازُ عن المدائني عن أبي اليَقْظان وشبابِ بن عبد الله وغيرهما، قال ابن عمار: وحدّثني به سليمان بن أبي شيخ عمن ذكره، أن ابن معاوية كان يغضب على الرجل فيأمرُ بضربه بالسياط وهو يتحدث ويتغافل عنه حتى يموت تحت السياط، وأنه فعل ذلك برجل، فجعل يستغيثُ فلا يلتفت إليه، فناداه: يا زنديقُ، أنت الذي تزعم أنّه يُوحَى إليك! فلم يلتفت إليه وضربه حتى مات.

حدّثني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدّثني النوفليّ عن أبيه عن عمه عيسى قال: كان ابن معاوية أقسى خلقِ الله قلباً، فغضِب على غلام له وأنا جالس عنده في غرفة بأصبهان، فأمر بأن يرمى به منها إلى أسفلَ، ففعِل ذلك به، فتعلّق بدَرابَزِين[1] كان على الغرفة، فأمر بقطع يده التي أمسكه بها، فقطعت ومر الغلامُ يَهوِي حتى بلغ إلى الأرض فمات.

وكان مع هذه الأحوال من ظرفاء بني هاشم وشعرائهم، وهو الذي يقول:

[المتقارب]

ألا تَزَعُ القلبَ عن جهله وعما تُؤنِّبُ من أجلِه[2]
فأُبدِل بعد الصبا حِلْمَه وأقْصَرَ ذو العَذْل عن عذلِه
فلا تركبنّ الصنيعَ الذي تلوم أخاك على مثلِه
ولا يعجِبنَّك قولُ امرئٍ يخالف ما قال في فعلِه
ولا تُتبِعِ الطَّرْفَ ما لاتَنال وَلٰكِنْ سَلِ اللّهَ مِنْ فَضْلِهِ
فَكَمْ مِنْ مُقِلٍّ ينالُ الغِنَى وَيَحْمَدُ في رِزْقِهِ كُلِّهِ

أنشدنا هذا الشعر له ابنُ عمار عن أحمد بن أبي خَيْثمة عن يحيى بن معِين. وذكر محمد بن عليّ العلويّ عن أحمد بن أبي خيثمةَ أن يحيى بنَ معين أنشده أيضاً

(١) الدرابزين: قوائم منتظمة يعلوها متّكأ.

(٢) وزَعَه: كفّه.

لعبد الله بن معاوية: [الطويل]

إذا افْتَقَرَتْ نَفْسِي قَصَرْتُ افْتقارَها عليها فلم يَظْهَرْ لَها أبَداً فَقْرِي
وإنْ تَلْقَني في الدَّهْرِ مَنْدُوحَةُ الغِنى يَكُنْ لأَخِلاّئي التَّوَسُّعُ في اليُسْر (١)
فلا العُسْرُ يُزْرِي بي إذا هُوَ نالني ولا اليُسْرُ يوماً إن ظَفِرتُ بهِ فَخْرِي

وهذا الشعر الذي غني به ـ أعني قوله:

وَعَيْنُ الرِّضا عَنْ كُلِّ عَيْبٍ كَلِيلَةٌ

يقوله ابن معاويةَ للحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب، وكان الحسين أيضاً سيّىء المذهب مطعوناً في دينه.

أخبرني أحمدُ بنُ عبد العزيز الجوهريُّ قال: حدّثني عليُّ بنُ محمد بن سليمان النوفليُّ قال: حدّثني إبراهيم بنُ يزيدَ الخشّاب قال: كان ابن معاوية صديقاً للحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب، وكان حسين هذا وعبد الله بنُ معاوية يُرْميان بالزندقة. فقال الناس: إنما تصافيا على ذلك، ثم دخل بينهما شيء من الأشياء فتهاجرا من أجله، فقال عبد الله بن معاوية: [الطويل]

وإنَّ حُسَيناً كانَ شيئاً مُلَفَّفاً فَمَحَّصَهُ التَّكْشِيفُ حَتَّى بدا لِيا
وَعَيْنُ الرِّضا عن كُلِّ عَيْبٍ كليلةٌ ولكنَّ عَيْنَ السُّخْطِ تُبْدِي المَساويا
وأنْتَ أخِي ما لَمْ تَكُنْ لِيَ حاجَةٌ فإنْ عَرَضَتْ أيقنتُ أن لا أخا ليا

وله في الحسين أشعارٌ كلُّها معاتبات، فمنها ما أخبرني به أحمدُ بن محمد بن سعيد بن عُقدة. قال: أنشدني يحيى بن الحسن لعبد الله بن معاوية؛ يقوله في الحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب: [الخفيف]

قُلْ لِذي الوُدِّ والصَّفاءِ حُسَيْنٍ اقْدُرِ الوُدَّ بَيْنَنا قَدَرَهْ
لَيْسَ لِلدّابغِ المُقَرِّظِ بُدٌّ من عِتابِ الأدِيمِ ذي البَشَرَهْ (٢)

---

(١) المندوحة: السعة.

(٢) قرظ الأديم: دبغه بالقرظ. وضمن البيت المثل القائل (إنما يُعاتب الأديمُ ذو البشرة). والمعاتبة هنا: المعاودة. وبشرة الأديم. ظاهره الذي عليه الشعر، أي أن ما يعاد إلى الدباغ من الأديم ما سلمت بشرته.

قال: وقال له أيضاً: [مجزوء الكامل]

إنّ ابْـنَ عَـمِّـكَ وابْـنَ أُمِّـ ـكَ مُـعْـلِـمٌ شـاكـي الـسِّـلاحِ[١]
يَـقِـصُ الـعَـدُوَّ وَلَـيْـسَ يَـرْ ضَى حِينَ يَبْطُشُ بالجناحِ[٢]
لا تَـحْـسَـبَـنَّ أذى ابْـنِ عَـمِّـ ـكَ شُـرْبَ ألـبـانِ الـلِّـقـاحِ
بَـلْ كـالـشَّـجـا تَـحْـتَ الـلَّـهـا ةِ إذا يُـسَـوَّغُ بـالـقَـرَاحِ[٣]
فـانْـظُـرْ لِـنَـفْـسِـكَ مَـنْ يُـجِـيـ ـبُـكَ تَـحْـتَ أطـرافِ الـرِّمـاحِ
مَـنْ لا يَـزالُ يَـسُـوءَهُ بـالـغَـيْـبِ أنْ يَـلْـحَـاكَ لاحِـي[٤]

[خبره مع جدّه عبد الحميد وتغنّي الموصليّ بشعره]

أخبرني الحرميّ والطوسيّ قالا: حدّثنا الزّبير، وحدّثني أحمد بن محمد بن سعيد قال: حدّثنا يحيى بن الحسن قال: حدّثنا الزبير قال: حدّثني محمد بن يحيى: أنَّ عبد الله بن معاوية مرّ بجدّه عبد الحميد في مزرعته بصَرام[٥] وقد عطش فاستسقاه، فخاض له سَويق[٦] لوزٍ فسقاه إياه، فقال عبد الله بن معاوية: [الوافر]

شَـرِبْـتُ طَـبَـرْزَذاً بـغـريـضِ مُـزْنٍ كـذوب الـثـلـج خـالـطـه الـرُّضـابُ[٧]

قال يحيى قال الزبير: الرضاب ماء المسك، ورضاب كل شيء: ماؤه. فقال عبد الحميد بن عبيد الله يجيبُ عبدَ الله بن معاوية على قوله: [الوافر]

مـا إنْ مـاؤُنـا بِـغَـرِيـضِ مُـزْنٍ وَلٰـكِـنَّ الـمِـلاحَ بِـكُـمْ عِـذابُ
ومـا إن بـالـطَّـبْـرِزْذ طـابَ لَـكِـنْ بِـمَـسِّـكَ لا بـهِ طـابَ الـشَّـرابُ
وأنْـتَ إذا وطِـئْـتَ تـرابَ أرضٍ يـطـيـبُ إذا مَـشَـيْـتَ بـهـا الـتُّـرابُ
لأنَّ نَـداكَ يُـطـفِـي الْـمَـحْـل عـنـهـا وتُـحـيـيـهـا أيـاديـكَ الـرِّطـابُ[٨]

---

(١) أعلم الفارس: جعل لنفسه علامة الشجعان. والشاكي: ذو الشوكة.
(٢) وقصه: كسره.
(٣) الشجا: ما اعترض في الحلق من عظم ونحوه. واللهاة: اللحمة المشرفة على الحلق. والقراح: الماء الخالص.
(٤) لحاهُ: لامه.
(٥) صَرام: رستاق. (انظر معجم البلدان ٣/ ٣٩٩).
(٦) خاض السويق: خلطه. والسويق: هو ما يتخذ من الحنطة والشعير.
(٧) الطبرزذ: السكر. والغريض: ماء المطر.
(٨) الْمَحْل: القحط والجدب.

قال هارون بن محمد بن عبد الملك الزَّيات، حدّثني حماد بن إسحاق عن أبيه عن جدّه إبراهيم الموصليّ قال: بينا نحن عند الرشيد أنا وابن جامع وعمرو الغزالُ إذ قال صاحب السِّتارة لابن جَامع: تَغَنَّ في شعر عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر، قال: ولم يكن ابنُ جامِع يغني في شيء منه، وفطنت لما أراد من شعره، وكنت قد تقدّمت فيه، فأُرتج على ابن جامع، فلما رأيت ما حلّ به اندفعت فغنّيت:

صوت

[المتقارب]

يُـهِـيـمُ بِـجُـمْـلٍ ومَـا إن يَـرَى ... لَـهُ مِـنْ سَـبِـيـلٍ إلـى جُـمْـلِـهِ
كَـأَن لَـمْ يَـكُـنْ عَـاشِـقٌ قَـبْـلَـهُ ... وَقَـدْ عَـشِـقَ الـنَّـاسُ مـن قَـبْـلِـهِ
فَـمِـنْـهُـمْ مَـنِ الـحُـبُّ أَوْدَى بِـهِ ... وَمِـنْـهُـمْ مَـن اشْـفَـى عَـلَـى قَـتْـلِـهِ[1]

فإذا يد قد رفعتِ السِّتارة، فنظر إليّ وقال: أحسنت والله! أعِد، فأعدته فقال: أحسنت! حتى فعل ذلك ثلاث مرّاتٍ، ثم قال لصاحب السِّتارة كلاماً لم أفهمه، فدعا صاحب السِّتارة غلاماً فكلمه، فمرّ الغلامُ يسعى فإذا بَدْرةٌ[2] دنانيرَ قد جاءت يحملها فرّاش، فوضِعَتْ تحت فخذِي اليسرى وقيل لي: اجعلها تكأتك، قال: فلما انصرفنا قال لي ابن جامع: هل كنتَ وضعت لهذا الشعر غناءً قبل هذا الوقت؟ فقلت: ما شعر قيل في الجاهلية ولا الإسلام يدخل فيه الغناء إلا وقد وضعتُ له لحناً خوفاً من أن ينزل بي ما نزل بك. فلما كان المجلسُ الثاني وحضرنا قال صاحب السِّتارة: يابن جامع، تغنّ في شعر عبد الله بن معاوية، فوقع في مثل الذي وقع فيه بالأمس، قال إبراهيم: فلما رأيت ما حلّ به اندفعت فغنيت:

صوت

يـا قَـوْم كـيـفَ سِـواغُ عَـيْـشٍ لَـيْـسَ تُـؤْمَـنُ فـاجِـعـاتُـهْ
لَـيْـسَـتْ تـزالُ مـطـلَّـةً ... تَـغْـدو عـلـيـكَ مُـنَـغِّـصـاتُـهْ
الـمَـوْتُ هَـوْلٌ داخِـلٌ ... يـومـاً عـلـى كُـرْهٍ أنـاتُـهْ

(١) أشفى على قتله: أقدم.
(٢) بَدْرَةُ دنانير: كمية كبيرة من المال. وقيل: كيس موضوع فيه المال.

لا بُدَّ لِلْحِذِرِ النُّفُو ... رِ مِن أن تَقَنَّصَهُ رُماتُهْ
قَدْ أمْنَحُ الوُدَّ الخَلِيـ ... ـلَ بغيرِ ما شَيْءٍ رَزاتُهْ(١)
وَلَهُ أُقِيمُ قَناةَ ودّ ... ي ما اسْتقامَتْ لي قَناتُهْ

قال: فأومأ إليّ صاحب السِّتارة أن أمسِك، ووضع يده على عينه كأنه يومىء إليّ أنه يبكي، قال: فأمسكت ثم انصرفنا، فقال لي ابن جامع: ما صبَّ أمير المؤمنين على ابن جعفر؟ قلتُ: صبَّه الله عليه لبَدْرَةِ الدنانير التي أخذتُها. قال: ثم حضر بعد ذلك، فلما اطمأنّ بنا مجلسنا قال ابن جامع بكلام خفيّ: اللهم أنْسِه ذِكْرَ ابن جعفر، قال فقلت: اللهم لا تستجِب، فقال صاحبُ السِّتارة: يابن جامع تَغَنَّ في شعر عبد الله بن معاوية، قال: فقال ابن جامع: لو كان عندهم في عبد الله بن معاوية خيرٌ لطار مع أبيه(٢) ولم يُقْبِل على الشعر، قال إبراهيم: فسمعنا ضحكة من وراء السِّتارة. قال إبراهيم: فاندفعت أُغني في شعره: [المتقارب]

سلا ربَّةَ الخِدْرِ ما شأنُها ... وَمِنْ أيِّما شأنِنا تَعْجَبُ؟
فَلَسْتُ بأوَّلِ مَنْ فاتَهُ ... على إرْبِهِ بَعْضُ ما يَطْلُبُ(٣)
وكائِنْ تَعَرَّضَ مِنْ خاطِبٍ ... فَزُوِّجَ غَيْرَ الَّتي يَخْطُبُ
وأُنكِحَها بَعْدَهُ غَيْرُهُ ... وكانَتْ له قَبْلَهُ تُخْجَبُ
وكنّا حَدِيثاً صَفِيَّيْن لا ... نَخافُ الوُشاةَ وما سَبَّبُوا
فإن شطَّتِ الدار عَنّا بِها ... فَبانَتْ وفي النّاسِ مسْتَعتَبُ(٤)
وَأصْبَحَ صَدْعُ الَّذي بَيْنَنا ... كَصَدْعِ الزُّجاجةِ ما يُشْعَبُ(٥)
وكالدَّرِّ لَيْسَتْ لَهُ رَجْعَةٌ ... إلى الضَّرْعِ مِن بَعْدِ ما يُحْلَبُ(٦)

غَنَّى في البيتين الأوّلين إبراهيمُ الموصليُّ خفيف ثقيل الأوّل بالوسطى من روايةِ أحمدَ بن يحيى المكّي ووجدتهما في بعض الكتب خفيف رملٍ غيرَ منسوب. قال: فقال لي صاحب السِّتارة: أعِد فأعدته، فأحسِب أميرَ المؤمنين نظر إلى ابن

(١) رزاته: أصله رزأته. ورزأه ماله: أي أصاب منه شيئاً.
(٢) يريد جدّه جعفر بن أبي طالب. وكان يلقب بالطيّار وبذي الجناحين.
(٣) الإرْب: العقل والدهاء.
(٤) شطَّت: بعدت. والمستعتب: الاسترضاء.
(٥) لا يُشْعَب: لا يُصلح.
(٦) الدَّرُّ: اللبن.

جامع كاسفَ البالِ[١]، فأمر له بمثل الذي أمر لي بالأمس، وجاءُوني بِبَدْرة دنانير فوضِعت تحت فخذِي اليسرى أيضاً، وكان ابنُ جامع فيه حسد ما يستتِر منه، فلما انصرفنا قال: اللهم أرِحنا من ابنِ جعفرٍ هذا، فما أشدَّ بُغْضِي له، لقد بَغَّضَ إليّ جدّه، فقلت: ويحك! تدري ما تقول! قال: فمن يدري ما يقول؟ إذاً لودِدتُ أني لم أر إقباله عليك وعلى غنائك في شعر هذا البغيض ابن البغيضة، وأني تصدّقت بها ـ يعني البَدْرَة.

وهذا الصوت الأخير يقول شعره عبد الله بن معاوية في زوجته أم زيد بنت زيد بن علي بن الحسين عليه السلام، أخبرني الطوسيّ والحرميّ قالا: حدّثنا الزبير بن بكّار عن عمه قال:

خطب عبدُ الله بنُ معاوية رُبَيْحَةَ بنتَ محمد بن عبد الله بن عليّ بن عبد الله بن جعفر، وخطبها بكّارُ بن عبد الملك بن مروان، فتزوّجت بكاراً، فشمِتت بعبد الله امرأتُه أمّ زيد بنتُ زيد بن علي بن الحسين، فقال في ذلك: [المتقارب]

سَلا ربَّةَ الخِدْرِ ما شأنُها ... وَمِنْ أَيِّما شأنِنا تَعْجَبُ

فقال ابن أبي خيثمة في خبره عن مصعب قالت له: والله ما شمِتُّ ولكني نَفِست[٢] عليك، فقال لها: لا جَرَمَ[٣]، والله لا سُؤْتُكِ أبداً ما حييتُ:

صوت

[الكامل]

طافَ الخيالُ مِنِ أُمِّ شَيْبَةَ فاعْتَرَى ... وَالقَوْمُ مِنْ سنةٍ نَشاوَى بالكَرَى[٤]
طافَتْ بِخُوصٍ كالقِسِيّ وَفِتْيَةٍ ... هَجَعوا قليلاً بعد ما مَلُّوا السُّرَى[٥]

الشعر لأبي وَجْزة السعديّ، والغناء لإسحاق، ثقيل أوّل بالبنصر.

---

(١) كاسِفُ البال: حزين.
(٢) نَفِست عليك: أي لم أرها أهلاً لك.
(٣) لا جَرَمَ: يريد هنا: حقاً.
(٤) نشاوى: جمع نشوان: وهو السكران.
(٥) الخُوص: جمع أخوص: وهو الغائر العينين.

أخبارُ أبي وجزة ونسبه

[توفي ١٣٠ هـ/ ٧٤٧ م]

[اسمه ونسبه وولاؤه]

اسمه يزيدُ بنُ عُبيد فيما ذكره أصحاب الحديث. وذكر بعض النسابين أنّ اسمه يزيد بن أبي عبيد، وأنه كان له أخ يقال له عبيد، وانتسب إلى بني سعد بن بكر بن هوازن لولائه فيهم.

وأصله من سُليم من بني ضبيس بن هلال بن قُدَم بن ظَفَر بن الحارث بن بُهْثة بن سُليم؛ ولكنه لحِق أباه وهو صبي سِباءٌ في الجاهلية، فبيع بسوق ذي المجَاز[1] فابتاعه رجل من بني سعد، واستعبده، فلما كبِر استعدى عمر رضي الله عنه وأعلمه قصته، فقال له: إنه لا سِباء على عربيّ، وهذا الرجل قد امتنّ عليك فإن شئت فأقم عنده، وإن شئت فالحق بقومك، فأقام في بني سعْد وانتسب إليهم هو وولده.

وبنو سعد أظآرُ[2] رسول اللهﷺ، كان مُسْتَرْضَعاً فيهم عند امرأةٍ يقال لها حليمة، فلم يزل فيهمﷺ حتى يَفَعَ، ثمّ أخذه جدّه عبد المطلب منهم فردّه إلى مكة، وجاءته حليمةُ بعد الهجرة، فأكرمها وبَرَّها وبسط لها رداءه فجلست عليه. وبنو سعد تَفْتَخِرُ بذلك على سائر هوازن، وحقيقٌ بكل مَكْرُمَةٍ وفخرٍ من اتصل منه رسول اللهﷺ بأدنى سبب أو وسيلةٍ.

أخبرني بخبره الذي حكيتُ جملاً منه في نسبه وولائه أبو دُلَف هاشمُ بنُ

(١) ذو المجاز: موضع سوق بعرفة على ناحية كبكب. (معجم البلدان ٥/ ٥٥).

(٢) أظآر: جمع ظئر، وهي المرضعة ولد غيرها العاطفة عليه. الذكر والأنثى سواء.

محمد الخزاعيُّ قال: حدّثنا عيسى بن إسماعيل العَتَكِيُّ قال: حدّثنا محمدُ بنُ سلاّم الجمحيُّ عن يونس. وأخبرني أبو خليفةَ فيما كتب به إليّ عن محمد بن سلاّم عن يونس. وأخبرني به عمي عن الكُرَانيّ عن الرِّيَاشيّ عن محمد بن سلام عن يونس وأخبرني عليّ بن سليمان الأخفشُ عن أبي سعيدٍ السكّري عن يعقوب بن السِّكيت قالوا جميعاً سوى يعقوب:

كان عبيدٌ أبو أبي وجزَة السعديُّ عبداً بِيع بسوق ذي المجاز في الجاهلية فابتاعه وُهَيبُ بن خالدِ بنِ عامر بنِ عُمَير بنِ ملاّنَ بنِ ناصِرة بنِ فُصَيَّةَ بنِ نصرِ بنِ سعدِ بنِ بكر بنِ هوازن، فأقام عنده زماناً يرعى إبله، ثم إن عبيداً ضرب ضَرْعَ ناقة لمولاه فأدماه فلطم وجهه، فخرج عبيدٌ إلى عمرَ بن الخطاب رضي الله عنه مستعدياً فلما قدِم عليه قال: يا أمير المؤمنين، أنا رجلٌ من بني سُلَيْم، ثم من بني ظَفَر أصابني سِباء في الجاهلية كما يصيب العرب بَعْضَها من بعض، وأنا معروفُ النسب، وقد كان رجل من بني سعد ابتاعني، فأساء إليّ وضرب وجهي، وقد بلغني أنه لا سِباء في الإسلام، ولا رِقَّ على عربيّ في الإسلام. فَمَا فَرَغَ مِنْ كلامه حتّى أتى مولاه عمرَ بن الخطاب رضي الله تعالى عنه على أثره، فقال: يا أمير المؤمنين، هذا غلامٌ ابتعتُهُ بذي المَجاز، وقد كان يقومُ في مالي، فأساء فضربتُه ضربة والله ما أعلَمُني ضربتُه غيرها قطّ، وإن الرجل ليضرب ابنَه أشدَّ منها فكيف بعبده، وأنا أُشهِدك أنه حرٌّ لوجه الله تعالى، فقال عمر لعبيد: قد امتنّ عليك هذا الرجل، وقطع عنك مؤنة البيّنة، فإن أحببت فأقم معه، فله عليكَ مِنّة، وإن أحببت فالْحَقْ بقومك، فأقام مع السعديِّ وانتسب إلى بني سعدِ بنِ بكر بن هوازن، وتزوّج زينبَ بنتَ عُرفُطة الْمُزَنِيَّة، فولدت له أبا وجزة وأخاه، وقال يعقوب: «وأخاه عبيداً» وذكر أن أباهما كان يقال له أبو عبيد، ووافق من ذكرتُ روايتَه في سائر الخبر، فلما بلغ ابناه طالباهُ بأن يَلْحق بأصله ويَنْتَمِي إلى قومه من بني سليم، فقال: لا أفعلُ ولا أَلْحَقُ بهم فيعيروني كلَّ يوم ويدفعوني، وأترك قوماً يُكْرموني ويشرِّفوني، فوالله لئن ذهبتُ إلى بني ظَفَرٍ لا أرعى طُمَّة، ولا أرِد جَمَّة، إلا قالوا لي: يا عبدَ بني سعدٍ قال: وطُمّة: جبل لهم. فقال أبو وجزة في ذلك: [الكامل]

أنْمَى فَأعْقِلُ في ضَبِيسٍ مَعقلاً ضخماً مناكِبُهُ تَمِيمَ الهادِي[1]

(١) انمى: أنسب. وأعقل: ألجأ إلى معقل. والتميم: التامّ. والهادي: العنق.

والـعَـقْـدُ فـي مَـلأَنَ غَـيْـر مُـزَلَّـجٍ بِـقُـوىً مَـتِـيـنـاتِ الـحِـبـالِ شِـدَادِ[١]

[أبو وجزة تابعي راوٍ للحديث]

وكان أبو وجزَة من التابعين، وقد روى عن جماعة من أصحاب رَسُولِ اللهﷺ، ورأى عُمَرَ بنَ الخطاب رضي الله عنه، ولم يسنِد إليه حديثاً؛ ولكنه حدّث عن أبيه عنه بحديث الاستسقاء، ونقل عنه جماعة من الرواة.

أخبرني محمد بن خَلَف وكيع وعمي قالا: حدّثنا عبد الله بن شبيب قال: حدّثني إبراهيم بن حمزة قال: حدّثني موسى بنُ شَيْبَة قال:

سمعتُ أبا وجزة السعديَّ يقول: قال رسولُ اللهﷺ: **«ليسَ شعرُ حَسّانَ بن ثابتٍ ولا كَعْبِ بن مالكٍ ولا عَبْدِ الله بن رَواحَةَ شعراً، ولكنه حِكْمَةٌ»**.

فأما خبرُ الاستسقاء الذي رواه عن أبيه عن عمر فإن الحسنَ بنَ عليّ أخبرنا به قال: حدّثنا محمد بنُ القاسم قال: حدّثني عبدُ الله بن عمرو عن علي بن الصبّاح عن هشام بن محمد عن أبيه عن أبي وجزة السعديّ عن أبيه قال:

شهِدتُ عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وقد خرج بالناس ليستسقِيَ عامَ الرَّمادة؛ فقام وقام الناس خلفه، فجعل يستغفِرُ الله رافعاً صوتَه لا يزيد على ذلك؛ فقلت في نفسي: ما له لا يأخذ فيما جاء له؛ ولم أعلم أنّ الاستغفار هو الاستسقاء فما برحنا حتى نشأت سحابة وأظلّتنا، فسقي الناس، وقَلَدَتْنا[٢] السماء قَلْداً، كل خمس عشرة ليلة، حتى رأيت الأَرِينة[٣] تأكلها صِغارُ الإبل من وراء حِقاقِ العُرْفُط.

وأخبرني أبو الحسن الأسديّ وهاشمُ بن محمد الخزاعيّ جميعاً عن الرياشيّ عن الأصمعيّ عن عبد الله بن عمر العُمَريّ عن أبي وجزة السعديّ عن أبيه، وذكر الحديث مثله. وأخبرني به إبراهيمُ بنُ أيوب عن عبد الله بن مسلم بن قتيبةَ، واللفظ متقارِب وزاد الرِّيَاشيّ في خبره: فقلت لأبي وجزة: ما حِقاق العُرْفُط؟ قال: نبات سنتين وثلاث. وزاد ابن قتيبة في خبره عليهم قال: ومات أبو وجزة سنة ثلاثين ومائة.

(١) المزلّج: الذي لم تبالغ فيه ولم تحكمه.

(٢) قلدتنا السماء: مطرتنا. والقِلد: الحظ من الماء.

(٣) الأرينة: نبات عريض الورق.

وهو أحد من شبَّب بعجوزٍ حيث يقول:

يا أيُّها الرَّجُلُ المُوَكَّلُ بالصِّبا ... فيمَ ابنُ سَبْعِينَ المُعَمَّرُ مِنْ دَدِ؟[1]
حَتّامَ أنْتَ مُوَكَّلٌ بِقَدِيمَةٍ ... أمْسَتْ تَجَدَّدُ كاليَماني الجَيِّدِ
زانَ الجَلالُ كَمالَها وَرَسا بِها ... عَقْلٌ وفاضِلَةٌ وَشِيمَةُ سَيِّد
ضَنَّتْ بِنائِلِها عليكَ وأنتما ... غِرّانِ في طَلَبِ الشبابِ الأغْيَدِ[2]
فالآنَ تَرْجُو أن تُثيبَكَ نائلاً ... هيهاتَ! نائلُها مكانَ الفَرْقَدِ[3]

وأخبرنا الحرميّ بن أبي العلاء والطوسيّ جميعاً قالا: حدّثنا الزبير بن بكار قال: حدّثني محمدُ بن الحسن المخزوميّ عن عبد الرحمٰن بن عبد الله عن أبيه عن أبي وجزة السعديّ عن أبيه قال: استسقى عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، فلما وقف على المنبر أخذ في الاستغفار، فقلت: ما أراه يعمل في حاجته! ثم قال في آخر كلامه: اللهمَّ إني قد عجزتُ وما عندكَ أوسعُ لهم. ثم أخذ بيد العباس رضي الله تعالى عنه، ثم قال: وهذا عمّ نبيّكَ، ونحنُ نتوسل إليكَ به. فلما أراد عمر رضي الله تعالى عنه أن ينزلَ قَلَب رداءه، ثم نزل فتراءى الناس طُرَّةً[4] في مغرب الشمس، فقالوا: ما هذا! وما رأينا قبلَ ذلك قَزَعة سحاب[5] أربع سنين؟ قال: ثم سمِعنا الرعد، ثم انتشر، ثم اضطرب، فكان المطر يقلِدنا قَلْداً في كل خمس عشرة ليلة، حتى رأيت الأرِينَة خارجة من حِقاق العُرْفُط تأكلها صغار الإبل.

[بعض شعره في المديح وغيره وأخباره]

أخبرني الحرميّ بنُ أبي العلاء قال: حدّثنا الزبير بن بكار قال: حدّثني عمي عن جدّي قال: خرج أبو وَجْزة السعدي وأبو زيد الأسلميّ يريدان المدينة، وقد امتدح أبو وجزة آل الزبير، وامتدح أبو زيد إبراهيم بن هشام المخزوميّ، فقال له أبو وجزة: هل لك في أن أشاركك فيما أصيب من آل الزبير، وتشارِكني فيما تصيب من إبراهيم؟ فقال: كلا والله، لرَجائي في الأمير أعظم من رجائك في آل

(١) الدَّد: اللهو، اللعب.
(٢) ضنت: بخلت.
(٣) الفرقد: نجم.
(٤) الطّرّة: الطريقة في السحاب.
(٥) قزعة سحاب: قطعة سحاب.

الزبير. فقدِما المدينة، فأتى أبو زيد دار إبراهيم، فدخلها وأنشد الشعر وصاح وجلَب؛ فقال: إبراهيم لبعض أصحابه؛ أُخرج إلى هذا الأعرابي الجِلف فاضربه وأخرجه، فأُخرج وضرب. وأتى أبو وجزة أصحابه فمدحهم وأنشدهم، فكتبوا له إلى مال لهم بالفُرع[1] أن يعطى منه ستين وَسْقاً[2] من التمر، فقال أبو وجزة يمدحهم: [البسيط]

راحَتْ قَلُوصي رواحاً وهي حامدة | آلَ الزُّبَيْرِ ولم تَعْدِل بهم أحَدا
راحَتْ بستينَ وَسْقاً في حَقِيبَتِها | ما حُمِّلَتْ حِمْلَها الأدْنَى والسَّدَدا[3]
ذاكَ القِرَى لا كأقْوامٍ عَهِدْتُهُم | يَقْرُونَ ضَيْفَهُمُ المَلْوِيَّةَ الجُدُدا

يعني السياط.

قال أبو الفرج الأصفهاني: قول أبي وجزة:

راحت بستّين وسقاً في حقيبتها

أنها حملت ستّين وَسْقاً ولا تحمل ناقة ذلك ولا تُطيقه ولا نصفه، وإنما عَنَى أنه انصرف عنهم وقد كتبوا له بستين وسقاً فركِب ناقته والكِتاب معه بذلك قد حملتْه في حقيبتها، فكأنّها حاملة بالكتاب ستّين وَسْقاً، لا أنها أطاقت حَمْلَ ذلك. وهذا بيت معنى يُسأل عنه.

وقال يعقوب بن السكيت فيما حكيناه من روايته التي ذكرها الأخفش لنا عن السكري في شعر أبي وجزة وأخباره: كان أبو وجزة قد جاور مُزَيْنة، وانتجع بلادهم لِصهْره فيهم، فنزل على عمرو بن زياد بن سُهَيْل بن مُكَدَّم بن عُقَيل بن وهب بن عمرو بن مُرَّة بن مازن بن عوف بن ثور بن هُذْمة بن لاطم بن عثمان، فأحسن عمرو جِواره وأكرم مثواه، فقال أبو وجزة يمدحه: [الطويل]

لمن دِمنةٌ بالنَّعْفِ عافٍ صَعِيدُها | تَغَيَّرَ باقِيها ومَحَّ جَدِيدُها[4]
لِسَعْدَةَ من عام الهَزِيمَةِ إذْ بنا | تَصافٍ وإذْ لَمَّا يَرُعْنا صُدُودُها
وإذْ هِيَ أمَّا نَفْسُها فأرِيبَة | لِلَهْوٍ، وأمّا عن صِباً فتَذُودُها

(١) الفرع: قرية من نواحي المدينة على طريق مكة. (معجم البلدان ٤/ ٢٥٢).
(٢) الوسق: حمل بعير.
(٣) السَّدَد: الوفق.
(٤) النعف: موضع (انظر معجم البلدان ٥/ ٢٩٣). والعافي: الدارس، الممحوّ. ومَحّ: بلي.

تَـصَـيَّـدُ أَلْـبـابَ الـرِّجـالِ بِـدَلِّـهـا وَشِيمَتُها وَحْشِيَّةٌ لا نَصِيدُها[١]
كَباسِقَةِ الوَسْمِيِّ ساعَةَ أَسْبَلَتْ تلألأ فيها البرقُ وابْيَضَّ جِيدُها[٢]

ـ الباسقة: التي فضلت غيرها من الغمام وطالت عليه، قال الله تبارك وتعالى: ﴿والنَّخلَ بَاسِقاتٍ﴾[٣].

كَبِكْرٍ تُراني فَرْقَدينِ بِقَفْرَةٍ مِنَ الرملِ أو فَيْحانَ لم يَعْسُ عُودُها[٤]
لِعَمْرِو النَّدَى عَمْرِو بنِ آلِ مُكَدَّمٍ كَثِيرُ عِلِيّاتِ الأمُورِ جَلِيدُها
فتًى بينَ مَسْروجٍ وآلِ مُكَدَّمٍ وعمرٌو فتى عثمانَ طُرّاً وسِيدُها[٥]
حَلِيم إذا ما الجَهْلُ أَفْرَطَ ذا النُّهَى على أَمْرِهِ، حامِي الحَصاةِ شَدِيدُها[٦]
وما زالَ يَنْحُو فِعْلَ مَنْ كانَ قَبْلَهُ مِنَ ابنائِهِ يَجْني العُلا ويُفِيدُها
فَكَمْ من خَلِيلٍ قد وَصَلْتَ وطارقٍ وَقَرَّبْتَ مِنْ أَدْماءَ وارٍ قَصِيدُها[٧]
وذي كُرْبَةٍ فَرَّجتُ كُرْبَةَ هَمِّهِ وَقَدْ ظَلَّ مُسْتَدّاً عليهِ وَصِيدُها[٨]

أخبرني عمي قال: حدّثني العَنَزي قال: حدّثنا محمد بن معاوية عن يعقوب بن سلام بن عبد الله بن أبي مسروج قال: تزوّج أبو وجزة السعديُّ زينب بنت عُرْفُطة بن سهلٍ بن مكدَّم المزنيّة فولدت له عُبيداً وكانت قد عَنَّسَتْ، وكان أبو وجزة يُبغضها، وإنما أقام عليها لشرفها، فقال لها ذات يوم: [الرجز]

أَعْطَى عُبَيْداً وَعُبَيْدٌ مَقْنَعُ مِن عِرْمِسٍ مَحْزِمُها جَلَنْفَعُ[٩]
ذاتِ عَساسٍ ما تَكادُ تَشْبَعُ تَجْتَلِدُ الصَّحْنَ وما إنْ تَبْضَعُ[١٠]

---

(١) تَصَيَّدُ: تتصيد، حذف تاء المضارعة. والدّل: الدلال.
(٢) الوسمي: مطر الربيع الأول. وأسبلت: مطرت.
(٣) سورة ق، الآية: ١٠.
(٤) البقرة البكر: البقرة الفتية. وتراني: تديم النظر. وفيحان: أرض. والفرقد: ولد البقرة، وعسا: يبس.
(٥) السِّيد: هنا الأسد.
(٦) أفرطه: أعجله. والحصاة: العقل.
(٧) وارٍ: سمين. والقصيد: سنام الناقة.
(٨) الوصيد: فناء الدار.
(٩) العرمس: الناقة الصلبة الشديدة. والمحزم: ما وضع عليه الحزام. والجلنفع: الواسعة البطن.
(١٠) العَساس: جمع عُسّ، وهو القدح الضخم. وتجتلد الصحن: لا تترك فيه شيئاً. وتبضع: ترتوي.

تَــمـــرُّ فـــي الـــدّارِ ولا تَـــوَرَّعُ كـأنَّـهـا فِـيـهِـمْ شُـجـاعٌ أقْـرَعُ[١]

فقالت زينب أمّ وجزة تجيبه: [الرجز]

أعْـطَـى عُـبـيـداً مِنْ شُيَيْخٍ ذي عَجَرْ لا حَسَنِ الوَجْهِ ولا سَمْحٍ يَسَرْ[٢]
يَشْرَبُ عُسَّ المَذْقِ في اليومِ الخَصِرْ كـأنَّـمـا يَـقْـذِفُ في ذاتِ السُّعُرْ[٣]
تَـقـاذُفَ الـسَّـيْـلِ مـنَ الـشُّـعْـبِ الـمُـضِـرْ[٤]

قال: وقال أبو وجزة لابنه عُبيد: [الرجز]

يَـا راكـبَ الـعَـنْـسِ كَـمِـرْداةِ الـعَـلَـمْ أصْـلَـحَـكَ الله وأدْنَـى وَرَحِـمْ[٥]
إنْ أنْـتَ أبْـلَـغْـتَ وَأدَّيْـتَ الـكَـلِـمْ عَـنّـى عُـبـيـدُ بـن يـزيـدَ لَـوْ عَـلِـمْ
قـد عَـلِـمَ الأقـوامُ أن سَـيَـنْـتَـقِـمْ مِـنْـكَ ومـن أمّ تـلَـقَّـتْـكَ وَعَـمْ
رَبٌّ يُـجـازِي الـسَّـيِّـئـاتِ مَـن ظَـلَـمْ أنـذرْتُـكَ الـشَّـدَّةَ مِـن لَـيْـثٍ أضِـمْ[٦]
عـادٍ أبـي شِـبْـلَـيْـنِ فَـرْفـارٍ لَـحِـمْ فـارْجِـعْ إلـى أمِّـكَ تُـفْـرِشْـكَ ونَـمْ[٧]
إلـى عَـجُـوزٍ رأسُـهـا مِـثْـلُ الإرَمْ وَاطْـعَـمْ فـإنّ الله رَزَّاقُ الـطُّـعَـمْ[٨]

فقال عبيد لأبيه: [الرجز]

دَعْـهـا أبـا وَجْـزَةَ واقْـعُـدْ فـي الـغَـنَـمْ فَـسَـوْفَ يـكـفـيـكَ غـلامٌ كـالـزَّلَـمْ[٩]
مُـشَـمِّـرٌ يُـرقِـلُ فـي نَـعْـلٍ خَـذِمْ فـي قَـفـاهُ لُـقْـمَـةٌ مـن الـلُّـقَـمْ[١٠]
قَـدْ ولَّـهَـتْ ألآفَـهـا غَـيْـرَ لَـمَـمْ حـتَّـى تـنـاهَـتْ في قَفا جَعدٍ أحَـمْ[١١]

---

(١) لا تتورع: لا تتحرج. والشجاع: ضرب من الحيات دقيق كثير السمّ. والشجاع الأقرع: الذي تمعط جلد رأسه لكثرة سمه وطول عمره.
(٢) العَجَر: عظم البطن.
(٣) المذق: اللبن المخلوط. واليوم الخصر: البارد. وذات السعر: النار.
(٤) الشُّعب: مسيل الماء في بطن الأرض، والمضرّ: القريب الداني.
(٥) المرداة: الحجر الثقيل. والعلم: الجبل.
(٦) الشّدّة: الحملة الشديدة. والليث الأضم: الأسد الغضبان.
(٧) الشبل: ابن الأسد. والفرفار: الذي يفرفر الشيء أي يكسره ويحطمه.
(٨) الإرم: الحجارة.
(٩) الزَّلم: القدح الذي لا ريش عليه.
(١٠) أرقل: أسرع في سيره. والخَذِم: المقطّع.
(١١) ولهت: أحزنت، حيّرت. واللمم: الجنون. والجعد: البخيل اللئيم. والأحم: الأسود كالحمم.

قال يعقوب: وقال أبو المزاحم يهجو أبا وجزة ويعيّره بنسبه: [الطويل]

دَعَتْكَ سُلَيْمٌ عَبْدَها فأَجَبْتَها وَسَعْدٌ، وما نَدْرِي لأَيِّهما العَبْدُ؟

فأجابه أبو وجزة فقال: [الطويل]

أعيَّرتُموني أنْ دَعَتْنِي أخاهُمُ سُلَيْمٌ وأعْطَتْنِي بأيْمانها سَعْدُ
فَكُنْتُ وَسِيطاً في سُلَيْمٍ مُعاقِداً لِسَعْدٍ، وسَعْدٌ ما يُحَلُّ لها عَقْدُ[١]

أخبرني أبو جعفر أحمدُ بن محمد بن نصر الضُّبَعِيّ إجازةً قال: حدّثنا محمدُ بن مسعود الزُّرَقِيّ عن مسعود بن المفضّل مولى آل حسن بن حسن قال:

قدم أبو وجزة السعدي على عبد الله بن الحسن وإخوته سُوَيْقَةَ[٢]، وقد أصابت قومه سنة مجدبة، فأنشده قوله يمدحه: [البسيط]

أُثْني على ابْنَيْ رسول الله أفضَل ما أَثْنى به أحَدٌ يوماً على أحَدِ
السَّيِّدَيْنِ الكَريمَيْ كُلِّ مُنصَرَفٍ من والِدين ومن صِهْرٍ وَمِنْ وَلَدِ
ذُرِّيَّةٌ بَعْضُها من بَعْضِها عَمِرَتْ في أصْلِ مَجْدٍ رَضِيعِ السَّمْكِ والعَمَدِ
ما ذا بَنَى لهمُ من صالِحٍ حَسَنٌ وحَسَنٌ وَعَلِيٌّ وابْتَنَوْا لِغَدِ
فَكَرَّمَ الله ذاكَ البَيْتَ تَكْرِمَةً تَبْقَى وَتَخْلُدُ فيهِ آخِرَ الأبَدِ
هُمُ السَّدَى والنَّدَى، ما في قناتهم إذا تعوّجت العِيدانُ من أَوَدِ[٣]
مُهَذَّبُونَ هِجانٌ أُمَّهاتُهُمُ إذا نُسِبْنَ زُلالُ البارِقِ البَرِدِ[٤]
بينَ الفَواطِمِ ماذا ثَمَّ مِنْ كَرَمٍ إلى العَواتِكَ مَجْدٌ غيرُ مُنْتَقَدِ[٥]
ما يَنْتَهِي المَجْدُ إلا في بني حَسَنٍ وما لَهُمْ دونهُ من دارِ مُلْتَحَدِ[٦]

(١) الوسيط في القوم: الذي في عليائهم.
(٢) سويقه: موضع قرب المدينة. (معجم البلدان ٢/ ٢٨٦).
(٣) السدى: المعروف. والندى: الكرم. والأود. الاعوجاج.
(٤) الهجان: الكرام. والبارق: السحاب الذي يتخلله برق. والبَرِد: البارد.
(٥) الفواطم: جمع فاطمة. والعواتك: جمع عاتكة والمقصود بالفواطم هنا: الزهراء، وفاطمة بنت أسد أم عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وفاطمة بنت عبد الله بن عمرو بن عمران بن مخزوم جدة رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبيه. والعواتك هن: عاتكة بنت هلال بن فالج بن ذكوان أم عبد مناف، وعاتكة بنت مرة بن هلال أم هاشم بن عبد مناف، وعاتكة بنت الأوقص أم وهب بن عبد مناف جد رسول الله ﷺ لأمه، وكل العواتك من سليم.
(٦) الملتحد: الملجأ.

قال: فأمر له عبد الله بن الحسن وحسن وإبراهيمُ بمائةٍ وخمسين ديناراً وأوقروا[١] له رواحلَه بُرّاً وتمراً، وكسوه ثوبين ثوبين.

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعيُّ قال: حدّثنا عمر بن شبَّة قال: حدّثني أبو غسان والمدائنيّ جميعاً:

أن عبد الملك بن يزيد بن محمد بن عطية السعديّ كان قد نُدب لقتال أبي حمزة الأزدي الشاري لما جاء إلى المدينة فغلب عليها، قال: وبعث إليه مروانُ بن محمد بمال، ففرّقه فيمن خف معه من قومه، فكان فيمن فُرض له منهم أبو وجزة وابناه، فخرج معترضاً للعسكر على فرس، وهو يرتجز ويقول: [الرجز]

قُـل لأبـي حَـمْـزَةَ هِـيـدِ هِـيـدِ ... جِـئـنـاكَ بـالـعـادِيَـةِ الـصِّـنْـديـدِ[٢]
بـالـبـطـلِ الـقَـرْمِ أبـي الـوَلـيـدِ ... فـارِسِ قَـيْـسٍ نَـجْـدِهـا الـمَـعْـدُودِ[٣]
فـي خَـيْـلِ قَـيْـسٍ والـكُـمـاةِ الـصِّـيـدِ ... كـالـسَّـيْـفِ قـد سُـلَّ مـن الـغُـمـودِ
مَـحْـضٍ هِـجـانٍ مـاجِـدِ الـجُـدُودِ ... فـي الـفَـرْعِ مـنْ قَـيْـسٍ وفـي الـعَـمُـودِ
فِـدًى لِـعَـبْـدِ الـمـلـك الـحَـمِـيـدِ ... مـا لِـي مـن الـطّـارِفِ والـتَّـلِـيـدِ
يـومَ تَـنـادى الـخـيـلُ بـالـصَّـعِـيـدِ ... كـأنَّـهُ فـي جُـنَـنِ الـحَـدِيـدِ[٤]
سِـيـدٌ مُـدِلٌّ عَـزَّ كُـلَّ سِـيـدِ[٥]

قال: وسار ابن عطية في قومه، ولحقت به جيوش أهل الشأم، فلقي أبا حمزة في اثني عشرة ألفاً فقاتله يوماً إلى الليل حتى أصاب صناديد عسكره، فنادوه. يابن عطية، إن الله جل وعز قد جعل الليل سَكَناً، فاسكنوا حتى نسكن، فأبى وقاتلهم حتى قتلهم جميعاً.

قال: وكان أبو وجزة منقطعاً إلى ابن عطية، يقوم بقوت عياله وكسوته ويعطيه ويُفْضِلُ عليه، وكان أبو وجزة مداحاً له، وفيه يقول: [البسيط]

حَنَّ الـفـؤادُ إلـى سُـعْـدَى ولـم تُـثِـب ... فـيـمَ الـكـثـيـرُ مِـنَ الـتَّـحْـنَـانِ والـطَّـرَبِ

---

(١) أوقر الراحلة: حملها حملاً ثقيلاً.
(٢) هيد هيد: النجا النجا. أي انج بنفسك.
(٣) النجد: الشجاع.
(٤) الجُنن: جمع جنة، وهي ما يقي الإنسان كالدرع والترس وغيرهما.
(٥) السيد: الأسد.

قـالـتْ سعـادُ أرى مـن شـيبـهِ عَـجَبـاً مَهْلاً سعادُ فما في الشَّيْبِ من عَجَبِ

غنّى في هذين البيتين إسحاق خفيف ثقيل أول بالوسطى في مجراها من كتابه:

إمّا تَـرَيـنِـي كَـسـانـي الـدَّهـرُ شَـيْـبَـتَـهُ فـإنَّ مـا مَـرَّ مـنـهُ عَـنْـكِ لـم يَـغِـبِ
سَقْياً لِسُعْدَى على شَيْبٍ ألمَّ بنا وقبلَ ذلكَ حينَ الرأسُ لم يَشِبِ
كأنّ رِيقتَها بَعْدَ الكَرَى اغْتَبَقَتْ صَوْبَ الثريّا بماءِ الْكَرْمِ مِنْ حَلَبِ

وهي قصيدة طويلة يقول فيها:

أَهْدِي قلاصاً عَناجِيجاً أضَرَّ بها نَصُّ الوَجِيفِ وتَقْحِيمٌ منَ العُقَبِ[١]
يَقْصِدْنَ سَيِّد قيسٍ وابنَ سَيِّدها والفارسَ العِدَّ منها غير ذي الكذب[٢]
محمدٌ وأبوه وابنه صَنَعُوا لَهُ صَنائعَ من مَجْدٍ ومن حَسَبِ
إني مدحتهمُ لمّا رأيتُ لَهُمْ فضلاً على غَيْرِهِمْ من سائرِ العَرَبِ
إلاّ تُثِبْني به لا يَجْزِني أحَدٌ ومَن يُثِيبُ إذا ما أنْتَ لم تُثِبِ!

والأبيات التي ذكرتُ فيها الغناء المذكورَ معه أمرُ أبي وجزة من قصيدة له مدح بها أيضاً عبدَ الملك بن عطية هذا. ومما يختار منها قوله: [الكامل]

حَتَّى إذا هَجَدُوا ألَمَّ خَيالُها سرّاً، ألا بِلِمامِهِ كانَ المُنى
طَرَقَتْ بِرَيَّا رَوْضَةٍ من عالِجٍ وَسْمِيَّةٍ عَذُبَتْ وَبَيَّتَها النَّدَى[٣]
يا أُمَّ شَيْبَةَ أيَّ ساعةِ مَطْرَقٍ نَبَّهتِنا، أينَ المدينةُ مِن بَدا؟[٤]
إنِّي متى أقْضِ اللُّبانةَ أجتَهِدْ عَنَقَ العِتاقِ الناجياتِ على الوجَى[٥]
حَتَّى أزورَكِ إنْ تَيَسَّرَ طائِري وَسلِمْتُ من رَيْبِ الحوادثِ والرَّدَى

---

(١) العناجيج: الابل. والنصّ: استخراج أسرع السير. والوجيف: ضرب من السير. والعُقَب: جمع عقبة وهي قدر فرسخين.

(٢) الفارس العدّ: القويّ، الذي لا تنفد شجاعته، وأصله من الماء العدّ أي الدائم الذي لا ينقطع ولا تنفد مادته.

(٣) الريّا: الرائحة الطيبة العطرة. وعالج: رملة بالبادية (معجم البلدان ٤/ ٦٩). والوسميّ: مطر الربيع الأول.

(٤) بدا: وادٍ قرب أيلة، وقيل: بوادي القرى. وقيل بوادي عذراء قرب الشام. (معجم البلدان ١/ ٣٥٦).

(٥) الوجى: شدة الحفا.

وفيها يقول:

فَلأَمْدَحَنَّ بَني عَطِيَّةَ كُلَّهُمْ ... مدحاً يوافي في المواسِمِ والقُرَى
الأكْرَمِينَ أوائلاً وأواخِراً ... والأحْلَمِينَ إذا تُخُولِجَتِ الحُبا[1]
والمانعينَ من الهَضِيمَةِ جارَهُمْ ... والجامِعينَ الراقعينَ لما وَهَى[2]
والعاطفين على الضَّرِيكِ بِفَضْلِهم ... والسَّابقينَ إلى المكارِمِ مَنْ سَعَى[3]

وهي قصيدة طويلة يمدح فيها بني عطية جميعاً ويذكر وقعتهم بأبي حمزة الخارجي، ولا معنى للإطالة بذكرها.

أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال: حدّثنا حمادُ بن إسحاق عن أبيه عن الهيثم بن عدي قال: كان أبو وجزة السعديّ منقطعاً إلى آل الزبير، وكان عبدُ الله بن عروة بنُ الزبير خاصّةً يُفْضِل عليه ويقوم بأمره، فبلغه أن أبا وجزة أتى عبد الله بنَ الحسن بنِ الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام، فمدحه فوصله، فاطّرحه ابن عروة، وأمسك يده عنه، فسأل عن سبب غضبه فأخبره به الأصمّ بن أرطاة، فلم يزل أبو وجزة يمدح آل الزبير، ولا يَرْجِعُ له عبدُ الله بن عروة إلى ما كان عليه ولا يرضى عنه حتى قال فيه: [المتقارب]

آلُ الزُّبَيْرِ بَنُو حُرَّةٍ ... مَرَوا بالسُّيوفِ صُدوراً خِنافا[4]
سَلِ الجُرْدَ عَنْهُمْ وأيّامَها ... إذا امْتَعَطُوا المُرهَفاتِ الخِفافا[5]

ـ امْتَعَطُوا: سَلّوا، ومنه ذئبٌ أمعطُ، مُنْسَلٌّ من شعره ـ

يَمُوتُونَ والقَتْلُ داءٌ لَهُمْ ... ويَصلَوْنَ يَوْمَ السِّيافِ السِّيافا[6]
إذا فرجَ القَتْلُ عَنْ عِيصِهِمْ ... أبَى ذلك العيصُ إلاّ التفافا[7]
مَطاعِيمُ تُحْمَدُ أبْيَاتُهُم ... إذا قُنِّعَ الشَّاهقاتُ الطَّخافا[8]

---

(١) تخولجت: تنوزعت. وتنازع الحبا يكون عند الخصومة والنزاع.
(٢) الهضيمة: الظلم. ووهى: ضعف، وتخرّق.
(٣) الضريك: الفقير السيّء الحال.
(٤) مرى الدم: أساله. والخناف: جمع خانف، وهو الشامخ بأنفه من الكبر.
(٥) الجرد: الخيول.
(٦) السِّياف: المسايفة، المجالدة بالسيوف والمضاربة بها.
(٧) العيص: الشجر الكبير الملتف.
(٨) الطخاف: السحاب المرتفع.

وأَجْـبَـنُ مِـنْ صـافِـرٍ كَـلْـبُـهـمْ إذا قَـرَعَـتْـهُ حـصـاةٌ أَضَـافـا[١]

فلما أنشد ابن عروة هذه الأبيات رضي عنه وعاد له إلى ما كان عليه.

صوت

من المائة المختارة

[الطويل]

ألا هَـلْ أسِـيـرُ الـمـالـكـيّـةِ مُـطْـلَـقُ فَـقَـدْ كـادَ لـو لـم يُـعْـفِـهِ الله يَـغْـلَـقُ
فـلا هـو مَـقْـتُـولٌ، فَـفِـي الـقَـتْـلِ راحَـةٌ ولا مُـنْـعَـمٌ يَـوْمـاً عَـلَـيْـهِ فَـمُـعْـتَـقُ

الشعر لعقيل بن عُلَّفةَ البيتُ الأوّلُ منه والثاني لشبيب بنِ الْبَرْصاء، والغناء لأحمدَ بنِ الْمَكِّيّ، خفيف ثقيل بالوُسْطى من كتابه، فيه لدُقاق رملٌ بالوسطى من كتاب عمرو بن بانةَ، وأوّله:

[الطويل]

سـلا أمَّ عَـمْـرٍو فِـيـم أَضْـحَـى أسِـيـرُهـا يُـفـادَى الأسـارَى حَـوْلَـه وهـو مُـوثَـقُ

وبعده البيتُ الثاني وهو:

فـلا هُـوَ مَـقْـتـولٌ فَـفِـي الـقَـتْـلِ راحَـةٌ وَلا مُـنْـعَـمٌ يَـوْمـاً عـلـيـهِ فـمُـعْـتَـقُ

والبيتان على هذه الرواية لِشبيب بن البَرْصاءِ.

---

(١) الصافر: طائر يصفر طول ليله.

أخبار عَقِيل بن عُلَّفة

[توفي ١٠٠ هـ/ ٧١٨ م]

[اسمه وكنيته ونسبه]

عَقِيل بن عُلَّفة بن الحارث بن معاوية بن ضِباب بن جابر بن يَرْبوع بنِ غَيْظِ بن مرة بن سعد بن ذُبيان بن بَغِيض بن الرَّيْث بنِ غَطفان بن سعد بن قَيْس عَيْلان بن مُضر، ويكنى أبا العمَلَّس وأبا الجَرباء.

وأمّ عَقِيل بن عُلَّفة العَوْراء، وهي عَمْرة بنتُ الحارث بن عوف بن أبي حارثة بن مُرَّة بن نُشْبَة بن غَيْظ بن مُرَّة. وأمها زينبُ بنتُ حِصن بن حذيفة. هذا قولُ خالد بن كُلثوم والمدائنيّ. وقال ابنُ الأعرابي: كانت عَمْرة العَوْراء أمّ عَقِيل بن عُلَّفة والبرصاءُ أمُّ شبيب بن البَرْصَاء أختين، وهما ابنتا الحارث بن عوف. واسم البَرْصَاء قِرْصافة، أمها بنت نَجَبة بن ربيعةَ بن رِياح بن مالك بن شَمْخ.

[بعض صفاته وأخباره وشعره]

وعَقِيل شاعر مُجيد مقلّ، من شعراء الدولة الأموية. وكان أعرج جافياً شديدَ الهَوَج والعَجْرفية والبَذَخ[1] بنسبِه في بني مرّة، لا يرى أنّ له كفناً. وهو في بيت شرف في قومه من كلا طرفيه. وكانت قريشٌ ترغبُ في مصاهرته. تزوج إليه خلفاؤها وأشرافها، منهم يزيد بن عبد الملك، تزوج ابنته الجَرْباء، وكانت قبله عندَ ابن عم لعَقِيل يقال له مطيعُ بن قُطْعةَ بن الحارث بن معاوية. وولدت ليزيد بُنيّاً

(١) البذخ: الافتخار.

دَرَجَ[١]. وتزوّج بنته عَمْرَةَ سَلَمةُ بنُ عبد الله بن المغيرة، فولدت له يعقوب بن سلَمة، وكان من أشرافِ قريش وجُودَائها. وتزوّج أمَّ عمرو بنتَه ثلاثةُ نفَر من بني الحَكَم بن أبي العاص: يحيى والحارث وخالد.

أخبرني محمد بن جعفر النحويّ قال: حدّثنا أحمد بن يحيى ثعلب عن ابن الأعرابيّ عن المفضّل قال: دخل عَقِيل بن عُلَّفة على عثمان بن حَيّان وهو يومئذٍ على المدينة، فقال له عثمانُ: زوّجني ابنتك، فقال: أبَكْرةً من إبلي تَعْني؟ فقال له عثمان: ويلك! أمجنونٌ أنت! قال: أيّ شيء قلتَ لي؟ قال: قلتُ لك: زوّجني ابنتك، فقال: أفعلُ إن كنتَ عَنَيْتَ بَكْرةً من إبلي. فأمر به فَوُجِئت عُنُقه[٢]. فخرج وهو يقول: [الطويل]

كنا بني غَيْظ الرِّجالِ فأصْبَحَتْ بنو مالكٍ غَيْظاً وَصِرْنا كمالِكِ
لَحَى اللّهُ دَهْراً ذَعْذَعَ المالَ كُلَّهُ وَسَوَّدَ أشْباهَ الإماءِ العَوارِكِ[٣]

أخبرني هاشمُ بن محمد الخُزاعي قال: حدّثنا أبو غسان دَماذ عن أبي عبيدة قال: كان لعَقيل بن عُلَّفة جارٌ من بني سَلامان بن سعد، فخطب إليه ابنته، فغضب عَقِيل، وأخذ السَّلامانيّ فَكَتَفَهُ، ودهن استَهُ بشحم، وألقاه في قرية النمل[٤]، فأكلن خُصْيَيْه حتى ورم جسَدُه، ثم حلّه وقال: يخطب إليّ عبد الملك فأردّه، وتجترىءُ أنت عليّ! قال: ثم أجدبتْ مراعي بني مُرّة، فانتجع[٥] عَقِيل أرض جُذامَ وقُربهم عُذرة. قال عَقِيل: فجاءني هُنَيٌّ مثلُ البعرة، فخطب إليّ ابنتي أمّ جعفر. فخرجتُ إلى أكمة قريبة من الحيّ، فجعلت أنبحُ كما ينبحُ الكلب، ثم تحملت وخرجت، فاتّبعني جمعٌ من حُنّ (بطن من عُذرة) فقالوا: اخترْ، إن شئتَ حبسناكَ، وإن شئتَ حَدَرْناكَ[٦] وبُعَيْرةً من رأس الجبل، فإن سبقتها خلّينا عنك. فأرسلوا بعيرةً فسبقتُها، فخلَّوْا سبيلي، فقلت لهم: ما طمعتم بهذا من أحد، قالوا أردنا أن نضع منك حيثُ

---

(١) درج: مات.
(٢) وجأ عنقه: ضربها باليد أو بالعصا.
(٣) ذعذع المال: بدّده، فرقه. وسوّده: جعله سيداً. والعوارك: الحيّض.
(٤) قرية النمل: مجتمع النمل في التراب حيث يشكل مجموعة تشبه قرية من النمل.
(٥) انتجع: طلب الكلأ في مواضعه.
(٦) حدره: ألقاه من علو إلى أسفل.

رغبتَ عنّا. فقلت فيهم: [الطويل]

لَقَدْ هَزِئتْ حُنٌّ بنا وَتلاعَبَتْ وما لَعِبَتْ حُنٌّ بِذِي حَسَبٍ قَبْلِي
رُوَيْداً بني حُنٍّ تشيحوا وتأمَنُوا وَتَنْتَشِرُ الأنعامُ في بَلَدٍ سَهْلِ

والله لأموتنّ قبل أن أضع كرائمي إلاّ في الأكْفاء.

أخبرني الْحَرَمِيّ بنُ أبي العلاء قال: حدّثنا الزبيرُ بنُ بكّار قال: حدّثنا محمد بن الضحّاك عن أبيه قال: وجدتُ في كتاب بخطّ الضحّاك قال: خرج عَقيل بن علّفة وابناه: عُلَّفة وجَثامةُ، وابنتُه الجرباء حتى أتوْا بنتا له نَاكِحاً[1] في بني مرْوان بالشام فآمت[2]. ثم إنهم قفلوا بها حتّى كانوا ببعض الطريق، فقال عقيل بنُ عُلّفة: [الطويل]

قَضَتْ وَطَراً مِنْ دَيْرِ سَعْدٍ وَطالَمَا على عُرُضٍ ناطَحْنَهُ بالجَماجِمِ[3]
إذا هَبَطَتْ أرضاً يموتُ غُرابُها بها عَطَشاً أعْطَينَهُمْ بالخَزائِمِ[4]

ثم قال: أنفِذ يا علّفة، فقال علّفة: [الطويل]

فأصْبَحْنَ بالمَوْماةِ يَحْمِلْنَ فِتْيَةً نَشاوَى من الإدلاجِ مِيلَ العَمائمِ[5]
إذا عَلَمٌ غادرْنَهُ بِتَنُوفَةٍ تذارَعْنَ بالأيْدِي لآخَرَ طاسِمِ[6]

ثم قال: أنفذي يا جرباء، فقالت: وأنا آمنة؟ قال نعم. فقالت: [الطويل]

كأنَّ الكَرَى سَقَّاهُم صَرْخَديّةً عُقَاراً تَمشَّى في المَطا والقوائمِ[7]

فقال عَقيل: شربتِها وربِّ الكعبة! لولا الأمانُ لضربت بالسيف تحت قُرْطك، أما وَجدْتِ من الكلام غير هذا! فقال جَثَّامة: وهل أساءت! إنما أجازت. وليس غيري وغيرُك. فرماه عقيل بسهم فأصاب ساقَه وأنفذ السهم سَاقَه والرَّحلَ، ثم شدّ

(١) امرأة ناكح: متزوجة.
(٢) آمت: فقدت زوجها.
(٣) دير سعد: بين بلاد غطفان والشام (معجم البلدان ٢/ ٥١٤).
(٤) الخزائم: جمع خزامة، وهي حلقة من شعر تجعل في أحد منخري البعير لينقاد بها.
(٥) الموماة: المفازة. والنشاوى: السكارى. والإدلاج: السير من أول الليل.
(٦) العلم: العلامة تنصب في الطريق لهداية الضالّة من الناس. والتنوفة: المفازة. وتذارعن: سرن. والطاسم: الذي محي أثره.
(٧) الصرخدية: نسبة إلى صرخد، وهي بلد ملاصق لبلاد حوران. والعقار: الخمر. والمطا: الظهر.

على الجَرْباء فعقر ناقتها ثم حملها على ناقةِ جَثَّامة وتركه عقِيراً مع ناقة الجرباء. ثم قال: لولا أن تَسُبَّنِي بنو مرّة ما ذقتِ الحياة. ثم خرج متوجّهاً إلى أهله وقال: لئن أخبرتِ أهلَك بشأن جثّامة، أو قلتِ لهم إنه أصابه غيرُ الطاعون لأقتلنك. فلما قدِموا على أهل أبَيْر (وهم بنو القَيْن) ندِم عَقِيل على ما فعله بجثّامة. فقال لهم: هل لكم في جَزور انكسرت؟ قالوا: نعم. قال: فالزموا أثر هذه الراحلة حتى تجدوا الجَزور، فخرج القوم حتّى انتهوا إلى جَثَّامة فوجدوه قد أنزفه الدم، فاحتملوه وتقسّموا الجزور، وأنزلوه عليهم، وعالجوه حتى برأ، وألحقوه بقومه.

ونسخت هذا الخبرَ من كتاب أبي عبد الله اليزيدي بخطه ولم أجِده ذكر سماعه إياه من أحد قال: قرِىء على عليّ بن محمد المدائني عن الطِّرِمّاح بن خليل بن أبرد، فذكر مثل ما ذكره الزبير منه وزاد فيه: أن القوم احتملوا جَثّامة ليلحقوه بقومه؛ حتى إذا كانوا قريباً منهم تغنّى جَثّامة: [الطويل]

أيُعْذَر لاهِينا ويُلْحَيْنَ في الصِّبا ... وما هُنَّ والفِتيانُ إلا شَقائِقُ

فقال له القوم: إنما أفلتّ من الجِراحة التي جرحك أبوك آنفاً، وقد عاودتَ ما يكرهُه، فأمسِكْ عن هذا ونحوِه إذا لقِيته لا يلحقك منه شرّ وعَرّ[1]. فقال: إنّما هي خَطْرةٌ خَطَرتْ، والراكب إذا سار تغنّى.

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثني أحمدُ بن سعيد الدمشقيّ قال: حدّثنا الزبير بن بكار قال: حدّثني عبد الله بن إبراهيم الجمحيّ قال: قدِم عَقِيلُ بنُ عُلَّفة المدينةَ فنزل على ابن بنته يعقوب بن سلمَةَ المخزومي، فمرِض وأصابه القولنج[2]، فنُعِتَتْ[3] له الحُقنة، فأبى. وقدِم ابنه عليه فبلغه ذلك، فقال: [الطويل]

لَقَدْ سَرَّنِي واللّهُ وقّاكَ شَرَّها ... نَجَاؤكَ منها حين جاءَ يَقُودُها
كَفَى خِزْيَةً ألاّ تزال مُجَبِّياً ... على شَكْوَةٍ تُوكَى وفي اسْتكَ عُودُها[4]

أخبرني عبيد الله بن محمد الرازيّ قال: حدّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز قال: حدّثنا عليُّ بنُ محمد عن زيد بن عياش التغلبيّ والربيع بن ثُمَيْل قالا: غدا

---

(١) عرّه بمكروه: أصابه به.
(٢) القولنج: مرض معوي.
(٣) نُعتت: وُصِفَت.
(٤) المجبّي: المكبّ على وجهه. والشكوة: القربة الصغيرة. وتوكى: تربط.

عَقِيل بن عُلَّفة على أفراس له عند بيوته فأطلقها ثم رجع، فإذا بنوه مع بناتِه وأمِّهِمْ مجتمعون، فشدّ على عملّس فحاد عنه، وتغنّى علّفة فقال: [الطويل]

قِفي يابنةَ المُرِّي أسألْكِ ما الَّذِي ... تُريدِينَ فيما كُنْتِ مَنَّيتِنا قَبْلُ
نُخَبِّرْك إنْ لم تُنْجِزِي الوَعْدَ أنَّنا ... ذَوَا خُلَّةٍ لم يَبْقَ بينهما وَصْلُ
فإن شئتِ كانَ الصُّرْمُ ما هَبَّتِ الصَّبا ... وإنْ شِئْتِ لا يَفْنَى التكارمُ والبذلُ

فقال عَقِيل: يابن اللخناء، متى منَّتْك نفسك هذا! وشدّ عليه بالسيف - وكان عملّس أخاه لأمه - فحال بينه وبينه، فشدّ على عمَلَّس بالسيف وترك عُلّفة لا يلتفت إليه، فرماه بسهم، فأصاب ركبته؛ فسقط عقيل وجعل يتمعّك[1] في دمه ويقول:

[الرجز]

إنَّ بَنِيَّ سَرْبَلُوني بالدَّم ... مَنْ يَلْقَ أبطالَ الرِّجالِ يُكْلَم
ومَنْ يكنْ ذا أوَدٍ يُقَوَّمِ ... شِنْشِنَةٌ أعْرِفُها من أخْزَمِ[2]

قال المدائني: «شنشنة أعرفها من أخزم» مَثَلٌ ضربه. وأخزمُ: فحلٌ كان لرجل من العرب، وكان منجِباً، فضرب في إبل رجلٍ آخر - ولم يعلم صاحبُه - فرأى بعد ذلك من نسله جملاً، فقال: شِنْشنة أعرِفها من أَخْزَم.

أخبرني محمدُ بنُ خلف وكيعٌ قال: حدّثني سليمانُ المدائنيّ قال: حدّثني مصعب بن عبد الله قال: قال عمر بن عبد العزيز لعَقِيل بن عُلَّفة: إنك تخرج إلى أقاصي البلاد وتدع بناتك في الصحراء لا كالىء لهنّ، والناس ينسبُونك إلى الغيرة، وتأبى أن تزوجَهنّ إلا الأكفاء. قال: إني أستعين عليهنّ بخَلّتين تَكْلآنهِنَّ، وأستغني عن سواهما. قال: وما هما؟ قال: العُرْي والجوعُ.

نسخت من كتاب محمدِ بنِ العباس اليزيديّ: قال خالدُ بن كُلثوم: لما رمى عملَّس بنُ عقيل أباه فأصاب ركبته غضب وأقسم ألاّ يساكن بنيه، فاحتمل وخرج إلى الشام، فلما استوى على ناقته المسماة بأطلال بكت ابنته جرباء وحنّت ناقته، فقال: [الطويل]

ألم تَرَيا أطلالَ حَنَّتْ وَشاقَها ... تَفَرُّقُنا يومَ الحَبِيبِ على ظَهْرِ[3]

---

(١) يتمعّك: يتمرّغ.
(٢) الشنشنة: الخليقة السجية.
(٣) الحبيب: بلد من أعمال حلب. (معجم البلدان ٢/٢١٦).

وأسْبَلَ من جَرْباءَ دَمْعٌ كأنَّهُ جُمانٌ أضاعَ السِّلْكَ أجْرَتْهُ في سَطْرِ
لَعَمْرُكَ إنّي يَوْمَ أغْدُو عَمَلَّساً لَكالمتربِّي حَتفَهُ وهو لا يَدْرِي
وإنّي لأسْقِيهِ غَبُوقِي وإنّنِي لَغَرْثانُ مَنْهُوكُ الذِّراعَيْنِ والنَّحْرِ[1]

قال: ومضى علفة أيضاً، فافترض بالشام وكتب إلى أبيه: [الطويل]

ألا أبْلغا عَنّي عَقِيلاً رسالَةً فإنَّكَ من حَرْبٍ عَلَيَّ كَرِيمُ
أما تَذْكُرُ الأيامَ إذ أنْتَ واحِدٌ وإذ كُلُّ ذي قُربى إليكَ دَمِيمُ
وإذْ لا يقِيكَ النّاسُ شيئاً تخافُهُ بأنْفُسِهِمْ إلا الّذينَ تَضِيمُ
تَناولَ شأْوَ الأبْعَدِينَ ولم يَقُمْ لِشَأوِك بَينَ الأقْرَبِينَ أدِيمُ
فأمّا إذا عضَّتْ بكَ الحَرْبُ عَضَّةً فإنَّكَ مَعْطُوفٌ عَلَيكَ رَحِيمُ
وأمّا إذا آنَسْتَ أمْناً ورخْوَةً فإنك لِلقُرْبَى ألَدُّ ظَلُومُ

فلما سمِع عقيل هذه الأبيات رضي عنه، وبعث إليه فقدِم عليه.

أخبرني هاشم بن محمد الخُزَاعيّ قال: حدّثنا الرياشيّ عن محمد بن سلاّم قال: حدّثني ابن جُعْدُبة قال:

عاتب عمر بن عبد العزيز رجلاً من قريش، أمُّه أختُ عقيل بن عُلَّفة فقال له: قَبَحك الله! أشبهتَ خالَك في الجفاء. فبلغتْ عقيلاً فجاء حتى دخل على عمر فقال له: ما وجدْتَ لابن عمك شيئاً تُعيِّره به إلا خُؤولتي! فقَبح الله شرّكما خالا. فقال له صُخَير بنُ أبي الجَهْم العَدَوِيُّ (وأمّه قُرشية): آمين يا أمير المؤمنين. فقَبح الله شرّكما خالاً، وأنا معكما أيضاً. فقال له عمر: إنك لأعرابيٌّ جِلْف جافٍ، أما لو كنتُ تقدّمت إليك لأدّبتك. والله لا أراك تقرأ من كتاب الله شيئاً، قال: بلى، إني لأقرأُ، قال: فاقرأ فقرأ: ﴿إذا زُلْزِلَتِ الأرْضُ زِلْزَالَها﴾[2] حتى بلغ إلى آخرها فقرأ: فمن يعمل مِثقال ذرةٍ شراً يره ومن يعمل مِثقال ذرةٍ خيراً يره، فقال له عمر: ألم أقل لك إنك لا تحسن أن تقرأ؟ قال: أو لم أقرأ؟ قال: لا، لأن الله جلّ وعزّ قدّم الخير وإنك قدّمت الشر. فقال عقيل:

خذا بَطْن هَرْشَى أو قَفاها فإنَّهُ كِلا جانبي هَرْشَى لَهُنَّ طَرِيقُ[3]

(١) الغرثان: الجوعان.
(٢) سورة الزلزلة، الآية: ١.
(٣) هرشى: ثنية في طريق مكة قريبة من الجحفة. (معجم البلدان ٥/ ٣٩٧).

فجعل القوم يضحكون من عَجْرَفِيَّتِه.

وروى هذا الخبر عليُّ بنُ محمد المدائنيّ، فذكر أنه كان بين عُمرَ بنِ عبد العزيز وبين يعقوب بن سَلَمةَ وأخيه عبد الله كلامٌ، فأغلظ يعقوبُ لعمر في الكلام فقال له عمر: اسكت فإنك ابنُ أعرابيّة جافِيةٍ. فقال عَقيل لعمر: لعن الله شرَّ الثلاثة، مني ومِنك ومِنه! فغضب عمر، فقال له صُخَير بن أبي الجَهم: آمين. فهو والله أيها الأمير شرُّ الثلاثة. فقال عمر: والله إني لأراك لو سألته عن آية من كتاب الله ما قرأها. فقال: بلى والله إني لقارىء لآية وآياتٍ فقال: فاقرأ، فقرأ: إنَّا بعثنا نوحاً إلى قومه، فقال له عمر: قد أعلمتك أنك لا تُحْسِن. ليس هكذا قال الله، قال: فكيف قال؟ قال: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحاً﴾[1] فقال: وما الفرق بين أرسلنا وبعثنا!

خُذا أنفَ هَرْشَى أو قَفاها فإنَّهُ ... كلا جانِبَيْ هَرْشَى لَهُنَّ طَرِيقُ

أخبرني عُبيد الله بن أحمد الرازيّ قال: حدّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز قال: حدّثني علي بن محمد المدائنيّ عن عبد الله بن أسلم القرشيّ قال: قدِم عَقِيل بن عُلَّفة المدينة، فدخل المسجد وعليه خُفَّانِ غليظانِ، فجعل يضربُ برجْلَيْه، فضحكوا منه فقال: ما يُضحِكُكم؟ فقال له يحيى بنُ الحكم ـ وكانت ابنة عَقيل تحته ـ: يضحكون من خُفَّيك وضرْبك برجليك وشدّة جفائك. قال: لا، ولكن يضحكون من إمارتك؛ فإنها أعجبُ من خُفَّي. فجعل يحيى يضحك.

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال: حدّثنا عبد الرحمٰن ابن أخي الأصمعيّ قال: حدّثني عمي عن عبد الله بن مُصْعب قاضي المدينة قال:

دخل عَقيلُ بن عُلَّفة على يحيى بن الحكم، وهو يومئذٍ أميرُ المدينة. فقال له يحيى: أَنكِح ابن خالي ـ يعني ابنَ أوفَى ـ فلانةَ ابنتك؟ فقال: إن ابنَ خالك لَيَرْضى مني بدون ذلك، قال: وما هو؟ قال: أن أكُفَّ عنه سَنَن الخيل[2] إذا غشِيتْ سَوَامه. فقال يحيى لحرسيَّيْن بين يديه: أخرِجاه. فأخرجاه، فلما ولّى قال: أعِيداه إليّ، فأعاداه، فقال عقِيل له: ما لك تُكِرُّني إكرارَ الناضِح[3]؟ قال: أما والله إني

(١) سورة نوح، الآية ١.
(٢) سنن الخيل: عَدْوُها.
(٣) الناضح: الدابّة يستقى عليها.

لأكرُّك أعرج جافياً. فقال عَقيل: كذلك قلت: [البسيط]

تَعَجَّبَتْ إذ رأتْ رأسي تَجَلَّلَهُ مِن الرَّوائِعِ شَيْبٌ لَيْسَ مِنْ كِبَرِ
ومِن أدِيمٍ تَوَلَّى بعدَ جِدَّتِهِ وَالجَفْنُ يَخْلَقُ فيه الصَّارِمُ الذَّكَرُ[١]

فقال له يحيى، أنشِدني قصيدتَك هذه كلها. قال: ما انتهيتُ إلاّ إلى ما سمعت. فقال: أما والله إنك لتقول فتقصّر، فقال: إنّما يكفي من القلادةِ ما أحاط بالرقبة. قال: فأنكِحني أنا إحدى بناتِك. قال: أمّا أنت فنعم قال: أما والله لأملأنك مالاً وشرفاً قال: أمّا الشَّرف فقد حمّلتُ ركائبي منه ما أطاقت، وكلفتها تجشُّمَ ما لم تطِقْ، ولكن عليك بهذا المال فإن فيه صلاحَ الأيم ورضا الأبي. فزوّجه ثم خرج فهداها إليه، فلما قدِمت عليه بَعَثَ إليها يحيى مولاةً له لتنظر إليها، فجاءتها فجعلت تغمِز عضُدها. فرفعت يدها، فدقّت أنفها. فرجعت إلى يحيى وقالت: بعثتني إلى أعرابية مجنونةٍ صنعتْ بي ما ترى! فنهض إليها يحيى، فقال لها: ما لك؟ قالت: ما أردتَ أن بَعَثْتَ إليّ أمة تنظر إليّ! ما أردتُ بما فعلتُ إلا أن يكون نظرك إليّ قبل كلّ ناظر، فإن رأيتَ حسناً كنتَ قد سبقتَ إلى بهجته، وإن رأيتَ قبيحاً كنتَ أحق مَنْ ستره. فسرّ بقولها وحظِيتْ عنده.

وذكر المدائني هذا الخبر مثْله، إلا أنه قال فيه: فإن كان ما تراه حسناً كنت أوّل من رآه، وإن كان قبيحاً كنت أوّلَ من واراه.

أخبرني ابنُ دريد قال: حدّثنا عبدُ الرحمٰن عن عمه قال: خطب يزيدُ بنُ عبد الملك إلى عقِيل بن علّفة ابنَته الجرباء، فقال له عَقِيل: قد زوّجتكها، على أن لا يزُفَّها إليك أعْلاجُك[٢]؛ أكونُ أنا الذي أجيءُ بها إليك. قال: ذلك لك. فتزوّجها، ومكثوا ما شاء الله. ثم دخل الحاجبُ على يزيد فقال له: بالباب أعرابيٌّ على بعيرٍ، معه امرأةٌ في هَوْدج قال: أراه والله عَقِيلاً. قال: فجاء بها حتى أناخ بعيرها على بابه، ثم أخذ بيدها فأذعنت، فدخل بها على الخليفة فقال له: إن أنتما وُدِنَ[٣] بينكما، فبارك الله لكما وإن كرهتَ شيئاً فضع يدها في يدي كما وضعتُ يدها في يدك ثم برِئت ذمتك. فحملت الجرباء بغلام ففرِح به يزيد ونَحَله وأعطاه.

---

(١) الصارم الذكر: السيف العضب الحادّ، القاطع.
(٢) الأعلاج: جمع العلج، وهو الرجل الشديد الغليظ، والرجل من العجم.
(٣) ودن بينكما: جمع بينكما بالزواج. والأصل في الودن والودان: حسن القيام على العروس.

ثم مات الصبيّ فورِثت أمُّه منه الثُّلث، ثم ماتت فورِثها زوجها وأبوها فكتب إليه: إن ابنك وابنتك هلكا، وقد حسبت مِيراثك منهما فوجدته عشرةَ آلافِ دينارٍ، فهَلُمَّ فاقبِضه. فقال: إن مصيبتي يا بني وابنتي تَشغَلني عن المال وطلبه، فلا حاجةَ لي في مِيراثِهما، وقد رأيتُ عندك فرساً سَبقتَ عليه الناس، فأعطنيه أجعله فحلاً لخيلي. وأبى أن يأخذ المال، فبعث إليه يزيد بالفرس.

أخبرنا عبيدُ الله بنُ محمد قال: حدّثنا الخرّاز عن المدائني عن إسحاق بن يحيى قال: رأيتُ رجُلاً من قريش يقول له عَقِيل بن عُلَّفة: بالرِّفاء والبنين والطائرِ المحمودِ. فقلت له: يابن عُلَّفة؛ إنه يُكرَه أن يُقالَ هذا. فقال: يابن أخي، ما تريد إلى ما أُحدِث! إنّ هذا قولُ أخوالِك في الجاهلية إلى اليوم لا يعرفون غيره. قال: فحدَّثْتُ به الزُّهريّ فقال: إن عَقيلاً كان من أجهل الناس. قال: وإنما قال لإسحاق بن يحيى بن طلحة: «هذا قول أخوالك»، لأن أم يحيى بن طلحةَ مُرِّيّة.

قال المدائني، وحدّثني عليُّ بنُ بشرٍ الْجُشَمِيّ قال: قال الرُّمَيْح: خطب إلى عَقِيلٍ رجل من بني مرّة كثيرُ المال، يُغْمَزُ في نسبه، فقال: [الطويل]

لَعَمْرِي لَئِنْ زَوَّجْتُ مِنْ أجْلِ مالِهِ هَجِيناً لَقَدْ حُبَّتْ إليَّ الدَّراهِمُ[1]
أأُنكِحُ عَبْداً بعدَ يَحْيَى وَخالِدٍ أولئكَ أكْفائي الرِّجالُ الأكارِمُ
أبَى ليَ أنْ أرْضَى الدَّنِيَّةَ أنَّنِي أمُدُّ عِناناً لَمْ تَخُنْهُ الشَّكائِمُ

نسخت من كتاب محمد بن العباسِ اليزيديّ بخطّه يأثُره[2] عن خالد بن كلثوم بغير إسناد متصل بينهما: أن رجلاً من بني مُرّة يقال له داودُ أقبل على ناقةٍ له، فخطب إلى عَقِيل بن عُلَّفة بعضَ بناتِه، فنظر إليه عَقِيل - وإنّ السيف لا يناله - فطعن نَاقَتَهُ بالرمح فسقطت وصرعته، وشدّ عليه عَقِيلٌ فهرب، وثار عَقِيلٌ إلى ناقته فنَحَرها، وأطعمها قومه وقال:

ألَمْ تَقُلْ يا صاحِبَ القَلُوصِ داودَ ذا السّاجِ وذا القَمِيصِ[3]

(١) الهجين: العربي الذي أمه أمة.
(٢) يأثره: يرويه.
(٣) الساج: الطيلسان.

كـانَـتْ عـلـيـهِ الأرْضُ حِـيـصٍ بـيـصِ حَـتَّـى يَـلُـفَّ عِـيـصَـهُ بِـعِـيـصـي[1]
وكـنـتُ بـالـشـبـانِ ذا تَـقْـمِـيـصِ

فقال داود فيه من أبيات: [الطويل]

أراهُ فَتَـى جَـعَـلَ الـحَـلالَ بِـبَـيْـتِـهِ حَراماً ويَقْرِي الضَّيْفَ عَضْباً مُهَنَّدا

وقال المدائني: حدّثني جوشن بن يزيد قال: لما تزوّج عَقِيل بن عُلَّفة زوجَتَه الأنمارية - وقد كَبِر - فرّت منه، فلقيها جحّافٌ، وأحدُ بني قِتالِ بن يَرْبوع، فحملها إلى عامل فَدَك، وأصبح عقيلٌ معها، فقال الأمير لعَقِيل: ما لهذه تستعدي عليك يا أبا الْجَرْباء؟ فقال عقيلٌ: كَلَّ ذَكَري، وذهب ذَفَري[2]، وتغايبَ نَفَري، فقال: خذ بيدها، فأخذها وانصرف، فولدت له بعد ذلك عُلَّفة الأصغر.

أخبرني هاشمُ بنُ محمد الخُزاعيّ قال: حدّثنا دَماذ عن أبي عبيدة قال: لما نشبت الحرب بين بني جوشن وبين بني سهم بن مرة رهط عَقِيل بن عُلَّفة المريّ - وهو من بني غَيْظ بن مرة بن سهم بن مُرَّة إخوتهم - فاقتتلوا في أمر يهوديٍّ خَمّارٍ كان جاراً لهم، فقتلته بنو جَوْشَنٍ من غطفان، وكانوا متقاربي المنازل وكان عقِيل بن عُلَّفة بالشأم غائباً عنهم، فكتب إلى بني سهم يُحرّضُهم: [المتقارب]

فـإمّـا هَـلَـكْـتُ ولـم آتِـكُـمْ فَـأَبْـلِـغْ أمـاثِـلَ سَـهْـمٍ رَسُـولا
بـأنَّ الـتـي سـامَـكُـمْ قَـوْمُـكُـمْ لَـقَـدْ جَـعَـلُـوهـا عَـلَـيْـكُـمْ عُـدُولا
هـوانُ الـحَـيـاةِ وضَـيْـمُ الـمـمـاتِ وَكُـلاً أراه طَـعـامـاً وَبِـيـلا
فـإنْ لَـمْ يـكـنْ غـيـرُ إحْـداهـمـا فَـسِـيـروا إلـى الـموتِ سَـيْـراً جـمـيـلا
ولا تَـقْـعُـدوا وَبِـكُـمْ مِـنَّـةٌ كَـفَـى بـالـحـوادِثِ لـلـمـرءِ غُـولا

قال: فلما وردت الأبياتُ عليهم تكفّلَ بالحربِ الحُصَين بن الحُمام المُرّي أحد بني سهم، وقال: إليّ كتبَ وبي نَوّه، خاطب أماثلَ سهم وأنا من أماثلهم. فأبْلى في تلك الحروبِ بلاءً شديداً. وقال الحصين بن الحُمام في ذلك من

(١) حيص بيص: في الأصل جحر الفأر. ووقع القوم في حيص بيص، أي في ضيق وشدة، وقيل: اختلطت عليهم الأمور، والعيص: الأصل.
(٢) الذفر: شدة ذكاء الريح.

قصيدة طويلة له: [الطويل]

يَطَأنَ منَ القَتْلى وَمِنْ قِصَدِ القَنا ... خَباراً فما يَنْهَضْنَ إلا تَقَحُّما[1]

عليهِنّ فِتْيانٌ كَساهُمْ محَرِّقٌ ... وكانَ إذا يَكْسو أجادَ وأكْرَما[2]

صفائحَ بُصْرَى أخْلَصَتْها قُيُونُها ... وَمُطَّرِداً من نَسْجِ داودَ مُحْكَما[3]

تأخَّرْتُ أسْتَبْقِي الحَياةَ فلم أجدْ ... لِنَفْسِي حَياةً مِثْلَ أنْ أتَقَدَّما

وقال المدائني: قال جَرّاح بن عِصام بن بُجَيْر: عدَتْ بنو جعفر بنِ كلاب على جار لعَقيل فأطردتْ إبله وضربوه، فغدا عَقِيل على جار لهم فضربه، وأخذ إبلَه فأطردها، فلم يردّها حتى ردّوا إبل جاره وقال في ذلك: [الطويل]

إنْ يَشْرَقِ الكَلْبِيُّ فيكم بِريقِهِ ... بَنِي جعفر يُعْجَلْ لِجَارِكُمُ القَتْلُ

فلا تَحْسَبُوا الإسْلامَ غَيَّرَ بعدكم ... رماحَ مَواليكُمْ فذاكَ بكم جَهْلُ

بَني جعفرٍ إنْ تَرْجِعُوا الحَرْبَ بَيْنَنَا ... نَدِنْكُمْ كما كُنَّا نَدِينُكُمُ قَبْلُ

بَدَأتُمْ بجارِي فانْثَنَيْتُ بِجارِكُمْ ... وما مِنْهُما إلاّ لَهُ عندنا حَبْلُ

[بنو سلامان يأسرونه ويطلقه بنو القين]

وذكر المدائني أيضاً،

أن عَقِيلاً كان وحده في إبله، فمر به ناس من بني سَلامان فأسَروه، ومروا به في طريقه على ناس من بني القَيْن، فانتزعوه منهم، وخلَّوْا سبيله. فقال عقيل في ذلك: [الطويل]

أسَعْدَ هُذَيْم إنَّ سَعْداً أباكُمُ ... أبي لا يُوافِي غايَةَ القَيْنِ منْ كَلْبِ

وجَاءَ هُذَيْمٌ والرِّكابُ مُناخَةٌ ... فَقِيلَ تأخَّرْ يا هُذَيْمُ على العَجْبِ[4]

فقال هُذَيْمٌ إنَّ في العَجْبِ مرْكَبي ... وَمَرْكَبَ آبائي وفي عَجْبِها حَسْبي

قال: وسعد هذيم هم عُذرةُ وسلامان والحارثُ وضَبّة.

أخبرني الحسن بن علي قال: حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرُويه قال:

---

(١) قصد القنا: قطع الرماح المحطمة المتكسرة. والخبار من الأرض: ما لان واسترخى.

(٢) محرّق: هو عمرو بن المنذر اللخمي ملك الحيرة. توفي سنة ٤٥ هـ.

(٣) القيون: جمع قين، وهو الحدّاد. والدرع المطّرِد: المتتابع الحلقات.

(٤) العَجْب: أصل الذنب.

حدّثني أبو مسلم عن المدائني عن عبد الحميد بن أيوب بن محمد بن عُمَيْلة قال:

مات عُلَّفة بن عَقيل الأكبر بالشأم، فنعاه مُضَرِّس بن سَوادة لعَقيل بأرض الجناب[1]، فلم يصدّقه وقال: [الكامل]

قَبَحَ الإلٰهُ ـ ولا أُقَبِّحُ غَيْرَهُ ـ ثَفَرَ الحِمارِ مُضَرِّسَ بْنَ سَوادِ[2]
تَنْعَى امْرأً لم يَغْلُ أمَّكَ مِثْلُهُ كالسَّيْفِ بينَ خَضارِمٍ أنْجادِ[3]

ثم تحقق الخبر بعد ذلك، فقال يرثيه: [الطويل]

لَعَمْري لقد جاءتْ قوافِلُ خَبَّرَتْ بأمْرٍ من الدُّنيا عَلَيَّ ثَقِيلِ
وقالُوا ألا تَبْكِي لِمَصْرَعِ فارِسٍ نَعَتْهُ جنودُ الشّامِ غَيْرِ ضَئِيلِ
فأقسمتُ لا أبكي على هُلْكِ هالِكٍ أصابَ سبيلَ اللّهِ خَيْرَ سَبيلِ
كأنَّ المنايا تَبْتَغِي في خيارِنا لها نَسَباً أو تَهْتَدِي بِدَلِيلِ
تَحُلُّ المَنايا حَيْثُ شاءَتْ فإنَّها مُحَلَّلَةٌ بعدَ الفتى ابن عَقِيلِ
فَتًى كانَ مولاهُ يَحُلُّ بِرَبْوَةٍ مَحَلَّ المَوالي بعدهُ بمَسِيلِ

أخبرني محمدُ بنُ الحسن بنُ دريد قال: حدّثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال: كان عَقِيل بن عُلّفة قد أطردَ بنيه، فتفرقوا في البلاد وبقي وحده. ثم إن رجلاً من بني صِرمة، يقال له بَجِيل ـ وكان كثير المال والماشية ـ حَطَمَ بيوتَ عَقِيل بماشيته، ولم يكن قبل ذلك أحد يقرُب من بيوت عَقِيل إلا لَقِي شراً. فطردت صافنةُ (أمةٌ له) الماشيَةَ، فضربها بجيلٌ بعصا كانت معه فشجّها. فخرج إليه عَقيل وحده ـ وقد هرِم يومئذٍ وكبرتْ سنّه ـ فزجره فضربه بجِيل بعصاه، واحتقره. فجعل عَقِيل يصيح: يا عُلَّفة، يا عَمَلّس، يا فلان، يا فلان بأسماء أولاده مستغِيثاً بهم، وهو يحسبهم لهرمِه أنهم معه. فقال له أرطاة بن سُهَيّة:

أكَلْتَ بنِيكَ أكْلَ الضَّبِّ حَتَّى وَجَدْتَ مَرارةَ الكَلأ الوَبيلِ
ولو كانَ الأُلى غابُوا شُهُوداً مَنَعْتَ فِناءَ بَيْتِكَ من بَجِيلِ

وبلغ خبرُ عَقِيلٍ ابنَه العَملّس وهو بالشام، فأقبل إلى أبيه حتى نزل إليه، ثم عمدَ إلى بَجِيل فضربه ضرباً مبرّحاً، وعقر عِدّة من إبله وأوثقه بحبل، وجاء به يقوده

(١) الجناب: مواضع عدّة. (انظر معجم البلدان ٢/ ١٦٤).
(٢) الثفر: السير في مؤخر السرج تحت ذنب الدابة.
(٣) الخضارم: جمع خضرم، وهو الجواد الكريم.

حتى ألقاه بين يدي أبيه، ثم ركب راحلَته، وعاد من وقته إلى الشام، لم يَطعَم لأبيه طعاماً ولم يشرب شراباً.

أخبرني عمي قال: حدّثنا الكُراني قال: حدّثنا ابن عائشة قال: نزل أعرابي على المقْشعِرّ بن عَقِيل بن عُلّفة المرّي فشربا حتى سكِرا وناما، فانتبه الأعرابي مُرَوَّعاً في الليل وهو يهذي، فقال له المُقْشَعِرُّ: ما لك؟ قال: هذا ملك الموتِ يقبِض روحي، فوثب ابن عقيل فقال: لا والله ولا كرامةَ ولا نِعمة عينٍ[1] له! أيقبِض رُوحك وأنت ضيفي وجاري! فقال: بأبي أنتم وأمي! طال والله ما منعتم الضيْم. وتلفَّف ونام.

تمت أخبار عَقِيل ولله الحمد والمِنة.

قد مضت أخبارُ عقيلٍ فيما تقدم من الكتاب، ونذكر ها هنا أخبارَ شَبِيب بن البَرْصاء ونسبه، لأن المُغَنين خلطوا بعضَ شعره ببعض شِعر عَقِيل في الغناء الماضي ذِكْرُهُ، ونعيدُ هاهنا من الغناء ما شعرُهُ لشبيبٍ خاصةً وهو:

صوت

من المائة المختارة [الطويل]

سَلاَ أمَّ عَمْرٍو فيمَ أضْحَى أسِيرُها ... تُفادى الأسارَى حَوْلَهُ وهو مُوثَقُ
فلا هُو مقتولٌ ففي القَتْلِ راحَةٌ ... ولا مُنْعَمٌ يوماً عليهِ فَمُطْلَقُ

ويروى:

ولا هُوَ مَمْنونٌ عليه فَمُطْلَقُ

الشعرُ لشبيبِ بن البَرْصاء، والغناء لِدُقاق جاريةِ يحيى بن الربيع. رملٌ بالوسطى عن عمرو. وذكر حبشٌ أن فيه رملاً آخر لطويس.

(١) نعمة عين: قرة عين.

أخبار شَبيب بن البَرْصاء ونسبه

[توفي ١٠٠ هـ/ ٧١٨ م]

[اسمه ونسبه]

هو شبيبُ بن يزيد بن جمرةَ، وقيل جبر بن عوف بن أبي حارثةَ بن مرّة بن نُشْبَة بن غَيْظ بن مرّة بن سعد بن ذُبيان. والبرْصاء أمه، واسمها قِرْصافة بنتُ الحارث بن عوف بن أبي حارثة، وهو ابن خالة عقيل بن عُلَّفة، وأم عقيلٍ عَمْرَة بنت الحارث بن عوف، ولُقِّبتْ قِرْصافةُ البَرْصاءَ لبياضِها، لا لأنها كان بها برص. وشبيبٌ شاعرٌ فصيح إسلاميٌّ من شعراء الدولة الأموية، بَدَويّ لم يَحْضُر إلا وافداً أو منتجعاً. وكانَ يُهاجي عقِيلَ بن عُلَّفة ويُعاديه لشراسة كانت في عَقِيل وشرّ عظيم. وكلاهما كان شريفاً سيّداً في قومه، في بيت شرفهم وسُؤدُدهم. وكان شَبيب أعور، أصاب عينه رجل من طيّىء في حَرْب كانت بينهم.

[هجاؤه عقيل بن علّفة]

أخبرنا محمّدُ بن الحسن بن دُرَيْد قال: حدّثنا أبو حاتم السِّجِسْتَانِيّ عن أبي عُبيدة قال: دخل أَرْطَاة بن سُهَيَّة على عبد الملك بن مروان ـ وكان قد هاجى شَبِيب بن البرصاء ـ فأنشده قوله فيه: [الطويل]

أبي كانَ خَيْراً من أبيكَ ولم يَزَلْ جَنِيباً لآبائي وأنْتَ جَنِيبُ[1]

فقال له عبد الملك: كذبتَ! ثم أنشده البيت الآخر فقال:

(١) الجنيب: التابع، المنقاد.

وما زِلْتُ خَيْراً منكَ مُذْ عَضَّ كارهاً رأسَكَ عادِيُّ النِّجادِ رَكُوبُ(١)

فقال له عبد الملك: صدقت. وكان أرطأة أفضل من شبيبٍ نفساً، وكان شبيب أفضل من أرطأة بيتاً.

أخبرني محمد بن يحيى الصوليّ قال: حدّثنا الحزَنْبَل عن عمرو بن أبي عمرو عن أبيه قال: فاخر عقِيل بن عُلّفة شَبِيب بن البرصاء فقال شبيب يهجوه، ويُعَيِّره برجلٍ من طيّيء كان يأتي أمه عَمْرَةَ بنتَ الحارث يقال له حيَّانُ، ويهجو غيظ بن مرّة: [الطويل]

أَلسنا بِفُرْعٍ قد عَلِمْتُمْ دعامَةً ورابِيَةً تَنْشَقُّ عنها سُيولُها(٢)
وَقَدْ عَلِمَتْ سَعْدُ بن ذُبيانَ أننا رَحَاها الذي تأوى إليها وَجُولُها(٣)
إذا لم نَسُسْكُمْ في الأمورِ ولم نَكُنْ لِحَرْبٍ عَوانٍ لاقِحٍ مَنْ يَؤُولها(٤)
فَلَسْتُمْ بأهْدَى في البلادِ مِنَ التي تَرَدَّدُ حَيْرَى حينَ غابَ دليلُها
دَعَتْ جُلُّ يَرْبوع عقيلاً لِحادِثٍ من الأمْرِ فاسْتَخْفَى وأعْيا عَقِيلُها
فقلتُ لَهُ: هَلاَّ أَجَبْتَ عَشِيرَةً لطارِقِ لَيْلٍ حينَ جاءَ رَسُولُها!
وكائِنْ لنا من رَبْوَةٍ لا تَنالُها مَراقيكَ أو جُرثومَةٍ لا تَطولُها
فَخَرْتَ بأيّامٍ لغيرِكَ فَخْرُها وَغُرَّتُها مَعْرُوفَةٌ وحُجُولُها
إذا النّاسُ هابُوا سَوْءَةً عَمَدتْ لها بنو جابرٍ شُبّانُها وكُهولُها
فَهَلاّ بني سَعْدٍ صَبَحْتَ بِغارَةٍ مُسَوَّمَةٍ قد طارَ عنها نَسِيلُها!(٥)
فتُدْرِكَ وتْراً عند ألأم واتِرٍ وتُدْرِكَ قَتْلَى لم تُتَمَّمْ عُقُولُها(٦)

وقال أبو عمرو: اجتمع عَقِيل بن عُلّفة وشبيب بن البرصاء عند يحيى بن الْحَكَم فتكلّما في بعض الأمر، فاستطال عقيلٌ على شبيب بالصّهر الذي بينه وبين بني مروان وكان زوّجْ ثلاثاً من بناته فيهم، فقال شبيب يهجُوه:

---

(١) عاديّ النجاد: الطريق الواسع القديم.
(٢) الفرع: قرية من نواحي المدينة. (معجم البلدان ٤/ ٢٥٢).
(٣) رحى القوم: سيدهم. والجول: الصخرة التي يكون عليها الطيّ فإذا زالت تهورت البئر.
(٤) الحرب العوان: التي قوتل فيها مرة بعد أخرى. ويؤولها: يسوسها.
(٥) النسيل: ما سقط من شعر وصوف.
(٦) العقول: جمع عقل، وهو الدية.

ألا أبْـلِـغْ أبـا الْـجَـرْبـاءِ عَـنّـي ... بـآيـاتِ الـتَّـبـاغُـضِ وَالـتَّـقـالِـي[١]
فـلا تَـذْكُـرْ أبـاكَ الـعَـبْـدَ وافْـخَـرْ ... بـأمٍّ لَـسْـتَ مُـكْـرِمَـهـا وخـالِ
وَهَـبْـهـا مُـهْـرَةً لَـقِـحَـتْ بِـبَـغْـلٍ ... فـكـانَ جَـنِـيـنُـهـا شَـرَّ الـبـغـالِ[٢]
إذا طـارتْ نـفـوسُـهُـمُ شَـعـاعـاً ... حَمَيْنَ المُحْصَنات لدى الحِجالِ[٣]
بِـطَـعْـنٍ تَـعْـثُـرُ الأبـطـالُ مـنـهُ ... وضربٍ حَيْثُ تُقْتَنَصُ العَوالِي[٤]
أبَـى لِـي أنّ آبـائِـي كـرامٌ ... بَـنَـوْا لـي فـوقَ أشْـرافٍ طِـوالِ
بُـيـوتَ الـمَـجْـدِ ثـم نَـمُـوتُ مـنـهـا ... إلـى عَـلْـيـاءَ مُـشْـرِفَـةِ الـقَـذَالِ
تَـزِلُّ حِـجـارَةُ الـرَّامِـيـنَ عـنـهـا ... وَتَـقْـصُـر دونَـهـا نَـبْـلُ الـنِّـضـالِ
أبـالْـحُـفَّـاثِ شَـرِّ الـنّـاسِ حَـيّـاً ... وأعـنـاقِ الأُيُـورِ بَـنِـي قِـتـالِ[٥]
رَغِـبْـتَ مُـسـامِـيـاً لِـتـنـالَ مَـجْـداً ... فَـقَـدْ أصْـبَـحْـتَ مـنـهـم فـي سَـفَـالِ

قال أبو عمرو: بنو قِتال إخوةُ بني يربوع رهط عقيل بن علّفة وهم قوم فيهم جفاء، قال أبو عمرو: مات رجل منهم فلفّه أخوه في عباءة له، وقال أحدهما للآخر: كيف تحمِله؟ قال: كما تُحْمَلُ القربة. فعمَد إلى حبل فشدّ طَرَفه في عنقه وطرفه في ركبتيه وحمله على ظهره كما تُحمل القِربة، فلما صار به إلى الموضع الذي يريد دفنه فيه حفر له حَفِيرةً، وألقاه فيها، وهال عليه التراب حتى واراه. فلما انصرفا قال له: يا هناه[٦]، أُنْسِيتُ الحبل في عنق أخي ورجليه، وسيبقى مكتوفاً إلى يوم القيامة. قال: دعه يا هناه، فإن يرد الله به خيراً يَحْلُله.

[بعض أخباره وشعره]

وقال أبو عمرو: خطب شبِيب بن البرصاء إلى يزيد بن هاشم بن حَرْملة المُرّي ثم الصِّرْمي ابنَته، فقال: هي صغيرة، فقال شبيب: لا؛ ولكنك تبغِي أن تردّني، فقال له يزيد: ما أردتُ ذاك، ولكن أَنظِرني هذا العام، فإذا انصرم فعليّ أن

(١) التقالي: التباغض.
(٢) لقحت: حملت.
(٣) الحجال: جمع حجلة، وهي القبة التي تهيأ للعروس وتزين بالثياب والأسرة والستور.
(٤) العوالي: الرماح.
(٥) الحفّات: حية شبة قوم عقيل بها.
(٦) يا هناه: يا فلان.

أُزوّجك. فرحل شبيبٌ من عنده مُغْضَباً، فلما مضى قال ليزيدَ بعضُ أهله. والله ما أفلحتَ! خطب إليك شبيبٌ سيّد قومك فرددتَه! قال: هي صغيرة، قال: إن كانت صغيرة فستكبر عنده. فبعث إليه يزيد: ارجع فقد زوّجتك، فإني أكره أن ترجِع إلى أهلك وقد رددتك، فأبى شبيبٌ أن يرجِع وقال: [الطويل]

لَعَمْرِي لقد أشْرَفْتُ يومَ عُنَيْزَةٍ ... على رَغْبَةٍ لو شَدَّ نَفْسِي مَرِيرُها[1]
ولكنّ ضعفَ الأمر ألاّ تُمِرَّه ... ولا خير في ذي مِرّةٍ لا يُغيرُها[2]
تَبَيَّنُ أدبارُ الأمُورِ إذا مَضَتْ ... وتُقبِلُ أشباهاً عليكَ صدورُها
تُرَجِّي النفوسُ الشيءَ لا تستطيعهُ ... وتَخشى من الأشياءِ ما لا يَضِيرُها
ألا إنَّما يكفي النفوسَ إذا اتَّقَتْ ... تُقَى الله مما حاذَرتْ فيُجيرُها
ولا خيرَ في العِيدانِ إلا صِلابُها ... ولا ناهِضاتِ الطَّيْرِ إلا صُقُورُها
ومستنبِحٍ يَدْعُو وقد حالَ دونه ... من الليلِ سِجْفَا ظُلْمَةٍ وسُتورُها[3]
رفعتُ لَهُ نارِي فلمّا اهْتَدَى لها ... زَجَرْتُ كلابي أن يَهِرَّ عَقُورُها[4]
فبات وقد أسرَى من الليل عُقْبَةً ... بليلةِ صِدْقٍ غابَ عنها شُرُورُها
وقد علِمَ الأضيافُ أنّ قِراهُمُ ... شِواءُ المَتَالي عندنا وقَدِيرُها[5]
إذا افتخرتْ سعدُ بنُ ذُبيان لم يَجِدْ ... سِوَى ما بنينا ما يَعُدُّ فَخورها
وإني لتَّراكُ الضَّغِينَةِ قد بدَا ... ثَراها من المَولَى فلا أستثِيرها
مَخافَةَ أن تَجْنِي عليَّ وإنَّما ... يَهِيجُ كبيراتِ الأمُورِ صَغِيرُها
إذا قِيلتِ العَوراءُ ولَّيْتُ سَمْعَها ... سِوايَ ولم أسْمَعْ بها ما دَبِيرُها[6]
وحاجةِ نفسٍ قد بَلَّغْتُ وحاجَةٍ ... تَرَكْتُ إذا ما النَّفْسُ شَحَّ ضَمِيرها
حياءً وَصَبْراً في المواطِنِ إنَّني ... حَيِيٌّ لَدَى أمثالِ تلك سَتِيرها
وأحْبِسُ في الحَقِّ الكَرِيمَةَ إنَّما ... يقوم بِحَقِّ النائباتِ صَبُورها
أُحابي بها الحَيَّ الَّذي لا تُهِمُّهُ ... وأحْسابَ أمواتٍ تُعَدُّ قُبورها
ألَمْ تَرَ أنّا نُورُ قَوْمٍ وإنَّما ... يُبَيِّن في الظَّلماءِ للناسِ نُورُها

---

(١) عنيزة: موضع بين البصرة ومكة. (معجم البلدان ١٦٣/٤). والمرير: العزيمة.
(٢) أمرّ الحبل: فتله. وأغار الحبل: أحكم شدّه.
(٣) السِّجف: الستر.
(٤) هرير الكلب: صوته وهو دون النباح.
(٥) المتالي: جمع متلية، وهي الناقة التي يتبعها ولدها.
(٦) العوراء: الكلمة القبيحة. ودبيرها: ما وراءها.

أخبرني محمد بن عمران الصَّيْرفي قال: حدّثنا الحسنُ بن عُلَيْل العَنَزيّ قال: حدّثني محمد بن عبد الله بن آدم بن جُشَم العبديّ قال:

كانت بين بني كلب وقوم من قيس دِياتٌ، فمشى القوم إلى أبناء أخواتهم من بني أمية يستعينون بهم في الحمالة، فحملها محمد بن مروان كلَّها عن الفريقين، ثم تمثل بقول شبيب بن البرصاء: [الكامل]

ولقد وَقَفْتُ النَّفسَ عن حاجاتها … والنَّفسُ حاضِرَةُ الشَّعاعِ تَطَلَّعُ
وَغَرِمْتُ في الحَسَبِ الرفيعِ غَرامَةً … يَعيا بها الحَصِرُ الشَّحِيحُ ويَظْلَعُ(١)
إنّي فَتًى حُرٌّ لِقَدْرِيَ عارِفٌ … أُعْطِي بهِ وعليهِ مِمَّا أَمْنَعُ

أخبرني محمد بن خلفٍ وكيعٌ قال: حدّثنا إسحاق بن محمد النَّخَعي قال: حدّثني الحِرمازيُّ قال: نزل شبيبُ بن البرصاء وأرطاةُ بنُ زُفَر وعُوَيْفُ القوافي برجل من أَشْجَعَ كثيرِ المال يُسَمَّى عَلْقمة، فأتاهم بشربة لبن ممذوقةٍ(٢) ولم يَذْبح لهم، فلما رأوا ذلك منه قاموا إلى رواحلهم فركبوها ثم قالوا: تعالَوْا حتى نهجوَ هذا الكلب. فقال شبيب: [الطويل]

أفي حَدَثانِ الدَّهْرِ أَمْ في قَديمِهِ … تَعَلَّمْتَ ألاَّ تَقْرِيَ الضَّيْفَ عَلْقَما؟

وقال أرطاة: [الطويل]

لَبِثْنا طويلاً ثم جاءَ بِمَذْقَةٍ … كماءِ السَّلاَ في جانِبِ القَعْبِ أَثْلَما(٣)

وقال عُوَيف: [الطويل]

فَلَمّا رأينا أنه شَرُّ مَنْزِلٍ … رمينا بِهِنَّ الليلَ حتى تُخُرِّما(٤)

أخبرني هاشمُ بنُ محمدٍ الْخُزاعيّ قال: حدّثنا عيسى بن إسماعيلَ عن القَحْذمي قال: غاب شبيبُ بنُ البرصاء عن أهله غيبةً، ثم عاد بعد مدّة، وقد مات

(١) الحصر الشحيح: البخيل الذي يحصر ويضيق إذا طلب منه شيء. ويظلع: يغمز في مشيه. والظلع: مشيه بالعرج.
(٢) ممذوقة: مخلوطة بالماء.
(٣) القعب الأثلم: الإناء المثقوب.
(٤) تُخُرِّم الليل: انقضى.

جماعة من بني عمّه، فقال شبيب يرثيهم: [البسيط]

تَـخَـرَّمَ الـدَّهْـرُ إخـوانـي وَغَـادَرَنِـي ... كـمـا يُـغَـادَرُ ثَـوْرُ الـطّـارِدِ الـفَـئِـدُ[١]

إنِّـي لـبـاقٍ قـلـيـلاً ثـم تـابِـعُـهُـم ... وَوَارِدُ مَـنْـهَـلَ الـقَـوْمِ الـذي وَرَدُوا

قال أبو عمرو: هاجَى شبيبُ بنُ البرصاء رجلاً من غَنِيّ، أو قال من باهلةَ، فأعانه أرطأة بن سُهَيّة على شبيب، فقال شبيب: [الطويل]

لَعَمْرِي لئن كانَتْ سُهَيَّةُ أوْضَعَتْ ... بأرطاةَ في رَكْبِ الخِيانَةِ وَالغَدْرِ[٢]

فما كانَ بالطِّرْفِ العَتِيقِ فيُشْتَرَى ... لِفِحلتهِ، ولا الجوادِ إذا يَجْرِي[٣]

أتنْصُرُ مِنِّي مَعْشَراً لَسْتَ منهمُ ... وغيرُكَ أولى بالحِياطَةِ والنَّصْرِ!

ويروى: «وقد كنت أولى بالحِياطة» وهو أجود.

وقال أبو عمرو: استعدى رهطُ أرطأة بن سُهَيَّة على شبيب بن البرصاء إلى عثمان بن حَيَّان المريّ وقالوا له: يعُمُّنا بالهجاء ويشتمُ أعراضنا، فأمر بإشخاصه إليه فأُشخِص، ودخل إلى عثمان وقد أُتِي بثلاثة نفرٍ لصوصٍ قد أفسدوا في الأرض يقال لهم بَهْدَل ومثغورٌ وهَيْصَم، فقتل بهدلاً وصلبه، وقَطَع مثغوراً والهيصم، ثم أقبل على شبيبٍ فقال: كم تَسُبُّ أعراض قومك وتستطيل عليهم! أُقسِمُ قسماً حقاً لئن عاودت هجاءهم لأقطعنّ لسانك، فقال شبيب:

سجنتَ لساني يابْنَ حيّان بَعْدَما ... تَوَلَّى شَبابي، إنَّ عَقْدَكَ مُحْكَمُ

وَعِيدُك أبقى من لساني قُذَاذَةً ... هَيُوباً وصَمتاً بعدُ لا يتكلمُ[٤]

رأيتكَ تَحْلَوْلِي إذا شِئْتَ لامْرِئٍ ... ومُرّاً مُرَاراً فيه صابٌ وعَلْقَمُ

وكلُّ طَريدٍ هالِكٌ مُتَحَيِّرٌ ... كما هَلَكَ الحَيْرانُ والليلُ مُظلمُ

أَصَبْتَ رجالاً بالذُّنوبِ فأصْبَحُوا ... كما كانَ مَثْغُورٌ عليكَ وهَيْصَمُ

خطاطِيفُكَ اللاتي تَخَطَّفْنَ بَهْدَلاً ... فأوْفَى به الأشْرَافَ جِذْعٌ مُقَوَّمُ[٥]

يداكَ يَدَا خَيْرٍ وَشَرٍّ فمنهما ... تَضُرُّ وللأُخْرَى نَوالٌ وأنْعُمُ

وقال أبو عمرو: استاق دُعَيجُ بن سيف بن جَذِيمة بن وهب الطائيُّ ثم

---

(١) الفئد: الشاكي فؤاده.

(٢) أوضع: أسرع.

(٣) الطِّرْف: الفرس الكريم الأطراف.

(٤) القُذاذة: القطعة.

(٥) الأشراف: الأطراف.

الجَرْميُّ إبلَ شبيب بن البرصاء فذهب بها، وخرج بنو البرصاء في الطلب، فلما واجهوا بني جَرْم قال شبيب: اغتنِموا بني جَرْم، فقال أصحابه: لسنا طالبين إلا أهل القَرحَة[١]، فمضَوا حتى أتوا دُعيجاً وهو برأس الجبل، فناداه شبيب: يا دعيج، إن كانت الطِّراف حَيَّة فلك سائر الإبل، فقال: يا شبيب، تبصَّرْ رأسها من بين الإبل، فنظر فأبصَرَها، فقال شبيب: شدّوا عليه واصعدوا وراءه، فأبوا عليه، فحمل شبيب عليه وحده، ورماه دُعيجٌ فأصاب عينَه، فذهب بها ـ وكان شبيبٌ أعورَ ثم عَمِيَ بعد ما أسنّ ـ فانصرف وانصرف معه بنو عمه، وفاز دعيج بالإبل، فقال شبيب: [الطويل]

أَمَرْتُ بني البَرْصاءِ يومَ حُزَابَةٍ ... بأمْرِ جَميعٍ لَمْ تَشَتَّتْ مَصَادِرُهْ
بشَوْلِ ابنِ معروفٍ وحَسَّانَ بَعْدَما ... جَرَى لي يُمنٌ قد بَدا ليَ طَائرُهْ[٢]
أيَرْجِعُ حُرٌّ دونَ جَرْمٍ ولم يَكُنْ ... طِعانٌ ولا ضَرْبٌ يُذَعْذَعُ عاسِرُه[٣]
فأذهَبَ عَيني يومَ سَفْحِ سَفِيرَةٍ ... دُعَيْجُ بنُ سَيْفٍ، أعْوَزَتْهُ مَعاذِرُهْ[٤]
ولَمّا رأيتُ الشَّوْلَ قد حالَ دُونَها ... من الهَضْبِ مُغْبَرٌّ عَنيفٌ عَمائِرُه[٥]
وأعْرَضَ رُكْنٌ من سَفِيرَةَ يُتَّقَى ... بَشُمٍّ الذُّرَا لا يَعْبُدُ الله عامِرُه[٦]
أخَذْتُ بني سَيْفٍ ومالِكَ مَوْقِعٍ ... بما جَرَّ مولاهُمْ وجَرَّتْ جَرائرُه[٧]
وَلَوْ أنّ رَجْلِي يَوْمَ فَرَّ ابنُ جَوْشَنٍ ... عَلِقْنَ ابْنَ ظَبْيٍ أعْوَزَتْهُ مَغاوِرُه[٨]

أخبرني عمي قال: حدّثني الكُرانيّ قال: حدّثنا العُمَريُّ عن عاصم بن الحَدَثانِ قال: هجا أرطاةُ بن سهيّة شبيبَ بن البرصاء ونفاه عن بني عوف فقال:

[الطويل]

فلو كُنْتَ عَوْفِياً عَمِيتَ وأسْهَلَتْ ... كُدَاكَ وَلٰكِنَّ المُرِيبَ مُرِيبُ

---

(١) القرحة في الأصل: الجراحة، والمراد هنا: الذين استاقوا إبلهم وآذوهم.
(٢) الشول من النوق: التي خفّ لبنها وارتفع ضرعها مفردها شائلة.
(٣) يذعذع: يبدّد، يفرّق. والعاسر: الناقة التي ترفع ذنبها عند عدوها.
(٤) سفيرة: ناحية من بلاد طيّىء. (معجم البلدان ٣/ ٢٢٥).
(٥) العمائر: جمع عمارة وهي فوق البطن من القبائل.
(٦) عامره: أراد دعيجاً.
(٧) الجرائر: جمع جريرة وهي الذنب.
(٨) الرَّجْل: الرجّالة.

قال: فعمِي شبيب بن البرصاء بعد موت أرطاة بن سهيّة، فكان يقول: ليت ابن سهية حيّاً حتى يعلم أني عَوفِيّ، قال: والعمى شائع في بني عوف، إذا أسنّ الرجل منهم عمِيَ، وقلّ من يفلت من ذلك منهم.

وحدّثني عمي قال: حدّثني عبد الله بن أبي سعد قال: حدّثني عليُّ بن الصباح عن ابن الكلبي قال: أنشد الأخطل عبد الملك بن مروان قوله: [الكامل]

بَكَرَ العَواذِلُ يَبْتَدِرْنَ مَلامَتي ... والعاذِلونَ فَكُلُّهم يَلْحَاني[1]
في أنَ سَبَقْتُ بِشَرْبَةٍ مَقَدِيَّةٍ ... صِرْفٍ مُشَعْشَعَةٍ بماءِ شُنانِ[2]

فقال له عبد الملك: شبيبُ بن البرصاء أكرم منك وصفاً لنفسه حيث يقول:

[الطويل]

وإنّي لَسَهْلُ الوَجْهِ يُعرَفُ مَجْلِسي ... إذا أحْزَنَ القاذورةُ المتَعَبِّسُ[3]
يُضِيءُ سَنَا جَودِي لِمَنْ يَبْتَغِي القِرَى ... وَلَيْلُ بَخِيلِ القَوْمِ ظَلماءُ حِندِسُ
أَلِينُ لِذِي القُرْبَى مِراراً وَتَلْتَوي ... بأعْناقِ أعْدائِي حِبالٌ تَمَرَّسُ[4]

قال: وكان عبد الملك يتَمثَّل بقول شبيبٍ في بذل النفس عند اللقاء ويُعجب به: [الطويل]

دعانِيَ حِصْنٌ للفِرارِ فَسَاءني ... مَوَاطِنُ أن يُثْنَى عَلَيَّ فأُشْتَما
فقُلْتُ لِحِصْنٍ نَحِّ نَفْسَك إنَّما ... يذُودُ الفتى عن حَوْضِهِ أن يُهَدَّما
تأخَّرْتُ أَسْتَبْقِي الحَياةَ فلم أجِدْ ... لِنَفْسِي حَياةً مِثْلَ أنْ أتَقَدَّما
سيكفيك أطرافَ الأسنّة فارسٌ ... إذا رِيعَ نادى بالجواد وبالحِمَى
إذا المَرْءُ لَمْ يَغْشَ المكارِهَ أوْشَكَتْ ... حِبَالُ الهُوَيْنَى بالفَتَى أن تَجذَّما[5]

نسختُ من كتاب أبي عبد الله اليزيديّ ولم أقرأه عليه، قال خالد بن كُلثوم: كان الذي هاج الهجاء بين شبيب بن البرصاء وعقِيل بن علّفة أنه كان لبني

---

(١) يلحاني: يلومني، يعيبني.
(٢) المقدية: نسبة إلى مقد، وهي قرية بالأردن، وقيل بالشام (معجم البلدان ٥/ ١٦٥). والشنان: الماء البارد.
(٣) القاذورة: السيىء الخلق.
(٤) تتمرس: تلتوي، وحذف حرف المضارعة من تتمرس فجاءت تَمَرَّس.
(٥) تتجذم: تتقطع.

نُشْبَة جار من بني سَلامان بن سعد، فبلغ عقيلاً عنه أنه يطوف في بني مرّة يتحدّث إلى النساء فامتلأ عليه غيظاً، فبينا هو يوماً جالس وعنده غِلمان له وهو يجزّ إبلاً له على الماء ويَسِمُها إذ طلع عليه السَّلاماني على راحلته، فوثب عليه هو وغِلمانه فضربوه ضرباً مبرِّحاً، وعقر راحلته، وانصرف من عنده بشرّ، فلم يعد إلى ذلك الموضع، ولَجَّ الهجاء بينهما. وكان عقيلٌ شَرِساً سيّىء الخلق غَيُوراً.

أخبار دُقاق

[أخبارها وغناؤها]

كانت دقاقُ مُغَنِّيَةً محسنة جميلةَ الوجهِ قد أخذت عن أكابر مُغَنِّي الدولة العباسية، وكانت ليحيى بن الربيع، فولدت له أحمدَ ابنه، وعُمِّر عمراً طويلاً وحدّثنا عنه جحظةُ ونظراؤه من أصحابنا، وكان عالماً بأمر الغناء والمغنين، وكان يغنّي غناء ليس بمُستَطاب ولكنه صحيح. ومات يحيى بن الربيع فتزوّجت بعده من القوّاد والكتّاب بِعِدّة، فماتوا وورِثَتْهم.

فحدّثني عمي قال: حدّثني أحمدُ بن الطيب السَّرَخْسِيُّ قال: كانت دقاق ـ أمّ ولد يحيى بن الربيع أحمد المعروف بابن دقاق ـ مغنيةً محسنة متقِنَة الأداءِ والصّنعة، وكانت قد انقطعت إلى حَمْدونةَ بنتِ الرشيد ثم إلى غَضِيض، وكانت مشهورة بالظَّرف والمجون والفتوّة. قال أحمد بن الطيب: وعَتَقَتْ[1] دقاق فتزوّجها بعدَ مولاها ثلاثةٌ من القوّاد من وجوههم، فماتوا جميعاً، فقال عيسى بن زينب يهجوها: [الخفيف]

قُلْتُ لَمّا رَأَيْتُ دارَ دُقاقِ ... حُسْنُها قَدْ أَضَرَّ بالعُشّاقِ

حَذِّروا الرّابِعَ الشَّقِيَّ دُقاقاً ... لا يَكونَنَّ نَجْمُهُ في مُحاقِ[2]

أَلْهُ عن بَضْعِها فإنَّ دُقاقاً ... شُؤْمُ حِرْها قد سارَ في الآفاق[3]

لم تُضاجِع بعلاً فَهَبَّ سَلِيماً ... بَلْ جريحاً وجُرْحُهُ غير راقي[4]

أخبرني الحسين بن القاسم الكوكبيّ قال: حدّثني الهَدادِيّ الشاعر قال:

---

(١) عتقت: أُعتقت، وأصبحت حرّة.

(٢) المحاق: غياب القمر فلا يرى.

(٣) البَضع: الزواج. والبُضع: النكاح.

(٤) رقيء الجرح: شفي.

حدّثني أبو عبد الله بنُ حمدون وأخبرني جحظةُ عن ابن حمدون ـ وروايةُ الكوكبي أتمّ ـ قال: كتبتْ دقاق إلى أبي تصفُ هَنَها[١] صفةً أعجزه الجوابُ عنها، فقال له صديق له: ابعث إلى بعض المُخَنَّثين حتى يصف متاعك، فيكون جوابَها، فأحضر بعضَهم وأخبره الخبر، اكتب إليها: عندي القُوقُ[٢] البُوق[٣]، الأصلع المزبوق[٤]، الأقرع المفروق، المنتفِخُ العروق، يسدّ البُثوقَ[٥]، ويفتقُ الفُتوق، ويرُمُّ[٦] الخُروق، ويقْضي الحقوق، أسدٌ بين جملين، بغلٌ بين حَمَلَيْن، منارةٌ بين صخرتين، رأسه رأس كلب، وأصله مَتْرس دَرْب، إذا دخل حَفَر، وإذا خرج قَشَر، لو نطح الفيلَ كوَّره، ولو دخل البحر كدّره، إذا رقَّ الكلامُ، وتقاربت الأجسام، والتفتِ الساقُ بالساق، ولُطِخَ باطنُها بالبُصاق، وقُرِع البَيْضُ بالذكور، وجَعلت الرماح تَمُور، بطعن الفِقاح[٧]، وشقّ الأحراح[٨]، صبرْنا فلم نجزع، وسلّمنا طائعين فلم نُخْدع. قال: فقطَعَها.

حدّثني عمي قال: حدّثني أحمد بن الطيب قال: حدّثني أحمد بن عليّ بن جعفر قال: حضرتُ مرّة مجلساً وفيه ابنُ دقاق وفيه النصرانيّ المعروفُ بأبي الجاموس اليعقوبي البزّاز قَرابة بلال قال: فعبِث ابن دقاق بأبي الجاموس، فلما أكثر عليه قال: اسمعوا مني، ثم حلف بالحنيفية أنه لا يكذب، وحدّثنا قال: مضيت وأنا غلام مع أستاذي إلى باب حمدونَة بنتِ الرشيد ومعنا بَزٌّ نعرضه للبيع، فخرجت إلينا دقاقُ أمُّ هذا تُقاوِلنا[٩] في ثمن المتاع، وفي يدها مِرْوحة على أحد وجهيها منقوشٌ: الحِرُ إلى أَيْرين أحوجُ من الأير إلى حِرَيْنِ، وعلى الوجه الآخر: كما أن الرّحا إلى بغلين أحوج من البغل إلى رَحَوَيْن، قال: فأسكته والله سكوتاً علمنا معه أنه لو خرِس لكان الخَرَس أصون لعرضه مما جرى.

(١) الهن: الفرج.
(٢) القوق: الطويل.
(٣) البوق: المزمار.
(٤) المزبوق: المنتوف.
(٥) البثوق: جمع بثق، وهو الشَّق.
(٦) يرمّ: يصلح.
(٧) الفقاح: جمع فقحة، وهي حلقة الدبر.
(٨) الأحراح: جمع حرح، وهو الفرج.
(٩) تقاولنا: تفاوضنا.

قال أحمد: وفي دقاق يقول عيسى بن زينب وكان لها غلامان خِلاسِيان[١] يروّحانها في الخَيش[٢]، فتحدّث الناس أنها قالت لواحد منهما أن ينيكها، فعَجَز فقالت له: نِكني وأنت حرّ، فقال لها: نيكِيني أنتِ وبيعيني في الأعراب، فقال فيها عيسى بن زينب:

أحْسَنُ مَنْ غَنَّى لنا أوْ شَدَا ... دُقاقُ في خَفْضٍ منَ العَيْش
لها غلامان يَنيكانِها ... بعِلّةِ التَّرْويحِ في الخَيْشِ

حدّثني جَحْظة قال: حدّثني هبة الله بن إبراهيم بن المهدي قال: كانت دقاقُ جارية يحيى بن الربيع تواصل جماعة كانوا يميلون إليها وتُري كلّ واحد منهم أنها تهواه، وكانت أحسنَ أهلِ عصرها وجهاً، وأشأمهم على من رَابَطها[٣] وتزوّجها، فقال فيها أبو إسحاق ـ يعني أباه:

صوت

[الوافر]

عدِمتُكِ يا صديقَةَ كُلِّ خَلْقٍ ... أكُلَّ النّاسِ وَيْحَكِ تَعْشَقينا؟
فَكَيْفَ إذا خَلَطْتِ الغَثَّ مِنْهُمْ ... بِلَحْمِ سَمِينِهِمْ لا تَبْشَمِينا[٤]

فيه خفيف رملٍ ينسب إلى إبراهيم بن المهدي وإلى رَيّق وإلى شارِيَةَ.

أخبرني عمّي قال: حدّثني أحمد بن أبي طاهر قال: حدّثنا أبو هَفَّان قال: خرج يحيى بن الربيع مولى دقاق ـ وكانت قد ولدت منه ابنه أحمد بن يحيى ـ إلى بعض النواحي، وترك جاريته دقاق في داره، فعمِلت بعده الأوابِد[٥]، وكانت من أحسن الناس وجهاً وغناء، وأشأمِه على أزواجها ومواليها ورُبَطائها، فقال أبو موسى الأعمى فيه:

قُل ليحيى نَعَمْ صَبَرْتَ على المَوْ ... تِ ولم تَخْشَ سَهْمَ ريبِ المَنونِ
كيفَ قُلْ لي أطَقْتَ وَيْحَكَ يا يَحْـ ... ـيى على الضَّعْفِ منكَ حَمْلَ القُرونِ!

---

(١) الخلاسيّ: الولد بين أبوين أبيض وأسود.
(٢) الخيش: ثياب غليظة الخيوط.
(٣) رابطها: لازمها.
(٤) بشم: أتخم.
(٥) الأوابد: جمع آبدة، وهي الداهية.

وَيْحَ يَحْيَى ما مَرَّ باسْتِ دُقاقٍ ... بعدَ ما غابَ من سِياط البُطونِ

صوت من المائة المختارة

[الطويل]

تكاشِرُني كُرْهاً كأنَّكَ ناصِحٌ ... وَعَيْنُك تُبْدِي أَنَّ صَدْرَكَ لي دَوي[1]
لِسانُكَ لي حُلْوٌ وَعَيْنُكَ عَلْقَمٌ ... وشَرُّكَ مَبْسُوطٌ وَخَيْرُك مُلْتَوِي

الشعر ليزيد بن الحكم الثقفي والغناء لإبراهيم ثقيل أوّل مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق، وفيه لجهم العطار خفيف ثقيل عن الهشاميّ.

(١) تكاشرني: في تضحك في وجهي. والدَّوِي: المريض.

نسب يزيد بن الحكَمَ وأخباره

[توفي ١٠٥ هـ/ ٧٢٣ م]

[اسمه ونسبه]

هو يزيدُ بنُ الحكم بن عثمان بن أبي العاص صاحب رسول الله ﷺ، كذلك وجدت نسبه في نسخة ابن الأعرابي. وذكر غيره أنه يزيد بن الحكم بن أبي العاص، وأن عثمان عمُّه، وهذا هو القول الصحيح. وأبو العاص بنُ بشر بن عبد دُهمان بن عبد الله بن همّام بن أبان بن يَسار بن مالك بن حُطيط بن جُشَم بن قسي وهو ثقيفُ.

[روايته الحديث عن رسول الله ﷺ]

وعثمان جدُّه أو عم أبيه أحد من أسلم من ثقيف يوم فتح الطائف هو وأبو بَكْرة، وشطُّ عثمان بالبصرة منسوب إليه، كانت له هناك أرض أَقْطِعَها وابتاعها وقد رَوَى عن رسول الله ﷺ الحديث، وروى عنه الحسنُ بن أبي الحسن ومُطَرِّف بن عبد الله بن الشِّخِّير وغيرهما من التابعين.

أخبرني الحسن بن علي قال: حدّثنا بشر بن موسى قال: حدّثنا الحُمَيْدِيُّ قال حدّثنا سفيان، سمعه من محمدِ بن إسحاق، وسمعه محمدٌ من سعيد بن أبي هند، وسمعه سعيدٌ بن أبي هند من مُطَرِّف بن عبد الله بن الشِّخِّير قال:

سمعت عثمانَ بن أبي العاص الثقفيّ يقول: قال لي رسول الله ﷺ **«أُمَّ قومَكَ واقدُرْهم بأضعفهم فإن منهم الضعيفَ والكبيرَ وذا الحاجة»**. قال الحُمَيْديّ: وحدّثنا الفُضَيْل بن عياض عن أشعبَ عن الحسن عن عثمان بن أبي العاص قال: قال رسول الله ﷺ: **«اتخذوا مؤذّناً ولا يأخذ على أذانه أجراً»**.

[أخباره مع الحجاج وعبد الملك وغيرهما وشعره]

أخبرني أحمدُ بن عبد العزيز الجوهريُّ قال: حدّثنا عمر بن شبة قال: حدّثنا العلاء بنُ الفضل قال: حدّثني أبي قال: مرّ الفرزدق بيزيد بن الحكم بن أبي العاص الثقفيّ وهو يُنشد في المجلس شعراً فقال: من هذا الذي يُنشِد شعراً كأنه من أشعارنا؟ فقالوا: يزيدُ بن الحكم، فقال: نعم؛ أشهد بالله أن عمّتي ولدته. وأم يزيد بَكرةُ بنتُ الزِّبْرِقان بن بدر، وأمها هُنَيدةُ بنتُ صَعْصَعة بن ناجية وكانت بكرة أوّلَ عربية ركِبت البحر فأُخرِجَ بها إلى الحكم وهو بتَوَّجَ[1]، وكان الزبرقان يكنى أبا العباس، وكان له بنون منهم العباسُ وعيّاش.

أخبرني حبيبُ بنُ نصر المهلّبي قال: حدّثنا عبد الله بن شبيب قال: حدّثنا الحِزامي قال: دعا الحجاجُ بن يوسف بيزيد بن الحكم الثقفيّ، فولاّه كورة فارسَ، ودفع إليه عهدَه بها، فلما دخل عليه ليودّعه قال له الحجّاج: أنشِدْني بعضَ شعرك، وإنّما أراد أن يُنشِده مديحاً له، فأنشده قصيدةً يفخر فيها ويقول: [الكامل]

وأبي الَّذِي سَلَبَ ابْنَ كِسْرَى رايَةً ... بَيْضاءَ تَخْفِقُ كالعُقابِ الطائِرِ

فلما سمع الحجّاج فخره نهض مُغضَباً، فخرج يزيدُ من غير أن يودّعه، فقال الحجّاج لحاجبه: ارتجع منه العهد، فإذا ردّه فقل له: أيهما خيرٌ لك: ما ورَّثك أبوك أم هذا؟ فردّ على الحاجب العهد وقال: قل له: [الكامل]

وَرِثْتُ جَدّي مَجْدَهُ وفَعالَهُ ... وَوَرِثْتَ جَدَّك أَعْنُزاً بالطّائفِ

وخرج عنه مغضباً، فلحق بسليمانَ بن عبد الملك ومدحه بقصيدته التي أوّلُها: [البسيط]

أمْسَى بأسْماءَ هذا القلبُ مَعْمودا ... إذَا أقولُ صَحَا يَعْتادُه عِيدا[2]

يقول فيها:

سُمِّيتَ باسْمِ امْرِئٍ أشبَهْتَ شِيمَتَهُ ... عَدْلاً وَفَضْلاً سليمانَ بنَ داوُدا

---

(١) تَوَّج: مدينة بفارس. (انظر معجم البلدان ٢/ ٥٦).

(٢) المعمود: المدله عشقاً. والقلب العميد: الذي هدّه الحبّ وحطمه.

أَحْمِدْ به في الوَرَى الماضِينَ من مَلِكٍ ... وأنتَ أصبحتَ في الباقينَ محمودا
لا يَبْرأ الناسُ من أن يَحْمَدُوا مَلِكاً ... أولاهُمُ في الأمورِ الحلمَ والجُودا

فقال له سليمان: وكَمْ كان أجرَى لك لِعمالة فارس؟ قال: عشرين ألفاً. قال: فهي لك عليّ ما دمتَ حياً. وفي أوّل هذه القصيدة غناء نسبته:

صوت

[البسيط]

أمْسَى بأسماءَ هذا القلبُ مَعْمُودا ... إذا أقولُ صحا يعتاده عِيدا
كأنَّ أحْوَرَ من غِزلانِ ذي بَقَرٍ ... أَهْدَى لها شَبَهَ العَينَيْنِ والجِيدا(١)
أجْري على مَوْعِدٍ منها فتُخْلِفُني ... فلا أمَلُّ ولا تُوفِي المواعيدا
كأنَّني يوم أُمْسِي لا تُكَلِّمني ... ذُو بُغْيَةٍ يبتغي ما ليس موجودا

ومن الناس من ينسب هذه الأبيات إلى عمر بن أبي ربيعة وذلك خطأ.

عَروضُه من البسيط، والغناءُ للغريض، ثقيل أوّل بالبنصر في مجراها عن إسحاق. وذكر عمرو بن بانةَ أنه لمعبد ثقيل أوّل بالوسطى.

أخبرنا محمدُ بن العباس اليزيدي قال: حدّثنا الخليل بن أسد قال: حدّثني العمري عن الهيثم بن عدي قال: أخبرنا ابنُ عياش عن أبيه قال:

سمعت الحجّاج - واستوى جالساً - ثم قال: صدق والله زهيرُ بن أبي سُلمَى حيث يقول:

[الطويل]

ومَا العفوُ إلاّ لامْرِىءٍ ذِي حَفِيظَةٍ ... مَتَى يَعْفُ عَنْ ذَنْبِ امْرِىءِ السَّوءِ يَلجَجِ

فقال له يزيد بن الحكم: أصلح الله الأمير، إني قد رثيت ابني عَنْبساً ببيت، إنه لشبيه بهذا. قال: وما هو؟ قال قلت:

[الطويل]

ويأمَنُ ذو حِلْمِ العَشيرة جَهْلَهُ ... عليهِ، وَيَخْشَى جَهْلَهُ جُهَلاؤها

قال: فما منعك أن تقولَ مِثلَ هذا لمحمد ابني ترثيه به؟ فقال: إن ابني واللّهِ كان أحبَّ إليّ من ابنك.

وهذه الأبياتُ من قصيدة أخبرني بها عمّي عن الكُرانيّ عن الهيثم بن عديّ.

---

(١) ذو بقر: وادٍ قريب من الربذة. (معجم البلدان ١/ ٤٧١).

قال: كان ليزيد بن الحكم ابنٌ يقال له عَنْبَس، فمات فجزع عليه جزعاً شديداً وقال يرثيه: [الطويل]

جزَى اللّهُ عَنِّي عَنْبَساً كلَّ صالِحٍ إذا كانَتِ الأولادُ سَيْئاً جَزاؤها
هُوَ ابْني وأمْسَى أجْرُه لي وَعَزَّني على نَفْسِهِ رَبٌّ إلَيْهِ وَلاؤها
جَهُولٌ إذا جَهْلُ العَشِيرَةِ يُبتَغَى حَلِيمٌ ويَرْضَى حِلْمَهُ حُلَماؤُها

وبعد هذا البيتُ المذكور في الخبر الأوّل.

أخبرني عمي قال: حدّثنا الكُراني قال: حدّثنا العُمَريّ عن لَقِيطٍ قال قال عبد الملك بنُ مروان: كان شاعرُ ثَقيف في الجاهليّة خيراً من شاعرهم في الإِسلام، فقيل له: من يَعْني أميرُ المؤمنين؟ فقال لهم: أما شاعرهم في الإِسلام فيزيدُ بنُ الحكم حيث يقول: [الوافر]

فما منكَ الشَّبابُ ولستَ منهُ إذا سألَتْك لِحْيَتُكَ الخِضَابا
عَقائلُ من عقائِلِ أهْلِ نَجْدٍ وَمَكَّةَ لم يُعَقِّلْنَ الركابا
ولم يَطْرُدن أبْقَعَ يَوْمَ ظَعْنٍ ولا كَلْباً طَرَدْنَ ولا غرابا

وقال شاعرهم في الجاهليّة:

والشَّيْبُ إنْ يَظْهَرْ فإنَّ وراءَهُ عُمُراً يكونُ خِلالَهُ مُتَنَفَّسُ
لم يَنتقِصْ مِنّي المَشِيبُ قُلامَةً ولَمَا بَقِي مِنِّي ألَبُّ وأكْيَسُ[1]

أخبرني عمّي قال: حدّثنا الكُرانيّ قال: حدّثنا العُمَريّ عن لقيط قال قال يزيد بن الحكم الثقفي ليزيدَ بن المهلب حين خَلَعَ يزيد بن عبد الملك: [الطويل]

أبا خالِدٍ قَدْ هِجْتَ حَرْباً مَرِيرَةً وقد شَمَّرَتْ حَرْبٌ عَوانٌ فَشَمِّرِ

فقال يزيد بنُ المهلّب: بالله أستعين، ثم أنشده، فلما بلغ قوله:

فإنَّ بَنِي مَرْوانَ قد زالَ مُلكُهُمْ فإنْ كُنْتَ لم تَشْعُرْ بذلك فاشْعُرِ

فقال يزيدُ بن المهلب: ما شَعرت بذلك، ثم أنشده فلما بلغ قوله:

فَمُتْ ماجداً أو عِشْ كريماً فإنْ تَمُتْ وَسَيْفُكَ مَشْهُورٌ بِكَفِّكَ تُعْذَرِ

فقال: هذا ما لا بدّ منه.

(١) ألبُّ: أكثر لبّاً وعقلاً. وأكيس: أكثر كياسة وحزماً ولباقة.

قال العمري: وحدّثني الهيثم بن عدي عن ابن عيّاش أن يزيدَ بن المهلّب إنما كتب إليه يزيدُ بن الحكم بهذه الأبيات، فوقّع إليه تحت البيت الأوّل: أستعين بالله. وتحت البيت الثاني: ما شعرت. وتحت الثالث: أمَّا هذه فنعم.

أخبرني محمدُ بنُ خلفٍ وكيعٌ قال: حدّثني الغَلاَّبي قال: حدّثني ابنُ عائشة قال: دخل يزيدُ بنُ الحكم على يزيد بن المهلّب في سجن الحجّاج وهو يعذَّب، وقد حلّ عليه نَجْمٌ كان قد نُجِّم عليه[1]، وكانت نجومه في كلّ أسبوع ستّة عشر ألَف درهم فقال له: [المنسرح]

أصْبح في قَيْدِكَ السَّماحَةُ والجُو ... دُ وفَضْلُ الصَّلاحِ والحَسَبُ

لا بَطِرٌ إن تتابعتْ نَعَمٌ ... وصابرٌ في البلاءِ مُحْتَسِبُ

بَرَزْتَ سَبْق الجِيادِ في مَهَلٍ ... وَقَصَّرَتْ دونَ سَعْيِكَ العَرَبُ

قال: فالتفت يزيدُ بنُ المهلب إلى مولىً له، وقال: أعطه نجمَ هذا الأسبوع، ونصبرُ على العذاب إلى السبت الآخر.

وقد رُويتْ هذه الأبيات والقصّة لحمزةَ بنِ بيض مع يزيد.

أخبرني عمي قال: حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدّثني هارونُ بنُ مُسلِم قال: حدّثني عثمانُ بن حفص قال: حدّثني عبد الواحد عَرِيفُ ثقيفٍ بالبصرة، أن العباسَ بنَ يزيد بن الحكم الثقفي هرب من يوسفَ بنِ عمر إلى اليمامة، قال: فجلست في مسجدها وغشِيني قومٌ من أهلها، قال: فوالله إني لكذلك إذا أنا بشيخ قد دخل يترجَّح في مشيته، فلما رآني أقبل إليّ، فقال القومُ: هذا جريرٌ، فأتاني حتى جلس إلى جنبي، ثم قال لي: السَّلامُ عليك، مِمَّن أنت؟ قلت: رجل من ثقيفٍ. قال: أعْرَضْتَ[2] الأديمَ، ثمّ ممن؟ قلت: رجل من بني مالك، فقال: لا إله إلاّ الله! أمثلُك يعرَفُ بأهل بيته! فقلت: أنا رجل من ولد أبي العاص، قال: ابن بشْر؟ قلت: نعم. قال: أيُّهُمْ أبوك؟ قلت: يزيد بن الحكم. قال: فمن الذي يقول: [الكامل]

فَنِيَ الشَّبابُ وكُلُّ شَيْءٍ فانِ ... وعلا لِداتِي شَيْبُهُمُ وعلانِي

(١) نجم الدين: قسم أقساماً تدفع تقسيطاً.

(٢) أعرض الشيء: جعله عريضاً، وسعه.

قلت: أبي، قال: فمن الذي يقول: [الوافر]

أَلا لا مَرْحَباً بِفِراقِ لَيْلَى ... ولا بالشَّيْبِ إذ طَرَدَ الشَّبابا
شَبابٌ بانَ مَحْمُوداً وَشَيْبٌ ... ذَمِيمٌ لم نَجِدْ لهما ٱصْطِحابا
فما منكَ الشَّبابُ وَلَسْتَ منهُ ... إذا سَأَلَتْكَ لِحْيَتُكَ الخِضابا

قلت: أبي، قال: فمن الذي يقول: [الطويل]

تَعالَوْا فَعُدُّوا يَعْلَم النَّاسُ أيُّنا ... لِصاحِبِهِ في أوّل الدَّهْرِ تابعُ
تَزِيدُ يَرْبُوعٌ بكُمْ في عِدادِها ... كما زِيدَ في عَرْض الأدِيمِ الأكارعُ[1]

قال: قلت: غفر الله لك، كان أبي أصْوَنَ لنفسه وعِرضه من أن يدخل بينك وبين ابن عمك، فقال: رحم الله أباك، فقد مضى لسبيله، ثم انصرف، فنَزَّلني بكيشين، فقال لي أهل اليمامة: ما نزَّل أحداً قبلك قط.

أخبرني محمد بنُ مَزْيد بن أبي الأزهر قال: حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن إبراهيم الموصلّي عن يزيد حَوْراءَ المغنّي قال: كان يزيدُ بنُ الحكم الثقفي يَهْوَى جاريةً مغنّية، وكانت غيرَ مطاوِعةٍ له، فكان يهيم بها، ثم قدِم رجل من أهل الكوفة فاشتراها، فمرّت بيزيد بن الحكم سع غِلمة لمولاها وهي راحلة، فلما علم بذلك رفع صوته فقال: [مخلع البسيط]

يا أيّها النّازحُ الشَّسُوعُ ... ودائِعُ القَلْبِ لا تَضِيعُ[2]
أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ مَنْ إلَيْهِ ... قَلْبِي على نأيِهِ نَزُوعُ[3]
إذا تذكرتُه اسْتَهَلَّتْ ... شَوْقاً إلى وَجْهِهِ الدُّمُوعُ[4]

ومضت الجارية وغاب عنه خبرها مدّة، فبينا هو جالسٌ ذات يوم إذ وقف عليه كهل فقال له: أأنت يزيدُ بنُ الحكم؟ قال: نعم، فدفع إليه كتاباً مختوماً، ففضّه فإذا كتابها إليه وفيه: [مخلع البسيط]

لَئِنْ كَوَى قلبَكَ الشُّسُوعُ ... فالقَلْبُ مِنّي بهِ صُدُوعُ
وبي وَرَبِّ السَّماءِ فاعْلَمْ ... إليكَ يا سَيِّدِي نُزُوعُ

---

(١) الأكارع: جمع كراع، وهو مستدق الساق.
(٢) الشسوع: الشاسع، البعيد.
(٣) النزوع: المشتاق.
(٤) استهلت الدموع: سالت.

أعْــزِزْ عَــلَـيْـنـا بـمـا تُـلاقِـي فِـيـنـا وإنْ شَـفَّـنـا الـوُلُـوعُ
فَـالـنَّـفْـسُ حَـرَّى عَـلَـيْـكَ وَلْـهَـى وَالـعَـيْـنُ عَـبْـرَى لـهـا دُمـوعُ
فَـمَـوْتُـنـا فـي يَـدِ الـتَّـنـائـي وَعَـيْـشُـنـا الـقُـرْبُ والـرُّجُـوعُ
وَحَـيْـثُـمـا كـنـتَ يـا مُـنـايـا فـالـقَـلْـبُ مِـنِّـي بـه خُـشُـوعُ
ثـم عَـلَـيْـكَ الـسَّـلام مِـنِّـي مـا كـانَ مِـنْ شَـمْـسِـهـا طُـلُـوعُ

قال: فبكى والله حتى رحمه من حضر، وقال لنا الكهل: ما قصتُه؟ فأخبرناه بما بينهما، فجعل يستغفِر الله مِنْ حَمْلِه الكتاب إليه، وأحسب أن هذا الخبر مصنوع؛ ولكن هكذا أخبرنا به ابن أبي الأزهر.

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال: حدّثنا أبو غسان دَماذُ عن أبي عبيدة قال أنشدني أبو الزعراء ـ رجلٌ من بني قيس بن ثعلبة ـ لطرفة بن العبد: [الطويل]

تُـكـاشِـرُنـي كـرهـاً كـأنَّـكَ نـاصِـحٌ وَعَيْنُكَ تُبْدِي أنَّ صَدْرَكَ لي جَوِي

قال: فعجبت من ذلك وأنشدته أبا عمرو بن العلاء وقلت له: إني كنت أرويه ليزيدَ بن الحكم الثقفيّ فأنشدنيه أبو الزعراء لطرفةَ بن العبد، فقال لي أبو عمرو: إنّ أبا الزعراء في سنّ يزيد بن الحكم، ويزيد مولّد يجيد الشعر، وقد يجوز أن يكون أبو الزعراء صادقاً.

قال مؤلّف هذا الكتاب: ما أظن أبا الزعراء صدق فيما حكاه، لأنّ العلماء من رواة الشعر روَوْها ليزيد بن الحكم، وهذا أعرابي لا يحصِّل ما يقوله، ولو كان هذا الشعر مشكوكاً فيه أنه ليزيد بن الحكم ـ وليس كذلك ـ لكان معلوماً أنه ليس لطرفة، ولا موجوداً في شعره على سائر الروايات، ولا هو أيضاً مشبهاً لمذهب طرفة ونمطِه، وهو بيزيد أشبه، وله في معناه عِدّة قصائد يعاتِب فيها أخاه عبد ربِّه بن الحكم وابن عمه عبد الرحمٰن بن عثمان بن أبي العاص. ومن قال: إنه ليزيد بن الحكم بن عثمان قال إن عمه عبد الرحمٰن هو الذي عاتبه، وفيه يقول:

[الطويل]

ومَوْلًى كَذِئبِ السَّوْءِ لَوْ يَسْتَطِيعُني أصـابَ دَمِـي يَـوْمـاً بـغـيـرِ قَـتِـيـلِ
وأعْـرِضُ عَـمّـا سـاءَهُ وكـأنَّـمـا يُـقـادُ إلـى مـا سـاءَنِـي بـدَلِـيـلِ
مُـجَـامَـلَـةً مِـنّـي وإكْـرامَ غَـيْـرِهِ بـلا حَـسَـنٍ مِـنْـهُ ولا بِـجَـمِـيـلِ

ولو شئتُ لولا الحِلْمُ جَدَّعْتُ أنْفَهُ بـإيـعـابِ جَـدْعٍ بـادِىءَ وعـلـيـلِ[١]
حِفـاظاً عـلـى أحـلامِ قَـوْمٍ رُزِئْتُـهُـمْ رِزانٍ يَـزيـنـونَ الـنّـدِيَّ كُـهُـولِ

وقال في أخيه عبد ربّه: [البسيط]

أخِي يُسِرُّ ليَ الشَّحْناءَ يُضْمِرُها حَتّى وَرَى جَوْفَهُ من غِمْرِهِ الدّاءُ[٢]
حَرّانُ ذو غُصَّةٍ جُرِّعْتُ غُصَّتَهُ وقد تَعَرَّضَ دونَ الغُصَّةِ الماءُ
حتى إذا ما أساغَ الرِّيقَ أنْزَلني منهُ كما يُنزِلُ الأعْداءَ أعداءُ
أسْعَى فيَكفُرُ سَعْيي ما سَعَيْتُ لَهُ إنّي كذاكَ من الإخْوانِ لَقّاءُ
وَكَمْ يَدٍ وَيَدٍ لي عندهُ وَيَدٍ يَعُدُّهُنَّ تِراتٍ وَهْيَ آلاءُ[٣]

فأمّا تمام القصيدة التي نسِبت إلى طرفة فأنا أذكر منها مُخْتارها لِيعلمَ أنّ مرذول كلام طرفة فوقه: [الطويل]

تُصافِحُ مَنْ لاقَيْتَ لي ذا عداوةٍ صِفاحاً وعنّي بينُ عينيكَ مُنْزَوِي
أراكَ إذا لم أهْوَ أمراً هَوِيتَهُ ولستَ لِما أهوَى من الأمرِ بالهَوِي
أراكَ اجْتَوَيْتَ الخَيْرَ مني وأجتوي أذاكَ، فكلٌّ يَجْتَوي قُرْبَ مجتوِي[٤]
فَلَيْتَ كَفافاً كانَ خَيْرُكَ كُلُّهُ وَشَرُّكَ عَنِّي ما ارْتَوَى الماءَ مُرْتَوِي[٥]
عَدُوُّكَ يَخْشَى صَوْلَتِي إنْ لَقِيتُهُ وأنْتَ عَدُوّي، ليس ذاكَ بِمُسْتَوِي
وَكَمْ مَوْطِنٍ لَوْلايَ طِحْتَ كما هَوَى بأجْرَامِهِ من قُلّة النِّيق مُنْهَوِي[٦]
إذا ما ابتنى المَجْدَ ابنُ عَمِّكَ لم تُعِنْ وَقُلْتَ ألا يا لَيْتَ بُنْيانَهُ خَوِي[٧]
كأنَّكَ إنْ نالَ ابنُ عمِّك مَغْنَماً شَجٍ أو عَمِيدٌ أو أخو غُلَّةٍ لَوِي[٨]
وما برِحَتْ نَفْسٌ حَسُودٌ حُشِيتَها تُذِيبُكَ حتى قِيلَ هَلْ أنتَ مُكْتَوِي
جَمَعْتَ وَفُحْشاً غِيبَةً وَنَميمَةً ثلاثَ خصالٍ لستَ عَنْهُنَّ تَرْعَوِي[٩]

---

(١) جدّع أنفه: قطعه. وأوعبه: استوعبه.
(٢) الشحناء: البغضاء. والغِمْر: الحقد.
(٣) الآلاء: النعم.
(٤) اجتواه: كرهه.
(٥) الكفاف: الذي يكون بقدر الحاجة، ولا يفضل منه شيء عن الحاجة.
(٦) طاح: هلك. والأجرام: جمع جرم، وهو الجسم. والنيق: أعلى موضع في الجبل.
(٧) خوى المنزل: خلا من ساكنيه.
(٨) الشجيُّ: الحزين. واللويّ: الذي به وجع في جوفه. والغلة: حرارة الجوف.
(٩) ترعوي: ترتدع.

وَيَدْحُو بِكَ الدَّاحِي إلى كُلِّ سَوْءَةٍ ... فيا شَرَّ مَنْ يَدْحُو إلى شَرِّ مَدْحَوِي
بدا مِنْكَ غِشٌّ طالما قَدْ كَتَمْتَهُ ... كما كَتَمَتْ داءَ ابْنِها أمُّ مُدَّوِي[1]

وهذا شعرٌ إذا تأمّله مَنْ له في العِلم أدنى سَهْمٍ عَرَف أنّه لا يَدخل في مذهب طَرَفة ولا يقاربه.

صوت من المائة المختارة

[الطويل]

أَبَى القَلْبُ إلا أُمَّ عَوْفٍ وحُبَّها ... عَجوزاً، وَمَنْ يَعْشَقْ عَجُوزاً يُفَنَّدِ
كَثَوْبِ يَمانٍ قد تَقَادَمَ عَهْدُهُ ... وَرُقْعَتُهُ ما شِئتَ في العَيْنِ وَاليَدِ

الشعر لأبي الأسودَ الدّؤلي والغناء لعَلّويه، ثقيل أوّل بالبنصر عن عمرو بن بانة.

(١) المدّوي: الذي يأكل الدواية، وهي جلدة رقيقة تعلو اللبن والمرق.

أخبار أبي الأسود الدؤلي ونسبه

[١ ق.هـ - ٦٩ هـ/٦٠٥ - ٦٨٨ م]

[اسمه وكنيته ونسبه]

اسمه ظالم بن عمرو بن سُفيان بن جَندل بن يَعْمَرُ بن حِلْس بن نُفاثَة بن عِديّ بن الدُّئلِ بن بكر بن عبد مَناة بن كِنانة بن خُزيمة بن مُدْرِكة بن إلياس بن مضر بن نِزار، وهم إخوة قريش، لأن قريشاً مختلَفٌ في الموضع الذي افترقت فيه مع أبيها، فخُصَّت بهذا الاسم دونهم، وأبعَدُ من قال في ذلك مَدًى من زعم أن النضر بن كنانة منتهى نسب قريش؛ فأمّا النّسابون منهم فيقولون إن من لم يلِده فِهرْ بن مالك بن النضر فليس قرشيّاً.

[تابعي فقيه محدث]

وكان أبو الأسود الدؤلي من وجوه التابعين وفقهائهم ومحدِّثيهم. وقد روى عن عمر بن الخطاب وعليّ بن أبي طالب رضيَ الله عنهما فأكثر، وروى عن ابن عباس وغيرِه، واستعمله عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعليّ بن أبي طالب رضي الله عنهم، وكان من وجوه شيعة عليّ. وذكر أبو عبيدة أنه أدرك أول الإسلام وشهِد بدراً مع المسلمين. وما سمعتُ بذلك عن غيره.

وأخبرني عمي عن ابن أبي سعد عن محمد بن عبد الرحمٰن بن عبد الصمد السُّلَميّ عن أبي عبيدة مِثلَه.

[واضع النحو، ومنقط المصحف]

واستعمله عليّ رضي الله عنه على البصرة بعد ابن عباس، وهو كان الأصلَ في بناء النحو وعَقْدِ أصوله.

أخبرنا أبو جعفر بن رُسْتم الطَّبري النحويّ بذلك عن أبي عثمان المازني عن أبي عمر الجرمِيّ عن أبي الحسن الأخفش عن سِيبويه عن الخليل بن أحمد عن عيسى بن عمر عن عبد الله بن أبي إسحاق الحضْرمي عن عنْبَسة الفِيل وميمون الأقرن عن يحيى بن يَعمُر الليثي، أنّ أبا الأسود الدؤلي دخل إلى ابنته بالبصرة فقالت له: يا أبتِ ما أشدُّ الحرّ! (رَفَعَتْ أشدّ) فظنّها تسأله وتستفهم منه: أيُّ زمان الحرّ أشدُّ؟ فقال لها: شهر ناجِرٍ، يريد شهر صفر. الجاهلية كانت تسمي شهور السنة بهذه الأسماء. فقالت: يا أبتِ إنما أخبرتك ولم أسألك. فأتى أمير المؤمنين عليَّ بن أبي طالبعليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين، ذهبتْ لغة العرب لمّا خالَطَت العَجَم، وأوشك إن تَطاولَ عليها زمان أن تضمحِلَّ، فقال له: وما ذلك؟ فأخبره خبر ابنته، فأمره فاشترى صحفاً بدرهم، وأملّ عليه: الكلام كله لا يخرج عن اسم وفعلٍ وحرف جاء لمعنى. (وهذا القول أول كتاب سيبويه)، ثم رسم أصول النحو كلّها، فنقلها النحويّون وفرّعوها. قال أبو الفرج الأصبهاني: هذا حفِظته عن أبي جعفر وأنا حديث السنّ، فكتبتُه من حِفْظِي، واللفظ يزيد ويَنقص وهذا معناه.

أخبرني عيسى بن الحسين قال: حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن المدائني قال: أمر زياد أبا الأسود الدؤلي أن ينقط المصاحف، فنقَطَها ورسَمَ من النحو رسوماً، ثم جاء بعده ميمون الأقرن فزاد عليه في حدود العربية، ثم زاد فيها بعدَه عَنبسةُ بن مَعْدانَ المَهْري، ثم جاء عبد الله بن أبي إسحاق الحضرميُّ وأبو عمرو بن العلاء فزادا فيه، ثم جاء الخليل بن أحمد الأزدِيُّ وكان صِليبة[1] فَلَحَبَ الطريق[2]. ونَجَم على ابن حمزة الكسائي مولى بني كاهلٍ من أسدٍ فرسم للكوفيّين رسوماً هم الآن يعملون عليها.

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال: حدّثنا محمد بن يزيد النحويّ قال: حدّثنا التَّوزِيّ والمَهْري قالا: حدّثنا كَيْسان بن المعرّف الهُجَيميّ أبو سليمان عن أبي سفيان بن العلاء عن جعفر بن أبي حرب بن أبي الأسود الدؤليّ عن أبيه قال:

قيل لأبي الأسود: من أين لك هذا العِلم؟ ـ يعنون به النحو ـ فقال: أخذت حدوده عن عليّ بن أبي طالبعليه السلام.

---

(١) كان صليبة: أي كان ذا نسبة صليبة. والصليبة: الخالص النسب.

(٢) لحَبَ الطريق: بيَّنه.

أخبرني أحمد بن العباس العسكري قال: حدّثني عبيد الله بن محمد عن عبد الله بن شاكر العنبري عن يحيى بن آدم عن أبي بكر عيّاش عن عاصم بن أبي النجود قال: أوّل مَنْ وضع العربية أبو الأسود الدؤلي، جاء إلى زياد بالبصرة فقال له: أصلح الله الأمير، إني أرى العرب قد خالطتْ هذه الأعاجم، وتغيّرت ألسنتهم، أفتأذن لي أن أضع لهم عِلماً يقيمون به كلامَهم؟ قال: لا. قال: ثم جاء زياداً رجل فقال: مات أبانا وخلّف بنون، فقال زياد: مات أبانا وخلّف بنون! ردّوا إليّ أبا الأسود الدؤليَّ، فرُدَّ إليه، فقال: ضع للناس ما نهيتك عنه. فوضع لهم النحو. وقد رَوى هذا الحديث عن أبي بكر بن عياش يزيدُ بن مِهْران، فذكر أنّ هذه القصة كانت بين أبي الأسود وبين عبيد الله بن زياد.

أخبرني أحمد بن العبّاس قال: حدّثنا العَنزيّ عن أبي عثمان المازني عن الأخفش عن الخليل بن أحمد عن عيسى بن عمر عن عبد الله بن أبي إسحاق عن أبي حرب بن الأسود قال: أوّل باب وضعه أبي من النحو باب التعجب.

وقال الجاحظ: أبو الأسود الدؤليّ معدود في طبقات من الناس، وهو في كلِّها مقدَّم، مأثورٌ عنه الفضلُ في جميعها؛ كان معدوداً في التابعين والفقهاء والشعراء والمحدِّثين والأشراف والفُرسان والأمراء والدُّهاة والنحويّين والحاضِري الجواب والشيعة والبخلاء والصُّلع الأشراف والبُخر الأشراف.

[روايته الحديث]

فممّا رواه من الحديث عن عمر مسنداً عن النبيﷺ، حدّثنا حامد بن محمد بن شعيب البَلْخي قال: حدّثنا أبو خَيْثمة زُهير بن حرب قال: حدّثنا يونس بن محمد قال: حدّثنا داود بن أبي الفُرات عن عبد الله بن أبي بُرَيْدة عن أبي الأسود الدؤلي قال: أتيت المدينة فوافقتها وقد وقع فيها مرض فهم يموتون موتاً ذريعاً، فجلستُ إلى عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، فمرّت به جنازة فأُثْنِيَ على صاحبها خير، فقال عمر رضي الله تعالى عنه: وجَبتْ، ثم مرّ بأُخرى فأُثني على صاحبها، بشر فقال عمر رضي الله عنه: وَجَبتْ، فقال أبو الأسود: ما وَجَبتْ يا أمير المؤمنين؟ فقال: قلت كما قال رسول اللهﷺ: **«أيُّما مسلم شهِد له أربعة بخير أدخله الله الجنة»** فقلنا وثلاثة؟ قال: **«وثلاثة»**، فقلنا: واثنان؟ قال: **«واثنان»**، ثم لم نسأله عن الواحد.

حدّثني حمّاد بن سعيد قال: حدّثنا أبو خيثمة قال: حدّثنا معاذ بن هشام قال: حدّثني أبي عن قَتادة عن أبي الأسود الدؤلي قال: خطب عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه الناسَ يوم الجمعة فقال: إنّ نبي الله ﷺ قال: «**لا تزال طائفةٌ من أمّتي على الحقّ منصورة حتى يأتيَ أمرُ الله جلّ وعزّ**».

ومما رواه عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام أخبرنا محمد بن عبد الله بن سليمان الحضرميّ قال: حدّثنا هَنَّاد بن السَّرِيّ قال: حدّثنا عَبْدة بن سليمان عن سعيد بن أبي عَروبة عن قَتادة عن أبي حرب بن أبي الأسود الدؤليّ عن أبيه أبي الأسود الدؤلي عن عليّ كرم الله وجهه أنه قال في بول الجارية: يُغسَل، وفي بول الغلام: يُنْضَح ما لم يأكلا الطعام.

أخبرني محمّد بن العباس اليزيدي قال: حدّثنا البَغَوِيّ قال: حدّثنا عليّ بن الجَعْد قال: حدّثنا مُعَلَّى بن هلال عن الشَّعْبيّ، وأخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدّثنا عمر بن شبَّة قال: حدّثنا المدائني جميعاً قالوا: لما خرج ابن عباسٍ رضي الله عنهما إلى المدينة من البصرة تبعه أبو الأسود في قومه ليردّه، فاعتصم عبد الله بأخواله من بني هِلال فمنعوه، وكادت تكون بينهم حرب، فقال لهم بنو هلال: نَنْشُدكم الله ألاّ تَسفِكوا بيننا دماء تَبقَى معها العداوة إلى آخر الأبد، وأمير المؤمنين أولى بابن عمه، فلا تُدخلوا أنفسكم بينهما، فرجعت كنانة عنه، وكتب أبو الأسود إلى عليّ عليه السلام فأخبره بما جرى، فولاّه البصرة.

[كان كاتب عبد الله بن عباس على البصرة]

أخبرني حبيب بن نصر المهلَّبي ووكيع وعمي قالوا جميعاً: حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدّثني محمد بن عمران الضبِّي قال: حدّثني خالد بن عبد الله قال حدّثني أبو عبيدة مَعْمَر بن المُثَنَّى قال: كان أبو الأسود الدؤلي كاتباً لابن عباس على البصرة، وهو الذي يقول: **[الكامل]**

وإذا طَلَبْتَ من الحَوائِجِ حاجَةً ... فادْعُ الإلَـهَ وأحْسِنِ الأعْمالا
فَلْيُعْطِيَنَّكَ ما أرادَ بِقُدْرَةٍ ... فَهْوَ اللَّطِيفُ لِما أرادَ فِعالا
إنَّ العِبادَ وشأنَهُمْ وَأُمُورَهُمْ ... بِيَدِ الإلَهِ يُقَلِّبُ الأحْوالا

فَدَعِ العِبادَ ولا تَكُنْ بِطِلابِهِمْ لَهِجاً تَضَعْضَعُ لِلْعِبادِ سُؤالا[١]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال: حدّثنا الرِّيَاشيّ عن محمد بن سلام قال: كان أبو الأسود الدؤلي قد أسنَّ وكبِر، وكان مع ذلك يركب إلى المسجد والسُّوق ويزور أصدقاءه، فقال له رجل: يا أبا الأسود، أراك تُكثر الركوب وقد ضعفتَ عن الحركة وكبِرتَ، ولو لزمتَ منزلك كان أودَع لك. فقال له أبو الأسود: صدقتَ ولكنّ الركوب يشدّ أعضائي، وأسمعُ من أخبار الناس ما لا أسمعه في بيتي؛ وأستنشي الريح، وألقَى إخواني، ولو جلست في بيتي لاغتمّ بي أهلي، وأنِسَ بي الصبيّ، واجترأ عليّ الخادم، وكلّمني من أهلي من يَهاب كلامي، لألْفِهم إيّاي، وجلوسِهم عندي؛ حتى لعلّ العنز أن تبول عليّ فلا يقول لها أحد: هُسْ[٢].

أخبرني محمد بن القاسم الأنباري قال: حدّثني أبي قال: حدّثنا أبو عكرمة قال: كان بين بني الديل وبين بني ليث منازعة، فقتلت بنو الديل منهم رجلاً، ثم اصطلحوا بعد ذلك على أن يؤدّوا دِيته، فاجتمعوا إلى أبي الأسود يسألونه المعاونة على أدائها، وألحّ عليه غلام منهم ذو بيانٍ وعارِضة، فقال له: يا أبا الأسود، أنت شيخ العشيرةِ وسيّدهم، وما يمنعك من معاونتِهم قِلة ذاتِ يدٍ ولا سؤددٍ ولا جود، فلما أكثر أقبل عليه أبو الأسود، ثم قال له: قد أكثرت يابن أخي فاسمع مني: إن الرجل والله ما يعطي مالَه إلا لإحدى خِلالٍ: إما رجلٌ أعطَى مالَه رجاءَ مكافأةٍ ممن يعطيه، أو رجلٌ خاف على نفسه فوقاها بماله، أو رجل أراد وجه الله وما عنده في الدار الآخرة، أو رجل أحمقُ خُدِع عن ماله، ووالله ما أنتم إحدى هذه الطبقات، ولا جئتم في شيء من هذا، ولا عمُّك الرجل العاجز فينخدِع لهؤلاء، ولَما أفدتك إياه في عقلك خيرٌ لك من مال أبي الأسود لو وصل إلى بني الديل، قوموا إذا شئتم. فقاموا يبادرون الباب.

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال: حدّثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال: كان طريق أبي الأسود الدؤليّ إلى المسجد والسوق في بني تيم الله بن ثعلبة وكان فيهم رجل متفحش يكثر الاستهزاء بمن يمرّ به، فمرّ به أبو الأسود الدؤليّ يوماً فقال لقومه: كأنّ وجهَ أبي الأسود وجهُ عجوزٍ راحت إلى أهلها بطلاقٍ، فضحك القوم،

---

(١) تتضعضع: تخضع. وحذف حرف المضارعة.

(٢) هُسْ: زجرٌ للشاة.

وأعرض عنهم أبو الأسود. ثم مرّ به مرّة أخرى، فقال لهم: كأنّ غُضونَ قفا أبي الأسود غُضنُ الفِقاح. فأقبل عليه أبو الأسود فقال له: هل تعرف فَقْحةَ أمّك فيهنّ؟ فأفحمه، وضحك القوم منه، وقاموا إلى أبي الأسود، فاعتذروا إليه مما كان، ولم يعاوده الرجل بعد ذلك، وقال فيه أبو الأسود بعد ذلك حين رجع إلى أهله:

[الطويل]

وَأَهْوَجَ مِلْجاجٍ تَصامَمْتُ قَبْلَهُ ... أَنَ اسْمَعَهُ وما بِسَمْعِيَ من باسِ
وَلَوْ شئتُ قد أعْرَضْتُ حتى أُصِيبَهُ ... على أنْفِهِ حَدْباءَ تُعْضِلُ بالآسِي[1]
فإنَّ لِساني ليسَ أهْوَنَ وَقْعَةً ... وأصْغَرَ آثاراً من النَّحْتِ بالفاسِ
وذي إحْنَةٍ لم يُبْدِها غَيْرَ أنَّهُ ... كَذِي الخَبْلِ تأبَى نفسُهُ غيرَ وَسْواسِ[2]
صَفَحْتُ له صَفْحاً جَمِيلاً كَصَفْحِهِ ... وَعيني ـ وما يدري ـ عليهِ وأحْراسِي
وعندِي لهُ إن فارَ فَوّارُ صَدْرِهِ ... فَحاً جَبَلِيٌّ لا يعاوِدُهُ الحاسِي[3]
وخِبٌّ لِحُومُ النّاسِ أكْثَرُ زادِهِ ... كَثيرِ الخَنا صَعْبِ المِحَالةِ هَمّاسِ[4]
تَرَكْتُ لَهُ لَحْمِي وأبْقَيْتُ لَحْمَهُ ... لِمَنْ نابُهُ مِنْ حاضِرِ الجِنِّ والنّاسِ
فَكَرَّ قَلِيلاً ثم صَدَّ كأنّما ... يَعَضُّ بِصُمٍّ من صَفَا جَبَلٍ راسِي[5]

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال: حدّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز قال: حدّثنا المدائني قال: خرج أبو الأسود الدؤلي ومعه جماعةُ أصحابٍ له إلى الصيد، فجاءه أعرابيّ فقال له: السلام عليك. فقال له أبو الأسود: كلمةٌ مَقُولة. قال: أَدخلُ؟ قال: وراؤك أوسعُ لك. قال: إن الرَّمْضاء قد أحرقتْ رِجلي، قال: بُلْ عليها أو ائتِ الجبل يفِيء عليك. قال: هل عندك شيء تُطعِمُنيه؟ قال: نأكل ونطعم العِيال، فإن فَضل شيء فأنت أحقّ به من الكلب، فقال الأعرابي: ما رأيت قطُّ ألأمَ منك. قال أبو الأسود: بلى قد رأيت؛ ولكنك قد أنسيتَ.

---

(١) الحدباء: الصعبة الشديدة. والآسي: الطبيب: وأعضل به الأمر: صعب حتى ضاقت عليه الحيل به.
(٢) الإحنة: الحقد.
(٣) الفحا: التوابل.
(٤) الخبّ: الخداع.
(٥) الصمّ: جمع أصم، وهو الصلب القاسي.

[بعض أخباره وشعره]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال: حدّثنا عيسى بن إسماعيل عن المدائنيّ بهذا الخبر فقال فيه: كان أبو الأسود جالساً في دهليزه وبين يديه رُطَب، فجاز به رجل من الأعراب يقال له ابن أبي الحمامة، فسلّم ثم ذكر باقي الخبر، مثلَ الذي تقدّمه، وزاد عليه فقال: أنا ابن أبي الحمامة. قال: كن ابن أبي طاوُسة، وانصرف. قال: أسألك بالله إلا أطعمتني مما تأكل، قال: فألقى إليه أبو الأسود ثلاث رُطَبات، فوقعت إحداهن في التراب، فأخذها يمسحها بثوبه، فقال له أبو الأسود: دعها فإن الذي تمسحها منه أنظف من الذي تمسحها به، فقال: إنما كرِهتُ أن أدَعَها للشيطان، فقال له: لا والله ولا لجبريل وميكائيل تدعها.

أخبرني محمد بن عِمران الضبيُّ الصَّيْرفيُّ قال: حدّثنا الحسن بن عُليل قال: حدّثنا محمد بن معاوية الأسديّ قال: ذكر الهيثمُ بنُ عديّ عن ابن عياش قال:

خطب أبو الأسود الدؤلي امرأة من عبد القيس يقال لها أسماء بنت زياد بن غنيم، فأسرّ أمرها إلى صديق له من الأزد يقال له الهيثم بن زياد، فحدّث به ابن عم لها كان يخطبها ـ وكان لها مال عند أهلها ـ فمشى ابن عمها الخاطب لها إلى أهلها الذين مالها عندهم، فأخبرهم خبر أبي الأسود، وسألهم أن يمنعوها من نكاحه، ومن مالها الذي في أيديهم، ففعلوا ذلك، وضارّوها حتى تزوّجت بابن عمها، فقال أبو الأسود الدؤلي في ذلك: [الطويل]

لَعَمْرِي لقد أفْشَيْتُ يوماً فخانَنِي ... إلى بَعْضِ من لَمْ أخْشَ سِرّاً مُمَنَّعا
فَمَزَّقَهُ مَزْقَ العَمِي وَهْوَ غافِلٌ ... ونادَى بما أخْفَيْتُ منهُ فأسْمَعا
فَقُلْتُ ولم أفحِش لَعاً لك عاثِراً ... وقد يعثُر السّاعي إذا كان مُسْرِعا[١]
وَلستُ بجازيكَ المَلامَةَ إنّني ... أرى العَفْوَ أدنَى لِلرَّشادِ وأوْسعَا
وَلكِنْ تَعَلَّمْ أنَّهُ عَهْدُ بَيْنِنا ... فَبِنْ غَيْرَ مَذْمُوم ولكن مُوَدّعا
حَديثاً أضعناهُ كِلانا فلا أرَى ... وأنتَ نجِيّاً آخِرَ الدَّهْرِ أجْمَعَا[٢]
وكنتَ إذا ضَيَّعْتَ سِرَّكَ لَمْ تَجِدْ ... سواكَ لَهُ إلا أشَتَّ وأضْيَعا

---

(١) لعاً لك: كلمة تقال للعاثر دعاء له لينتعش وينهض.

(٢) النجيّ: المُسارّ.

قال: وقال فيه: [الطويل]

أَمِنتُ امْرأً في السِّرِّ لم يَكُ حازماً ... ولكنَّهُ في النُّصْحِ غَيْرُ مُرِيبِ
أذاعَ بهِ في النّاسِ حَتّى كأنَّهُ ... بِعَلْيَاءَ نارٌ أُوقِدَتْ بِثَقُوبِ[1]
وَكُنْتَ مَتَى لم تَرْعَ سِرَّك تَلْتَبِسْ ... قَوَارِعُهُ مِنْ مُخْطِيءٍ ومُصِيبِ[2]
فما كُلُّ ذي نُصْحٍ بمؤتيكَ نُصْحَهُ ... وما كلُّ مُؤتٍ نُصْحَهُ بِلَبيبِ
وَلٰكِنْ إذا ما اسْتَجْمَعا عندَ واحِدٍ ... فحُقَّ لَهُ من طاعَةٍ بِنَصِيبِ

أخبرني عمي قال: حدّثني الكُراني قال: حدّثنا العمري عن الهيثم بن عديّ عن ابن عيّاش قال: اشترى أبو الأسود جارية، فأعجبته ـ وكانت حولاء ـ فعابها أهله عنده بالحوَل، فقال في ذلك: [الطويل]

يَعِيبونَها عِنْدِي ولا عَيْبَ عِنْدَها ... سِوى أنَّ في العَيْنَيْنِ بَعْضَ التّأخُّرِ
فإنْ يَكُ في العَيْنَيْنِ سُوءٌ فإنَّها ... مُهَفْهَفَةُ الأعْلَى رَدَاحُ المؤَخَّرِ

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد الأزدي قال: حدّثنا عبد الرحمٰن ابن أخي الأصمعي عن عمه قال: كان لأبي الأسود الدؤلي صديق من بني تميم ثم من بني سعد يقال له مالك بن أصرم، وكانت بينه وبين ابن عمّ له خصومة في دار له، وإنهما اجتمعا عند أبي الأسود فحكّماه بينهما، فقال له خصم صديقه: إني بالذي بينك وبينه عارف، فلا يحملنك ها ذاك على أن تَحِيف عليّ في الحكم ـ وكان صديق أبي الأسود ظالماً ـ فقضى أبو الأسود على صديقه لخصمه بالحقّ، فقال له صديقه: والله ما بارك الله لي في صداقتك، ولا نفعني بعلمك وفقهك، ولقد قضيت عليّ بغير الحقّ، فقال أبو الأسود: [الطويل]

إذا كُنْتَ مَظْلوماً فلا تُلْفَ راضِياً ... عَنِ القَوْمِ حَتَّى تأخُذَ النِّصْفَ وَاغْضَبِ[3]
وإنْ كنتَ أنتَ الظّالِمَ القوم فاطَّرِحْ ... مَقالَتَهُمْ واشْغَبْ بهم كُلَّ مَشْغَبِ
وقارِبْ بذي جَهْلٍ وباعِدْ بعالمٍ ... جَلوبٍ عَلَيْكَ الحَقَّ من كُلِّ مَجْلَبِ
فإنْ حدِبوا فاقْعَسْ وإن هُمُ تقاعَسُوا ... لِيَسْتَمْكِنوا مما وراءك فاحْدَبِ[4]

(١) الثقوب: ما أُشعلت به النار، ومنه: عود الثقاب.
(٢) القوارع: جمع قارعة، وهي المصيبة.
(٣) النّصف: الانتصاف.
(٤) حدب: خرج ظهره ودخل بطنه. وقعس: نقيض حدب.

ولا تدْعُني للجَورِ واصْبِرْ على التي ... بها كُنْتُ أقْضِي للبعيدِ عَلى أبي
فإنِّي امرؤٌ أخْشَى إلٰهي وأتَّقي ... مَعادِي وقد جَرَّبْتُ ما لم تُجَرِّبِ

كتب إليّ أبو خليفة يذكر أن محمد بن سلام حدّثه، وأخبرني محمد بن يحيى الصولي عن أبي ذكوان عن محمد بن سلام قال: وجه أبو الأسود الدؤليّ إلى الحصين بن أبي الحُرّ العنبريّ جد عبيد الله بن الحسن القاضي، وهو يلي بعض أعمال الخراج لزياد، وإلى نُعَيم بن مسعود النَّهشَليّ وكان يلي مثلي ذلك برسول، وكتب معه إليهما وأراد أن يَبَرَّاه، ففعل ذلك نعيم بن مسعود، ورمى الحصين بن أبي الحرّ بكتاب أبي الأسود وراء ظهره، فعاد الرجل فأخبره، فقال أبو الأسود للحصين: [الطويل]

حَسِبتَ كتابي إذا أتاكَ تَعَرُّضاً ... لِسَيْبِكَ، لم يَذْهَبْ رجائي هنالكا(١)
وَخَبَّرَني مَنْ كُنْتُ أرْسَلْتُ أنَّما ... أخَذْتَ كتابي مُعرِضاً بشِمالكا
نَظَرْتَ إلى عُنوانه فَنَبَذْتَه ... كَنَبْذِكَ نَعْلاً أخلقتْ مِن نِعالِكا
نُعَيْمُ بنُ مسعودٍ أحَقُّ بما أتى ... وأنتَ بما تأتي حقيقٌ بذلكا
يُصيبُ وما يدري ويُخطِي وما دَرَى ... وكيفَ يكون النَّوْكُ إلا كذلكا؟(٢)

قال محمد بن سلام: فتقدّم رجل إلى عبيد الله بن الحسن بن الحصين بن أبي الحرّ - وهو قاضي البصرة - مع خصم له فخلط في قوله، فتمثل عبيد الله بقول أبي الأسود: [الطويل]

يُصيبُ وما يدري ويُخطِي وما دَرَى ... وكيفَ يكون النَّوْكُ إلا كذلكا؟

فقال الرجل: إن رَأَى القاضي أن يُدنيني منه لأقول شيئاً فعل. فقال له: ادْنُ، فقال له: إنَّ أحقَّ الناس بستر هذا الشعر أنت، وقد علمتَ فيمن قيل، فتبسم عبيد الله وقال له: إني أرى فيك مُصْطَنعاً(٣) فقم إلى منزلك، وقال لخصمه: رح إليّ، فعزم له ما كان يطالب به.

أخبرني عمي قال: حدّثنا الكراني عن ابن عائشة قال: أراد أبو الأسود الدؤلي الخروج إلى فارس، فقالت له ابنته: يا أبت إنك قد كبِرتَ، وهذا صميم

(١) السيب: العطاء.
(٢) النَّوْك: الحمق.
(٣) المصطنع: محل الصنيعة والجميل.

الشتاء، فانتظر حتى ينصرِمَ وتسلك الطريق آمناً، فإني أخشى عليك، فقال أبو الأسود: [الطويل]

إذا كُنْتَ مَعْنِيّاً بأمْرٍ تُرِيدُهُ فما للمَضاءِ والتَّوَكُّلِ من مِثْلِ
تَوَكَّلْ وحَمِّلْ أمْرَكَ الله إنَّ ما تُرادُ به آتِيكَ فاقْنَعْ بِذِي الفَضْلِ
ولا تَحْسَبَنَّ السَّيْرَ أقْرَبَ لِلرَّدَى منَ الخَفْضِ في دار المُقامَةِ والثَّمْلِ[1]
ولا تَحْسَبِيني يابْنَتِي عَزَّ مَذْهَبِي بِظَنِّك، إنَّ الظَّنَّ يَكذِبُ ذا العَقْلِ
وإنِّي مُلاقٍ ما قَضَى اللَّهُ فاصْبِرِي ولا تَجْعَلِي العِلْمَ المُحَقَّقَ كالجَهْلِ
وإنَّكِ لا تَدْرِينَ: هَلْ ما أخافُهُ أبَعْدِيَ يأتِي في رَحِيلِيَ أوْ قَبْلِي؟
وَكَمْ قَدْ رأيتُ حاذِراً مُتَحَفِّظاً أُصِيبَ وألْفَتْهُ المَنِيَّةُ في الأهْلِ

أخبرني هاشم بن محمد قال: حدّثنا عيسى بن إبراهيم العَتَكي قال: حدّثنا ابن عائشة عن أبيه قال: كان لأبي الأسود صديق من بني سُليم يقال له نُسَيْب بن حُمَيْد، وكان يغشاه في منزله، ويتحدث إليه في المسجد، وكان كثيراً ما يحلف له أنه ليس بالبصرة أحد من قومه ولا من غيرهم آثر عنده منه فرأى أبو الأسود يوماً معه مُسْتُقة مُخملة[2] أصبهانية من صوف، فقال له أبو الأسود: ما تصنع بهذه المُستُقة؟ فقال: أريد بيعها، فقال له أبو الأسود: انظر ما تبلغ فعرِّفنيه حتى أبعثَ به إليك، فإنها من حاجتي، قال: لا بل أكسوكَها، فأبى أبو السوق أن يقبلها إلا بثمنها، فبعث بها إلى السوق فقوِّمت بمائتي درهم، فبعث إليه أبو الأسود بالدراهم، فردّها وقال: لست أبيعها إلا بمائتين وخمسين درهماً، فقال أبو الأسود: [الكامل]

بِعْنِي نُسَيْبُ ولا تُثِبْنِي إنَّنِي لا أسْتَثِيبُ ولا أُثِيبُ الواهِبا
إن العَطِيَّةَ خَيْرُ ما وَجَّهْتَها وحَسِبْتَها حَمْداً وأجْراً واجبا
وَمِنَ العَطِيَّةِ ما يعودُ غَرَامَةً ومَلامَةً تَبْقَى ومَنّاً كاذبا
وَبَلَوْتُ أخْبارَ الرِّجالِ وَفِعْلَهُمْ فَمُلِئْتُ عِلْماً مِنْهُمُ وتَجاربا
فَأخَذْتُ منهم ما رَضِيتُ بأخْذِهِ وَتَرَكْتُ عَمْداً ما هنالِكَ جانبا
فإذا وَعَدْتُ الوَعْدَ كُنْتُ كغَارِمٍ دَيناً أقرَّ بهِ وأحْضَرَ كاتِبا[3]

---

(١) الثمل: الإقامة والمكث والخفض.
(٢) المستقة: فروة طويلة الكم. ومخملة: ذات خمل وهدب.
(٣) الغرم: الدَّيْن. والغارم: المدين، الذي عليه الدَّين.

حَتَّى أُنفِذَهُ على ما قُلْتُهُ … وكَفَى عَلَيَّ بِهِ لِنَفْسِيَ طالِبا
وإذا فَعَلْتُ غَيْرَ مُحاسِبٍ … وكفى بربِّكَ جازياً ومحاسِبا
وإذا مَنَعْتُ مَنَعْتُ مَنْعاً بَيِّناً … وأرَحْتُ مِنْ طُولِ العَناءِ الرَّاغبا
لا أشْتَرِي الحَمْدَ القَلِيلَ بقاؤهُ … يوماً بِذَمِّ الدَّهْرِ أجْمَعَ واصِبا[1]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن محمد الرازي ومحمد بن العباس اليزيدي وعمي قالوا حدّثنا أحمد بن الحارث الخراز عن المدائني قال: زعم أبو بكر الهذلي أن أبا الأسود الدؤلي كان يحدث معاوية يوماً فتحرك فضَرَط، فقال لمعاوية: استرها عليّ، فقال: نعم، فلما خرج حدّث بها معاوية عمرو بن العاص ومروانَ بن الحكم، فلما غدا عليه أبو الأسود قال عمرو: ما فعلتْ ضَرْطتك يا أبا الأسود بالأمس؟ قال: ذهبتْ كما تذهب الريح مقبلةً ومدبرةً، من شيخ ألان الدهر أعصابه ولحمه عن إمساكها، وكل أجوف ضروط، ثم أقبل على معاوية فقال: إن امرأً ضعفت أمانته ومروءته عن كتمان ضرطة لحقيق بألا يؤمن على أمور المسلمين.

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق قال: حدّثنا سليمان بن أبي شيخ قال: حدّثنا محمد بن الحكم عن عوانة قال: كان أبو الأسود يجلس إلى فناء امرأة بالبصرة فيتحدّث إليها، وكانت بَرْزة جميلة، فقالت له: يا أبا الأسود، هل لك في أن أتزوّجك؟ فإني صَناع الكفّ[2]، حسنة التدبير، قانعة بالميسور، قال: نعم، فجمعت أهلها فتزوّجته، فوجد عندها خلاف ما قدّره، وأسرعت في ماله، ومدّت يدها إلى خيانته، وأفشت سرّه، فغدا على مَنْ كان حضر تزويجه إياها، فسألهم أن يجتمعوا عنده ففعلوا، فقال لهم:

أَرَيْتَ امْرَأً كُنْتُ لَمْ أَبْلُهُ … أتانِي فقالَ اتَّخِذْني خَلِيلا[3]
فَخالَلْتُهُ ثُمَّ أكْرَمْتُهُ … فَلَمْ أسْتَفِدْ مِنْ لَدُنْهُ فَتِيلا
وَألْفَيْتُهُ حِينَ جَرَّبْتُهُ … كَذُوبَ الحَدِيثِ سَرُوقاً بَخِيلا
فَذَكَّرْتُهُ ثُمَّ عاتَبْتُهُ … عِتاباً رَفِيقاً وَقَوْلاً جَمِيلا

---

(١) واصباً: دائماً.
(٢) صناع الكف: ماهرة، حاذقة، تعمل بيدها.
(٣) أريت: أرأيت. وبلاه: اختبره، جربه.

فَـأَلْـفَـيْـتُـهُ غَـيْـرَ مُـسْـتَـعْـتِـبٍ ولا ذاكِـرِ الله إلا قَـلِـيـلا[١]
أَلَـسْـتُ حَـقِـيـقـاً بِـتَـوْدِيـعِـهِ وَإِتْـبَـاعِ ذلـكَ صَـرمـاً طَـوِيـلا؟

فقالوا: بلى والله يا أبا الأسود! قال: تلك صاحبتكم، وقد طلقتها لكم، وأنا أُحبّ أن أستر ما أنكرته من أمرها، فانصرفت معهم.

حدّثنا اليزيدي قال: حدّثنا البَغَويّ قال حدّثنا العمري قال: كان أبو الأسود أبخر[٢]، فسارَّ معاوية يوماً بشيء فأصغى إليه ممسكاً بكمّه على أنفه، فنحّى أبو الأسود يده عن أنفه، وقال: لا والله لا تسود حتى تصبر على سِرار المشايخ البُخْر.

أخبرني عبد الله بن محمد الرازي قال: حدّثنا محمد بن الحارث الخرّاز قال: حدّثنا المدائني عن أبي بكر الهذليّ قال: كان عليّ بن أبي طالب عليه السلام استعمل أبا الأسود على البصرة، واستكتب زياد بن أبيه على الديوان والخراج، فجعل زياد يَسبَع[٣] أبا الأسود عند عليّ ويقع فيه ويبغي عليه، فلما بلغ ذلك أبا الأسود عنه قال فيه: [الطويل]

رأيـتُ زِيـاداً يَـنْـتَـحِـيـنِـي بِـشَـرِّهِ وأُعْـرِضُ عـنـهُ وهـو بـادٍ مَـقـاتِـلُـهْ
وكـلُّ امـرىءٍ، والله بـالـنّـاسِ عـالـمٌ لـهُ عـادَةٌ قـامَـتْ عـلـيـهـا شـمـائـلُـهْ
تَـعَـوَّدهـا فـيـمـا مَـضَـى مـن شـبـابـهِ كَـذلـكَ يَـدْعُـو كُـلَّ أَمْـرٍ أوائـلُـهْ
وَيُـعْـجِـبُـهُ صَـفْـحِـي لـهُ وتَـجَـمُّـلـي وَذو الجَهْلِ يَحْذو الجهلَ من لا يعاجِلُهْ[٤]
فـقـلـتُ لـه دَعْـنـي وشـأنِـيَ إنـنـا كـلانـا عـلـيـهِ مَـعْـمَـلٌ هـو عـامِـلُـهْ[٥]
فـلـولا الّـذِي قَـدْ يُـرْتَـجَـى مِـنْ رجـائِـهِ لَـجَـرَّبْـتَ مِـنّـي بَـعْـضَ مـا أنـتَ جـاهِـلُـهْ
لَـجَـرَّبْـتَ أنّـي أَمْـنَـحُ الـغَـيَّ مَـنْ غَـوَى عَـلَـيَّ وأجْـزِي مـا جَـزَى وأُطـاوِلُـهْ

وقال لزياد أيضاً في ذلك: [البسيط]

نُـبِّـئـتُ أنَّ زيـاداً ظـلّ يَـشْـتُـمُـنِـي وَالـقَـوْلُ يُـكْـتَـبُ عـنـدَ الله والـعَـمَـلُ

---

(١) المستعتِب: المسترضي، الطالب العتبى.
(٢) الأبخر: الذي له رائحة فم غير طيبة.
(٣) يَسْبع: يعيب، يطعن، يشتم.
(٤) يحذو: يعطي.
(٥) معمل: عمل.

وَقَدْ لَقِيتُ زياداً ثم قلتُ لَهُ ... وَقَبْلَ ذلكَ ما خَبَّت بهِ الرُّسُلُ[١]
حتّامَ تَسْرِقُني في كُلِّ مَجْمَعَةٍ ... عِرْضِي، وَأنْتَ إذا ما شِئْتَ مُنْتَفِلُ
كُلُّ امْرِىءٍ صائِرٌ يَوْماً لِشِيمَتِهِ ... في كُلِّ مَنْزِلَةٍ يُبْلَى بها الرَّجُلُ

قال: فلما ادّعى معاوية زياداً وولاّه العراق كان أبو الأسود يأتيه فيسأله حوائجه، فربما قضاها وربما منعها لما يعلمه من رأيه وهواه في عليّ بن أبي طالبعليه السلام، وما كان بينهما في تلك الأيام وهما عاملان، فكان أبو الأسود يترضّاه ويداريه ما استطاع ويقول في ذلك: [الطويل]

رأيتُ زياداً صَدّ عنّيَ وَجْهَهُ ... ولم يَكُ مَرْدُوداً عَنِ الخَيْر سائلُهْ
ينفِّذ حاجاتِ الرجال، وحاجتي ... كداءِ الجَوَى في جَوْفِهِ لا يُزَايلُهْ[٢]
فلا أنا ناسٍ ما نَسِيتُ فَآيِسٌ ... ولا أنا راءٍ ما رَأَيْتُ ففاعِلُهْ
وَفي اليَأْسِ حَزْمٌ لِلَّبيبِ وَرَاحَةٌ ... مِنَ الأمْرِ لا يُنْسَى ولا المَرْءُ نائِلُهْ

وقال المدائنيّ: نظر عبد الرحمٰن بن أبي بَكْرة إلى أبي الأسود في حال رَثّة فبعث إليه بدنانير وثياب، وسأله أن ينبسط إليه في حوائجه ويستمنحه إذا أضاق[٣]، فقال أبو الأسود يمدحه:

أبو بحرٍ أمَنُّ النّاسِ طُرّاً ... عَلينا بعدَ حِيٍّ أبي المُغِيرَهْ[٤]
لَقَدْ أبْقَى لنا الحَدَثانُ منهُ ... أخا ثِقَةٍ منافعُه كَثِيرَهْ
قَريبَ الخَيْرِ سَهْلاً غَيْرَ وَعْرٍ ... وبَعضُ الخَيْرِ تَمْنَعُهُ الوُعُورَهْ
بَصُرْتَ بأنّنا أصْحابُ حَقٍّ ... نُدِلُّ بهِ وإخْوانٌ وَجِيرَهْ
وأهْلُ مَضِيعَةٍ فَوَجَدْتَ خَيْراً ... من الخُلاّنِ فينا والعشِيرَهْ[٥]
وَإنَّكَ قد عَلِمْتَ وَكُلُّ نَفْسٍ ... تُرَى صَفَحاتُها وَلَها سَرِيرَهْ
لَذُو قَلْبٍ بِذِي القُرْبَى رَحِيمٍ ... وذو عَيْنٍ بما بَلَغَتْ بَصِيرَهْ
لَعَمْرُكَ ما حَباكَ الله نَفْساً ... بها جَشَعٌ ولا نَفْساً شَرِيرَهْ
وَلٰكِنْ أنْتَ لا شَرِسٌ غَلِيظٌ ... ولا هَشِمٌ تُنازِعهُ خُؤُورَه

---

(١) خبت الرّسل: سارت.
(٢) لا يزايله: لا يفارقه.
(٣) أضاق: أصابه ضيق وحاجة.
(٤) أبو المغيرة: كنية زياد.
(٥) المضيعة: الضياع.

كـأنّـا إذا أتَـيْـنـاهُ نَـزَلْـنـا بـجـانِـبِ رَوْضَـةٍ رَيَّـا مَـطِـيـرَهْ

قال المدائني: وكان أبو الأسود يدخل على عُبيد الله بن زياد، فيشكو إليه أنّ عليه ديناً لا يجد إلى قضائه سبيلاً، فيقول له: إذا كان غد فارفع إليّ حاجتك فإني أُحبّ قضاءها، فيدخل إليه من غد، فيذكر له أمره ووَعْده فيتغافل عنه، ثم يعاوده فلا يصنع في أمره شيئاً، فقال فيه أبو الأسود: [الطويل]

دعـانـي أمِـيـري كـي أُفـوهَ بـحـاجَـتـي فـقـلـتُ فـمـا ردَّ الـجَـوابَ ولا اسْـتَـمَـعْ
فَـقُـمْـتُ ولـم أُحْـسُـنْ بِـشَـيْءٍ وَلَـمْ أصُـنْ كـلامِـي وخيرُ الـقَـوْلِ ما صِـينَ أوْ نَـفَـعْ
وَأجْـمَـعْـتُ يـأسـاً لا لُـبـانَـةَ بَـعْـدَهُ وَلَـلْـيَـأسُ أدنى لِـلْـعَـفـافِ من الـطَّـمَـعْ

أخبرنا محمد بن العباس اليزيديّ قال: حدّثنا عيسى بن إسماعيل تِينةَ قال حدّثني ابن عائشة قال: سأل رجل أبا الأسود شيئاً فمنعه، فقال له: يا أبا الأسود ما أصبحتَ حاتمياً؟ قال: بلى قد أصبحت حاتمياً من حيث لا تدري، أليس حاتم الذي يقول: [الطويل]

أمـــاوِيّ إمّـــا مـــانِـــعٌ فَـــمُـــبـــيِّـــنٌ وإمّـا عَـطـاءٌ لا يُـنـهـنِـهُـهُ الـزَّجْـرُ[1]

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبي قال: حدّثنا عمر بن شَبَّة قال: حدّثنا ابن عائشة قال: كان لأبي الأسود جار يحسِده وتبلغه عنه قوارِصُ، فلما باع أبو الأسود داره في بني الديل، وانتقل إلى هُذيل، قال جار أبي الأسود لبعض جيرانه من هذيل: هل يسقيكم أبو الأسود من ألبان لِقاحه؟ وكانت لا تزال عنده لَقْحة[2] أو لَقحتان، وكان جاره هذا يصيب من الشراب، فبلغ أبا الأسود قوله، فقال فيه:

[الطويل]

إن امـرأً نُـبِّـئْـتُـهُ مِـنْ صـديـقِـنـا يسائلُ هَلْ أسْقي من اللبنِ الجارا؟
وإنّـي لأَسْـقـي الـجـارَ في قَـعْـرِ بَـيْـتِـهِ وأشْـرَبُ مـا لا إثْـمَ فـيـهِ ولا عـارا
شـرابـاً حـلالاً يـتـركُ الـمَـرْءَ صـاحِـيـاً ولا يَـتَـوَلّـى يَـقْـلِـسُ الإثْـمَ وَالـعـارا[3]

أخبرني عبيد الله بن محمد الرازيّ قال: حدّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز

---

(١) ينهنهه: يكفّه.
(٢) اللقحة: الناقة الحلوب الغزيرة اللبن.
(٣) يقلس: يُعقب، يُتبع.

قال: حدّثنا المدائني قال: كان لأبي الأسود صديق من بني قيس بن ثعلبة يقال له حَوْثَرة بن سُلَيْم، فاستعمله عبيد الله بن زياد على جَيٍّ[1] وأصبهان، وكان أبو الأسود بفارس، فلما بلغه خبره أتاه فلم يجد عنده ما يقدّره، وجفاه حوثرة؛ فقال فيه أبو الأسود وفارقه: [الطويل]

تَرَوَّحْتَ من رُستاقِ جَيٍّ عَشِيَّةً ... وَخَلَّفتَ في رُسْتاقَ أخاً لكا
أخاً لكَ إن طالَ التنائي وَجَدْتَهُ ... نَسِيّاً وإن طالَ التَّعاشُرُ مَلّكا
وَلَوْ كُنْتَ سيفاً يُعجِبُ الناسَ حَدُّهُ ... وكنتَ لَهُ يوماً من الدَّهر فَلّكا[2]
ولو كنتَ أهْدَى الناسِ ثم صَحِبتَهُ ... وطاوعتَهُ ضَلَّ الهَوَى وأضَلّكا
إذا جِئْتَهُ تَبْغِي الهُدَى خالفَ الهُدَى ... وإنْ جُرْتَ عن بابِ الغَوايةِ دَلّكا

قال المدائني: وكان لأبي الأسود جار، يقال له وَثاق من خُزاعة، وكان يحِبّ اتخاذ اللقاح ويغالي بها ويصِفها، فأتى أبا الأسود وعنده لَقْحة غزِيرة يقال لها: الصَّفوف فقال له: يا أبا الأسود ما بلقحتِك بأسٌ لولا عيب كذا وكذا، فهل لك في بيعها؟ فقال أبو الأسود: على ما تذكر فيها من العيب؟ فقال: إني أغتفر ذلك لها لما أرجوه من غزارتها، فقال له أبو الأسود: بئست الخَلْتان فيك: الحِرص والخِداع، أنا لِعيب مالي أشدّ اغتفاراً؛ وقال أبو الأسود فيه: [الطويل]

يُريدُ وَثاقٌ ناقَتِي وَيَعِيبُها ... يُخادِعُني عَنْها وَثاقُ بْنُ جابِرِ
فَقُلْتُ تَعَلَّمْ يا وَثاقُ بأنَّها ... عَلَيْكَ حِمًى أُخْرى الليالي الغَوابِرِ
بَصُرْتَ بها كَوماءَ حَوْساءَ جَلْدةً ... مِنَ المُولِياتِ الهامَ حَدَّ الظَّواهِرِ[3]
فَحاوَلْتَ خَدْعِي وَالظُّنُونُ كَواذِبٌ ... وَكَمْ طامِعٍ في خَدْعَتي غَيْرُ ظافِرِ

قال: وكانت له لقحة أُخرى يقال لها الطَّيفاء، وكان يقول: ما ملكت مالاً قط أحبّ إليّ منها، فأتاه فيها رجل من بني سَدوس يقال له أوس بن عامر، فجعل يماكر أبا الأسود ويَعِيبها، فألفاه بها بصيراً وفيها منافِساً، فبذل له فيها ثمناً وافياً، فأبى أن يبيعه وقال فيه:

---

(١) جَيّ: مدينة بأصبهان (معجم البلدان ٢/ ٢٠٢).
(٢) فَلَّ السَّيْفَ: ثلمه.
(٣) الكوماء: العظيمة السنام. والحوساء: الشديدة النفس.

أتانِيَ في الطَّيْفاءِ أوْسُ بْنُ عامِرٍ ... لِيَخْدَعَني عنها بِجِنِّ ضِراسِها[1]
فسامَ قليلاً ناسِئاً غير ناجِزٍ ... وأُحْصِرَ نَفْساً وانتهى بِمكاسِها[2]
فأُقْسِمُ لو أعْطَيْتَ ما سُمْتَ مِثْلَهُ ... وضِعفاً لَهُ لما غَدَوْتَ بِراسِها
أغَرَّكَ منها أن نَحَرْتُ حُوارَها ... لجيرانِ أمّ السَّكْنِ يوم نِفاسِها[3]
فَوَلَّى ولم يَطْمَعْ وفي النَّفْسِ حاجَةٌ ... يُرَدّدها مَرْدُودَةً بإياسِها[4]

أخبرني اليزيدي قال: حدّثنا عيسى عن ابن عائشة والأصمعي أن رجلاً سأل أبا الأسود الدّؤليّ فردّه فألحّ عليه، فقال له أبو الأسود: ليس للسائل الملحِف مثل الردّ الجامِس. قال: يعني بالجامس الجامد.

وقال المدائني: خطب أبو الأسود امرأة من بني حنيفة ـ وكان قد رآها فأعجبته ـ فأجابته إلى ذلك وأذِنت له في الدخول إليها، فدخل دارها فخاطبها بما أراد، فلما خرج لقِيه ابن عمّ لها قد كان خطبها على أخيه، فقال له: ما تصنع هاهنا؟ فأخبره بخطبته المرأة، فنهاه عن التعرّض لها، ووضع عليها أرصاداً، فكان أبو الأسود ربّما مرّ بهم واجتاز بقبيلتهم، فدسّوا إليه رجلاً يوبّخه في كل محفل يراه فيه، ففعل، وأتاه وهو في نادي قومه فقال له: يا أبا الأسود، أنت رجل شريف، ولك سنّ وخَطَر وعِرْض، وما أرضى لك أن تلِمَّ بفلانة، وليست لك بزوجةٍ ولا قرابةٍ، فإن أهلها قد أنكروا ذلك وتَشَكَّوه، فإمّا أن تتزوّجها أو تُضرب عنها، فقال له أبو الأسود: [الطويل]

لقد جَدَّ في سَلْمَى الشّكاةُ وَلَلَّذي ... يقولونَ ـ لو يبدو لكَ الرُّشْدُ ـ أرْشَدُ
يقولونَ لا تَمْذُل بِعِرْضِكَ واصْطَنِعْ ... مَعادَكَ إنَّ اليَوْم يَتْبعُهُ غَدُ[5]
وإياكَ والقَومَ الغِضابَ فإنَّهُمْ ... بكلِّ طَريقٍ حَوْلَهُمْ تَتَرَصَّدُ
تلامُ وتُلحَى كلَّ يَوْمٍ ولا تُرَى ... على اللَّوْمِ إلاّ حَوْلَها تَتَرَدَّدُ!
أفادَتْكَها العَيْنُ الطَّمُوحُ وقد تَرَى ... لكَ العَيْنُ ما لا تَسْتَطِيعُ لَكَ اليَدُ

---

(١) بجنّ ضراسها: بحدثان نتاجها.
(٢) المكاس والمماكسة: إنقاص الثمن واستحطاطه.
(٣) الحوار: ولد الناقة إلى أن يفطم.
(٤) الإياس: اليأس.
(٥) مذلت نفسه: طابت، سمحت.

وقال أبو الأسود: [الطويل]

دعُوا آلَ سَلْمَى ظِنَّتِي وَتَعَنُّتِي … وما زَلَّ مِنِّي، إنَّ ما فاتَ فائِتُ[١]
ولا تُهْلِكُونِي بالمَلامَةِ إنَّما … نَطَقْتُ قليلاً ثمَّ إنِّي لَساكِتُ
سَأَسْكُتُ حتى تَحْسِبوني أنّني … من الجهدِ في مَرْضاتِكُمْ مُتماوِتُ
ألَمْ يَكْفِكُمْ أنْ قَدْ منعتمْ بُيُوتَكُمْ … كما مَنَعَ الغِيلَ الأسُودُ النَّواهِتُ![٢]
تُصِيبونَ عِرْضِي كلَّ يومٍ كما علا … نَشِيطٌ بفأسٍ مَعْدِنَ البُرْمِ ناحِتُ[٣]

أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال: حدّثنا عمر بن شبة قال: ذكر الهيثم بن عدي عن مجالد بن سعيد عن عبد الملك بن عمير قال: كان ابن عباس يكرم أبا الأسود الدؤلي لما كان عاملاً لعليّ بن أبي طالب عليه السلام على البصرة ويقضي حوائجه، فلما ولّي ابن عامر جفاه وأبعده ومنعه حوائجه لِما كان يعلمه من هواه في عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فقال فيه أبو الأسود: [الطويل]

ذَكَرْتُ ابنَ عباسٍ ببابِ ابنِ عامرٍ … وما مَرَّ منْ عَيْشِي ذَكَرْتُ وما فَضَلْ
أمِيرَيْنِ كانا صاحِبَيَّ كلاهُما … فَكُلٌّ جزاهُ الله عَنِّي بما فَعَلْ
فإنْ كانَ شَرّاً كانَ شَرّاً جزاؤه … وإن كانَ خَيْراً كانَ خَيْراً إذا عَدَلْ

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال: حدّثنا عبد الله بن شبيب قال: حدّثنا إبراهيم بن المنذر الحِزاميّ قال: حدّثنا محمد بن فُليح بن سليمان عن موسى بن عقبة قال: قال أبو الأسود الدؤلي لابنه أبي حرب - وكان له صديق من باهِلة يكثر زيارته - فكان أبو الأسود يكرهه ويستريب منه: [الطويل]

أحبِبْ إذا أحْبَبْتَ حُبّاً مُقارِباً … فإنَّكَ لا تَدْرِي متى أنْتَ نازِعُ
وأبْغِض إذا أبْغَضْتَ بُغْضاً مقارِباً … فإنَّكَ لا تدري متى أنتَ راجِعُ
وَكُنْ مَعْدِناً لِلْحِلْمِ واصْفَحْ عَنِ الخَنا … فإنَّكَ راءٍ ما عَمِلْتَ وسامِعُ

وقال المدائني: حدّثني أبو بكر الهذلي قال: كان لأبي الأسود جار من بني جُلَيس بن يَعمَرُ بن نُفاثة بن عدِي بن الديل، من رهطه دِنيةً - ومنزل أبي الأسود يومئذٍ في بني الديل - فأولع جاره برميه بالحجارة كلما أمسى، فيؤذيه. فشكا أبو

---

(١) الظِنَّة: التهمة.
(٢) النواهت: جمع ناهت، وهو الأسد الزائر.
(٣) البرم: جمع برمة، وهي قدر من حجارة.

الأسود ذلك إلى قومه وغيرهم، فكلموه ولاموه، فكان ما اعتذر به إليهم أن قال: لست أرميه، وإنما يرميه الله لقطعه للرحم وسرعته إلى الظلم في بخله بماله، فقال أبو الأسود: والله ما أُجاور رجلاً يقطع رحمي ويكذب على ربي. فباع داره واشترى داراً في هذيل، فقيل له: يا أبا الأسود، أبعت دارك! قال: لم أبع داري، ولكن بِعت جاري، فأرسلها مثلاً وقال في ذلك: [الطويل]

رمانيَ جارِي ظالِماً بِرَمِيَّةٍ ... فقلتُ لهُ مَهْلاً فأنكَرَ ما أتى
وقالَ الذي يَرْمِيكَ ربُّكَ جازياً ... بِذَنْبِكَ، والحَوْباتُ تُعْقِبُ ما تَرَى[1]
فقلتُ له لو أنَّ رَبِّي بِرَمْيَةٍ ... رماني لما أخطا إلٰهي ما رَمى
جَزَى الله شرّاً كُلَّ من نالَ سَوْءَةً ... ويَنْحَلُ فيها ربَّهُ الشَّرَّ والأذَى[2]

وقال فيه أيضاً: [الطويل]

لَحَى الله مَوْلَى السَّوءِ لا أنْتَ راغِبٌ ... إليهِ ولا رام بهِ من تُحارِبُهْ
وما قُربُ مَوْلَى السَّوْءِ إلا كَبُعْدِهِ ... بَلِ البعدُ خَيْرٌ من عَدُوٍّ تُصاقِبُهْ[3]

وقال فيه أيضاً: [الطويل]

وإنِّي لَتَثْنِيني عن الشَّتْم والخَنا ... وعَنْ سَبِّ ذي القُرْبَى خلائقُ أرْبَعُ
حَياءٌ وإسْلامٌ وَلُطْفٌ وأنَّني ... كريمٌ، ومِثْلي قد يَضُرُّ وَيَنْفَعُ
فإنْ أعْفُ يوماً عن ذنوبٍ أَتَيْتَها ... فإنَّ العَصا كانَتْ لِمِثْلِيَ تُقْرَعُ[4]
وشتانَ ما بَيْنِي وَبَيْنَكَ إنَّنِي ... على كُلِّ حالٍ أسْتَقِيمُ وتَظْلَعُ

أخبرني عمي قال: حدّثنا الكُرانيّ قال حدّثنا الرياشيّ عن العتبي قال: كان لأبي الأسود جار في ظهر داره له باب إلى قبيلة أُخرى، وكان بين دار أبي الأسود وبين داره باب مفتوح يخرج منه كل واحد منهما إلى قبيلة صاحبه إذا أرادها، وكان الرجل ابن عمّ أبي الأسود دِنيةً، وكا شرِساً سيِّىء الخلق، فأراد سدّ ذلك الباب، فقال له قومه: لا تفعل فتضرّ بأبي الأسود وهو شيخ، وليس عليك في هذا الباب

(١) الحوبات: جمع حوبة، وهي الإثم.
(٢) ينحله: ينسب إليه.
(٣) تصاقبه: تقاربه.
(٤) إشارة إلى المثل القائل: «إن العصا قرعت لذي الحلم».

ضرر ولا مؤنة، فأبى إلا سدّه، ثم ندِم على ذلك لأنه أضرّ به، فكان إذا أراد سلوك الطريق التي كان يسلكها منه بعدُ عليه، فعزم على فتحه، وبلغ ذلك أبا الأسود فمنعه منه وقال فيه:

صوت

بُلِيتُ بِصاحِبٍ إنْ أدنُ شِبْراً ... يَزِدْنِي فِي مُباعَدَةٍ ذِراعا
وإن أَمْدُدْ لَهُ في الوَصْلِ ذَرْعي ... يَزِدْنِي فَوْقَ قِيسِ الذَّرْعِ باعا
أبَتْ نَفْسِي لَهُ إلاّ اتِّباعاً ... وتأبَى نَفْسُهُ إلا امْتِناعا
كلانا جاهِدٌ أدْنُو وَيَنْأى ... فَذلِكَ ما اسْتَطَعْتُ وما اسْتطاعا

الغناء في هذه الأبيات لإبراهيم ثقيل أوّل بالبنصر، وفيه لعريب خفيف رملٍ. ولعلويه لحن غير منسوب. قال وقال أبو الأسود أيضاً في ذلك: [الطويل]

لنا جِيرَةٌ سَدُّوا المَجازةَ بيننا ... فإنْ أذْكَرُوكَ السَّدَّ فالسَّدُّ أكْيَسُ
وَمِنْ خَيْرِ ما ألْصَقْتَ بالجارِ حائِطٌ ... تَزِلُّ بِهِ سُفْعُ الخطاطيفِ أمْلَسُ

وقال أيضاً في ذلك: [مجزوء الكامل]

أخطأتَ حينَ صَرَمْتَنِي ... وَالمَرْءُ يَعْجِزُ لا مَحالَهْ
وَالعَبْدُ يُقْرَعُ بالعَصا ... والحُرُّ تكْفِيهِ المَقالَهْ

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهرُويه قال: حدّثني إسحاق بن محمد النخعي عن ابن عائشة عن أبيه، وأخبرني به محمد بن جعفر النحويّ قال: حدّثنا أحمد بن القاسم البَرِّي قال: حدّثني إسحاق بن محمد النخعيّ عن ابن عائشة ولم يُقل عن أبيه قال: كان أبو الأسود الدؤلي نازلاً في بني قُشَير، وكانت بنو قشير عثمانية، وكانت امرأته أمّ عوف منهم، فكانوا يؤذونه ويسبُونه وينالون من عليّ عليه السلام بحضرته ليغيظوه به، ويرمونه بالليل، فإذا أصبح قال لهم: يا بني قشير، أيُّ جِوارٍ هذا! فيقولون له: لم نرمِك، إنما رماك الله لسوء مذهبك وقبح دينك، فقال في ذلك: [الوافر]

يقولُ الأرذلونَ بَنُو قُشَيْرٍ ... طَوالَ الدَّهْرِ لا تَنْسَى عَلِيّا!
فقلتُ لهم: وكيفَ يكونُ تَرْكِي ... من الأعمالِ مَفْروضاً علَيّا؟

أحِبُّ محمداً حُبّاً شَدِيداً وعبّاساً وَحَمْزَةَ والوَصِيّا[1]
بَنِي عَمِّ النَّبِي وأقْرَبِيهِ أحَبَّ النّاسِ كُلِّهم إلَيّا
فإنْ يَكُ حُبُّهُمْ رُشْداً أُصِبْهُ ولستُ بمخطِئٍ إن كان غَيّا
هُمُ أهْلُ النَّصِيحَةِ غيرَ شَكٍّ وأهْلُ مَوَدَّتِي ما دُمْتُ حَيّا
هَوًى أُعْطِيتُهُ لما اسْتَدارَتْ رَحَى الإسْلام لم يُعْدَلْ سَوِيّا
أحِبُّهُمُ لِحُبِّ الله حَتّى أجِيءَ إذا بُعِثْتُ على هَوَيّا[2]
رأيْتُ الله خالِقَ كُلِّ شَيْءٍ هَدَاهُمْ واجْتَبَى مِنْهُمْ نَبِيّا
وَلَمْ يَخْصُصْ بها أحَداً سِواهُمْ هَنِيئاً ما اصْطَفاهُ لهم مَرِيّا

قال: فقالت له بنو قشير: شككت يا أبا الأسود في صاحبك حيث تقول:

فإن يكُ حبهم رشداً أُصِبْهُ

فقال: أما سمعتم قول الله عزّ وجلّ: ﴿**وإنَّا أوْ إيَّاكم لَعَلَى هُدًى أو فِي ضَلالٍ مُبِين**﴾[3]. أفَترى الله جلّ وعزّ شكّ في نبيه! وقد روِي أنّ معاوية قال هذه المقالة، فأجابه بهذا الجواب.

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال: حدّثنا أبو عثمان الأُشنانْدانِيّ عن الأخفش عن أبي عمر الجَرمي قال: دخل أبو الأسود الدؤليّ على معاوية، فقال له: لقد أصبحت جميلاً يا أبا الأسود، فلو علّقت تميمة تنفي عنك العينَ! فقال أبو الأسود: [البسيط]

أفْنَى الشَّبابَ الذي فارَقْتُ جِدَّتَهُ كَرُّ الجَدِيدَيْنِ من آتٍ ومنطلِقِ[4]
لم يتركا لي في طُولِ اختلافهما شَيئاً تُخافُ عليهِ لَذْعَةُ الحَدَقِ

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثني الحارث بن محمد قال قال: حدّثنا المدائني عن عليّ بن سليمان قال: كان أبو الأسود له على باب داره دُكّان يجلس عليه، مرتفِع عن الأرض إلى قدر صدر الرجل، فكان يوضع بين يديه خِوان على قدر الدكان، فإذا مرّ بِه مارّ فدعاه إلى الأكل لم يجِد موضِعاً يجلس فيه، فمرّ به

(١) الوصيّ: علي بن أبي طالب عليه السلام.
(٢) على هَوَي: على هواي.
(٣) سورة سبأ، الآية ٢٤.
(٤) الجديدان: الليل والنهار.

ذات يوم فتى فدعاه إلى الغداء، فأقبل فتناول الخِوان فوضعه أسفلَ، ثم قال له: يا أبا الأسود، إن عزمت على الغداء فانزِل، وجعل يأكل وأبو الأسود ينظر إليه مغتاظاً حتى أتى على الطعام، فقال له أبو الأسود: ما اسمك يا فتى؟ قال: لقمان الحكيم، قال: لقد أصاب أهلك حقيقة اسمك.

قال المدائني: وبلغني أنَّ رجلاً دعاه أبو الأسود إلى طعامه وهو على هذا الدكان، فمدّ يده ليأكل، فشب به فرسه فسقط عنه فوُقِص[1].

أخبرني هاشم بن محمد قال حدّثنا دَماذُ عن أبي عبيدة قال: كان أبو الجارود سالِم بن سَلَمة بن نَوفل الهذليّ صديقاً لأبي الأسود، يهادِيه الشعر، ويجيب كل واحدٍ منهما صاحبه، ويتعاشرانِ ويتزاورانِ، فولِي أبو الجارود وِلاية، فجفا أبا الأسودِ وقطعه، ولم يبدأه بالمكاتبة ولا أجابه عنها، فقال فيه أبو الأسود: [الطويل]

أبْـلِـغْ أبـا الـجـارودِ عَـنِّـي رسـالَـةً ... يَـرُوحُ بـهـا الـغـادي لـرَبْـعـكَ أو يَـغْـدُو
فَـيُـخْـبِـرَنـا مـا بـالُ صَـرْمِـكَ بَـعْـدَمـا ... رَضِـيـتَ ومـا غَـيَّـرْتَ مـن خُـلُـقٍ بَـعْـدُ
أأَنْ نِـلْـتَ خَـيْـراً سَـرَّنـي أنْ تَـنـالَـهُ ... تَـنَـكَّـرْتَ حـتـى قُـلْـتُ ذو لِـبْـدَةٍ وَرْدُ؟
فـعـيـنـاكَ عَـيْـنـاهُ وَصَـوْتُـكَ صَـوْتُـهُ ... تُـمـثِّـلُـهُ لـي غَـيْـرَ أنَّـكَ لا تَـعْـدُو
لَـئِـنْ كـنـتَ قد أزمَـعْـتَ بـالـصَّـرْمِ بيننا ... لَـقَـدْ جَـعَـلَـتْ أشْـراطُ أوَّلِـهِ تَـبْـدُو[2]
فـإنِّـي إذا مـا صـاحِـبٌ رَثَّ وَصْـلُـهُ ... وَأعْـرَضَ عَـنِّـي قَـلَّ مـنـي لـهُ الـوَجْـدُ

قال المدائني: كان لأبي الأسود صديق يقال له الحارث بن خُلَيد، وكان في شرف من العطاء، فقال لأبي الأسود: ما يمنعك من طلب الديوان؟ فإنّ فيه غنى وخيراً، فقال له أبو الأسود: قد أغناني الله عنه بالقناعة والتجمل، فقال: كلا، ولكنك تتركه إقامةً على محبة ابن أبي طالب وبغض هؤلاء القوم. وزاد الكلام بينهما، حتى أغلظ له الحارث بن خليد، فهجره أبو الأسود، وندِم الحارث على ما فرط منه، فسأل عشيرته أن تصلِح بينهما، فأتَوا أبا الأسود في ذلك وقالوا له: قد اعتذر إليك الحارث مما فرَط منه وهو رجل حدِيد فقال أبو الأسود في ذلك:

لـنـا صـاحِـبٌ لا كَـلِـيـلُ الـلـسـانِ ... فَـيَـصْـمُـتَ عَـنَّـا ولا صـارِمُ

(١) وُقِص: دقت عنقه وكسرت.
(٢) أشراطه: علاماته.

وشـرُّ الـرجـالِ عـلـى أهْـلِـهِ وأصْـحـابِـهِ الـحَـمِـقُ الـعـارِمُ

وقال فيه: [الطويل]

إذا كـان شـيء بـيـنـنـا قـيـلَ إنَّـهُ حَـدِيـدٌ فـخـالِـفْ جـهـلَـه وتـرفَّـقِ
شنِئْتُ من الأصحابِ من لستُ بارِحاً أُدامِـلُـهُ دَمْـلَ الـسِّـقـاءِ الـمُـخَـرَّقِ(١)

وقال المدائني: ولّى عبيد الله بن زياد الحصينَ بن أبي الحُرّ العنبريّ مَيْسانَ(٢)، فدامت ولايته إياها خمس سنين، فكتب إليه أبو الأسود كتاباً يتصدّى فيه لِرفده، فتهاون به ولم ينظر فيه، فرجع إليه رسوله فأخبره بفعله، فقال فيه: [الطويل]

ألا أبـلِـغـا عَـنّـي حُـصَـيْـنـاً رسـالَـةً فـإنَّـكَ قـد قَـطَّـعْـتَ أُخْرَى خِـلالِـكـا
فَلَوْ كُنْتَ إذ أصْبَحْتَ لِلخَرْجِ عامِلاً بِمَيْسانَ تُعْطِي الناسَ من غير مالكا(٣)
سـألـتـكَ أو عَـرَّضْـتُ بـالـودِّ بـيـنـنـا لـقـد كـانَ حَـقّـاً واجـبـاً بـعـضُ ذلِـكـا
وَخَـبَّـرَنِـي مَـنْ كـنـتُ أرْسَـلْـتُ أنَّـمـا أخَـذْتَ كـتـابـي مُـعْـرِضـاً بِـشـمـالِـكـا
نَـظَـرْتَ إلـى عُـنـوانِـهِ ونَـبَـذْتَـهُ كَـنَـبْـذِكَ نَـعْـلاً أخْـلَـقَـتْ من نِـعـالِـكـا
حَـسِـبْـتَ كـتـابـي إذ أتـاكَ تَـعَـرُّضـاً لِـسَـيْـبِـكَ، لَـمْ يـذْهَـبْ رجـائي هـنـالِـكـا
يُـصِـيـبُ ومـا يَـدْرِي ويُـخْـطِـي ومـا دَرَى وكـيـفَ يـكـونُ الـنَّـوْكُ إلا كـذلِـكـا

فبلغت أبيات أبي الأسود حصيناً، فغضِب وقال: ما ظننت منزلة أبي الأسود بلغَتْ ما يتعاطاه من مساءتِنا وتوعّدنا وتوبيخنا، فبلغ ذلك أبا الأسود فقال فيه:

[المتقارب]

أبـلِـغْ حُـصَـيـنـاً إذا جـئـتَـهُ نَـصِـيـحَـةَ ذي الـرأي لِـلْـمُـجْـتَـنِـيـهـا
فـلا تَـكُ مِـثْـلَ الَّـتِـي اسْـتَـخْـرَجَـتْ بـأظـلافِـهـا مُـدْيَـةً أوْ بِـفِـيـهـا(٤)
فـقـامَ إلَـيْـهـا بـهـا ذابـحٌ ومـن تَـدْعُ يـومـاً شَـعُـوبُ يـجِـيـهـا(٥)
فَـظَـلَّـت بـأوصـالِـهـا قِـدْرُهـا تَـحُـشُّ الـوَلِـيـدَةُ أو تَـشْـتَـوِيـهـا(٦)

(١) أداملُه: أُداريه.
(٢) ميسان: كورة بتين البصرة وواسط. (معجم البلدان ٥/٢٤٢).
(٣) الخرج: الخراج.
(٤) يشير إلى المثل القائل: «كباحثة عن حتفها بظلفها».
(٥) شعوب: الموت. المنيّة.
(٦) تحشّ النار: توقدها.

وإنْ تـأبَ نُـصْـحِـي ولا تَـنْـتَـهِـي ... ولـم تَـرَ قَـوْلـي بِـنُـصْـحٍ شَـبِـيـهـا
أُجَـرِّعْـكَ صـابـاً وكـانَ الـمُـرا ... رُ والـصّـابُ قِـدْمـاً شـرابـاً كَـريـهـا

وقال خالد بن كلثوم: كان معاوية بن صعصعة يلقى أبا الأسود كثيراً فيحادثه ويظهر له المودّة، وكانت تبلغه عنه قوارص فيذكرها له فيجحدها أو يحلِف أنه لم يفعل، ثم يعاوِد ذلك، فقال فيه أبو الأسود: [الطويل]

وَلِي صاحِبٌ قد رابني أوْ ظَلَمْتُهُ ... كذلكَ ما الخَصْمانِ بَرٌّ وفاجِرُ
وإنّي امرؤٌ عندِي وَعَمْداً أقولُهُ ... لآتِيَ ما يأتِي امْرُؤٌ وَهْوَ خابِرُ
لسانانِ مَغْسُولٌ عليهِ حَلاوةٌ ... وآخَرُ مَسْمومٌ عليه الشَّراشِرُ[1]
فقلتُ ولم أبْخَلْ عليهِ نَصيحَتِي ... وَلِلْمَرْءِ ناهٍ لا يُلامُ وزاجِرُ
إذا أنتَ حاوَلْتَ البَراءَةَ فاجْتَنِبْ ... عَواقِبَ قَوْلٍ تَعْتَرِيهِ المَعاذِر
فَكَمْ شاعرٍ أرداهُ أن قالَ قائلٌ ... لَهُ في اعتراضِ القَوْلِ إنك شاعرُ
عطفتُ عليهِ عَطْفَةً فَتَرَكْتُهُ ... لِمَا كانَ يَرْضَى قَبْلَها وهو حاقِرُ
بقافيةٍ حَذّاءَ سَهْلٍ رَوِيُّها ... وَلِلْقَوْلِ أبْوابٌ تُرَى وَمَحاضِرُ[2]
تَعَزَّى بها من نَوْمِهِ وهو ناعِسٌ ... ـ إذا انتصف الليلُ ـ المُكِلُّ المسافِرُ[3]
إذا ما قضاها عادَ فيها كأنَّهُ ... لِلَذَّتِهِ سَكْرانُ أو مُتَساكِرُ

أخبرني عمي قال: حدّثنا الكراني قال: حدّثني العمري عن العتبي قال: كان عبد الله بن عامر مكرماً لأبي الأسود ثم جفاه لما كان عليه من التشيع فقال فيه أبو الأسود: [الطويل]

ألم تَرَ ما بيني وبينَ ابنِ عامرٍ ... مِنَ الوُدِّ قد بالَتْ عليه الثَّعالِبُ
وأصْبَحَ باقي الوُدِّ بَيْنِي وبينَهُ ... كأنْ لم يَكُنْ، والدَّهْرُ فيه عَجائِبُ
إذا المرءُ لم يُحْبِبْكَ إلا تَكَرُّهاً ... بدا لكَ مِنْ أخلاقِه ما يُغالِبُ
فَلَلنأي خيرٌ من مُقامٍ على أذًى ... ولا خَيْرَ فيما يَستَقِلُّ المُعاتِبُ

أخبرني محمد بن خلف بن المرزُبان قال: حدّثنا عبيد الله بن محمد قال: حدّثنا ابن النطاح قال: ذكر الحِرْمازيّ عن رجل من بني الديل قال: كانت لأبي

---

(١) عليه شراشر: أي حادّ. وشرشر السكين: أحدّها.
(٢) القافية الحذّاء: التي ليس فيها عيب.
(٣) المُكلّ: المتعب.

الأسود الدؤلي امرأة من بني قُشَير وامرأة من عبد القيس، فأسنّ وضعف عما يطيقه الشباب من أمر النساء، فأما القشيرية فكانت أقدمهما عنده وأسنهما، فكانت موافقة له صابرة عليه، وهي أم عوف القشيرية التي يقول فيها: [الطويل]

أبى القَلْبُ إلا أمَّ عَوْفٍ وَحُبَّها ... عَجُوزاً وَمَنْ يَحْبِبْ عَجُوزاً يفنَّدِ
كَسَحْقِ يَمانٍ قد تقادمَ عَهْدُهُ ... ورُقعتهُ ما شِئْتَ في العَيْنِ واليدِ

وأما الأُخرى التي من عبد القيس فهي فاطمة بنت دُعْمى ـ وكانت أشبَّهما وأجملهما ـ فالتوت عليه لما أسنّ، وتنكرت له وساءت عشرتها، فقال فيها أبو الأسود: [الطويل]

تُعاتبني عِرْسِي على أنْ أطِيعَها ... لَقَدْ كَذَبَتْها نَفْسُها ما تَمَنَّتِ
وَظَنَّتْ بأنّي كُلُّ ما رَضِيَتْ بهِ ... رَضِيتُ بهِ، يا جَهْلَها كيفَ ظَنَّتِ!
وَصاحَبْتُها ما لَوْ صَحِبْتُ بمثلهِ ... على دُعْرِها أُرْوِيَّةً لأطْمأنَّتِ[1]
وَقَدْ غَرَّها مِنّي على الشيبِ والبِلى ... جُنوني بها، جُنَّتْ حِيالي وحُنَّتِ

ـ يقال: جُنّ وحُنّ، وهو من الإتباع كما يقال: حسنٌ بَسَن ـ

ولا ذنبَ لي قد قلتُ في بَدْءِ أَمْرِنا ... ولو عَلِمَتْ ما عُلِّمَتْ ما تَعَنَّتِ
تَشَكَّى إلى جاراتِها وَبناتِها ... إذا لَمْ تَجِدْ ذَنْباً عَلَيْنا تَجَنَّتِ
أَلَمْ تَعْلَمِي أنِّي إذا خِفْتُ جَفْوَةً ... بمنزلةٍ أبْعَدْتُ منها مَطِيَّتِي
وأنِّي إذا شَقَّتْ عليَّ حَلِيلَتِي ... ذَهَلْتُ وَلَمْ أحْنِنْ إذا هِيَ حَنَّتِ

وفيها يقول: [الطويل]

أفاطِمُ مهلاً بعضَ هذا التَّعَبُّسِ ... وإن كانَ منكِ الجِدُّ فالصَّرْمُ مُؤنِسي
تَشَتَّمُ لي لما رَأتْنِي أحِبُّها ... كَذِي نِعْمَةٍ لم يُبْدِها غَيْرَ أبؤسِ
فإن تَنْقُضِي العهدَ الذي كانَ بيننا ... وتُلْوِي بهِ في وُدِّكِ المُتَحَلِّسِ
فإنِّي ـ فلا يغْرُرْكِ مِنِّي تَجَمُّلِي ـ ... لأسْلى البعادَ بالبعادِ المُكَنِّسِ
وأعلمُ أن الأرضَ فيها مَنادحٌ ... لِمَنْ كانَ لم تُسْدَد عليه بِمَحْبِسِ[2]

---

(١) الأروية: الانثى من الوعول.

(٢) منادح: جمع مندوحة وهي السعة.

وكنت أمرأً لا صحبة السّوءِ أرْتَجِي ولا أنا نَوَّام بغيرِ مُعَرَّس[(١)]

وقال المدائني: كان لأبي الأسود الدؤلي مولى يقال له نافع ويكنى أبا الصبّاح، فذُكرت لأبي الأسود جارية تباع، فركِب فنظر إليها فأعجبته، فأرسل نافعاً يشتريها له فاشتراها لنفسه وغدر بأبي الأسود، فقال في ذلك: [الطويل]

إذا كنتَ تَبْغِي للأمانَةِ حامِلاً فَدَعْ نافعاً وانْظُرْ لَها من يُطِيقُها

فإنَّ الفَتَى خَبٌّ كَذُوبٌ وإنَّهُ لَهُ نَفْسُ سَوْءٍ يَجتَوِيها صَدِيقُها

مَتَى يَخْلُ يَوْماً وَحْدَهُ بأمانَةٍ تُغَلُّ جَمِيعاً أو يُغَلُّ فَرِيقُها[(٢)]

على أنه أبقى الرجال سَمانَةً كما كلُّ مسمان الكلاب سَروقها

[خطبته يوم نعي عليّ بن أبي طالب]

أخبرني حبيب بن نصر المهلبيّ قال: حدّثنا عمر بن شبة قال: حدّثنا علي بن محمد المدائني عن أبي بكر الهذليّ قال: أتى أبا الأسود الدؤلي نعيُ أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام وبيعة الحسن عليه السلام، فقام على المنبر فخطب الناس ونعى لهم عليّاً عليه السلام فقال في خطبته:

«وإن رجلاً من أعداء الله المارقة عن دينهِ، اغتالَ أميرَ المؤمنين عليّاً كرم الله وجهه ومثواه في مسجده وهو خارج لتهجُّدِهِ في ليلة يُرْجَى فيها مصادفة ليلةِ القدر فَقَتَلَهُ، فيا للَّهِ هو من قَتِيل! وأكرِمْ به وَبِمَقْتَلِهِ ورُوحِهِ من روح عَرَجَتْ إلى الله تعالى بالبرِّ والتقى والإيمان والإحسان! لقد أطفأ منه نور الله في أرْضِه لا يبين بعده أبداً، وهدم ركناً من أركان الله تعالى لا يشادُ مثله؛ فإنّا لله وإنا إليه راجعون، وعند الله نحتسبُ مصيبتنا بأميرِ المؤمنين، وعليه السلام ورحمة الله يوم ولد ويوم قتل ويوم يبعث حياً».

ثم بكى حتى اختلفت أضلاعه، ثم قال: وقد أوصى بالإمامة بعده إلى ابن رسول الله ﷺ وابنه وسليله وشبيهه في خلقه وهديه، وإني لأرجو أن يجبر الله عز

---

(١) المعرّس: موضع النزول والاستراحة في السفر ليلاً. وقيل المعرّس: نزول القوم في السفر آخر الليل.

(٢) تُغَلّ: تخان. وفريقها: قسم منها.

وجل به ما وَهَى، ويَسُدَّ به ما انثلم، ويجمع به الشمل، ويطفىء به نيران الفتنة، فبايِعوه تَرشُدوا».

فبايعت الشيعة كلُّها، وتوقف ناس ممن كان يرى رأي العثمانية ولم يظهروا أنفسهم بذلك، وهربوا إلى معاوية، فكتب إليه معاوية ودسّ إليه رسولاً يُعلمه أن الحسن عليه السلام قد راسله في الصّلح، ويدعوه إلى أخذ البيعة له بالبصرة، ويعده ويُمَنِّيه؛ فقال أبو الأسود: [الوافر]

ألا أبْلِغْ مُعاويةَ بْنَ حَرْبٍ ... فلا قَرَّتْ عُيونُ الشّامِتينا
أفي شَهْرِ الصِّيامِ فَجَعْتُمُونا ... بِخَيْرِ النّاسِ طُرّاً أجْمَعِينا
قَتَلْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ المَطايا ... وَخَيَّسها ومَن رَكِبَ السَّفِينا[1]
ومن لبس النعالَ ومن حَذاها ... ومَن قرأ المثاني وَالمِئينا
إذا استقبلتَ وَجْهَ أبي حُسَيْنٍ ... رأيتَ البَدْرَ راقَ النّاظِرينا
لقد عَلِمَتْ قُرَيْشٌ حَيْثُ حَلَّتْ ... بأنَّكَ خَيْرُها حَسَباً ودِينا

أخبرني أبو الحسن الأسدي قال: حدّثنا الرياشيّ عن الهيثم بن عديّ عن أبي عبيدة قال: كان أبو حرب بن أبي الأسود قد لزم منزل أبيه بالبصرة لا ينتجع أرضاً، ولا يطلب الرزق في تجارة ولاغيرها، فعاتبه على ذلك، فقال أبو حرب: إن كان لي رزق فسيأتيني، فقال له: [الوافر]

وما طلبُ المعيشةِ بالتَّمَنِّي ... وَلَكِنْ ألْقِ دَلْوَكَ في الدِّلاءِ
تَجِئْكَ بمِلْئها يوماً ويوماً ... تَجِئكَ بحَمْأةٍ وقليلِ ماءِ[2]

وقال المدائني: كانت لأبي الأسود مولاة يقال لها لطيفة، وكان لها عبد تاجر يقال له مُلِمّ فابتاعت له أمة وأنكحته إياها، فجاءت بغلام فسمته زيداً، فكانت تؤثره على كل أحد، وتجد به وجْدَ الأم بولدها، وجعلته على ضيعتها، فقال فيه أبو الأسود، وقد مرضت لطيفة: [الوافر]

وزيد هالكٌ هُلْكَ الحُبارَى ... إذا هَلَكَتْ لَطِيفَةُ أو مُلِمٌّ[3]
تَبَنَّتْهُ فقالَ وأنتِ أمِّي ... فأنَّى بَعْدَها لكَ زيدُ أمُّ!

---

(١) خَيَّس المطايا: ذلّلها وروّضها.

(٢) الحمأة: الطين الأسود المنتن.

(٣) الحبارى: طائر أكبر من الدجاج، يضرب به المثل في البلاهة.

تَـرُمُّ مَـتـاعَـهُ وتـزيـدُ فـيـهِ وصاحِبُها لما يَحوي مِضَمُّ[١]
سـتـلـقـى بـعـدهـا شـراً وضـراً وتُـقْـصَـى إن قـرُبـت فـلا تُـضَـمُّ
وتَـلـقـاك الـمـلامـة كـلَّ وجـه سـلـكـت ويـنـتـحـي حـالَـيْـك ذم

قال: فماتت لطيفة من علتها تلك، وورثها أبو الأسود، فطرد زيداً عما كان يتولاه من ضيعتها، وطالبه بما خانه من مالها فارتجعه، فكان بعد ذلك ضائعاً مهاناً بالبصرة كما قال فيه وتوعده.

وقال المدائني أيضاً: اشترى أبو الأسود أمة للخدمة، فجعلت تتعرض منه للنكاح وتتطيب وتشتمل بثوبها، فدعاها أبو الأسود فقال لها: اشتريتك للعمل والخدمة، ولم أشترِكِ للنكاح، فأقبلي على خدمتك، وقال فيها: [الكامل]

أصـلاحُ إنّـي لا أريـدُكِ لِـلـصِّـبـا فَدَعِي التَّشَمُّلَ حَوْلَنا وتَبَذَّلِي[٢]
إنـي أريـدك لِـلْـعَـجِـيـنِ ولـلـرَّحَـى وَلِحَمْلِ قربتِنا وغَلْيِ المِرْجَلِ
وإذا تَـرَوَّحَ ضَـيْـفُ أهْـلِـكِ أوْ غـدا فَخُذِي لآخَرَ أُهْبَةَ المُسْتَقْبِلِ

أخبرني الحسن بن الطيب الشجاعي قال: حدّثنا أبو عُشانة عن ابن عباس قال: كان المنذر بن الجارود العبدي صديقاً لأبي الأسود الدؤلي تعجبه مجالسته وحديثه، وكان كل واحد منهما يغشى صاحبه؛ وكانت لأبي الأسود مُقَطَّعة[٣] من برود يكثر لُبسها، فقال له المنذر: لقد أدمنت لبس هذه المقطعة، فقال له أبو الأسود: رب مملول لا يستطاع فراقه؛ فعلم المنذر أنه قد احتاج إلى كسوة فأهدى له ثياباً، فقال أبو الأسود يمدحه: [الطويل]

كـسـاكَ ولـم تَـسْـتَـكْـسِـهِ فَـحَـمِـدْتَـهُ أخٌ لـكَ يُـعْـطِـيـكَ الـجَـزِيـلَ ونـاصِـرُ
وإنَّ أحَـقَّ الـنـاسِ إنْ كـنـتَ حـامِـداً بِحَمْدِك مَنْ أعطاكَ والعِرْضُ وافِرُ

[وصيته لابنه]

أنشدني محمد بن العباس اليزيدي عن عمه عبيد الله عن ابن حبيب لأبي الأسود يوصي ابنه، وفي هذه الأبيات غناء:

---

(١) المِضَمّ: الشديد الضَّمّ.
(٢) تشمّلت: لبست الشملة. وتبذلت: لبست ثياب العمل.
(٣) المقطعة: ضرب من الثياب.

صوت

[الكامل]

لا تُرْسِلَنَّ رِسالَةً مشهورةً ... لا تستطيعُ - إذا مَضَتْ - إدراكَها
أكْرِمْ صَدِيقَ أبيكَ حيثُ لَقِيتَهُ ... وأحْبُ الكَرامَةَ مَن بَدَا فَحَباكَها
لا تُبْدِيَنَّ نميمَةً حُدِّثْتَها ... وَتَحَفَّظَنَّ مِن الذي أنْباكَها

أخبرني محمد بن خلف بن مرزبان قال: حدّثنا أبو محمد المروزي عن القَحْذَمي عن بعض الرواة أن أبا الأسود الدؤلي اعتذر إلى زياد في شيء جرى بينهما، فكأنه لم يقبل عذره فأنشأ يقول:

إنَّني مُجْرِمٌ وأنْتَ أحَقُّ النـ ... ـاسِ أنْ تَقْبَلَ الغَداةَ اعتذارِي
فاعْفُ عَنِّي فَقَدْ سُفِهْتُ وأنتَ الـ ... ـمَرْءُ تَعْفُو عن الهَناتِ الكِبارِ

فتبسم زياد وقال: أما إذا كان هذا قولك فقد قبلت عذرك وعفوت عن ذنبك.

أخبرني هاشم بن محمد قال: حدّثني عبد الرحمٰن ابن أخي الأصمعي عن عمه عن عيسى بن عمر قال: سئل أبو الأسود عن رجل، واستشير في أن يولّى ولاية؛ فقال أبو الأسود: هو ما علمتُه: أهْيَسُ أَلْيَسُ، ألدُّ[1] مِلْحَس[2]، إن أعطى انتهر[3]، وأن سئل أَزَرَ[4]. قال الأصمعي: الأهيس: الحاد، ويقال في المثل:

إحدى لياليك فهِيسي هيسي

قال: ويقال ناقة لَيْساء: إذا كانت لا تبرح من المبرك. قال: وهو مما يوصف به الشجاع، وأنشد في صفة ثور.

أَلْيَسُ عن حَوبائه سخِي

أخبرني أحمد بن محمد بن عمران الصيرفيّ قال: حدّثنا الحسن بن عليل العنزيّ قال: حدّثني أحمد بن الأسود بن الهيثم الحنفي قال: حدّثنا أبو مُحَلِّم عن مؤرِّج السدوسيّ عن عبد الحميد بن عبد الله بن مسلم بن يَسار قال: وكان من

(١) الألدّ: الجدِل، الشديد الخصومة.
(٢) المِلْحَس: الحريص.
(٣) انتهره: زجره.
(٤) أزَرَ: تضامّ وتقبّض من بخله.

أفصح أهل زمانه ـ قال: أوصى أبو الأسود الدؤلي كاتباً لعبد الله بن عامر بحاجة له فضمن له قضاءها ثم لم يصنع فيها شيئاً فقال أبو الأسود:

لَعَمْري لقد أوْصَيْتُ أمْسِ بِحاجَتِي ... فَتًى غَيْرَ قَصْدٍ عَلَيَّ ولا رَؤُفْ[١]
ولا عارِفٍ ما كانَ بيني وبينهُ ... ومِن خيرِ ما أدلى بِهِ المَرْءُ ما عُرِفْ
وما كانَ ما أمَّلْتُ منه ففاتني ... بأولِ خَيْرٍ مِنْ أخِي ثِقَةٍ صُرِفْ

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال: حدّثني محمد بن القاسم مولى بني هاشم قال: حدّثني أبو زيد الأنصاري سعيد بن أوس قال: حدّثني بكر بن حبيب السهمي عن أبيه، وكان من جلساء أبي الأسود الدؤلي قال: كان أبو الجارود سالم بن سَلَمة بن نوفل الهذلي شاعراً، وكان صديقاً لأبي الأسود الدؤلي، فكان يهاديه الشعر، ثم تغير ما بينهما، فقال فيه أبو الأسود: [الطويل]

أبْلِغْ أبا الجَارُودِ عَنِّي رسالَةً ... يروحُ بها الماشِي ليلقاكَ أو يَغْدُو
فَيُخْبِرَنا ما بالُ صَرْمِكَ بعد ما ... رضيتَ وما غَيَّرْتَ من خُلُقٍ بَعْدُ
أأن نِلْتَ خَيْراً سَرَّني حِينَ نِلْتَهُ ... تَنَكَّرْتَ حتى قلتُ ذو لِبدَةٍ وَرْدُ؟[٢]
فعيناكَ عيناهُ وصوتُكَ صَوْتُهُ ... تُمَثِّلُهُ لِي غيرَ أنكَ لا تَعْدُو
فإنْ كُنْتَ قد أزْمَعْتَ بالصَّرْمِ بيننا ... وقد جَعَلَتْ أسْبابُ أوَّلِهِ تَبْدو
فإنِّي إذا ما صاحِبٌ رَثَّ وَصْلُهُ ... وأعْرَضَ عَنِّي قلتُ بالأبْعَدِ الفَقْدُ

[وفاته]

وكانت وفاة أبي الأسود فيما ذكره المدائنيّ في الطاعون الجارف سنة تسع وستين وله خمس وثمانون سنة. قال المدائني: وقد قيل إنه مات قبل ذلك؛ وهو أشبه القولين بالصواب، لأنا لم نسمع له في فتنة مسعود وأمر المختار بذكر، وذكر مثل هذا القول بعينه. والشك فيه هل أدرك الطاعون الجارف أو لا، عن يحيى بن مَعِين. أخبرني به الحسن بن عليّ عن أحمد بن زهير عن المدائنيّ ويحيى بن مَعِين:

---

(١) رؤف: رؤوف.
(٢) ذو لبدة ورد: الأسد.

صوت

[مجزوء الوافر]

لـعـمـرك أيُّـهـا الـرَّجُـلُ لأيِّ الـشـكـلِ تَـنْـتَـقِـلُ
أتَـهْـجُـر آلَ زَيْـنَـبَ أمْ تَـزُورهُـمُ فـتـعـتـدلُ؟
هُـمُ رَكْـبٌ لَـقـوا ركـبـاً كـمـا قـد تُـجْـمَـعُ الـسُّـبُـلُ
فـذلـكَ دأبُـنـا وبـذا كَ تَـجْـرِي بـيـنـنـا الـرُّسُـلُ

الشعر لأبي نفيس بن يَعْلَى بن مُنْية، والغناء لمعبد خفيف ثقيل أوّل بالسبابة في مجرى الوسطى، وفيه لابن سريج رمل بالوسطى، ولجميلة خفيف رمل بالبنصر.

أخبار أبي نفيس ونسبه

[اسمه وكنيته ونسبه]

اسمه حُيَيّ بن يحيى بن يَعْلَى بن مُنْيَة، وقيل بل اسم أبي نفِيس يحيى بن ثعلبة بن منية، ومنية أمّه، ذكر ذلك الزبير بن بكّار عن عمرو بن يحيى بن عبد الحميد. قال الزبير: وكان عمي يقول: اسمه ميمون بن يعلى؛ وأمّه منية بنت غَزْوان أخت عُتْبة بن غزوان، وأبوه أميّة بن عَبدة بن همام بن جُشَم بن بكر بن زيد بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم، وجدت ذلك بخطّ أبي محلِّم النسابة. قال: ويقال لبني زيد بن مالك بنو العدويّة؛ وهي فُكَيْهة بنت تميم بن الدئل بن جِسل بن عديّ بن عبد مناة بن تميم، ولدت لمالك بن حنظلة زيداً وصُدَيّاً ويربوعاً، فهم يُدْعون بني العدوية.

[بعض أخبار يعلى بن منية وروايته الحديث]

وكان يعلى بن مُنْية حليفاً لبني أميّة وعديداً[1] لهم، وبينه وبينهم صِهر ومناسبة، وقد أدرك النبيﷺ وسمع منه حديثاً كثيراً وروى عنه حديثاً كثيراً، وعمِّر بعده؛ وكان مع عائشة يوم الجمل على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

أخبرني عمّي قال: حدّثنا أحمد بن الحارث قال: حدّثنا المدائني عن أبي مِخْنف عن عبد الرحمٰن بن عبيد عن أبي الكنود قال: قال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه: مُنيت - أو بليت - بأطوَع الناس في الناسِ عائشة، وبأدْهَى الناس طَلْحَة، وبأشْجَع الناس الزبير، وبأكثر الناس مالاً يَعْلى بن منية، وبأجْوَدِ قريش عبدِ

(١) العديد في القوم: الذي يعدّ منهم.

الله بن عامر؛ فقام إليه رجل من الأنصار فقال: والله يا أمير المؤمنين لأنت أشجع من الزبير، وأدْهَى من طلحة، وأطوع فينا من عائشة، وأجْودُ من ابن عامر، ولمال الله أكثر من مال يعلى بن منية، وليكونن كما قال الله جل وعز: ﴿فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾[1]. فَسُرَّ علي بن أبي طالب رضي الله عنه بقوله.

ثم قام إليه رجل آخر منهم فقال:

أمــا الــزُّبَــيْــرُ فــأكْــفِــيــكَــهُ ... وَطَـلْـحَـةُ يَـكْـفِـيـكَـهُ وَحْـوَحَـهْ

ويَـعْـلَـى بْـنُ مُـنْـيَـةَ عـنـدَ الـقِـتـالِ ... شـدِيـدُ الـتـشـاؤبِ والـنَّـحْـنَـحَـهْ

وعـايِـشُ يَـكْـفِـيـكُـهـا واعِـظٌ ... وعـائِـشُ فـي الـنّـاسِ مُـسْـتَـنْـصَـحَـهْ

فـلا تَـجْـزَعَـنَّ فـإنَّ الأمُـورَ ... إذا مـا أتـيـنـاكَ مُـسْـتَـنْـجَـحَـهْ

ومـا يَـصْـلُـحُ الأمْـرُ إلا بـنـا ... كـمـا يَـصْـلُـحُ الـجُـبْـنُ بـالإنْـفَـحَـهْ[2]

قال: فسرّ علي عليه السلام بقوله، ودعا له وقال: بارك الله فيك. قال: فأمّا الزبير فناشده عليّ عليه السلام فرجع فقتله بنو تميم، وأما طلحة فناشده وَحْوَحة، وكان صديقه وكان من القرّاء، فذهب لينصرف، فرماه رجل من عسكرهم فقتله.

فأما ما رواه عن النبيﷺ فكثير، ولكني أذكر منه طرفاً كما ذكرت لغيره.

أخبرني أحمد بن الجعد قال: حدّثني محمد بن عباد المكي قال: حدّثنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عطاء بن أبي رباح عن صفوان بن يعلى بن منية عن أبيه أنه سمع النبيﷺ يقرأ على المنبر: ﴿ونَادَوا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾[3]. وقد روى يَعْلَى عنهﷺ حديثاً كثيراً اقتصرت منه على هذا لتعرف رِوايته عنه.

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدّثنا سليمان بن أبي شيخ قال: حدّثنا محمد بن الحكم عن أبي مخنف قال: أقرض يَعْلَى بن منية الزبير بن العوّام حين خرج إلى البصرة في وقعة الجمل أربعين ألف دينار، فقضاها ابن الزبير بعد ذلك لأنَّ أباه قتل يومئذٍ ولم يقضه إياها.

---

(١) سورة الأنفال، الآية ٣٦.

(٢) الإنفحة: مادة تستخرج من الجزء الباطني من معدة الرضيع من العجول أو الجداء ونحوهما، بها خميرة تجبن الحليب.

(٣) سورة الزخرف، الآية ٧٧.

قال: ولما صاروا إلى البصرة تنازع طلحة والزبير في الصلاة، فاتفقا على أن يصلي ابن هذا يوماً وابن هذا يوماً، وقال شاعرهم في ذلك: [المتقارب]

تـبـارَى الـغـلامـانِ إذْ صَـلَّـيَـا وَشَـحَّ عـلـى الـمـلـكِ شَـيْـخـاهُـمـا
ومـا لِـي وطَـلْـحَـةَ وابْـنِ الـزُّبَـيْـرِ وهـذا بِـذِي الـجِـزعِ مَـوْلاهـمـا[1]
فَـأُمُّـهُـمـا الـيَـوْمَ غَـرَّتْـهُـمـا ويَـعْـلَـى بْـنُ مُـنْـيَـةَ دلاَّهُـمـا[2]

أخبرني الحَرميّ بن أبي العلاء قال: حدّثنا الزبير بن بكار قال: حدّثني محمد بن يحيى عن جدّه عبد الحميد قال: كان يعلى بن منية ـ ويكنى أبا نفيس، وسمعت غير جدّي يقول اسمه يحيى وهو من بني العدوية من بني تميم من بني حنظلة ـ تزوج امرأة من بني مالك بن كنانة يقال لها زينب، ولهم حِلف في بني غِفارٍ، وهي من بنات طارق اللاتي يقلن: [الرجز]

نَـحْـنُ بـنـاتُ طـارِقْ نَـمْـشِـي عـلـى الـنَّـمـارِق

فتوفيت بتِهامة فقال يرثيها: [الرجز]

يـا ربِّ رَبَّ الـنّـاس لـمـا نَـحَّـبُـوا وَحِـينَ أفْـضَـوا مـن مِـنىً وحَـصَّـبـوا[3]
لا يُـسْـقَـيَـنَّ مَـلَـحٌ وعُـلْـيَـبُ والـمُـسـتـرادُ لا سـقـاهُ الـكَـوْكَـب[4]
مـن أجـل حُـمّـاهُـنَّ مـاتَـتْ زَيْـنَـبُ

قال الزبير: وأنشدتها عمي مصعب لأبي نفيس بن يعلى بن منية، قال واسمه ميمون، وكان عمي يقول: اسم أبي نفِيس ميمون بن يعلى، وقال في الأبيات:

لا يُـسْـقَـيَـنَّ عُـنْـبُـبٌ وعُـلْـيَـبُ[5]

أخبرني الحرميّ قال: حدّثنا الزبير قال: حدّثني محمد بن يحيى عن جدّه غَسّان بن عبد الحميد قال:

رأت عائشة زوج النبيﷺ بنات طارق اللواتي يقلن:

---

(١) الجزع: منعطف الوادي.
(٢) أمُّهما: عائشة أم المؤمنين.
(٣) نَحَّبُوا: ساروا سيراً سريعاً. وحصبوا: رموا الجمار.
(٤) مَلَح وعُلْيَب والمستراد: أسماء مواضع. انظر معجم البلدان.
(٥) عُنْبُب: واد باليمن. (معجم البلدان ٤/ ١٦١).

نَحْنُ بَنَاتُ طَارِقْ نَمْشِي عَلى النَّمارِقْ

فقالت: أخطأ من يقول: الخيل أحسن من النساء.

قال: وقالت هند بنت عُتْبة لمشركي قريش يوم أُحُد:

نَحْنُ بَنَاتُ طَارِقْ نَمْشِي عَلى النَّمَارِقْ
الدُّرُّ في المَخانِقْ وَالمِسْكُ في المَفارِقْ[1]
إن تُقْبِلوا نُعانِق أو تُدْبِروا نُفارِقْ
فِراقَ غَيْرِ وامِقْ[2]

أخبرني الحرميّ قال: حدّثنا الزبير قال: حدّثني محمد بن يحيى بن عبد الملك الهُدَيْري قال: جلست ليلة وراء الضحّاك بن عثمان الحِزاميّ في مسجد رسول الله وأنا متقنع، فذكر الضحاكُ وأصحابه قولَ هند يوم أحد:

نَحْنُ بَنَاتُ طَارِقْ

فقال: وما طارق؟ فقلت: النَّجْم. فالتفت الضحاك فقال: أبا زكريا، وكيف بذاكَ؟ فقلت: قال الله عز وجل: **﴿والسَّماء والطَّارِقِ وَمَا أَدْراك مَا الطارِقُ النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾**[3]. فقالت: إنما نحن بنات النجم، فقال: أحسنت.

صوت

[الطويل]

خليليَّ قُوما في عَطالَةَ فانْظُرا أناراً أَرَى مِنْ نَحْوِ يَبْرِينَ أم بَرْقا[4]
فإنْ يَكُ بَرْقاً فَهْوَ في مُشْمَخِرَّةٍ تغادِرُ ماءً لا قَلِيلاً ولا طَرْقا[5]
وإن تك ناراً فَهْيَ نارٌ بِمُلْتَقًى من الرِّيحِ تَسْفِيها وتَصْفَقُها صَفْقا

(١) المخانق: جمع مخنقة، وهي موضع القلادة.
(٢) الوامق: المحبّ.
(٣) سورة الطارق، الآية ١ ـ ٣.
(٤) عاطلة: جبل بديار بني سعد. (معجم البلدان ٤/ ١٢٩). ويبرين رمل بأعلى بلاد بني سعد. (انظر معجم البلدان ٥/ ٤٢٧).
(٥) المشمخرّ: الجبل العالي المرتفع. والماء الطرق: الذي خيض فيه فكدُر.

- ويروى:

«تَـزْهـاهـا وتَـعْـفِـقُـهـا عَـفْـقـا»[1]

لأُمِّ عــلــيٍّ أوقَــدَتْــهــا طَــمَــاعَــةً ... لأَوْبَـة سَـفْـرٍ أن تَـكُـونَ لـهـم وَفْـقـا

الشعر لِسويد بن كِراع، والغناء لابن محرز خفيف ثقيل أوّل بالوسطى عن يحيى المكي، وذكره غيره أنه لابن مسجح.

(١) تزهاها: تهزها غبّ الندى. وتعففها: تضمها، تجمعها.

أخبار سويد بن كراع ونسبه

[توفي - ١٠٥ هـ/ ٧٢٣ م]

[اسمه ونسبه ومكانته وشعره وبعض أخباره]

سُويد بن كُراع العُكلِيّ، أحد بني الحارث بن عوف بن وائل بن قيس بن عُكْل. شاعر فارس مقدم من شعراء الدولة الأموية. وكان في آخر أيام جرير والفرزدق.

وذكر محمد بن سلام في كتاب الطبقات فيما أخبرنا عنه أبو خليفة قال:

كان سويد بن كراع شاعراً مُحْكماً، وكان رجلَ بني عُكْل وذا الرأي والتقدّم فيهم، وعُكْل وضبَّة وعِديّ وتيم هم الرِّباب.

قال: وكان بعض بني عدِيّ ضرب رجلاً من بني ضبّة، ثم من بني السيِّد، وهم قوم نُكُدٌ[1] شُرُس، وهم أخوال الفرزدق؛ فاجتمعوا حتى ألمَّ أن يكون بينهم شرّ، فجاء رجل من بني عدِي فأعطى يده رهينة[2] لينظروا ما يصنع المضروب، فقال خالد بن علقمة (ابن الطَّيْفان) حليف بني عبد الله بن دارم: [الطويل]

أسالِمُ إنّي لا أخالُكَ سالِما أتَيْتَ بَني السِّيد الغُواةَ الأشائِما
أسالِمُ إنْ أفلَتَّ مِنْ شَرِّ هٰذِهِ فوائِلْ فِراراً إنَّما كُنْتَ حالِما
أسالِمُ ما اعطي ابنُ مامَةَ مِثْلَها ولا حاتِمٌ فيما بلا النّاسُ حاتِما

فقال سويد بن كراع يجيبه عن ذلك:

---

(١) نُكُدٌ: جمع أنكد، وهو العَسِر الشديد الشرّ.

(٢) أعطى يده رهينة: أي سلّم نفسه لهم أسيراً.

أشاعِر عبدِ الله إنْ كُنْتَ لائماً فَإنِّي لما تأتي من الأمْرِ لائِمُ
تُحَضِّضُ أفناءَ الرَبابِ سَفاهَةً وَعِرْضُك مَوْفُورٌ وَلَيْلُكَ نائِمُ(١)
وَهَلْ عَجَبٌ أنْ تُدْرِك السِّيدُ وِترها وَتَصْبِرَ لِلْحَقِّ السَّراةُ الأكارِمُ
رأيتكَ لَمْ تَمْنَعْ طُهَيَّةَ حُكْمَها وَأعْطَيْتَ يربوعاً وأنفُكَ راغِمُ(٢)
وَأنْتَ امرؤٌ لا تقبلُ النُّصْحَ طائعاً وَلٰكِنْ مَتَى تُقْهَرْ فإنَّكَ رائِمُ(٣)

ووجدت هذا الخبر في رواية أبي عمرو الشيباني أتمّ منه هاهنا وأوضح فذكرته؛ قال:

كان بين بني السيد بن مالك، من ضبة، وبين عدي بن عبد مناة تَرام على خَبْراءَ بالصَّمَّان يقال لها ذات الزِّجاج، فرُمي عمرو بن حَشفة أخو بني شُيَيْم فمات، ورمت بنو السِّيد رجلاً منهم يقال له مُدْلج بن صَخْر العدويّ فمكث أياماً لم يمت، فمرّ رجل من بني عدِي يقال له مُعَلِّل على بني السِّيد وهو لا يعلم الخبر، فأخذوه فشدّوه وثاقاً فأفلت منهم، ومشى بينهم عِصمة بن أُبَيْر التيميّ سفيراً، فقال لسالم بن فلان العدويّ: لو رهنتهم نفسك فإن مات مدلِج كان رجل برجلٍ، وإن لم يمت حملت دية صاحبهم، ففعل ذلك سالم على أن يكون عند أختم بن حُميريّ أخي بني شُبيْم من بني السيد، فكان عنده. ثم إن بني السيد لما أبطأ عليهم موتُ مدلج أتوا أختم لينتزِعوا منه سالماً ويقتلوه، فقوّض عليه أختم بيته ثم قال: يا آل أمّي - وكانت أمّه من بني عبد مناة بن بكر - فمنعه عبد مناة. ثم إن بني السيد قالوا لأختم: إلى كم تمنع هذا الرجل! أما الدية فوالله لا نقبلها أبداً. فجعل لهم أجلاً إن لم يمت مدلج فيه دفع إليهم سالماً فقتلوه به. فلما كان قبل ذلك الأجل بيوم مات مدلج، فقتلوا سالماً، فقال في ذلك خالد بن علقمة أخو بني عبد الله بن دارِم، وهو ابن الطَّيفان: [الطويل]

أسالِمُ ما مَنَّتكَ نَفْسُكَ بعدما أتيت بني السِّيدَ الغُواة الأشائِما؟
أسالِمُ قَدْ مَنَّتْكَ نَفْسُكَ أنَّما تكونُ دِياتٌ ثم تَرْجِعُ سالِما
كَذَبْتَ وَلٰكِنْ ثائِرٌ مُتَبَسِّلٌ يُلَقِّيكَ مَصْقُولَ الحَدِيدَةِ صارِما(٤)

---

(١) أفناء الرباب: أخلاط الرباب، والرباب قبيلة.
(٢) طهية: من بني حنظلة.
(٣) رائم: محبّ، آلف.
(٤) متبسل: عابس، غضبان.

أسالِمُ ما أَعْطى ابنُ مامَةَ مِثلَها ... ولا حاتِمُ فيما بلا النّاسُ حاتِما
أسالِمُ إنْ أفْلَتَّ مِنْ شَرِّ هَذِهِ ... فوائِلْ فِراراً إنّما كُنْتَ حالِما
وَقَدْ أَسْلَمَتْ تَيْمٌ عَدِيّاً فأَرْبَعَتْ ... وَدَلَّتْ لأسْبابِ المَنيَّةِ سَالِما[1]

فأجابه سويد بن كراع بالأبيات التي ذكرها ابن سلام، وزاد فيها أبو عمرو:

[الطويل]

دَعَوْتُمْ إلى أمْرِ النَّواكَةِ دارِماً ... فَقَدْ تَرَكَتْكُمْ والنَّواكَةَ دارِمُ
وكُنْتَ كَذاتِ البَوِّ شُرِّمَتِ اسْتُها ... فَطابَقْتَ لَمّا خَرَّمَتْكَ الغَمائِمُ[2]
فلو كنت مولى مسلت ما تجللت ... به ضبع في ملتقى القوم واحِمُ[3]
ولَمْ يُدْرِكِ المَقْتُولُ إلا مَجَرَّهُ ... وما أَسْأَرَتْ منهُ النُّسُورُ القَشاعِمُ[4]
عليك ابنَ عوف لا تدعه فإنما ... كفاكَ مواليِنا الّذي جَرَّ سالمُ
أتَذْكُرُ أقواماً كَفَوْكَ شُؤونَهُمْ ... وشأنَكَ إلا تَرْكَهُ مُتَفاقِمُ

قال: وقال سويد بن كراع في ذلك:

[الطويل]

أرى آل يَرْبوعٍ وأفناءَ مالِكٍ ... أعَضُّوكَ في الحَرْبِ الحَدِيدَ المُنَقَّبا[5]
هُمُ رَفعوا فأسَ اللجام فأدْرَكَتْ ... لَهاتَكَ حَتّى لم تَدعْ لك مشْرَبا[6]
فإن عُذْتَ عادوا بالتي لَيْسَ فَوْقَها ... من الشَّرِّ إلا أنْ تَبِيتَ مُحَجَّبا
وَتُصْبِحَ تُدْرَى الكُعْكُبِيَّةَ قاعداً ... ويُنْتَفَ من لِيَتْيك ما كانَ أزْغَبا[7]

تدرى: تمشط بالمِدرى[8] كما يفعل بالنساء، والكعكبية: مِشطة معروفة

فهل سألوا فينا سَواءَ الّذي لَهُمْ ... وَهَلْ نحنُ أعْطَينا سِواه فَتعْجبا

---

(١) أسلمت: خذلت. وأربعت: اطمأنت. وبنو تيم وبنو عديّ من قبيلة قريش. ودلاه لأسباب المنية: ألقاه لها.

(٢) البوّ: جلد الحوار يحشى تبناً فيقرب من الناقة فتعطف عليه وتدرّ. وطابقت: أذعنت. والغمامة: خرقة كالكرة تدخل في أنف الناقة لئلا تشمّ.

(٣) تجللته الضبع: علته. والواحم: المشتهية للضراب.

(٤) أسارت: أبقت. والنسور القشاعم: جمع قشعم وهو المسنّ.

(٥) اعضوك الحديد المنقب: جعلوك تعض الحديد المنقب.

(٦) فأس اللجام: الحديدة القائمة في الحنك.

(٧) المدرى: المشط.

ويروى:

فـهـل سـألـونـا خَـصْـلَـةً غـيـرَ حـقِّـهِـمْ

وهو أجود.

قال: فاستعدتْ بنو عبد الله سعيدَ بن عثمان بن عفّان على سويد بن كراع في هجائه إياهم، فطلبه ليضربه ويحبسه، فهرب منه، ولم يزل متوارِياً حتى كُلِّم فيه، فأمّنه على ألاّ يعاوِد، فقال سويد بن كراع: [الطويل]

تـقـول ابْـنَـةُ الـعـوفـيِّ لَـيْـلَـى ألا تَـرَى ... إلـى ابْـنِ كـراعٍ لا يَـزالُ مُـفَـزَّعـا
مَـخـافَـةُ هـذَيْـنِ الأمِـيـرَيْـنِ سَـهَّـدَتْ ... رُقـادِي وغَـشَّـتْـنـي بـيـاضـاً تَـفَـرَّعـا
عـلـى غَـيْـرِ جُـرْمٍ غَـيْـرَ أنْ جَـارَ ظـالِـمٌ ... عَـلَـيَّ فَـجَـهَّـزْتُ الـقَـصِـيـدَ الـمُـفَـرَّعـا
وقـد هـابـنـي الأقـوامُ لـمّـا رَمَـيْـتُـهُـمْ ... بـفـاقِـرةٍ إن هَـمَّ أنْ يَـتَـشَـجّـعـا[1]
أبِـيـتُ بـأبْـوابِ الـقـوافـي كـأنَّـمـا ... أُصادِي بها سِرباً من الوَحْشِ نُزَّعا[2]
أُكـالِـئُـهـا حَـتَّـى أُعَـرِّسَ بـعـدمـا ... يـكـونُ سُـحَـيْـرٌ أو بُـعَـيْـدُ فـأهْـجَـعـا[3]
فَـجَـشَّـمَـنـي خَـوْفُ ابْـنِ عـثـمـانَ رَدَّهـا ... ورِعْـيَـتَـهـا صَـيْـفـاً جـديـداً ومَـرْبَـعـا
نـهـانـي ابنُ عـثـمـان الإمام وقـد مَـضَـتْ ... نـوافِـذُ لـو تَـرْدِي الـصَّـفـا لَـتَـصَـدَّعـا[4]
عـوارِقُ مـا يَـتْـرُكْـنَ لَـحْـمـاً بِـعَـظْـمِـهِ ... ولا عَـظْـمَ لَـحْـمٍ دونَ أنْ يَـتَـمَـزَّعـا[5]
أحـقّـاً هَـداكَ الله أنَّ جـارَ ظـالِـمٍ ... فـأنـكَـرَ مَـظْـلُـوْمٌ بـأنْ يُـؤخَـذا مَـعـا
وأنْـتَ ابـنُ حُـكّـامٍ أقـامُـوا وقَـوَّمُـواْ ... قُـرُونـاً وأعْـطَـوا نـائـلاً غَـيْـرَ أقْـطَـعـا

[انتجاعه أرض بني تميم]

أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال: حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن الهيثم بن عدِي عن حمّاد الراوية قال:

انتجع سويد بن كراع بقومه أرض بني تميم، فجاور بني قُرَيع بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم، فأنزله بغِيض بن عامر بن شماس بن لأي بن

---

(١) الفاقرة: الداهية التي تكسر العظام.
(٢) أصادي: أداري.
(٣) أكالئها: أداريها وأراقبها.
(٤) تردي: ترمي. والصفا: جمع صفاة، وهي الحجارة الصلدة. الضخمة.
(٥) عوارق: جمع عارقة، وهي التي تعرق العظم ولا تترك عليه لحماً.

أنف الناقة بن قُرَيع وأرعاه، ووصله وكساه. فلم يزل مقيماً فيهم حتى أحيا[١]، ثم ودّعهم وأتى بغِيضاً وهو في نادي قومه وقد مدحه فأنشده قوله.

قال حماد: ومن لا يعلم يروي هذه القصيدة للحطيئة لكثرة مدحه بغيضاً، وهي لسويد بن كراع: [البسيط]

ارتَعْتُ لِلزَّورِ إذ حيًّا وَأَرَّقَنِي ... وَلَمْ يَكُنْ دانياً منّا ولا صَدَدا[٢]
وَدُونَهُ سَبْسَبٌ تُنْضَى المَطِيُّ بِهِ ... حَتَّى تَرَى العَنْسَ تُلْقِي رَحْلَها الأُجُدَا[٣]
إذا ذَكَرْتُكِ فاضَتْ عَبْرَتي دِرَراً ... وكادَ مَكْتُومُ قَلْبِي يَصدَعُ الكَبِدا[٤]
وذاكَ مِنّي هَوىً قد كانَ أَضْمَرَهُ ... قلبي فما ازدادَ مِنْ نَقْصٍ ولا نفِدا[٥]
وقد أرانا وحالُ النّاسِ صالحَةٌ ... نَحْتَلُّ مربوعةً أُدمانَ أو بَرَدَى[٦]
ليتَ الشبابَ وذاكَ العَصْرَ راجعَنا ... فلم نَزَلْ كالذي كنّا به أبَدا
أيامَ أعْلَمُ كم أعْمَلْتُ نَحْوَكُمُ ... من عِرمِسٍ عاقدٍ لم تَرْأَمِ الوَلَدا[٧]
تُصِيخُ عندَ السُّرَى في البيدِ ساميَةً ... سَطعاءَ تنهضُ في مِيتائِهَا صُعُدا[٨]
كأنَّ رَحْلِي على حُمْشٍ قوائِمُهُ ... برملِ عِرنانَ أمْسَى طاوياً وَحِدا[٩]
هاجَتْ عليهِ من الجَوْزاءِ سارِيَةٌ ... وَطْفاءُ تَحْمِلُ جَوْناً مُرْدفاً نَضَدا[١٠]
فألجأتْهُ إلى أرْطاةِ عانِكَةٍ ... فَيْحاءَ ينهالُ منها تُرْبُ ما التبدا[١١]

---

(١) أحيا: حسنت حال مواشيه.
(٢) الزَّوْر: الطيف. والصَّدَد: القرب.
(٣) السبسب: المفازة. وأنضاه السفر: أهزله. والعنس: الناقة الصلبة. والأجد: الصلبة القوية من النوق.
(٤) العبرة: الدمعة. ويصدع الكبد: يمزقه.
(٥) نفدَ: انتهى.
(٦) أُدمان: شعبة بينها وبين بدر ثلاثة أميال (معجم البلدان ١/ ١٢٦). وبردى: جبل بالحجاز. (معجم البلدان ١/ ٣٧٩).
(٧) العرمس: الناقة القوية الصلبة. والعاقد: التي تعقد بذنبها عند اللقاح. ورئمت ولدها: عطفت عليه.
(٨) تصيخ: تستمع. والسَّطعاء: الطويلة العنق. والميتاء: الطريق المسلوكة الممهدة.
(٩) حمش القوائم: دقيقات القوائم. وعرنان: جبل بالجناب دون وادي القرى (معجم البلدان ٤/ ١١١). ووحداً: وحيداً.
(١٠) السارية: سحابة تسري ليلاً. والسحابة الوطفاء: الغزيرة المياه والجون: السوداء. ومردفاً: متتابعاً، متوالياً. والنَّضَد: المتراكم.
(١١) العانكة: الرملة المتعقدة ليس فيها طريق مسلوك. والفيحاء: الواسعة. والتَّبَدَ: تلبد بعضه فوق بعض.

تخالُ عِطْفَيْهِ من جَوْل الرَّذاذِ بهِ ... مُنَظَّماً بِيَدَيْ داريَّةٍ فَرَدا[١]
حتى إذا ما انْجَلَتْ عنهُ دُجُنَّتُهُ ... وَكَشَّفَ الصُّبْحُ عنهُ اللَّيْلَ فاطَّرَدا[٢]
غدا كَذِي التّاجِ حَلَّتْهُ أساوِرةٌ ... كأنّما اجتابَ في حَرِّ الضُّحَى سَنَدا[٣]

وهي طويلة اختصرتها، يقول فيها:

لا يُبْعد الله إذ وَدَّعْتُ أرْضَهُمُ ... أخي بَغيضاً ولكنْ غَيْرُهُ بَعُدا[٤]
لا يبعد اللَّهُ مَنْ يُعْطِي الجَزِيلَ وَمَنْ ... يَحْبُو الخليلَ وما أكْدَى وما صَلَدا[٥]
وَمَنْ تُلاقِيهِ بالمَعْروفِ معترفاً ... إذا اجْرَهَدَّ صَفا المذموم أو صَلَدا[٦]
لاقيتُهُ مُفْضِلاً تَنْدَى أنامِلُه ... إن يُعطِكَ اليومَ لا يَمنَعْك ذاكَ غدا
تَجيءُ عَفْواً إذا جاءَتْ عَطِيَّتُهُ ... ولا تخالِطُ تَرْنِيقاً ولا زَهَدا[٧]
أَوْلاهُ بالمَفخَرِ الأعْلَى وأعْظَمُهُ ... خُلقاً وَأوسَعُهُ خَيْراً ومُنْتَفَدا
إذا تَكَلَّفَ أقْوامٌ صنائِعَهُ ... لاقَوا - ولم يُظْلَموا - مِن دونها صَعَدا[٨]
بَحْرٌ إذا نَكَسَ الأقْوامُ أوْ ضَجِروا ... لاقيتَ خَيْرَ يَدَيْهِ دائماً رَغَدا[٩]
لا يَحْسِبُ المَدْحَ خَدْعاً حينَ تَمدَحُهُ ... ولا يَرَى البُخْلَ منهاه لَهُ أبدا
إنِّي لَرافِدُه وُدِّي ومَنْصَرتي ... وحافِظٌ غَيْبَهُ إن غابَ أو شَهِدا

صوت

حَنَتْني حانِياتُ الدَّهْرِ حَتّى ... كأنّي خاتِلٌ يَدْنُو لِصَيْدِ
قَريبُ الخَطْوِ يَحْسِبُ مَنْ رآني ... - وَلَسْتُ مُقَيَّداً - أنّي بقَيْدِ

عروضه من الوافر. الخاتل: الذي يتقتّر[١٠] للصيد ويَنحني حتى لا يُرَى.

(١) العطف: الجانب. والجول: الجولان. والداريّة: المنسوبة إلى دارين. والفَرَد: الذي لا مثيل له.
(٢) الدُّجُنّة: الظلمة.
(٣) اجتاب القميص: لبسه. والسند: ضرب من البرود.
(٤) بعد: هلك.
(٥) أكدى وصلد: بخل.
(٦) أجرهدّت الأرض: خلت من الكلأ. وصلد الزند: صوَّتَ ولم يُورِ.
(٧) الترنيق: التكدير.
(٨) الصَّعَدا: المشقة.
(٩) نكس رأسه: طأطأه.
(١٠) يتقتر: يتهيأ.

ويقال لكل من أراد خِداع صيدٍ أو إنسانٍ: ختله، ورَّى أمرَه فلم يُظهِره. ومن رواه: «كأني حابل» فإنه يعني الذي يَنصب حِبالةً للصيد. الشعر لأبي الطَّمَحان القَيْني. والغناء لإبراهيم ماخوريّ وهو خفيف الثقيل الثاني بالوسطى. وذكر ابن حبيب أن هذا الشعر للمسجاح بن سِباع الضبيّ، فإن كان ذلك على ما قال فلأبي الطمحان ممّا يُغنَّى فيه من شعره ولا يُشَكّ فيه أنّه له قوله:

صوت

[الطويل]

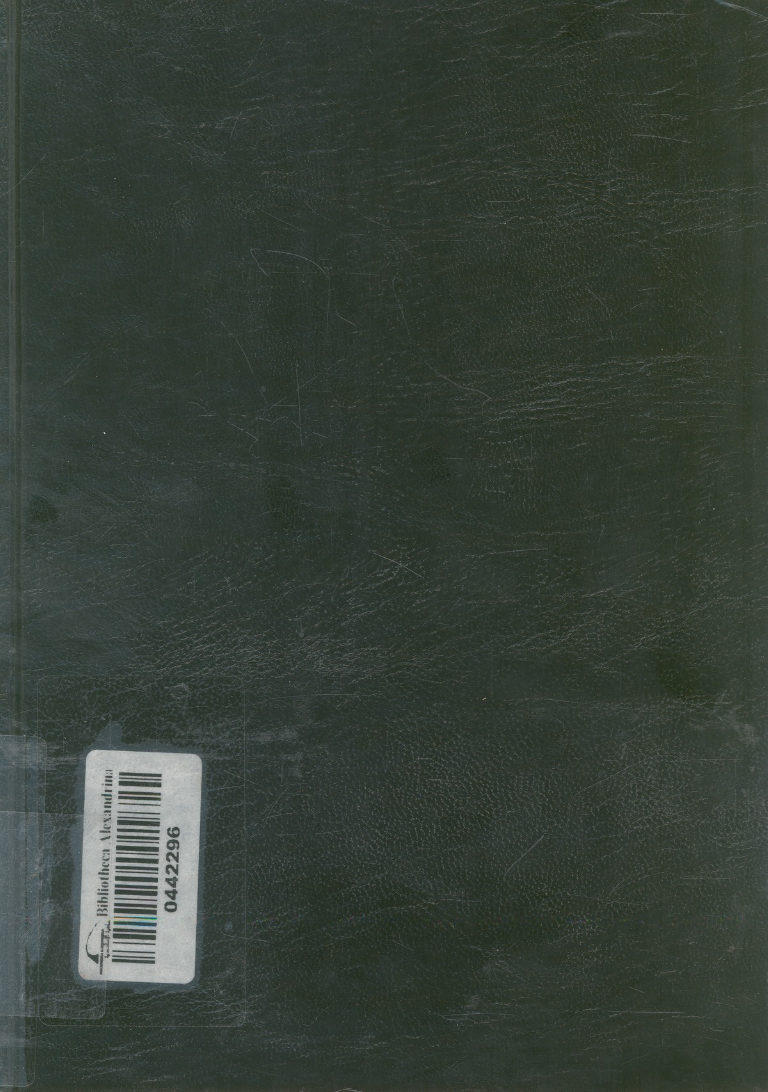
أضَاءَتْ لَهُمْ أحْسَابُهُمْ ووُجُوهُهُمْ دُجَى اللَّيْلِ حَتّى نَظَّمَ الجزعَ ثاقِبُهْ

الغناء لعريب ثاني ثقيل وخفيف رمل، وذكر ابن المعتزّ أن خفيف الرمل لها، وأن الثقيل الثاني لغيرها.

تم الجزء الثاني عشر ويليه الجزء الثالث عشر

وأوّله أخبار أبي الطمحان القينيّ

الفهرس


Bibliotheca Alexandrina
04442296